زبر من الفوائد القرآنية
ونوادر من الفرائد والقلائد الربانية

تأليف

السيد العلامة المجتهد
محمد بن عبدالله عوض
حفظه الله وأبقاه

مكتبة أهل البيت (ع)

صف وتحقيق وإخراج:

مكتبة أهل البيت (ع)

اليمن ـ صعدة ـ ت (٥٣١٥٨٠/ ٧١٣٨٤٢٩٨٩)

الطبعة الأولى

١٤٣٩هـ -٢٠١٧م

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة أهل البيت (ع)

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين، وبعد:

فاستجابة لقول الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال٢٤]، ولقوله تعالى: ﴿وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران١٠٤]، ولقوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى٢٣]، ولقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب٣٣]، ولقوله تعالى: ﴿إنما وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة٥٥].

ولقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:((إني تارك فيكم ما إن تمسّكتم به لن تضلوا من بعدي أبداً كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يَرِدَا عليّ الحوض))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهوى))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أن النجوم أمان لأهل السماء))، ولقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((من سرّه أن يحيا حياتي؛ ويموت مماتي؛ ويسكن جنة عدن التي وعدني ربي؛ فليتول علياً وذريته من بعدي؛ وليتولّ وليه؛ وليقتد بأهل بيتي؛ فإنهم عترتي؛ خُلقوا من طينتي؛ ورُزقوا فهمي وعلمي)) الخبر، وقد بيّن صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم: علي، وفاطمة، والحسن والحسين وذريّتهما عليهم السلام- عندما جلّلهم صلى الله عليه وآله وسلم بكساءٍ

وقال: ((اللّهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً)).

استجابةً لذلك كلّه كان تأسيس مكتبة أهل البيت(ع).

ففي هذه المرحلة الحرجة من التاريخ؛ التي يتلقّى فيها مذهب أهل البيت(ع) مُمثلاً في الزيدية، أنواعَ الهجمات الشرسة، رأينا المساهمة في نشر مذهب أهل البيت المطهرين عليهم السلام عَبْر نَشْرِ ما خلّفه أئمتهم الأطهار عليهم السلام وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم، وما ذلك إلا لثِقَتِنا وقناعتنا بأن العقائد التي حملها أهل البيت عليهم السلام هي مراد الله تعالى في أرضه، ودينه القويم، وصراطه المستقيم، وهي تُعبِّر عن نفسها عبر موافقتها للفطرة البشرية السليمة، ولما ورد في كتاب الله عزّ وجل وسنة نبيّه صلى الله عليه وآله وسلم.

واستجابةً من أهل البيت عليهم السلام لأوامر الله تعالى، وشفقة منهم بأمة جدّهم صلى الله عليه وآله وسلم، كان منهم تعميدُ هذه العقائد وترسيخها بدمائهم الزكيّة الطاهرة على مرور الأزمان، وفي كلّ مكان، ومن تأمّل التاريخ وجَدَهم قد ضحّوا بكل غالٍ ونفيس في سبيل الدفاع عنها وتثبيتها، ثائرين على العقائد الهدَّامة، منادين بالتوحيد والعدالة، توحيد الله عز وجل وتنزيهه سبحانه وتعالى، والإيمان بصدق وعده ووعيده، والرضا بخيرته من خَلْقِه.

ولأن مذهبَهم عليهم السلام دينُ الله تعالى وشَرْعُه، ومرادُ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وإرْثُه، فهو باقٍ إلى أن يرث الله الأرض ومنْ عليها، وما ذلك إلا مصداق قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ((إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض)).

قال والدنا الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع): (واعْلَمْ أن الله جلّ جلاله لم يرتضِ لعباده إلا ديناً قويماً، وصراطاً مستقيماً، وسبيلاً واحداً، وطريقاً قاسطاً، وكفى بقوله عزّ وجل: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا

السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام١٥٣].

وقد علمتَ أن دين الله لا يكون تابعاً للأهواء: ﴿وَلَوِ اتَّبَعَ الْحَقُّ أَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ [المؤمنون٧١]، ﴿فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس٣٢]، ﴿شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى٢١].

وقد خاطبَ سيّد رسله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله عز وجل: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [هود]، مع أنه صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من أهل بدر، فتدّبر واعتبر إن كنتَ من ذوي الاعتبار، فإذا أحطتَ علماً بذلك، وعقلتَ عن الله وعن رسوله ما ألزمك في تلك المسالك، علمتَ أنه يتحتّم عليك عرفانُ الحق واتباعه، وموالاة أهله، والكون معهم، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾ [التوبة١١٩]، ومفارقةُ الباطل وأتباعه، ومباينتهم ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ [المائدة٥١]، ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة٢٢]، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ﴾ [الممتحنة١]، في آيات تُتْلى، وأخبار تُمْلَى، ولن تتمكن من معرفة الحق وأهله إلا بالاعتماد على حجج الله الواضحة، وبراهينه البيّنة اللائحة، التي هدى الخلق بها إلى الحق، غير معرّج على هوى، ولا ملتفت إلى جدال ولا مراء، ولا مبال بمذهب، ولا محام عن منصب، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ﴾) [النساء:١٣٥](١).

(١) التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية.

وقد صَدَرَ بحمد الله تعالى عن مكتبة أهل البيت (ع):

١-الشافي، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ٦١٤هـ، مذيّلاً بالتعليق الوافي في تخريج أحاديث الشافي، تأليف السيد العلامة نجم العترة الطاهرة/ الحسن بن الحسين بن محمد رحمه الله تعالى ١٣٨٨هـ.

٢-مَطْلَعُ البُدُوْرِ وَمَجْمَعُ البُحُوْرِ في تراجم رجال الزيدية، تأليف/ القاضي العلامة المؤرّخ شهاب الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال رحمه الله تعالى، ١٠٢٩هـ - ١٠٩٢هـ.

٣-مَطَاْلِعُ الأَنْوَاْرِ وَمَشَاْرِقُ الشّمُوْسِ وَالأَقْمَاْرِ - ديوان الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع) - ٦١٤هـ.

٤-مجموع كتب ورسائل الإمام المهدي الحسين بن القاسم العياني(ع) ٣٧٦هـ-٤٠٤هـ.

٥-مَحَاسِنُ الأَزْهَارِ في تَفْصِيْلِ مَنَاقِبِ العِتْرَةِ الأَطْهَاْرِ، شرح القصيدة التي نظمها الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة(ع)، تأليف/ الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلّي الهمداني الوادعي رحمه الله تعالى - ٦٥٢هـ.

٦-مجموع السيد حميدان، تأليف/ السيد العالم نور الدين أبي عبدالله حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي الحسني رضي الله تعالى عنه.

٧-السفينة المنجية في مستخلص المرفوع من الأدعية، تأليف/ الإمام أحمد بن هاشم(ع) - ت ١٢٦٩هـ.

٨-لوامع الأنوار في جوامع العلوم والآثار وتراجم أولي العلم والأنظار، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ-١٤٢٨هـ.

٩-مجموع كتب ورسائل الإمام الأعظم أمير المؤمنين زيد بن علي(ع)، تأليف/ الإمام الأعظم زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب(ع) ٧٥هـ-١٢٢هـ.

١٠-شرح الرسالة الناصحة بالأدلة الواضحة، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) - ت ٦١٤هـ.

١١-صفوة الاختيار في أصول الفقه، تأليف/الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

١٢-المختار من صحيح الأحاديث والآثار من كتب الأئمة الأطهار وشيعتهم الأخيار، لِمُخْتَصِرِهِ/ السيّد العلامة محمد بن يحيى بن الحسين بن محمد حفظه الله تعالى، اختصره من الصحيح المختار للسيد العلامة/ محمد بن حسن العجري رحمه الله تعالى.

١٣-هداية الراغبين إلى مذهب العترة الطاهرين، تأليف/ السيد الإمام الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) -ت٨٢٢هـ.

١٤-الإفادة في تاريخ الأئمة السادة، تأليف/ الإمام أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤ هـ.

١٥-المنير - على مذهب الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم (ع) تأليف/ أحمد بن موسى الطبري رضي الله عنه.

١٦-نهاية التنويه في إزهاق التمويه، تأليف السيد الإمام/ الهادي بن إبراهيم الوزير(ع) - ٨٢٢هـ.

١٧-تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين، تأليف/ الحاكم الجشمي المحسن بن محمد بن كرامة رحمه الله تعالى - ٤٩٤هـ.

١٨-عيون المختار من فنون الأشعار والآثار، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

١٩-أخبار فخ وخبر يحيى بن عبدالله (ع) وأخيه إدريس بن عبدالله(ع)، تأليف/ أحمد بن سهل الرازي رحمه الله تعالى.

٢٠-الوافد على العالِم، تأليف/ الإمام نجم آل الرسول القاسم بن إبراهيم الرسي(ع) - ٢٤٦ هـ.

٢١-الهجرة والوصية، تأليف/ الإمام محمد بن القاسم بن إبراهيم الرسي(ع).

٢٢-الجامعة المهمة في أسانيد كتب الأئمة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٣-المختصر المفيد فيما لا يجوز الإخلال به لكلّ مكلف من العبيد، تأليف/ القاضي العلامة أحمد بن إسماعيل العلفي رضي الله عنه ت ١٢٨٢هـ.

٢٤- خمسون خطبة للجمع والأعياد.

٢٥-رسالة الثبات فيما على البنين والبنات، تأليف/ الإمام الحجة عبدالله بن حمزة(ع) ت٦١٤هـ.

٢٦-الرسالة الصادعة بالدليل في الرد على صاحب التبديع والتضليل، تأليف/ الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ -١٤٢٨هـ.

٢٧-إيضاح الدلالة في تحقيق أحكام العدالة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٨-الحجج المنيرة على الأصول الخطيرة، تأليف/ الإمام الحجة مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٢٩-النور الساطع، تأليف/ الإمام الهادي الحسن بن يحيى القاسمي(ع) ١٣٤٣هـ.

٣٠-سبيل الرشاد إلى معرفة ربّ العباد، تأليف/ السيد العلامة محمد بن الحسن بن الإمام القاسم بن محمد(ع)١٠١٠هـ - ١٠٧٩هـ.

٣١-الجواب الكاشف للالتباس عن مسائل الإفريقي إلياس - ويليه/ الجواب الراقي على مسائل العراقي، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).

٣٢-أصول الدين، تأليف/ الإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين(ع)٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٣٣-الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة، تأليف/ القاضي العلامة عبدالله بن زيد العنسي رحمه الله تعالى - ٦٦٧هـ.

٣٤-العقد الثمين في معرفة رب العالمين، تأليف الأمير الحسين بن بدرالدين محمد بن أحمد(ع) ٦٦٣هـ.
٣٥-الكامل المنير في إثبات ولاية أمير المؤمنين(ع)، تأليف/ الإمام القاسم بن إبراهيم الرسي (ع) ٢٤٦هـ.
٣٦-كتابُ التَّحْرِيْرِ، تأليف/ الإمام الناطق بالحق أبي طالب يحيى بن الحسين الهاروني(ع) - ٤٢٤هـ.
٣٧-مجموع فتاوى الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) ١٣١٩هـ.
٣٨-القول السديد شرح منظومة هداية الرشيد، تأليف/ السيد العلامة الحسين بن يحيى بن الحسين بن محمد (ع) (١٣٥٨هـ - ١٤٣٥هـ).
٣٩-قصد السبيل إلى معرفة الجليل، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٠-نظرات في ملامح المذهب الزيدي وخصائصه، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤١-معارج المتقين من أدعية سيد المرسلين، جمعه السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٢-الاختيارات المؤيَّدية، من فتاوى واختيارات وأقوال وفوائد الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع)، (١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ).
٤٣-من ثمارِ العِلْمِ والحكمة (فتاوى وفوائد)، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.
٤٤-التحف الفاطمية شرح الزلف الإمامية، تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.
٤٥-المنهج الأقوم في الرَّفع والضَّم والجَهْرِ ببسم الله الرحمن الرحيم، وإثبات حيَّ عَلَى خَيْرِ الْعَمَلِ في التأذين، وغير ذلك من الفوائد التي بها النَّفْعُ الأَعَمُّ، تأليف/ الإمام الحجة/ مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع).

٤٦-الأساس لعقائد الأكياس، تأليف/ الإمام القاسم بن محمد (ع).

٤٧-البلاغ الناهي عن الغناء وآلات الملاهي. تأليف الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ - ١٤٢٨هـ.

٤٨-الأحكام في الحلال والحرام، للإمام الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم(ع) ٢٤٥هـ - ٢٩٨هـ.

٤٩-المختار من(كنز الرشاد وزاد المعاد، تأليف/ الإمام عزالدين بن الحسن(ع)ت٩٠٠هـ).

٥٠-شفاء غليل السائل عما تحمله الكافل، تأليف/ العلامة الفاضل: علي بن صلاح بن علي بن محمد الطبري.

٥١-الفقه القرآني، تأليف السيد العلامة/ محمد بن عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٥٢-تعليم الحروف إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٣-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الأول الحروف الهجائية، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٤-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الجزء الأول الأعداد الحسابية من (١ إلى ١٠)، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٥-تسهيل التسهيل على متن الآجرومية، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٥٦-أزهار وأثمار من حدائق الحكمة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٥٧- متن الكافل بنيل السؤل في علم الأصول، تأليف/ العلامة محمد بن يحيى بهران (ت: ٩٥٧هـ).

٥٨-الموعظة الحسنة، تأليف/ الإمام المهدي محمد بن القاسم الحسيني(ع) -١٣١٩هـ.

٥٩-أسئلة ومواضيع هامة خاصة بالنساء، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٦٠-المفاتيح لما استغلق من أبواب البلاغة وقواعد الاستنباط، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٦١-سلسلة تعليم القراءة والكتابة للطلبة المبتدئين/ الجزء الثاني الحركات وتركيب الكلمات، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٦٢-سلسلة تعليم مبادئ الحساب/ الأعداد الحسابية الجزء الثاني، إصدارات مكتبة أهل البيت (ع).

٦٣-المركب النفيس إلى أدلة التنزيه والتقديس، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٦٤-المناهل الصافية شرح المقدمة الشافية، تأليف/ العلامة لطف الله بن محمد الغياث الظفيري، ت ١٠٣٥هـ.

٦٥-الكاشف لذوي العقول عن وجوه معاني الكافل بنيل السؤل، تأليف/ السيد العلامة أحمد بن محمد لقمان، ت ١٠٣٧هـ.

٦٦-الأنوار الهادية لذوي العقول إلى معرفة مقاصد الكافل بنيل السؤول، تأليف/ الفقيه العلامة أحمد بن يحيى حابس الصعدي، ت١٠٦١هـ.

٦٧-مجمع الفوائد المشتمل على بغية الرائد وضالة الناشد، تأليف الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ-١٤٢٨هـ.

٦٨-كتاب الحجّ والعمرة، تأليف الإمام الحجّة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي(ع) ١٣٣٢هـ-١٤٢٨هـ.

٦٩-المسطور في سيرة العالم المشهور ، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى.

٧٠-زبر من الفوائد القرآنية ونوادر من الفرائد والفرائد القرآنية، تأليف السيد العلامة/ محمد عبدالله عوض حفظه الله تعالى

وهناك الكثير الطيّب في طريقه للخروج إلى النور إن شاء الله تعالى، نسأل الله تعالى الإعانة والتوفيق.

ونتقدّم في هذه العجالة بالشكر الجزيل لكلّ من ساهم في إخراج هذا العمل

الجليل إلى النور -وهم كُثُر- نسأل الله أن يكتب ذلك للجميع في ميزان الحسنات، وأن يجزل لهم الأجر والمثوبة.

وختاماً نتشرّفُ بإهداء هذا العمل المتواضع إلى روح مولانا الإمام الحجة/ مجدالدين بن محمد بن منصور المؤيدي -سلام الله تعالى عليه ورضوانه- باعثِ كنوز أهل البيت(ع) ومفاخرهم، وصاحب الفضل في نشر تراث أهل البيت(ع) وشيعتهم الأبرار رضي الله عنهم.

وأدعو الله تعالى بما دعا به (ع) فأقول: اللهم صلِّ على محمد وآله، وأتمم علينا نعمتك في الدارَيْن، واكتب لنا رحمتك التي تكتبها لعبادك المتقين؛ اللهم علّمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علّمتنا، واجعلنا هداة مهتدين؛ ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر]، نرجو الله التوفيق إلى أقوم طريق بفضله وكرمه، واللهَ أسأل أن يصلح العمل ليكون من السعي المتقبّل، وأن يتداركنا برحمته يوم القيام، وأن يختم لنا ولكافة المؤمنين بحسن الختام، إنه ولي الإجابة، وإليه منتهى الأمل والإصابة، ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأحقاف١٥].

وصلى الله على سيّدنا محمد وعلى أهل بيته الطيبين الطاهرين.

مدير المكتبة/

إبراهيم بن مجدالدين بن محمد المؤيدي

[مقدمة التحقيق]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الرحيم الرحمن، الذي علم القرآن، خلق الإنسان علمه البيان، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين كما قال فيه المولى جل وعلا: ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٢﴾، وعلى آله الأكرمين المتروكين في هذه الأمة أماناً من الضلال، قرناء الكتاب الموضحين لغرائبه، المستخرجين لدرره ويواقيته، الحاملين علم جدهم صلى الله عليه وآله وسلم وفهمه، وبعد:

فإننا نقدم هذا الكتاب الجليل القدر من مؤلفات المولى الحجة العلامة السيد محمد بن عبدالله عوض حفظه الله وأبقاه، وهو يشتمل على فوائد عظيمة استخرجها حفظه الله من الآيات القرآنية بما له من العلم الواسع، والفهم الوافر، والذكاء الباهر، وقد اشتمل على مواضيع متشعبة مفيدة في شتى أنواع العلوم، وفي سير الأنبياء وقصصهم وأخبارهم، وغير ذلك من المواضيع الهامة.

وبما أن المؤلف حفظه الله لم يضعها في مؤلف منفرد، وإنما كان يُدَوِّنُ ما يعرض له من هذه الفوائد بحسب الحال، وكانت موزعة في الكثير من دفاتره، مختلطة بغيرها من المواضيع التي يراها القارئ في بقية مؤلفاته حفظه الله مثل كتابه القيم: (من ثمار العلم والحكمة) وغيره، ولهذا فإن العمل في هذا الكتاب كان كما يلي:

١- الصف للمواضيع وإخراجها للتحقيق والتصحيح.

٢- جمع المواضيع التي تختص بالفوائد القرآنية في هذا الكتاب.

٣- كان أكثر المواضيع مُصَدَّراً بالبسملة ومقدمة، وعند جمع المواضيع حذفنا ذلك اكتفاءً بها في أول الكتاب.

٤- قمنا بعنونة بعض الفوائد أو المقاطع ووضعنا العنوان بين معكوفين [....]، وقد تكون العناوين غير وافية بالمقصود، لكن هذه طاقتنا ولا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

٥- قمنا بترتيب المواضيع في هذا الكتاب حسب الإمكان إما حسب السور، أو حسب المواضيع، وإذا كان في أول الموضوع آية من سورة فإننا نضع هذا الموضوع في فوائد هذه السورة وإن كان ضمن الموضوع آيات من سور أخرى.

٦- ثم بعدها وضعنا قصص الأنبياء، وبدأنا بذكر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم بقية الأنبياء على حسب الترتيب التاريخي .

٧- سيرى القارئ مواضيع أو آيات مكررة، وما ذلك إلا لما ذكرناه آنفاً من أن كل موضوع كان في دفتر أو موضع غير موضعه الآن فلم تكن مكررة وإنما ظهر هذا بعد جمعنا للمواضيع، ولكنا أثبتناها كلها لما يكون في أحدها من زيادة غير موجودة في الموضوع الآخر وبذلك تتم الفائدة.

هذا، ونسأل الله أن يجعل هذا الكتاب في ميزان حسنات مولانا، وأن ينفعنا وجميع المسلمين به وبغيره من مؤلفاته القيمة، وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وآله الطاهرين .

قسم التحقيق

مكتبة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

ربيع الثاني/ ١٤٣٨هـ

[المقدمة]

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

خير ما تصدر به الكلام، وأشرف ما تسطره الأقلام الثناء على الله وحمده الذي تبارك اسمه، وتعالى جده، فله الحمد على عظيم فضله علينا، وكثير إحسانه إلينا.

وصلى الله وسلم على البشير النذير، الداعي إلى الله بإذنه السراج المنير، وعلى أهل بيته وعترته، صفوة الله من بريته، وخيرته من جِبِلَّته؛ أما بعد:

فهذه زُبُرٌ من الفوائد، ونوادر من الفرائد والقلائد، في فنون شتى نسأل الله تعالى التوفيق والتسديد.

[فوائد متفرقة]

القرآن الحكيم:

القرآن كلام الله تعالى ووحيه إلى رسوله محمد ﷺ، وقد تولى الله تعالى حفظه من التغيير والتحريف والتبديل والتصحيف، وبحفظه يكون قد احتفظ للمسلمين والعرب علم لغة العرب:

١- علم مفردات اللغة.

٢- علم النحو.

٣- علم الصرف.

٤- علم المعاني.

٥- علم البيان.

٦- الكثير من علم البديع.

الحكمة في إنزال الكتاب الكريم:

- إنذار المجرمين بأس الله تعالى وشديد عذابه، وتبشير المؤمنين بالثواب العظيم.
- الهدى والدلالة على سبيل الحق القويم والصراط المستقيم.

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَىٰ بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد:٣١]:

- جواب الشرط محذوف والتقدير: لكان هذا القرآن.
- بلغ القرآن في حسن البيان وحلاوته وأحكامه وبلاغته مبلغاً يحق له أن يفتت الجبال أو يمزق الأرض ويقطعها أو يحيي الموتى، لو كان ذلك.

[مميزات المكي والمدني من القرآن]:

ينقسم القرآن الكريم إلى قسمين:

١- قسم منه نزل بمكة المكرمة قبل أن يهاجر النبي ﷺ إلى المدينة.

٢- والقسم الثاني نزل في المدينة المنورة بعد الهجرة.

ولكل واحد من القسمين مميزات يتميز بها عن قسيمه:

أ-فيتميز المكي بالتركيز على ذكر التوحيد ونفي الشرك، والبعث بعد الموت للحساب والجزاء، وذكر الدلائل على كل واحد من تلك الثلاثة، فذكر آيات الله ودلائله في السماوات والأرض والهواء والإنسان والحيوان وفي البحار والنجوم وفي الأشجار والأثمار وفي اختلاف المخلوقات وتنوعها و...إلخ.

ب-وتتميز السور المدنية بالتركيز على ذكر اليهود والمنافقين، وبيان خبثهم، وكيفية المعاملة معهم، وعلى ذكر القتال مع المشركين، وعلى بيان الأحكام العملية من التحليل والتحريم.

-هذا وقد جاءت القصص عن الأنبياء في السور المكية بكثرة، وجاءت في السور المدنية أيضاً بقلة.

-وجاءت الأمثال في المكي والمدني.

أهم المجالات التي تحدث عنها القرآن بكثرة:

١- توحيد الله تعالى ونفي الشريك، وما يلحق بذلك.

٢- إثبات وتقرير اليوم الآخر والبعث والجزاء والجنة والنار.

٣- ذكر أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وما لقوا من التكذيب والأذى، وما جرى على المكذبين من الجزاء في هذه الدنيا.

٤- ذكر بني إسرائيل وما صنعوا، وما صنع الله بهم.

٥- ذكر المنافقين وأخبارهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين.

٦- ذكر جهاد المشركين وقتالهم.

٧- ذكر أركان الإسلام.

٨- ذكر صفات المؤمنين والمتقين وأعمالهم.

٩- ذكر النكاح والطلاق والمواريث.

أوصاف القرآن الواردة في آياته:

﴿ق وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ۝١﴾ [ق].

﴿يس۝١ وَالْقُرْءَانِ الْحَكِيمِ۝٢﴾ [يس].

﴿ص وَالْقُرْءَانِ ذِى الذِّكْرِ۝١﴾ [ص].

﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ۝٤١﴾ [فصلت].

﴿وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ۝٢﴾ [الزخرف].

[العلم في القرآن]:

١- ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ۝٤٣﴾ [العنكبوت].

٢- ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا۝١١٤﴾ [طه].

٣- ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ۝٥﴾ [العلق].

٤- ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٢﴾ [الجمعة].

٥- ﴿ءَاتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا۝٦٥﴾ [الكهف].

٦- ﴿هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا۝٦٦﴾ [الكهف].

٧- ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا۝١١٣﴾ [النساء].

٨- ﴿وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [البقرة].

٩- ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ﴾ [آل عمران].

١٠- ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف٢٢].

١١- ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة١١].

١٢- ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر٩].

١٣- ﴿قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم].

١٤- ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا...الآيات﴾ [البقرة٣١].

[بعض ما اشتمل عليه القرآن]:

اشتمل القرآن على شرائع وأحكام لا يعرفها كما ينبغي إلا ذوو العلم والفهم.

وقد كان الرسول ﷺ هو الذي يبين للمسلمين أحكام القرآن في عصره ﷺ قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ [النحل:٤٤]، وقال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]، فأحكام العبادات من الصلاة والزكاة والصيام والحج كلها تقريباً موجودة في القرآن الكريم.

- وأحكام الطهارة والنجاسة والحيض كذلك.
- وأحكام النكاح والطلاق والرجعة والإيلاء والظهار كذلك.
- وأحكام النفقات والرضاع والحضانة كذلك.
- وأحكام البيوعات والإجارات وسائر المعاملات كذلك.
- وأحكام الخلافة والجهاد كذلك.
- وطرق كسب المال كذلك.
- وعلم مكارم الأخلاق كذلك.
- وسيرة نبينا محمد ﷺ موجودة كذلك.
- وسير الأنبياء كذلك.
- وفيه معارف وعلوم كثيرة أنهاها بعض العلماء إلى مائة علم.

غير أن الله تعالىٰ لحكمته فرق تلك الأحكام وشتتها في جميع القرآن.

[القرآن سبب لرفعة قريش]:

📖 قوله تعالىٰ: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف]:

-يخبر الله تعالىٰ نبيه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم أن في القرآن شرفاً له ورفعة في الناس، وأن قريشاً إن آمنت بالقرآن كان شرفاً لها ورفعة علىٰ سائر الناس.

-ولا شك ولا ريب أن الله تعالىٰ يرفع المؤمنين ويزيدهم بالإيمان شرفاً وكرامة: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

-ويرفع أيضاً السابقين بإيمانهم علىٰ غيرهم من المؤمنين كما قال سبحانه: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴿١٠﴾ أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴿١١﴾﴾ [الواقعة]، ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد:١٠].

-وإذا كان القرآن سبباً للشرف والكرامة والرفعة والفضل فإنه من هذه الناحية نعمة أخرىٰ غير نعمة الهدىٰ، ومن الواجب أن تقابل هذه النعمة بالشكر، وسوف يسأل الله تعالىٰ يوم القيامة قريشاً خصوصاً عن موقفهم من هذه النعمة: هل شكروها أم كفروها؟

-وإنما خصت قريش بالسؤال يوم القيامة عن هذه النعمة لأن الله تعالىٰ اختار رسوله صلى الله عليه وآله وسلم منهم، ووجه برسالته إليهم وخصهم بها قبل غيرهم، فكانوا أول من قرعت أسماعهم رسالة الله، قال تعالىٰ لرسوله محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴿٢١٤﴾﴾ [الشعراء].

-كما أن القرآن شرف وكرامة لكل من آمن به وعمل بشرائعه وأحكامه من سائر الناس إلىٰ يوم القيامة إلا أن هذا الشرف دون شرف المؤمنين من قريش.

ودليل ذلك: ما وقع عليه الإجماع أن السابقين إلىٰ الإيمان من قريش وهم الذين هاجروا مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلىٰ المدينة هم أفضل من غيرهم من الصحابة

على الإطلاق.

[أحكام القرآن في العبادات والمعاملات تدل على أنه من عند الله]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أحكام القرآن في العبادات والمعاملات آية بينة ومعجزة واضحة تدل على أنه من عند الله تعالى، وأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صادق في دعواه للنبوة.

وذلك من حيث أنه يترتب على تطبيقها مصالح المكلفين وطيب معيشتهم؛ ففي العبادات: الطهارة والصلاة والحج صحة البدن وطول عافيته وطول سلامته.

- وفي الزكاة والكفارات والأخماس والمظالم ونوافل الصدقات ما يغطي حوائج الفقراء والمساكين ويسد خلتهم من جميع الجهات.
- وإذا تأملت ما حرمه الله تعالى عرفت أنه إنما حرمه لما في فعله من المفاسد، فقول الكذب يفسد مصداقية كلام المتكلم ويقضي على ثقة الناس بها، ولا يخفى ما يترتب من الفساد على فقدان المتكلم لمصداقية كلامه وعدم ثقة الناس به، ثم ما يفوته من المصالح والمنافع بسبب ذلك.
- وفي شهادة الزور واليمين الفاجرة ظلم وعدوان على الناس، وفي ظن السوء والتنابز بالألقاب والغيبة والاستخفاف بالناس والاستهزاء بهم والتكبر عليهم ما يغير قلوب الناس ويحملهم على العداوة والانتقام لمن يظن بهم ظن السوء أو يتكبر عليهم أو..إلخ.
- وفي الخمر ضياع العقل وما يترتب على ضياعه من التصرفات والأعمال الخاطئة، وهكذا سائر الأحكام الشرعية العملية صغيرها وكبيرها، وتعدادها يطول.
- فإذا تأمل العاقل أحكام القرآن الشرعية العملية وأمعن النظر فيها وجدها مبنية على جلب مصالح العباد العامة والخاصة ودفع المفاسد العامة والخاصة عنهم في كل مجال من شؤون حياتهم الخاصة والعامة، وعندها يطمئن العقل إلى أن

هذا التشريع الحكيم لا يصدر إلا من الرب الرحيم.

[في فواتح السور]:

- افتتح الله تعالىٰ عدة سور من كتابه الكريم بالتسبيح له جل وعلا، فبعضها بـ«سبحان»، وبعضها بـ«سبَّح»، وبعضها بـ«يسبح»، وبعضها بـ«سبِّح»، وجملة ذلك سبع سور.
- وافتتح الله عدة سور بـ «الحمد لله» وذلك خمس سور.
- وافتتحت سورتان بـ «تبارك».
- وسبع سور بـ «حم» وفي واحدة زيادة «عسق».
- وست سور بـ «ألـم».
- وسوره بـ «الـمص».
- وسوره بـ «الـمر».
- وخمس بـ «الر».
- وسورتان بـ «طس».
- وسورة بـ «طسم».
- وسورة بـ «طه».
- وسورة بـ «يس».
- وسورة بـ «ص» وأخرىٰ بـ «ق» وأخرىٰ بـ «ن».
- وأخرىٰ بـ «كهيعص».
- وسورتان بـ «يا أيها الناس».
- وسورتان بـ «يا أيها الذين آمنوا».
- وثلاث سور بـ «يا أيها النبي».
- وسورة بـ «يا أيها المزمل»، وأخرىٰ بـ«يا أيها المدثر».
- وسورتان بـ «لا أقسم».

- وخمس بـ «قل».
- وخمس بـ «إذا الشرطية».
- واثنا عشر سورة بـ«القسم».
- الحروف المفتتح بها في القرآن: ا ل م ص ر ك هـ ي ع ح س ق ط ن.

من مجازات القرآن:

- ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ [النساء:١٠].
- ﴿وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ﴾ [البقرة:٨١].
- ﴿فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ﴾ [البقرة:١٦].
- ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر:١٠].
- ﴿رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا﴾ [البقرة:٢٥٠].
- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر].
- ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ۝٢﴾ [الزلزلة].
- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الجمعة:١]، ونحوها مما أسند فيه التسبيح إلى الجماد.
- ﴿هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٩].
- ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام:١٢٢].
- ﴿وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان].
- ومن مجازات القرآن قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً﴾ [النمل:١٣]، ﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [الأنعام:١٠٤].
- ومن الأدلة على أن الأيدي تستعمل في القدرة والقوة: قوله تعالى: ﴿أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ۝٤٥﴾ [ص]؛ فمدحهم تعالى، والمدح لا يتعلق بالجوارح إنما يتعلق بالصفات.
- ﴿عَلَى مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ﴾ [الزمر:٥٦]، أي: في طاعته؛ لأن التفريط إنما

يقع في ذلك لا في الجنب الحقيقي.

في كتاب الإتقان في علوم القرآن للسيوطي: وقد قال العلماء كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها. قال الإمام فخر الدين: جميع الأعراض النفسانية ـ أعني : الرحمة والفرح والسرور والغضب والحياء والمكر والاستهزاء ـ لها أوائل ولها غايات ، مثاله: الغضب فإن أوله غليان دم القلب وغايته إيصال الضرر إلى المغضوب عليه، فلفظ الغضب في حق الله لا يحمل على أوله الذي هو غليان دم القلب بل على غايته الذي هو إرادة الإضرار، وكذلك الحياء له أول وهو انكسار يحصل في النفس، وله غاية وغرض وهو ترك الفعل؛ فلفظ الحياء في حق الله يُحْمَل على ترك الفعل لا على انكسار النفس.

[القياس في القرآن]:

📖 قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَى فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ﴿٦٢﴾﴾ [الواقعة]، ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس:٧٩]، وفي القرآن كثير من هذا الاستدلال الذي هو قياس الإعادة على الإنشاء.

وفيه أيضاً قياس البعث على إحياء الأرض بالماء متكرراً بكثرة في القرآن كقوله في سورة (ق): ﴿وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴿١٠﴾ رِزْقًا لِلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَلِكَ الْخُرُوجُ﴿١١﴾﴾.

نعم، فيما قص الله علينا في كتابه من القصص يدل على العمل بالقياس، وذلك أنه تعالى قصها علينا لنعتبر ونتعظ، فلا نقع فيما وقعوا فيه فيحل بنا ما حل بهم، وهذا معنى القياس.

[في الاحتجاج على منكري البعث]:

📖 بسم الله: ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ﴿٣٥﴾﴾ [القلم].

📖 ﴿أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴿٢٨﴾﴾ [ص].

وفي القرآن الكثير من هذا القبيل، وهو حجة يحتج الله تعالى بها على الذين ينكرون البعث والحساب.

ووجه الاحتجاج:

أن لو كان الأمر كما يقول منكرو البعث والحساب للزم أن يستوي المؤمن والكافر، والظالم والمظلوم، والمحسن والمسيء، والمتقي والفاجر، والمصلح والمفسد، و...إلخ.

وليس من شأن الخالق الحكيم أن يسوي بين أولئك، وهو الذي خلقهم وصورهم، ووهب لهم الأعمار والصحة، ومكنهم من فعل ما يشاءون، وأعطاهم القوة والقدرة على فعل ما يحبون.

وعلى حسب قولهم فيلزم أن يكون الله تعالى وتقدس غير حكيم لخلو مخلوقاته عن الحكمة، فلو لم يكن بعث ولا حساب يجازى فيه المحسن على إحسانه والمسيء على إساءته لكان الله تعالى قد ساوى بين المتقي والفاجر والظالم والمظلوم والمسلم والمجرم وذلك مما يتعالى الله عنه.

[أكثر الناس تكذيبا للرسل]:

📖 ﴿إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ﴾ [سبأ].

📖 ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا﴾ [الإسراء:١٦].

📖 ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ﴾ [الأعراف:٦٦].

مضت سنة البشر أن سادتهم وكبارهم وأشرافهم وأغنياءهم يكونون هم المكذبين برسل الله وأنبيائه عليهم السلام، وبقية الناس تبع لهم، وعلى هذه السنة رأينا الشخصيات الكبيرة في بلادنا فإنهم هم الواقفون في وجه الدين الحق، والمحاربون له، والمجتهدون في سحقه، إلا أنهم لم يظهروا على الشاشة.

[معنى كلمة «جهاد» في القرآن]:

١- ﴿وَجَاهِدْهُم بِهِۦ جِهَادًا كَبِيرًا ۝٥٢﴾ [الفرقان].

٢- ﴿وَإِن جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [العنكبوت:٨].

في ذلك دلالة على أن كلمة الجهاد أوسع معنىً من كلمة القتال، والآية الأولى هي من سورة الفرقان، وسورة الفرقان مكية نزلت قبل أن يفرض القتال.

[في ذكر شهر رمضان]:

📖 - قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْهُدَىٰ وَٱلْفُرْقَانِ﴾ [البقرة:١٨٥]، بين الله تعالى في هذه الآية فضل شهر رمضان، فذكر له فضيلتين هما:

١- أنه أنزل فيه القرآن العظيم الذي هو أعظم نعمة أنعم بها على عباده لما فيه لهم من الهدى إلى طريق السعادة الأبدية في جنات النعيم، وإلى طريق السلامة من الضلال الذي يؤدي بهم إلى عذاب النار الخالد.

والدليل على أنه أكبر النعم وأعظمها: قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ۝٢ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ۝٣...﴾ الآيات [الرحمن]، فعدد الله تعالى في هذه السورة النعم العظيمة التي أنعم بها على عباده، وصدرها بذكر نعمة القرآن.

٢- أنه تعالى أوجب صيامه على جميع المكلفين، إلا المريض والمسافر، ومن يشابههما من أهل الأعذار، وهاتان الفضيلتان لا توجدان في غيره من الشهور، وقد جاءت السنة بذكر المزيد من فضائل هذا الشهر الكريم.

- وإذا كان شهر رمضان أفضل الشهور؛ فإن فيه ليلة هي أفضل ليالي شهر رمضان، وهي خير من ألف شهر.

📖 قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ۝٢ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝٣ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ۝٥﴾ [القدر].

📖 وقال سبحانه: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ۝٣ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ۝٤ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ۝٥ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ۝٦﴾ [الدخان]، **يؤخذ مما تقدم:**

- أن حساب الشهور القمرية هو الحساب الشرعي، وعليه فينبغي أن يعتمده المسلمون ويبنوا حسابهم عليه، لا على الشهور الشمسية، وإذا كان ولا بد فليؤرخوا بالتأريخ القمري، ويعقبوه بالتأريخ الشمسي. ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦].
- كما يؤخذ من الآية الأولى أن الله تعالى أوجب صيام شهر رمضان شكراً على ما أنزل فيه من نعمة القرآن، وذلك أنه عقب الآية التي ذكرنا أولاً بقوله: ﴿فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة:١٨٥]، والعطف بالفاء هنا يفيد أن ما بعدها متسبب عما قبلها ومترتب عليه؛ فيستفاد من ذلك أن الصيام أولى ما نقابل به هذه النعمة العظيمة.
- ويؤخذ مما كتبه الله تعالى من وجوب صيام شهر رمضان في كل سنة- أن الواجب على المكلف ألا ينسى نعم الله العظيمة، وأنه يجب عليه أن يذكرها ويشكرها مدة عمره في هذه الدنيا، لذلك أوجب الله صيام الشهر في كل سنة، وندب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى صيام يوم الاثنين في كل أسبوع؛ لأنه اليوم الذي ولد فيه صلى الله عليه وآله وسلم وبعث فيه و..إلخ.

📖 - قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ۝١٨٦﴾ [البقرة]:

ذكر الله تعالى هذه الآية ضمن آيات الصيام مما يدل على أن الدعاء في شهر رمضان مندوب إليه زيادة ندب على غيره من الشهور، فيؤخذ منه أن الدعاء في شهر رمضان أقرب إلى الإجابة.

- يستفاد من هذه الآية: أن الله تعالى يستجيب للداعي بشرطين:

١ - أن يكون الداعي من عباد الرحمن لا من عباد الشيطان، بدليل: ﴿عِبَادِى﴾.

٢ - أن يكون الداعي مستجيباً لله تعالى فيما أمره به ونهاه عنه، ومؤمناً به، بمعنى أن يكون عالماً ومعتقداً بأن أزِمَّة الأمور كلها بيده، ومصادرها عن قضائه، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، بيده الملك كله وهو على كل شيء قدير.

- قد يقال: إن المؤمن المستجيب لربه المنقطع إليه يدعو الله تعالى، ولا يرى أثراً للإجابة؛ فما هو السبب؟

- **يقال في الجواب:**

إن الله تعالى عليم حكيم؛ لذلك فقد لا يكون للداعي مصلحة في استجابة دعوته:

١ - إما لأن الله تعالى لو استجاب له دعوته لداخله الغرور بنفسه، ولأخذه العجب، وظن في نفسه أنه عند الله من أهل الزلفى، ومن عباده الصالحين الأخيار، ولا شك في هلاك من كان كذلك، وقد قال تعالى: ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنْفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴿٣٢﴾﴾ [النجم]، وعن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال ما معناه: (إن المؤمن لا يصبح ولا يمسي إلا ونفسه عنده ظنون) أي: مُتَّهَمَة.

٢ - أن يعلم الله تعالى أن فيما طلبه المؤمن فساد دينه لو أوتيه، فلا يستجيب الله تعالى دعوته، ويعطيه بدلاً عن ذلك ما هو خير له في دينه ودنياه، وقد لا يستجيب الله دعوة العبد لسبب عائد إلى العبد كتقصير في طاعة أو تساهل في معصية، أو غفلة عن ذكر، أو نحو ذلك؛ فإذا لم ير الداعي أثر الإجابة فليتهم نفسه فإنه أهل لأن يتهم.

وبعد، فإن الله تعالى إذا استجاب للداعي، فإنه قد يؤخر الإجابة إلى حين لمصلحة عائدة للداعي:

- إما لتعظم النعمة عند حصولها، ولا شك في هذا فإن النعمة إذا حصلت بعد

الطلب الكثير والانتظار الطويل كانت أوقع في النفس وأعظم عند الطالب.

- وإما لما ذكرنا أولاً من حصول الغرور والعجب لو أوتيها الداعي بعد الدعاء.
- وذكر تعالى الاعتكاف في ضمن آيات الصوم كما ذكر الدعاء، وفي ذلك إشارة إلى أن الاعتكاف والدعاء من عبادات هذا الشهر الكريم.
- وبما أن القرآن الكريم هو النعمة العظيمة التي استدعت وجوب صيام الشهر كما ذكرنا أولاً فينبغي أن تكون تلاوته من أعظم عبادات هذا الشهر.
- وكما سبق فإن في شهر رمضان ليلة مباركة هي ليلة القدر، والذي أفاده القرآن الكريم أن ليلة القدر هي من ليالي شهر رمضان الكريم.
- وفي القرآن من فضائلها:

١- أنها ليلة مباركة: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ [الدخان:٣].

٢- أنها ليلة القدر، والقدر: هو الشرف والعظمة.

٣- أنها خير من ألف شهر.

٤- أن الملائكة وجبريل عليه السلام يتنزلون في هذه الليلة.

٥- أن الله تعالى يقضي فيها بما يقضي من أمر حكمته.

٦- أنها ليلة سلام.

- ويترجح أن ليلة القدر من ليالي العشر الأواخر من رمضان لـ:

١- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يعتكف العشر الأواخر، ويعتزل النساء، ويشمر للعبادة فيها.

٢- وجود روايات كثيرة تدل على ذلك.

- فينبغي للمؤمن أن يحيي جميع الليالي العشر الأخيرة من رمضان، ولم يصح في تعيينها رواية، والحكمة في إخفائها هو القصد إلى إحياء العشر جميعاً، وفي ذلك من المصلحة للمكلف ما لا يخفى.

[أحكام العبادات مرتبطة بالأشهر القمرية]:

ربط الله تعالى أحكام العبادات المؤقتة بالأزمنة بالأشهر القمرية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة:٣٦].

وفريضة الصيام مؤقتة بشهر رمضان، ووقت الحج مبني على الأشهر القمرية، والأشهر الحرم من الأشهر القمرية، وعدد النساء بالأشهر القمرية، وصيام شهرين متتابعين مبني على الأشهر القمرية، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾ [البقرة:١٨٩].

[بعض الأسماء المذكورة في القرآن]:

أسماء المدن والقرى في القرآن:

مكة، بكة، يثرب، المدينة، بابل، مصر، إرم، مدين.

أسماء القبائل المذكورة في القرآن:

قريش: المهاجرون، الأنصار، يأجوج ومأجوج، ثمود، عاد، سبأ.

أسماء الأماكن المذكورة في القرآن:

عرفات، بدر، أحد، حنين، الأحقاف.

المساجد في القرآن:

المسجد الحرام، المسجد الأقصى.

أسماء في القرآن غير أسماء الأنبياء والرسل:

أبو لهب، زيد، فرعون، هامان، قارون، آزر، تبع، مريم، ذو القرنين، طالوت، جالوت.

أسماء الشهور في القرآن شهر رمضان.

أيام الأسبوع في القرآن الجمعة، السبت.

أسماء الساعات ونحوها في القرآن الصبح، الفجر، السحر، الضحى، العصر، العشاء، البكرة، الأصيل.

وفي القرآن: ﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ [التوبة:٣٦]، ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ﴾ [البقرة١٩٧]، ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة١٩٤].

-**ومن الأوقات** الليل والنهار.

-**ومن النهار** الفجر ووقت الزوال ووقت طلوع الشمس ووقت غروبها، والضحى والأصيل، والبكرة والعشي.

-**ومن الليل** السحر وناشئة الليل، والعشاء، وثلث الليل ونصفه وثلثاه.

في التوكل:

📖 قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴿٢٣﴾﴾ [المائدة].

📖 ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ﴾ [الفرقان:٥٨]، والآيات القرآنية في ذلك كثيرة، **ومن هنا يستفاد:**

أن التوكل على الله من لوازم الإيمان وتوابعه، فإذا صدق إيمان العبد حصل معه التوكل على الله، وذلك أن من عرف الله تعالى حق معرفته علم أن الله على كل شيء قدير، وبكل شيء عليم، وأن بيده الخير، وأنه بكل شيء محيط... وإلخ.

وأنه قادر على أن يحفظ العبد ويرزقه ويغنيه ويدفع عنه الشر، وعلى الجملة فإنه يعلم أن أزِمّة الأمور كلها بيده، ومصادرها عن قضائه، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد.

فلا يرى المؤمن في الوجود من هو أهل للاعتماد عليه في استنجاح الأمور ودفع الشرور سوى الله تعالى، فالذي يعتمد على غير الله في استنجاح أموره ودفع الشرور عنه ليس بمؤمن حقاً.

والأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل قال تعالى: ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى﴾ [البقرة:١٩٧]، ﴿وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية [النساء:١٠٢]، وفي الأثر: ((اعقلها وتوكل على الله)).

المؤمن وإن استعان بغيره في أمر من الأمور فهو بقلبه متوجه إلى الله في نجاح أمره لعلمه أن الله تعالى محيط بقوته وقدرته على كل شيء، وأنه لا يتم أمر من الأمور إلا إذا أذن أو أراد؛ فالمؤمن يدعو الله ويتوجه إليه بقلبه في أموره كلها، ثم يأخذ بالأسباب فإن تم له الأمر حمد الله تعالى، وإن لم يتم رضي عن الله فيما قضاه عليه.

[آيات متشابهة في الجعل..]:

سؤال: قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾ [الأنعام:١٢٣]، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً﴾ [الفرقان:٢٠]، كيف تفسير ذلك؟

الجواب والله الموفق:

أن حكمة الحكيم تبارك وتعالى اقتضت أن يكون المكلف مختاراً يعمل ما شاء بمحض إرادته وقدرته، لا حائل بينه وبين ما يريد من الأعمال، وتماماً كما قال تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ...﴾ [الكهف:٢٩]، فعبر الله تعالى عن هذه التخلية التي اقتضتها حكمته بالجعل فقال تعالى: «جعلنا» ولم يصدر من الله تعالى جعلاً، وإنما صدر منه تعالى التخلية، غير أن المكلف لما اتخذ التخلية طريقاً إلى عمل الشر ووسيلة إليه وكانت هي السبب في حصول ذلك من المكلف- أسند الجعل إلى فاعل ذلك السبب إسناداً مجازياً.

واللام في قوله: «ليمكروا» هي لام العاقبة مثلها في قوله تعالى: ﴿فَالْتَقَطَهُ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ [القصص:٨]، وكذلك تفسير الآية الثانية وما شابهها.

اكتساب المال في القرآن:

١- ذكر الله تعالى السفر للتجارة وكسب المال فقال: ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل:٢٠].

٢- وذكر تعالى التجارة في الحج فقال: ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا

فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَفَضْتُم مِنْ عَرَفَاتٍ... الآية﴾ [البقرة:١٩٨].

٣- وأمر الله تعالى بانتشار المسلمين لطلب الرزق فقال: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة:١٠].

٤- وأمر تعالى بالمشي لطلب الرزق فقال: ﴿فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴿١٥﴾﴾ [تبارك].

٥- وتمنن الله تعالى على عباده بإنزال الماء من السماء وإخراج الحبوب والثمار من الأرض، وأمر بالزكاة في ذلك.

[التجارة في القرآن]:

﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة٢٧٥].

﴿إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ [البقرة٢٨٢].

﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء٢٩].

﴿وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ﴾ [يوسف٨٨].

﴿أَوْفُوا الْكَيْلَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ ﴿١٨١﴾ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الشعراء].

﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل٢٠].

﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [الجمعة].

﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة٩].

ما ذكر في القرآن من فروض الصلاة وأركانها:

﴿ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج٧٧].

﴿سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴿٦٤﴾﴾ [الفرقان].

﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ ﴿٢٣٨﴾﴾ [البقرة].

﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ﴾ [المزمل:٢٠].

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور].

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ۝١٧﴾ [الروم].

﴿وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ۝١٨﴾ [الروم].

﴿وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ۝١١١﴾ [الإسراء].

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝١٠٧ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا﴾ [الإسراء].

ما ذكر من الصلاة في القرآن بأسمائها:

صلاة العشاء.

صلاة الفجر.

﴿مِنْ بَعْدِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة:١٠٦]، اتفق العلماء على أنها صلاة العصر.

﴿فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ﴾ [الجمعة:٩] وقع الاتفاق أن المراد بذلك السعي إلى صلاة الجمعة.

وقع الاتفاق أن صلاة الجمعة بدل عن صلاة الظهر في يوم الجمعة فيكون ذلك دليلاً على صلاة الظهر.

و﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ [الإسراء:٧٨] وفي ذلك دليل على صلاة الظهر.

﴿إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء:٧٨]، وصلاة غسق الليل هي بالإجماع والاتفاق صلاة المغرب والعشاء.

[الوجه في إقسام الله بمخلوقاته]:

سؤال: أقسم الله تعالى في القرآن الكريم بكثير من مخلوقاته كالطور، والنجم، والذاريات، والعاديات، والسماء، والأرض، والشمس، والقمر، والليل، والنهار، والضحى..إلخ، فما هو الوجه في ذلك؟ لأن المشركين لا يقنعهم القسم بل الحجة إذا أنصفوا عقولهم، والمسلمين قد آمنوا وصدقوا فلا حاجة بهم إلى القسم.

الجواب ومن الله التوفيق:

أن الذي ظهر لي من الحكمة في ذلك هو:

١- أن المخاطب والسامع إذا سمع القسم اهتم لسماع جوابه، وما يترتب عليه؛ لعلمه أن الحالف لا يحلف إلا على ما له شأن فيكون ذلك سبباً لاهتمام السامع لآيات القرآن وتأملها.

٢- أن العادة عند العرب جارية بأن الحالف لا يحلف إلا بما له شأن، فإذا سمع المشركون الأقسام القرآنية توجهوا بأفكارهم إلى المقسم به ليدركوا ما هو الوجه الذي استحقت به تلك الأشياء لأن تكون مستحقة للإقسام بها فيؤدي ذلك إلى أن يتفكروا فيها ويتأملوها، وبالتأمل والنظر في المقسم به، وفيما بعد القسم تحصل الحكمة المقصودة من إنزال القرآن.

وهكذا تكون الحكمة في افتتاح كثير من السور بالحروف المقطعة مثل: آلم، حم، ص،... إلخ، فإن في الافتتاح بها من الغرابة ما يدعوا السامع إلى الإصغاء والتأمل، ومن الأسلوب البديع الذي يذكره علماء البيان أن على المتكلم أن يبدأ في أول كلامه بالكلام الأنيق الذي يستغربه السامع ويستظرفه ويدعوه إلى الإصغاء والاستماع و...إلخ.

وعلى هذا الأسلوب البديع نزلت سور القرآن الكريم، يظهر ذلك للناظر النبيه بالتأمل.

وكثرة الحلف ليس مذموماً على الإطلاق، فإن الحلف بالله لإحقاق الحق، أو دفع الباطل، أو ترتب عليه مصلحة دينية أو نحو ذلك ليس بمذموم، وقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحلف، وكانت يمينه: ((والذي نفس محمد بيده))، وكان علي يحلف، وكانت يمينه: (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة).

وإنما المذموم من الحلف:

١- ما كان على الكذب والباطل: ﴿وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٤﴾ [المجادلة].

٢- الحلف لاقتطاع مال مسلم.

٣- الحلف لغير حاجة لما فيه من التهاون باسم الله، وعدم المبالاة بذكره والحلف به: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا اللَّهَ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ﴾ [البقرة٢٢٤]، وليس في القرآن شيء من الحلف المذموم.

وبعد، فلا نسلم أن الحلف لا يفيد المؤمنين والمشركين، أما المؤمنون فإنهم وإن كانوا مؤمنين مصدقين إلا أن من شأن طبيعة الإنسان الغفلة والنسيان، وقد يستولي عليه ذلك فيحتاج إلى ما يهزه هزاً، ويقتلع غفلته قلعاً.

وأما الكافر فإنه إذا سمع الحلف بعد الحلف والقسم بعد القسم تحرك فكره إلى التفكر في تلك الأيمان المتلاحقة، وقال لا بد أن لتلك الأيمان المتكاثرة شأناً، وأن وراءهم أموراً عظيمة، ولا سيما إذا أيقن السامع أن الحالف من أهل العقول الزاكية، وأهل الصدق، وأنه جاد فيما يقول أو يفعل.

[سعة علم الله تعالى]:

- ﴿وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الأعراف:٨٩].
- ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].
- ﴿وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [البقرة:٢٥٥].
- ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ﴿٢٨﴾﴾ [الجن].
- ﴿وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾﴾ [الطلاق].
- ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ [الأنعام].
- ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا ﴿١١٠﴾﴾ [طه].
- ﴿وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ [ق:١٦].
- ﴿عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾ [الحديد].

- ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ⁽⁷⁾﴾ [طه].
- ﴿عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ﴾ [الحج:٩٢].
- ﴿رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَى عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ⁽³⁸⁾﴾ [إبراهيم].

..إلى غير ذلك من الآيات التي تمدح الله تعالى فيها بعلمه المحيط بكل شيء، وهي آيات كثيرة لا تكاد تحصى.

- وتمدح تعالى بأنه على كل شيء قدير، يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، وتمدح بأنه عدل حكيم لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ...﴾ [لقمان:٢٧]:

توضح هذه الآية سعة علم الله فلو فرضنا أن جميع الأشجار التي على وجه الأرض صنعت أقلاماً، وبحار الأرض جعلت حبراً، ثم إن تلك الأقلام تحركت دفعة واحدة إلى تلك البحار التي جعلت حبراً تستمد منها الحبر فجعلت تكتب ما أحاط به علم الله، فإن ذلك الحبر سينتهي وتستهلكه الكتابة بالأقلام وهي تكتب ما أحاط به علم الله تعالى، فتنتهي تماماً وعلم الله تعالى لم ينته ولم ينفد.

[فوائد من سورة الفاتحة]

[البسملة والأقوال فيها]:

📖 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ①﴾: افتتح الله كل سورة في القرآن بهذه البسملة إلا سورة واحدة هي سورة التوبة.

وقد اشتملت البسملة على ثلاثة أسماء من أسماء الله الحسنى هي: الله، الرحمن، الرحيم.

معاني هذه الأسماء الحسنى التي وردت في كل بسملة في سور القرآن:

١- ﴿الله﴾: اسم لله تعالى بمعنى الجامع لصفات الجلال والكمال.

٢- ﴿الرحمن﴾: اسم لله بمعنى المعطي عباده النعم العظيمة الظاهرة للعباد المكشوفة لهم.

٣- ﴿الرحيم﴾: اسم لله تعالى بمعنى المسبل على عباده لما لا يحصى من دقائق النعم وخفاياها.

ودليل ما ذكرنا من تفسير هذين الاسمين الكريمين هو الاستقراء لموارد هما في القرآن، فرأينا اسم «الرحمن» يرد عند ذكر النعم العظيمة المكشوفة، و«الرحيم» عند ذكر النعم الخفية والنعم الدقيقة، مثل قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ ① عَلَّمَ الْقُرْآنَ ② خَلَقَ الْإِنسَانَ ③ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ④﴾ [الرحمن]، وقوله تعالى في الاستنكار على المشركين: ﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَٰنِ﴾ [الرعد:٣٠]، فاستنكر الله تعالى عليهم الكفر بمن نعمه عظيمة ظاهرة مكشوفة لا تخفى عليهم.

ووجدنا اسم الرحيم يرد عند ذكر حسن صنيع الله بعباده وعدم المؤاخذة لهم بذنوبهم ونحو ذلك، مثل: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ⑦⓪﴾ [الفرقان].

وورود البسملة بهذه الأسماء يعطينا فوائد، منها:

١ - أن هذه الأسماء الثلاثة من أحب أسماء الله الحسنى إلى الله تعالى، أو أنها أحبها.

٢ - التنبيه للمكلفين أن القرآن في الجملة نعمة عظيمة ظاهرة مكشوفة، وفيه من النعم الخفية والدقيقة ما لا يدخل تحت الحصر، وأن الله تعالى لم ينزله إلا رحمة بعباده وتفضلاً عليهم، وهكذا كل سورة من سوره، ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٥٨﴾﴾ [يونس].

٣- التنبيه على أن الله تعالى حقيق بأن يعين من استعان به؛ لعظيم رحمته بعباده ولسعة فضله بهم.

٤ - التنبيه للعباد على أن رحمة الله سبقت غضبه، ومعنى ذلك: أن شأن الله تعالى هو الرحمة بعباده والإنعام عليهم، والإحسان إليهم، أما غضبه فإنما هو عارض يعرض بسبب تمرد العباد عليه وعصيانهم له، ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴿١٤٧﴾﴾ [النساء].

وقد اختلف علماء المسلمين في البسملة هل هي من القرآن، أم أنها ليست منه؟

والذين قالوا: إنها من القرآن اختلفوا هل هي آية أو بعض آية؟ والذين قالوا إنها آية من القرآن اختلفوا هل هي آية في كل سورة، أم أنها آية واحدة تكررت في كل سورة؟

والذي يعتمده أهل البيت وعلماء الزيدية أنها آية من كل سورة، ولهم على ذلك أدلة مذكورة في مواضعها، والخلاف في كونها آية أو بعض آية، أو أنها من كل سورة أو آية واحدة خلاف سهل.

وقد أجمع جميع المختلفين على أن البسملة بعض آية في قوله تعالى في سورة النمل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿٣٠﴾﴾.

[أول سورة الفاتحة]:

📖 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴿٤﴾﴾:

١- الجملة وما يتبعها من الصفات كلام واضح المعنى لا غرابة فيه، ولا تنافر ولا تعقيد، يفهمه الجاهل والعالم.

٢- السلاسة واللطافة والحلاوة سمة عامة لجميع ألفاظ القرآن فتجده ينساب في السمع انسياب الماء لا يجد السمع لانسيابه عرقلة ولا ثقلاً ولا عوجاً ولا التواءً.

٣- الألف واللام في «الحمد» هي لام الجنس، والحمد كما فسره أئمتنا هو الشكر، وهو مبتدأ، والجار والمجرور خبره، والجملة اسمية، وتفيد:

أ- ثبوت الشكر والثناء لله على الدوام.

ب- أن الله تعالى يختص بذلك ويستحقه على الدوام دون غيره.

[تابع سورة الفاتحة]:

📖 ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ۝٤﴾:

المعنى: أن الله تعالى وحده هو الذي يستحق الحمد والشكر؛ لأنه الرب المالك الخالق لعباده والمربي لهم، والمصلح لأحوالهم، وأنه الذي عظمت رحمته بهم حيث أنعم عليهم بأعظم النعم الدنيوية والأخروية، وأسبغ عليهم نعمه ظاهرة وباطنة، وأعطاهم من كل ما سألوه، وإن يعدوا نعمة الله لا يحصوها، وأنه وحده هو الذي يدين المكلفين في يوم القيامة على ما عملوا في الدنيا: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ۝٧ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ۝٨﴾ [الزلزلة].

أما سائر ما يعبد من دون الله فلا يستحق حمداً ولا شكراً؛ لأنه لم يعط العباد ما يستحق به الحمد والشكر بل إنه لا يقدر على أن يعطيهم.

- ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ۝٥﴾....

اشتملت فاتحة الكتاب على ثلاثة مقاطع:

الأول: إلى قوله: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ۝٤﴾.

الثاني: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ۝٥﴾.

الثالث: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ..﴾ إلخ.

فالمقطع الأول اشتمل على التوحيد لله تعالى مع بيان السبب الذي استحق به الربوبية وهو أنه الرب المالك، الذي أولاهم أصول النعم وفروعها من الخلق فهم في أحسن تقويم...إلخ.

وأنه الذي يجب أن يخاف منه ويحذر؛ لأنه وحده هو الذي سيملك إدانة العباد في يوم الحساب على ما قدموا من أعمال، فيكون قد اشتمل هذا المقطع مع التوحيد لله على الإيمان باليوم الآخر.

وفيه أيضاً التنبيه على عدل الله وحسن صنعه بعباده، وأنه لا يفعل القبائح، وذلك لأن من عظمت رحمته وعمت، وكثرت آلاؤه، وتظاهر إحسانه في كل دقيق وجليل، وكان ذلك صفته المعروفة عند العباد، ولا يزال يذكرهم بها، ويحثهم على ذكره بها، وبها افتتح كل سورة من سور كتابه إلى خلقه وأكثر ذكرها في القرآن، فإن من اتصف بذلك وثبت أنه في حقيقة الأمر كذلك- لا يصدر منه قبيح، ولا سيما إذا ثبت غناه المطلق.

والمقطع الثاني: اشتمل على ذكر أن الله تعالى وحده يستحق العبادة، وأنه وحده أهل لأن يستعان به، فيكون هذا المقطع قد تضمن ذكر عبادة الله، وهي تقتضي أن يكون هناك أشياء يعبد بها الله تعالى.

وفيه ذكر إخلاص العبادة لله تعالى، وإخلاص القصد إليه في الإيمان دون غيره، فيكون قد تضمن البراءة من عبادة ما يعبد من دون الله ويستعان به.

المقطع الثالث فيه:

١- الدعاء والتضرع إلى الله في طلب الهداية إلى طريق الحق.

٢- أن طريق الحق هو طريق الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

٣- أن فيمن أنعم الله عليهم بالهدى مَنْ غضب الله عليه؛ لتمردهم على الله وعصيانهم له، وفيهم من هداه وضل عن الهدى.

٤- المراد بالمغضوب عليهم اليهود، وبالضالين النصارى.

٥- التحذير من الوقوع فيما وقع فيه اليهود والنصارى، الذي استحقوا به حلول غضب الله وسخطه عليهم، واستحقوا الحكم من الله تعالى عليهم بالضلال والغواية.

٦- وفيه أن على المؤمن أن يتبرأ ممن غضب الله عليه، وممن ضل عن هداه من اليهود والنصارى.

[ما هي السبع المثاني؟]:

📖 قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر]:

- يمتن الله سبحانه وتعالى على نبيه محمد ﷺ وعلى المسلمين بعظيم نعمته عليهم وكبير إحسانه إليهم فيما آتاهم من السبع المثاني والقرآن العظيم.

والسبع المثاني هي على حسب ما قاله العلماء:

١ـ إما فاتحة الكتاب.

٢ـ وإما السبع السور الطوال.

والقول بأنها السبع السور الطوال هو الراجح في نظري؛ لأن المنة فيها أعظم وأكبر لاشتمالها على بيان الأحكام الشرعية الفرعية تقريباً، وفيها ذكر قصص الأنبياء والرسل، وقصص بني إسرائيل، وذكر ما هم عليه وما كانوا عليه، وفيها ذكر سيرة نبينا محمد ﷺ، وفيها تفاصيل أخبار المنافقين، وما كانوا عليه في زمن النبي ﷺ، وعلى الجملة ففيها تفاصيل رسالة الله إلى عباده من بيان الإسلام وحقائقه والإيمان وأركانه ولوازمه، وبيان وتفصيل ما تعبد الله به عباده من الأعمال، وبيان ما حرم عليهم في الإسلام و...إلخ.

وذلك أن هذه السور الطوال تقريباً نزلت في المدينة بعد الهجرة، وفي المدينة أنزل الله تعالى وفرض على عباده فرائض الأعمال من الصلاة، والصيام، والزكاة،

والحج، والجهاد، والغنائم، ونزلت الأوامر والنواهي، و...إلخ.

وما سوى هذه السور فأكثره نزل بمكة والسور المكية ليس فيها شيء من التشريعات، وإنما تركزت السور المكية على إثبات توحيد الله تعالى، وإبطال الشرك، وإثبات البعث بعد الموت والجزاء والحساب والجنة والنار، وعلى عرض ما جرى على المكذبين للرسل عليهم السلام من العذاب في الدنيا والنكال، وعلى ما يدور حول هذا الموضوع.

-والمثاني صفة من صفات القرآن الكريم التي وردت في القرآن في قوله تعالى: ﴿مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ [الزمر:٢٣]، وسمي القرآن مثاني لأن المواعظ تثنى فيه، وهكذا القصص والأوامر والنواهي والعبر والأمثال فإنها تثنى فيه.

أو أنه سمي مثاني لما فيه من الثناء على الله تعالى.

ـ قوله: ﴿مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر]، هو من عطف العام على الخاص.

وعلى القول بأن السبع المثاني هي فاتحة الكتاب يقال: سميت الفاتحة السبع المثاني لأنها سبع آيات تثنى في الصلاة أي تقرأ فيها أولاً وثانياً، أو سميت بذلك لما فيها من الثناء على الله تعالى.

ولكن يشكل على القول بأنها السبع السور الطوال أن السورة التي فيها هذه الآية مكية، والسور الطوال مدنية إلا سورة الأعراف، والأنعام، فلم يكن النبي صلى الله عليه وسلم قد أوتي السور الطوال حين نزلت عليه تلك الآية.

وحينئذ فيتجه لنا أن نقول: يحتمل أنها الفاتحة، أو أنها الحواميم: غافر، فصلت، الشورى، الزخرف، الدخان، الجاثية، الأحقاف.

ولهذه السبع السور فضائل مأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم، ويحتمل أن السبع المثاني سبع سور غير تلك، والله أعلم.

ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر]: يخاطب الله تعالى نبيه ﷺ والمسلمين بأنه تفضل عليهم، وآتاهم أفضل وأعظم مما آتى أهل الدنيا من القناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث وزهرة الحياة الدنيا وزينتها والقصور المشيدة و... إلخ.

ـ وأراد الله سبحانه وتعالى أن يعتدوا بهذا العطاء، وأن يستعظموه في نفوسهم، وأن يعلموا أنه أفضل وأعظم مما أعطاه الله تعالى أهل الدنيا من المال والنعيم، وأن لا يستعظموا ما يرونه من عطاء الله تعالى لأهل الدنيا.

[فوائد من سورة البقرة]

📖 قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ۝٦﴾ [البقرة]:

أسلم أخيراً مشركو قريش وسائر مشركي الجزيرة العربية طوعاً وكرهاً؛ إلا أن هذه الآية تدل على أن المشركين الذين تمردوا على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وقت نزول هذه الآية لا يدخل قلوبهم الإيمان على الإطلاق.

وحينئذ فدخولهم في الإسلام أخيراً إنما هو دخول في ظاهر حالهم أما بواطنهم فهي كافرة غير مؤمنة، وبناءً على ذلك فلا صحة لقول من يقول: إنه حسن إسلام المنافقين بعد موت النبي ﷺ وصدق إيمانهم.

📖 **مسألة:** قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ...﴾ الآية [البقرة:٢٥]، وقال تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ۝١٧ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ۝١٨﴾ [الزمر]، ونحو ذلك في القرآن مما فيه ذكر التبشير للمؤمنين بالثواب، ومن ذلك تسمية الله تعالى لنبيه ﷺ بالبشير والنذير، ولا شك في صدق هذه البشارة وحقيتها.

هذا، وقد جاء في وصف المؤمنين في الكتاب والسنة بالخوف من النار شيء كثير فمن أين أتاهم الخوف مع ذلك الوعد الصادق وبشرى الرحمن الرحيم؟

وهل من الغرور إذا سيطرت على الإنسان الثقة بالوعد والبشرى، فأمن من عذاب الله ثقةً بذلك؟

الجواب:

أن الواجب على المؤمن هو التصديق بوعد الله، والثقة به، والفرح به ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ۝٥٨﴾ [يونس].

ومع هذا فلا ينبغي أن ينسيه ذلك الفرح- الخوف من العقاب والعذاب.

وذلك أن الإنسان وإن اجتهد في التوقي من المعاصي والإتيان بالطاعات لا يقطع بأن الله تعالىٰ قد تقبل منه ذلك وغفر له ذنوبه لعوارض وأسباب قد تحول دون القبول لا يخلو منها المؤمن وإن جاهد نفسه، ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف:٥٣].

فهذا الذي ذكرنا طريق من طرق الخوف إلىٰ قلب المؤمن فيزاحم الأمن والثقة.

وهناك شيء آخر يكدر صفو الثقة عند المؤمن وهو ما ثبت لديه واستقر من أن الأعمال بخواتمها فهو يخاف لذلك سوء الخاتمة، فمن هنا ينقص الأمن في قلب المؤمن إلىٰ الرجاء والطمع؛ لذلك وصف الله المؤمنين فقال: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء:٥٧].

فبناءً علىٰ ما ذكرنا فلا ينبغي للمؤمن أن يثق تماماً ويطمئن اعتماداً علىٰ ما ذكر، مع قيام الأسباب الداعية إلىٰ الخوف، إذ الواثق المطمئن في هذه الحال جاهل مغرور.

والمؤمن حقاً في خوف دائم حتىٰ يأتيه الموت فتبشره الملائكة كما قال سبحانه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة:١٢٠]، **في ذلك**:

١- أن عداوة اليهود والنصارىٰ للمسلمين عداوة مستحكمة، وأنهم لن يتراجعوا عن عداوتهم للمسلمين أبداً ما داموا مسلمين.

٢- أن العداوات الناتجة عن اختلاف العقائد عداوات في الدرجة الأولىٰ لا يمحوها الزمان ولا تعاقب الأجيال.

٣- أن الاتفاق في العقيدة والمبدأ أقوىٰ الروابط الاجتماعية، وأوثق عرىٰ المحبة.

٤- يؤخذ من ذلك أيضاً أنك إذا أردت أن تكسب مودة الرجل ومحبته فأكثر من موافقته في رأيه، وتصويبه في تصرفاته في غير معصية الله.

📖 وقال تعالىٰ: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ...﴾ الآية [المائدة]، وفي هذه الآية: أن أشد الناس عداوة للمسلمين اليهود والمشركون، وأقرب الناس مودة للمسلمين النصارىٰ.

فإن قيل: وصف الله تعالىٰ النصارىٰ بالعداوة للمسلمين في الآية الأولىٰ، وفي هذه الآية وصفهم بأنهم أقرب أهل الكفر مودة للمسلمين؛ فكيف تفسير ذلك؟

يقال في الجواب:

أهل الملل المعادية للمسلمين مشتركون في العداوة للمسلمين، إلا أنهم مع هذه العداوة يتفاوتون في توقع إسلام الكثير منهم؛ فالمشركون واليهود لا يتوقع إسلام الكثير منهم، أما النصارىٰ فيتوقع دخول كثير منهم في الإسلام، وبدخولهم في الإسلام تحل المودة للمسلمين مكان العداوة لهم.

فهذا ما ظهر لي من تفسير الآية، والدليل علىٰ هذا التفسير: أن الله تعالىٰ علل كونهم أقرب مودة للمؤمنين بقوله بعد ذلك: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا...﴾ إلخ، فبين تعالىٰ أن عند النصارىٰ أسباباً من شأنها أن تقربهم إلىٰ الدخول في الإسلام ومودة المسلمين، وهي:

١- أن فيهم (قسيسين ورهباناً) أي علماء وعباداً.

٢- (أنهم لا يستكبرون) كما هو الحال في اليهود والمشركين.

٣- أنهم إذا سمعوا آيات الحق تتلىٰ تخشع قلوبهم وتدمع عيونهم، ثم يدخلون في الإسلام ومودة المسلمين.

هذا، وكأن هذه الأوصاف الثلاثة كانت في بعض النصارىٰ لا في جميعهم، وقد روي أنها نزلت في وفد ملك الحبشة الذين بعثهم إلىٰ المدينة وكانوا نصارىٰ،

وقد أسلموا فنزلت فيهم هذه الآيات، وقد أسلم أيضاً ملكهم النجاشي، وحين مات صلى عليه النبي ﷺ صلاة الجنازة صلاة الغائب.

ودليل ما ذكرنا: أن وفد نصارى نجران إلى النبي ﷺ لم يسلم أحد منهم، بل تصلبوا على دينهم، وجادلوا النبي ﷺ وتعنتوا.

ولا مانع من أن يكون نزول تلك الآيات في النصارى جملة، وإن كان حصول الإيمان لم يكن إلا من بعضهم.

ونصارى اليوم هم نصارى الأمس، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ﴾ [التوبة:٣٠]، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ﴾ [المائدة:١٧]، لم يتغير النصارى منذ نزول هذه الآيات وإلى اليوم عما ذكر الله تعالى من عقيدتهم في عيسى بن مريم عليه السلام، والمعروف اليوم أن معاملات النصارى مع المسلمين أحسن من معاملات اليهود مع المسلمين.

📖 ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥]: أرشد الله تعالى عباده المؤمنين أن يستعينوا على ما أهمهم وشق عليهم من الأمور بشيئين هما: الصبر، والصلاة،

فيؤخذ من ذلك:

أن هذين الشيئين سببان للفرج، وطريقان لكشف المهمات النازلة بالمسلم، وقد ذكروا أن صلاة الفرج ركعتان، وذكروا ما يقرأ في كل ركعة وبما يدعو به المصلي بعد صلاته و...إلخ.

والذي تفيده هذه الآية أن مطلق الصلاة من أسباب الفرج سواء أكانت الصلاة فريضة أم نافلة.

وقد روي أن النبي ﷺ كان إذا حَزَبه أمر فزع إلى الصلاة.

📖 ﴿وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ۝٧٠﴾ [البقرة]، **في ذلك:**

١ - أن على المؤمن إذا وعد غيره بفعل أمر مستقبل أو أخبر أنه سيفعل أمراً في المستقبل سواء أكان طاعة أو مباحاً، دينياً أو دنيوياً - أن يقيّد ذلك الخبر بكلمة «إن شاء الله».

٢- أن أفعال العباد مربوطة بمشيئة الله، بمعنى أن الله تعالى هو الذي أعطى عباده القوى والقُدَر والتمكن؛ فإن شاء سلبهم قواهم وقُدَرَهم فتتعذر منهم حينئذ الأفعال، وإن شاء حال بينهم وبين فعل ما يريدون، وإن شاء صرف عزائمهم عن فعل ما كانوا عزموا عليه.

٣- وليكن على علم منك أن الله تعالى لا يحول بين المكلفين وبين فعل طاعته، ولا يصرف نياتهم عن فعلها، كيف والله تعالى يقول: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴿٥٦﴾﴾ [الذاريات].

- وفي الآية: أن القائل في خبره عن المستقبل: «إن شاء الله» مُعَانٌ بدليل أن أهل هذه المقالة اهتدوا إلى فعل ما أمروا به.
- أن على المؤمن أن يستعين في جميع أموره بالله تعالى، ويسأله الإعانة والتوفيق والتسديد، ويعتمد عليه في استنجاح أموره كلها الدينية والدنيوية.
- وقد يؤخذ من ذلك أن المتكلم الواحد عن نفسه وعن جماعته الحاضرين معه عند التكلم من غير أن ينكروا عليه ما تكلم به يقوم كلامه مقام كلام جميع الحاضرين سواء أكان الكلام لهم أم عليهم.

فإن أساء المتكلم في كلامه حكم عليهم بالإساءة جميعاً، وإن أحسن حكم بالإحسان لهم جميعاً.

ويلحق بذلك ما إذا فعل أحدهم فعلاً بحضرة جماعته من غير أن يصدر منهم عليه إنكار فإنه يلحق الجميع حكم ذلك الفعل، فإن كان ذلك الفعل قبيحاً نسب إليهم جميعاً فعل القبيح، وإن كان حسناً نسب إليهم حسن ذلك الفعل.

- وإذا كانت العلة في نسبة الفعل إلى الجميع هي الرضا بالفعل فإن الذي يستنكر الفعل المفعول بحضرته لا يلحقه حكمه، ويسلم من تبعاته.
- إذا لم يستطع الحاضر أن ينكر ما فُعِل بحضرته من قول أو فعل فيكفيه الإنكار بقلبه، وهكذا جاء في السنة، ثم عليه أن يتحول.

- ونظراً إلى العلة فإن من رضي بفعلٍ صدر في غير حضرته فإنه يعتبر شريكاً لفاعله، فإن كان طاعة لله أشرك في ثوابه، وإن كان معصية لله أشرك في عقابه، فمن رضي فعل علي عليه السلام في حروبه أشرك في حكمه، ومن رضي فعل معاوية في حروبه أشرك في حكمها.
- وهكذا العكس، فمن كره فعل علي عليه السلام كان شريكاً مع الكارهين لفعله في عهده كأهل الجمل وأهل صفين، ومن كره أفعال معاوية كان شريكاً مع الكارهين في عهده كعلي عليه السلام وعمار والأشتر والحسنين وابن عباس وبقية أهل بدر وغيرهم ممن كره صنيع معاوية وحزبه.
- كما يؤخذ من الآية أنه ينبغي ذكر «إن شاء الله» ذكراً صريحاً، وقد يغني ذكرها بالقلب دون اللسان إلا أن الذكر باللسان أحسن لما فيه من التذكير بالله، وللآية.
- ذكرت هذه الكلمة «إن شاء الله» في مواضع من القرآن منها في قول إسماعيل عليه السلام لأبيه: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ١٠٢﴾ [الصافات]، وفي قوله تعالى: ﴿لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ﴾ [الفتح:٢٧]، وفي قول موسى عليه السلام: ﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ٦٩﴾ [الكهف]، وقد قال الله تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا ٢٣ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ [الكهف].
- تعتبر هذه الكلمة «إن شاء الله» كلمة استثناء فمن قال: والله لا دخلت بيتك إن شاء الله؛ فإنه إذا دخله بعد ذلك لا يلزمه حكم اليمين.
- وعلى هذا فينبغي للمؤمن أن يقول: «إن شاء الله»- بعد كل يمين ليسلم من تبعات اليمين.
- كلمة «إن شاء الله» إذا دخلت في العقود أفسدتها وأبطلتها، وهكذا إذا

دخلت في الإنشاءات كالوقف والنذر والطلاق والوصية، و...إلخ.

- كلمة «إن شاء الله» لها معنيان:

١- عرفي وهو كما ذكرنا: كلمة استثناء، فحكمها حكم «إلَّا».

٢- معنى لغوي، وهو أن تكون قيداً لما دخلت عليه، بمعنى أن ما دخلت عليه يكون مشروطاً بحصول مشيئة الله، فإن حصلت مشيئة الله حصل ذلك الأمر، وإن لم تحصل مشيئة الله لم يحصل ذلك الأمر.

إذا عرفت ذلك فمن قال لزوجته: أنت طالق إن شاء الله- لم تطلق على المعنى الأول، وأما على المعنى الثاني فيلزم النظر في مشيئة الله هل يشاء الله طلاقها أم لم يشأ طلاقها؟

وتعرف مشيئة الله تعالى بالنظر في معاملة الزوج لزوجته، فإن كان يعاملها بالمعروف ويحسن إليها ويعاشرها معاشرة حسنة- لم تطلق؛ لأن الله تعالى لا يشاء تطليق من كانت كذلك.

وإن كان الزوج يظلمها، ولا يعاملها بالمعروف- طلقت؛ لأن الله تعالى لا يشاء ظلمها، ويشاء خلاصها من الظلم، كما قال سبحانه: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة:٢٢٩].

- تدل القصة التي وردت هذه الكلمة فيها «إن شاء الله» على أن الله تعالى قد يكلف عباده بتكاليف خفية تحتاج إلى بحث وتفتيش وتحرٍ؛ لمصالح يعلمها الله، وذلك مثل التكليف الذي كلف الله تعالى به بني إسرائيل على عهد موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين أمرهم بذبح بقرة، ومثل ما كلف الله تعالى به العلماء المجتهدين من هذه الأمة بالاجتهاد والاستنباط للأحكام الشرعية الفرعية التي لم يرد فيها حكم منصوص عليه من الشارع.

📖 قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسرائيل لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا

وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنكُمْ وَأَنتُم مُّعْرِضُونَ﴾ [البقرة:٨٣]، **قد يؤخذ من الآية:**

- أنه ينبغي التَّأني في نقد العالم إذا صدر منه فعل مستنكَر في الظاهر، فلعل له وجهاً وجيها وعذراً يعذر به عند الله والناس.
- وفيها أيضاً أن العجلة والاستعجال طبيعة مطبوعة في الناس جميعاً حتى في أصفياء الله عليهم السلام، فينبغي لذلك أن يعذر المرء مهما أمكن مما صدر منه بسبب العجلة مما يلام عليه من الأعمال والتروك.
- ومن الممكن درج الكثير مما يصدر بسبب العجلة من الأفعال والأقوال التي يلام عليها المرء في ضمن الصغائر.
- وفيها أيضاً أن على العالم أن يوضح ما اشتبه، وأن يرفع الالتباس الحاصل من قوله أو فعله، أو فعل غيره أو قوله، أو في أحكام الدين.
- وفيها أيضاً أن العمل بالظاهر هو الأصل الذي لا يجوز العدول عنه إلا بدليل؛ لذلك لم يصبر موسى ولم يقتنع بشرعية ما فعله الخضر إلا بعد أن سمع الأدلة التي دلت على حُسن ما فعله الخضر، وعلى هذا فيحكم على المرء بما ظهر من قوله وفعله، ولا يعذر في شيء من ذلك إلا أن يبدي عذره، وما يبرر ما صدر منه.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة]:

- المراد بذكر الله المأمور به في هذه الآية أو في غيرها هو ذكر الله بما يستحقه من التوحيد، وبما له من الكمال والعظمة والجلال، وبما له من السمع والطاعة، وبما يستحقه من الشكر قولاً وعملاً واعتقاداً؛ أما ذكر اللسان المجرد إذا لم يصحبه الشكر والعمل والاعتقاد فلا عبرة به.
- وذكر الله تعالى لذاكريه هو ذكره تعالى لهم بمغفرته ورحمته ورضوانه.
- قد يكون المكلف سامعاً مطيعاً معظماً لله تعالى يطيع الله تعالى ولا يعصيه، ثم

إنه يذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، و...إلخ، يريد بذلك رضوان الله تعالى، ولكنه عند ذكر الله بذلك الذكر لا يستحضر في قلبه معاني ذلك الذكر، وإنما يذكر الله بلسانه وقلبه مشغول، وربما استحضر معنى كلمة دون كلمة، فنقول:

الذي يظهر لي أنه يثاب الذاكر لله تعالى بلسانه، وإن لم يستحضر معنى الذكر الجاري على لسانه إذا صدر من المطيع لله تعالى.

والدليل على ذلك: أن الذاكر لله كذلك تكون نيته التعظيم لله تعالى بالتسبيح والتحميد و..إلخ، وما ابتنى من الذكر على نية التعظيم لله وتقديسه وتحميده وتوحيده فإنه تترتب عليه الأحكام الشرعية والعقلية ولا يلغى كما يلغى كلام الساهي والنائم.

-وهكذا العكس فإن من صدر منه الكلام القبيح فإنه يترتب عليه من الأحكام ما يترتب شرعاً وعقلاً إذا كان صادراً عن نية وقصد إلى التكلم به، وإن لم يستحضر حال التكلم للمعاني.

-والذي لا بد منه القصد والنية إلى التلفظ باللفظ الدال على المعنى المطلوب في الجملة.

-وعلى هذا فيثاب المؤمن على اللفظ الدال على تعظيم الله وتقديسه إذا صدر عن نية وقصد، فالأعجمي الذي لا يعرف لغة العرب يثاب على قراءة القرآن وذكر الله إذا صدر عن نية التعظيم لله وإن لم يعرف معاني ألفاظ القرآن ولا معاني ألفاظ الذكر؛ إلا أنه قد عرف في الجملة أن فيما يجريه على لسانه تعظيم لله تعالى وتقديس.

📖 قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾﴾ [البقرة].

وقوله تعالىٰ: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى]، **النوازل والمصائب:**

١- منها ما ينزل بالمؤمنين المحافظين علىٰ التقوىٰ، والحكمة فيه هي الاختبار للمؤمنين، وتعريضهم للثواب والأجر العظيم، وهذا ما تفيده الآية الأولىٰ.

٢- ومنها ما ينزل بالعصاة من المؤمنين وغيرهم، والحكمة من ورائه هي: الجزاء والعقاب، ثم التنبيه للعصاة والإيقاظ لهم عن غفلتهم عن الله ليتوبوا ويرجعوا، وهذا ما تفيده الآية الثانية، وهي عامة والآية الثانية خاصة، فيحمل العام علىٰ الخاص.

﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ۝١٥٧﴾ [البقرة]، استحقوا هذا العطاء؛ لأنهم رضوا عن الله فيما ابتلاهم به؛ لأنه ربهم ومالكهم العليم الحكيم الذي لا يظلم فلم يعترضوا علىٰ الله فيما فعل في ملكه، وأيقنوا أنه لا يظلمهم، وأنهم سيرجعون إليه فيوفيهم أجورهم علىٰ رضاهم عن ربهم وصبرهم علىٰ ما ابتلاهم.

﴿عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ﴾: صلوات من ربهم هي رحمات كثيرة متنوعة، وإنما قلنا إنها متنوعة؛ لأن لفظ صلاة مصدر والمصادر لا تجمع إلا إذا تنوعت أفراده.

ويمكننا أن نبين الرحمات المتنوعة التي يعطيها الصابرين المذكورين في الآية بأنها: أن يعطيهم الله تعالىٰ الأمن بعد الخوف، والشبع بعد الجوع، وأن يوفر لهم الأموال، ويبارك لهم فيها، وأن ينمي النسل ويبارك لهم فيه، وأن يصلح لهم الثمار، ويضاعف لهم في بركتها.

ويكون ذلك جزاءً لهم علىٰ صبرهم، وقد استوحينا البيان للرحمات من أول الآية، وهذا بالإضافة إلىٰ ما يمكن أن يزيدهم الله من فضله أنواعاً أخرىٰ من الرحمات.

قوله تعالىٰ: ﴿...وَرَحْمَةٌ..﴾: عطف الله تعالىٰ ذلك علىٰ ﴿صَلَوَاتٌ﴾، فيكون من عطف الخاص علىٰ العام؛ لأن الصلوات هي الرحمات فيدل ذلك علىٰ أن الرحمة المعطوفة رحمة تتميز عن الرحمات بالعظم.

ويمكن أن تفسر هذه الرحمة العظيمة بالمغفرة ودخول الجنة.

﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾: ختم الله تعالىٰ الآية بأن وصف الصابرين بأنهم الذين أبصروا طريق الهدىٰ وتحققوه، ثم مضوا فيه علىٰ بصيرة، وإنما فسرناه بهذا التفسير؛ لأن لفظ «مهتدون» مأخوذ من «اهتدىٰ» الذي هو مطاوع «هدىٰ» يقال: هداه فاهتدىٰ، وحينئذ فلا يقال: اهتدىٰ ومهتدي إلا علىٰ تقدير سبق ما يوجب الاهتداء من دعوة رسول أو عالم أو نظر وتفكير في آيات الله أو نحو ذلك.

📖 قال تعالىٰ: ﴿أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ﴾ [البقرة:١٦٥]:

حب الله جل وعلا وحب رسوله ﷺ يراد به: السمع والطاعة، وإيثار طاعتهما، وامتثال ما أمرا به أو نهيا عنه علىٰ طاعة ما سواهما.

فإذا أمر الرجل ابنه مثلاً بفعل أمر هو معصية لله وحثه عليه، وألح عليه في فعله وتهدده فلم يرض لأبيه بفعل المعصية خوفاً من الله وإجلالاً له وإيثاراً منه لطاعة الله علىٰ طاعة أبيه، فالذي يكون كذلك أشد حباً لله من حبه لأبيه.

وهكذا حب الرسول ﷺ، وليس المراد بحب الله ورسوله- ما يجده المرء في نفسه من التعطف والرحمة والرقة للمحبوب، بل المراد ما ذكرنا من السمع والطاعة، وإيثار طاعة الله علىٰ طاعة ما سواه علىٰ الإطلاق في كل صغير وكبير، وفيما تحب النفس وما تكره.

📖 ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾ [البقرة:٢٠١]:

- أبهم الله تعالىٰ الحسنة في الدنيا وأطلقها، والذي يلوح في ذهني من تفسير حسنة الدنيا هو أن يهدي الله المكلف إلىٰ طريق الحق الذي يوصله إلىٰ رضوان الله والجنة، والعبد إذا دعا الله أن يهديه ذلك الطريق المستقيم فقد

طلب الخير كله خير الدنيا وخير الآخرة؛ لأن المكلف إذا هداه الله فاهتدى وسار في الطريق المستقيم حظي من الله بزيادة الهدى والتنوير والتوفيق، وأحياه الله حياة طيبة، وكان من أهل ولاية الله ومن حزب الله، وكان في حفظ الله، وجعل الله له من كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب، وجعل له من أمره يسراً، وإلى آخر ما يتفضل به الرحمن على أوليائه في حياتهم الدنيا.

- وحسنة الآخرة مبهمة أيضاً ومطلقة، ويمكن تفسيرها بالمغفرة، ومن غفر الله له دخل الجنة، ووقي عذاب النار.

- ﴿وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ۝٢٠١﴾ [البقرة]: طلب الوقاية من عذاب النار في هذا الدعاء مرتين: مرة في ضمن طلب الحسنة، ومرة بالنص والتصريح، وما ذلك إلا لعظيم الخوف منها، ومكانته في قلوب المؤمنين.

📖 قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ...﴾ [البقرة:٢٢٠]:

وإصلاح أموال اليتامى هو بتنميتها وحفظها، وأمر الله تعالى بكتابة الدين والإشهاد عليه في آية طويلة مسوقة لحفظ المال: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥]، ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء:٢٩]، ﴿وَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ﴾ [النساء:٣٢]، ﴿وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا۝٢٦﴾ [الإسراء]، ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا۝٦٧﴾ [الفرقان].

📖 بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥]:

- قبح الله تعالى إلينا أكل الربا بما ضرب في هذه الآية من المثل لأَكَلَتِه.

- وصفتهم تلك التي صورها الله تعالى لنا قد تكون في الدنيا، وقد تكون في الآخرة؛ فإن كانت في الدنيا فالمراد -والله أعلم- أن ما استفاده صاحب

الربا من المكاسب عن طريق الربا ستكون وبالاً عليه في نفسه، وفي تجارته:

- أما في نفسه فبالأمراض التي يحرم معها من الاستمتاع واللذة بماله، وببخس ذريته وبفساد أهله، وبكراهة الناس له، وبالقلق والخوف على نفسه وماله، وبالتعب والنصب في حفظ ماله وحراسته، وبفقدان المروءة والحياء ومكارم الأخلاق.
- وأما في ماله فلا يبارك الله تعالى له فيه، بل لا يزال يتعرض للنكبة بعد النكبة، والخسارة بعد الخسارة، والضياع بعد الضياع؛ فإذا استفاد مالاً من الربا أصيب بنكبة، ثم ينتعش ثانية بالربا، ثم يسقط بنكبة أخرى.
- وإن كان المراد في الآخرة فقال أهل التفسير: إن ذلك حين يخرج الناس من قبورهم للحساب؛ فإن أكلة الربا لا يسرعون كغيرهم بل يقومون ويسقطون، ثم ينهضون فيسقطون وهكذا.
- وقال تعالى: ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾ [البقرة:٢٧٦]، ومحق الله تعالى للربا هو أن يذهب بنفعه وبركته وفائدته وجماله ولذته بحيث لا يصل إلى المربي منه لا نفع ولا فائدة، ولا لذة ولا جمال، ولا غير ذلك مما يحصل من المال في العادة.
- ﴿وَمَا ءَاتَيْتُمْ مِنْ رِبًا لِيَرْبُوَ فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرْبُو عِنْدَ اللَّهِ﴾ [الروم:٣٩].

📖 قال تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ ءَاثِمٌ قَلْبُهُ﴾ [البقرة:٢٨٣]:

نهى الله تعالى في هذه الآية عن كتم الشهادة، وأن كاتمها آثم، إلا أن هناك حالات يجوز للشاهد كتم شهادته، هي:

١- أن يخاف الشاهد على نفسه من أداء الشهادة، فإنه إذا خاف على نفسه إما القتل أو الضرب أو الحبس أو نحو ذلك فإنه يجوز له ترك الشهادة.

٢- أن يكون هناك شاهدان أو أكثر قد أدوا الشهادة عند الحاكم وهم عدول، فإنه لا يجب على الشاهد أن يذهب لأداء الشهادة؛ لأن الشهادة

فرض كفاية إذا قام بها البعض سقطت عن الباقين، فإن اختلت شهادة بعضهم أو شهادة كلهم؛ فإنه يجب حينئذ على الشاهد أن يحضر عند الحاكم لأداء شهادته.

٣- إذا كان الحاكم بعيداً عن الشاهد، وكان الشاهد يحتاج إلى مؤنة حتى يؤدي شهادته عند الحاكم، ولم يرض المشهود له بتحمل المؤنة فإنه لا يجب على الشاهد أن يذهب ليشهد عند الحاكم.

فإن قيل: الشاهد مأمور بأداء شهادته ومنهي عن كتمها أمراً ونهياً مطلقين غير مقيدين، وما كان كذلك فمقدماته واجبة؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به فيجب كوجوبه.

فيقال في الجواب:

الأمر كذلك إلا أن الله تعالى قال في هذا الأمر: ﴿وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ﴾ [البقرة:٢٨٢]، فنهى الله تعالى عن إدخال الضرر على الكاتب أو الشهيد فلا يجوز للمشهود له ولا للحاكم أن يحمل الشاهد أو الكاتب التكاليف والغرامات التي تلحقهما في سبيل الشهادة والكتابة، فتكون هذه الآية مقيدة للإطلاق في تلك الآية.

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا﴾ [البقرة:٢٨٢]، في ذلك دليل على أن أداء الشهادة لا يجب إلا إذا طلب المشهود له من الشاهد أن يشهد له؛ فإن لم يطلبه فلا يجب عليه أن يشهد.

وإذا كان المشهود له لا يعلم بأن له شهادة عند الشاهد، وخاف أن يضيع الحق على المشهود له إن لم يشهد؛ فإنه يلزم الشاهد أن يعلم المشهود له بأن معه شهادة.

📖 قوله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ (٢٨٥)﴾ إلى آخر السورة [البقرة]:

١-هذه أواخر سورة البقرة، وقد روي في فضلها أحاديث.

٢-ولعل الفضل الذي روي في قراءة هذه الخواتم قد كان لما اشتملت عليه من:

الإيمان بجميع أركانه، وبلوازمه الذي هو السمع والطاعة، والمراد بالسمع والطاعة هو التواضع لله سبحانه وتعالى؛ وذلك بامتثال أوامره، والانتهاء عن نواهيه، والاستقامة على ذلك، وبتوابعه: التي هي الافتقار إلى الله وإظهار الحاجة إليه، ويتمثل ذلك في التضرع إليه بالدعاء والاستغفار وطلب المعونة على القيام بالتكليف.

٣-ويمكن أن يستدل من هنا على أن أفضل الدعاء هو الاستغفار؛ وذلك من حيث إنه ابتدأ ذلك الدعاء بالاستغفار وختم بالاستغفار.

٤-يؤخذ من هنا أن من شأن المؤمن أن يكون متهمًا لنفسه بالتقصير في طاعة الله وفي القيام بما كلف به، فيبادر إلى الله ويتوجه إليه بطلب المغفرة، بل يجعل أهم دعائه هو المغفرة.

٥-قد وقع الاتفاق على أن الله تعالى رفع المؤاخذة عما وقع من معاصيه عن طريق الخطأ والنسيان، وقد قال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب٥]، وفي الحديث المشهور: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)).

ومع ذلك فقد يستفاد من ذلك الدعاء أن من شأن المؤمن أن يستاء إذا وقع في معصية الله عن طريق الخطأ والنسيان؛ إجلالًا لله واستعظامًا للوقوع في معصيته ولو عن طريق الخطأ والنسيان، فيدفعه إجلال الله واستعظامه لمعصيته إلى التضرع بالدعاء إلى الله أن لا يؤاخذه على ما فرط منه عن طريق الخطأ والنسيان، هذا هو شأن المؤمن.

٦-قد يؤخذ من هنا أن من شأن المؤمن أن لا يصدر منه معصية لله إلا عن طريق النسيان أو الخطأ، أما تعمد المعصية لله فلا يصدر من مؤمن على الإطلاق.

٧-قد يؤخذ من هنا أن من شأن المؤمن أن يكون خائفًا من عقوبة في التكليف؛ وذلك بأن يشدد الله على المؤمنين بعض التكاليف عقوبة لهم على بعض

ذنوبهم، فهو يبادر إلى التضرع إلى الله بالدعاء أن لا يحمله أحمالًا ثقيلة كتلك الأحمال الثقيلة التي كلفها بني إسرائيل فيكون المراد بالدعاء بذلك هو الدعاء بأن لا يقع في معصية تكون سببًا في معاقبته بالتكاليف الشديدة.

٨-﴿وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ﴾ قد يكون المراد بالدعاء بأن لا يكلف المؤمن بالتكاليف الشديدة التي يصعب حملها على المؤمن ويثقل عليه القيام بها.

٩-﴿وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا﴾ هذه ثلاث دعوات:

الدعوة الأولى: هي طلب العفو من الله، والعفو: هو عدم المؤاخذة بالذنب.

الدعوة الثانية: هي طلب المغفرة من الله، والمغفرة هي أن يمحو الله تعالى الذنب من صحيفة السيئات حتى كأنه لم يكن.

الدعوة الثالثة: هي طلب الرحمة، والرحمة اسم شامل لما يعطيه الله تعالى لعباده من النعم الدينية والدنيوية.

١٠-﴿أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ توسلوا إلى الله تعالى في أن ينصرهم على القوم الكافرين بذكر ما عندهم من الإيمان واليقين بأن الله تعالى مالك أمرهم، وأنه أولى بهم من أنفسهم، لا أمر لهم مع أمره، وأنه ناصرهم لأنهم عباده المؤمنون.

[فوائد من سورة آل عمران]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران]:

- أولو العلم هنا هم الذين نظروا في آيات الله المبثوثة في السماوات والأرض، وتفكروا في خلقها حتى وصلوا بالنظر والتفكر إلى المبدع الحكيم الخلَّاق العليم، وأدركوا بنظرهم وتفكرهم أنه وحده هو الذي يستحق الإلهية والربوبية، وأن ما سواه من المعبودات باطل لا يستحق شيئاً على الإطلاق من صفات الكمال.
- وأن الخالق الحكيم وحده هو الذي يستحق صفات الكمال والعظمة والجلال، ويستحق التنزيه والتقديس والتسبيح والحمد والشكر والعبادة، وأنه وحده الحقيق بالرجاء والخوف، ويستحق الملك كله، يحيي ويميت، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

ثم أوصلتهم أفكارهم إلى التصديق برسول الله ﷺ، وبما جاء به من عند الله، واستيقنوا ذلك، واستحكمت معارفهم بما هنالك، وعرفوا أنفسهم وما هي عليه من الضعف والحاجة، فتواضعوا لعظمة الله، وسمعوا وأطاعوا له تعالى ولرسوله ﷺ، وخشعوا وتذللوا واستقاموا.

فهؤلاء هم الذين ارتضى الله تعالى شهادتهم له حتى قرنها بشهادته وشهادة ملائكته.

📖 قوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران]:

-نهى الله تعالى هذه الأمة أن يتفرقوا في الدين، ويختلفوا فيه كما تفرق واختلف أهل الكتاب بعدما جاءهم البينات والهدى وعرفوه وتحققوه، فنسيت الأمة نهي الله تعالى لها، وتركته وراء ظهرها؛ فتفرقت واختلفت مع معرفتها بالحق والهدى الذي نزل به القرآن، وجاءهم به نبيهم محمد ﷺ، وما زالت

هذه الأمة متفرقة ومختلفة منذ القرن الأول الإسلامي وإلى اليوم.

-وهذه الآية دليل على أن التفرق والاختلاف في الدين من الكبائر الموبقات، وعلى هذا فأمة الإسلام المختلفة واقعة في معصية كبيرة يستحقون عليها العذاب العظيم.

-ويستثنى من طوائف الأمة طائفة واحدة لا يشملها اسم التفرق والاختلاف والعذاب العظيم لورود أدلة تقضي بذلك.

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ...﴾ [آل عمران:١٤٠]:

- تتقلب أيام الدنيا بأهلها من حال إلى حال، من عز إلى ذل ومن ذل إلى عز، ومن نصر إلى هزيمة وبالعكس، ومن غنى إلى فقر، ومن شهرة إلى خمول، ومن وجاهة إلى عدمها، و...إلخ.

والسرُّ وراء ذلك هو الابتلاء والاختبار، والعظة والاعتبار، ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً﴾ [الأنبياء:٣٥]، ﴿وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الاعراف:١٦٨].

📖 قوله تعالى: ﴿لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ﴾ [آل عمران:١٥٤]، يؤخذ من ذلك:

أن الشهيد يقبر حيث قتل، ويلحق به غير الشهيد فيقبر حيث مات.

وقد روي أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رد من حمل بعض شهداء أحد، وقال: ((ليدفنوا حيث قتلوا)) هذا معنى الرواية.

- والذي يظهر لي أن ذلك على الاستحباب والندب دون الوجوب- بدليل: أنه نقل الكثير من شهداء أهل البيت من حيث قتلوا إلى أماكن أخرى مثل الإمام المنصور بالله عبدالله بن حمزة، والإمام الشهيد أحمد بن الحسين صاحب ذيبين، والإمام القاسم المختار بن أحمد الناصر بن الإمام الهادي عَلَيْهِم السَّلَام، وغيرهم كثير، ولم يستنكر ذلك أحد من أهل البيت ولا من غيرهم فيما يظهر، ولو كان الدفن حيث القتل واجباً لاستنكروا ذلك ولما سكتوا.

- قد يؤخذ من الآية أنه يثبت للمقتول في مكان حق التقبير في ذلك المكان، ولكن بشرط ألا يسبقه بالاستحقاق أحد؛ فإن سبقه بالاستحقاق أحد نقل من ذلك المكان المستحق إلى أقرب مكان غير مستحق.
- إذا أوصى الميت بأن يقبر في مكان فليقبر فيه إلا أن يرى الورثة أن تقبيره في مكان آخر أصلح وأحسن فلهم ذلك؛ لأن لهم الولاية في تقبيره.

📖 قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ۝٢١﴾ [عبس]، وقال سبحانه: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا۝٢٥ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا۝٢٦﴾ [المرسلات]، وقال سبحانه: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة:٣١]، ﴿وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ۝٧٩﴾ [المؤمنون]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ﴾ [التوبة:٨٤]:

في ذلك دليل على شرعية دفن الميت في قبره دفناً محكماً حتى لا يظهر له رائحة ﴿كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ﴾ وشرعية تشييع جنازة المؤمن، والصلاة عليه، والقيام على قبره.

- كما يستفاد من ذلك أن لجسد المؤمن بعد موته حرمة وكرامة.

📖 قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا﴾ [آل عمران١٧٦]، في ذلك:

-ما يطمئن المؤمن على دينه مما يرى من كثرة الداخلين في الجانب المعادي للمؤمنين فإنه وإن سارع الناس في الدخول في ذلك الجانب وتكاثروا فإنهم لن يضروا دين الله، وليس لهم سبيل إلى طمسه، بل يبقى كما هو في ازدياد وعلو وظهور.

-أما ضررهم على أفراد المؤمنين فلا بد منه لأن التكليف مبني على التخلية بين المؤمنين والكافرين، وقد نال المشركون الصحابة بالضرر، وهكذا العكس، وقال الله في ذلك: ﴿وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران١٤٠].

وقريب من هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ۝١٢٧ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ۝١٢٨﴾ [النحل].

📖 بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿مَا كَانَ اللَّهُ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ حَتَّى يَمِيزَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [آل عمران:١٧٩]:

لا بد أن يكشف الله تعالى سرائر المنتسب إلى الإيمان، ويظهر حقيقة إيمانه، وهل هو مؤمن حقاً أم غير مؤمن حقاً، ويتم كشف ذلك بالتكاليف الشديدة، وذلك مثل تكليف الملائكة بالسجود لآدم؛ فإن الله تعالى كشف بذلك ما كان يسره الشيطان من الكبر.

ومثل ذلك تكليف هذه الأمة بولاية علي بن أبي طالب وأهل البيت ومحبتهم، واتباعهم والتمسك بهم.

ومثل ذلك التكليف بالجهاد مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم والقتال بين يديه.

📖 قال تعالى: ﴿لَتُبْلَوُنَّ فِي أَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾﴾ [آل عمران]:

تتكرر القصة اليوم فنحن في هذا الوقت نعاني من هذه البلوى التي حصلت على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فيتعرض طلبة العلم اليوم لمضايقات في أنفسهم وفي أخذ أموالهم، وتمتلئ أسماعهم بالسب والتهم والتكفير لهم والتفسيق و..إلخ.

يسمعون ذلك على المنابر، وفي المحاضرات والمنشورات، وعلى الألسن في الشوارع والأسواق.. إلخ.

وقد أرشد الله تعالى أولياءه إلى أن يتلقوا مثل ذلك بالصبر والتقوى، ولا شك أن ذلك الذي أرشد الله تعالى إليه هو الأولى بأولياء الله والأحسن؛ لأن الله تعالى عليم حكيم لا يرشد أولياءه إلا لما هو أسلم لدينهم ودنياهم، وأحسن عاقبة.

فإذا اشتدت الحال وبلغت الشدة نهايتها جاء الفرج، وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

يقول: ((اشتدي أزمة تنفرجي))، إلا أن الفرج قد يتأخر لمصلحة يعلمها الله، فحصول الفرج تابع للمصلحة التي يعلمها الله فقد يتأخر كثيراً، وقد يتأخر قليلاً، وقد... وقد.. تبعاً للمصلحة التي يعلمها الله تعالىٰ.

وقد تكون المصلحة في استمرار الشدة علىٰ المؤمن إلىٰ الموت فيكون تفريجها بالموت.

[فوائد من سورة النساء]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا①﴾ [النساء]، **فيها هنا فوائد، منها**:

- نوع من أنواع البديع وهو ما يسمى (براعة الاستهلال) وهو أن يذكر المتكلم في بداية كلامه ما يشير إلى الموضوع الذي يريد أن يتكلم عنه، وفي أول هذه السورة قد أشار إلى موضوعها الذي تضمنته وهو: الأحكام المتعلقة بالرجال والنساء في باب النكاح والطلاق واليتامى ومواريث الرجال والنساء و...إلخ.
- وفيه: أن بين الناس عامة واشجة رحم يجب أن توصل.
- أن للرحم شأناً كبيراً عند الله، وأن على الناس أن يعظموا ما عظم الله منها، ويراعوا حقوقها ويتقوا قطيعتها.
- أنه يجوز السؤال بالله تعالى، ولكن حيث يجوز السؤال لا حيث يحرم.
- وأنه يجوز السؤال بالرحم فيقال: أسألك بالرحم التي بيني وبينك أن تكف عني.
- أن للسائل بالله حقاً على المسؤول، وتفصيل ذلك:

أ-أن تسأل الرجل بالله حقاً هو لك عليه كالدين أو الوديعة أو نحو ذلك فيتأكد وجوب إعطاء السائل حقه.

ب-أن تسأله بالله كف الشر عنك فإنه يتأكد على المسؤول بالله وجوب كف الشر عنك وتحريم فعله.

ج-أن تسأله بالله أن يفعل مندوباً كإجابة دعوتك إياه للضيافة فإنه يتأكد الندب.

د-أن تسأله بالله في أن يكف عن فعل المكروه فإن المكروه تتأكد كراهته وتزداد بسبب السؤال.

- وهكذا الحكم في السؤال بالرحم.
- وقد جاء في الرواية أن النبي ﷺ كان يوصي الصحابة والمسلمين بالإحسان إلى أهل مصر إذا افتتحوها لما لهم من الرحم في مصر، وذلك لأن أم نبي الله إسماعيل كانت أَمَةً مصرية، وإسماعيل هو أبو العرب.
- يستفاد من هذه الآية كيفية من كيفيات الاستدلال على المعرضين عن الله والمبتعدين عن تعظيمه، وذلك:

أ- أنه ابتدأ مخاطبة الناس بالتحذير من سخط الله ونقمته وشديد عقابه، والناس على جهة العموم إذا سمعوا مثل ذلك التحذير الذي ينذر بحلول مهلكة فإنهم يستمعون إليه ويفتحون عيون قلوبهم للنظر في مدى صحته، ويتحذرون من الوقوع فيه حتى ولو لم تبلغ صحته الظن؛ لأن أهل العقول وإن ضعفت يتحرزون عن الوقوع في المهالك ولو كانت مشكوكة أو موهومة أو محتملة.

فإذا قيل لك مثلاً: إن في تلك الطريق قوماً ينهبون المسافرين فإنك تتحذر من المرور فيها ولو كان المخبر لك غير ثقة حتى تتأكد من عدم صحة خبره، فبهذا الأسلوب خاطب الله المكلفين ليوقظ عقولهم للتفكير والتدبر.

ب-ثم لفت سبحانه وتعالى أفكار المخاطبين إلى أن الذي أمروا بتقواه والحذر من سخطه وعذابه هو ربهم الذي خلقهم من نفس واحدة وخلق منها زوجها، فأوقفهم على عظمته وبالغ قدرته وأنه حقيق لأن يتقى سخطه، وأن يسمع له ويطاع لما له من المنن عليهم ولما له من القدرة البالغة عليهم وعلى كل شيء.

ج-ثم لفت أنظارهم بأن ربهم الذي يتساءلون به حقيق بأن يتقى لأنهم يتساءلون به لعظمته وبالغ قدرته وسلطانه عليهم فحقيق بمن كان كذلك أن يُخاف منه، ويتقى، ويسمع له ويطاع.

- كما يستفاد من هذه الآية تأريخ ابتداء النوع البشري على وجه الأرض، وكيفية تكاثره، وأن البشر جميعاً من أصل واحد هو آدم وحواء.

- وأن الله تعالى خلق آدم أولاً، ثم خلق زوجته حواء.
- قوله: ﴿وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يحتمل أن الله تعالى خلق حواء من جسم آدم، ويحتمل أنه خلقها من الطينة التي خلق منها آدم، وهذا أقرب عندي إذ أن المعنى الذي يفيده السياق هو أن الله خلق حواء من نفس نوع آدم ومن جنسه وعلى صفته ليأنس آدم بحواء ويطمئن إليها، وهكذا جميع بنات حواء فإنهن خلقن من أصل خلق الرجل وعلى جنسه ومن نوعه وعلى صفته ليأنس كل رجل إلى زوجته ويطمئن إليها ويميل برغبته ومحبته إليها؛ فذكر الله تعالى ذلك هنا ليمتن على عباده ويذكرهم بعظيم نعمته عليهم حيث خلق لهم من جنسهم زوجات يأنسون بهن ويرغبون فيهن ويميلون إليهن.

فهذا هو المعنى الذي يريده الله في هذه الآية، وليس المراد أن يبين أنه تعالى خلق حواء من ضلع آدم أو من جسمه.

وقد يقرب صحة هذا التفسير إلى الأذهان ما روي في حديث المجموع: ((إني خلقتكم من طينة عليين وخلقت شيعتكم منكم))؛ فإن قوله: ((وخلقت شيعتكم منكم)) معناه: أن شيعتكم مجبولون على ما جبلتم عليه من الإيمان والإخلاص والتقوى وحب الله تعالى وحب رسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحب أهل بيته و..إلى آخره، لذلك فإنهم جنس واحد ونوع واحد وعلى صفات واحدة لا يفارق بعضهم بعضاً في خلق حميد وإن كان ثمّ فوارق فإنما هي فوارق النسب والأرحام والآباء والأجداد والقبيلة، وهي لا تعتبر فوارق مع وحدة الإيمان والإخلاص والتقوى وحب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم وحب أهل بيته والاستقامة على الحق و..إلخ.

وأما فوارق الدرجات عند الله فلا تعتبر فوارق في هذا الباب؛ فالحسنان من علي وعلي من النبي صلى الله عليه وآله وسلم وذراريهم منهم وشيعتهم منهم، ولكلٍ فضله.

فعلي أفضل من الحسن والحسين ((وأبوهما خير منهما..)) ونبي الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل من علي عليه السلام، والحسنان أفضل من علي بن الحسين ومن زيد بن علي،

وأهل الكساء أفضل من ذراريهم، و......الخ.

وأئمة أهل البيت وعلماؤهم ومؤمنوهم يتفاضلون، وشيعة أهل البيت يتفاضلون، ومع ذلك فقد جمع الله بين الجميع وساواهم فيما ذكرنا سابقاً من تفسير حديث المجموع.

- وقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾: تخويف إثر تخويف، وتحذير إثر تحذير ليدفعهم الله تعالى بذلك التخويف والتحذير إلى الوقوف والنظر والتأمل لأن الإنسان إذا خوف تخوف ونظر فيما خوف منه وتأمل خبر المخوف له ونظر فيه وتابع النظر والتأمل حتى يعلم صحة ما خوف منه أو بطلانه، فعلى هذا الأسلوب جاءت هذه الآية فتأمل وانظر..
- ويزيد في تخويف المخاطبين في هذه الآية تقديم ﴿عليكم﴾ على ﴿رقيباً﴾ فإن التقديم يفيد أن على المخاطبين رقابة مركزة وخاصة بهم تراقب حركاتهم وسكناتهم ومصادرهم ومواردهم.

وبما أن المخاطبين من أهل اللغة العربية فإنهم يفهمون ذلك فهماً جيداً، ويعون هذا المعنى الذي ذكرناه أكمل وعي، ويزيد في تأكيد خوفهم أن الرقيب عليهم هو الله الذي خلقهم وخلق البشر جميعاً والذي يتساءلون به.

- ويزيد في تأكيد خوفهم أن الذي جاء بهذا التهديد وأوصله إليهم هو محمد بن عبدالله الذي عرفوه بالصدق والأمانة والوقار ووفرة العقل والحكمة والسداد، مؤكداً خبره بأنواع من التوكيد المعهود عندهم في لغتهم.
- وبناءً على ما ذكرنا فينبغي لمن يدعو إلى دين الله أن ينهج ذلك الأسلوب القرآني الذي شرحناه وأوضحناه؛ إذا كان المقام مناسباً لمثل هذا الاستدلال، وثم أساليب أخرى وطرق للاستدلال في القرآن الكريم.
- خاطب الله تعالى الناس عموماً في هذه الآية وأمرهم بتقواه من غير أن يبين هنا كيف يتقى، فيدل ذلك على أنه يجب على كل مكلف أن يعرف كيف يتقي

ربه، وذلك بمعرفة ما ألزمه الله وأوجبه عليه وما حرمه عليه ونهاه عنه، فيفعل ما أوجبه ويترك ما حرمه.

- وفي الآية دليل على أن من فعل الواجب وترك المحرم خوفاً من الله ومن عذابه أن نيته صحيحة وعمله صحيح ومقبول عند الله، وقد خالف في صحة مثل هذه النية بعض العلماء، ولكن في هذه الآية وغيرها من الآيات ما يحجه.
- ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمُ﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ﴾ لم يذكر الله تعالى رسولاً من رسله في القرآن الكريم إلا كانت أول رسالته إلى قومه الأمر بتقوى الله، وهي كما ذكرنا سابقاً كلمة تبعث في نفس المخاطب الخوف وتدعوه إلى النظر والتأمل..إلخ.

إلا أننا في هذا الزمان أصبحنا لا نفهم معنى هذه الكلمة، فينبغي للواعظ إذا أمر بتقوى الله أن يشرح المعنى المراد للمخاطبين حتى يفهموا المعنى ويتحققوه.

📖 قوله تعالى: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٤]:

ثواب الآخرة الجنة وما فيها من النعيم والدرجات، وثواب الدنيا نحو الوجاهة في الدنيا، والمودة في قلوب الناس، والمهابة في نفوسهم، والثناء الحسن، والتوقير والتعظيم، وصلاح الذرية، وصلاح الأزواج، وصلاح العقل والفهم، وزيادة التنوير والألطاف، وزيادة العلم، وسعة الرزق الحلال والتوفيق لإنفاقه فيما يحبه الله ويرضاه.

ومن ذلك رحابة الصدر، وكرم الأخلاق، والحلم والعفو، والسماحة والكرم، والشجاعة والتواضع، و...إلى آخر مكارم الأخلاق، كل ذلك من ثواب الدنيا، وقد يعطيها الله تعالى تفضلاً.

📖 قول الله تعالى: ﴿لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنْثَيَيْنِ﴾ [النساء:١١]:

فرض الله تعالى للأنثى مثل نصف أخيها من تركة مورثهما، ويمكننا استخراج الحكمة في هذا التشريع الحكيم، أو بعضها فنقول:

١- الأنثى تتزوج ويكفلها زوجها بكل ما تحتاج إليه.

٢- الزوج يتزوج فيتكلف النفقة على زوجته، ثم على أولاده بالإضافة إلى نفقة نفسه.

٣- يعرض للرجل أسباب وعلل يلزمه فيها حقوق مالية، كالضيافة والجهاد، وحقوق الإخوان والأصحاب والأرحام، والأنثى بعيدة عن مثل هذه العوارض.

٤- يحتاج الرجل إلى آلات التنقل والسفر وقد يحتاج إلى بناء بيت والأنثى غنية عن مثل ذلك.

📖 **سؤال**: قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨]، كيف تفسيرها؟

الجواب:

التفسير الصحيح هو أن هذه الآية جاءت لتعظيم الشرك بالله، ولهذا جاء في آخرها: ﴿وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا﴿٤٨﴾﴾ [النساء].

وأفادت أن الشرك أعظم المعاصي وأكبرها عند الله.

وقوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ معناه: أن الله تعالى يغفر ما دون الشرك من المعاصي إما بالتوبة في الكبائر، أو بغير توبة في الصغائر، ومن الصغائر ارتكاب الكبائر خطأً أو جهلاً أو نسياناً، أو على جهة التأويل والاجتهاد.

فإن قيل: إذا كان الله تعالى لا يغفر الكبائر إلا بالتوبة، فالشرك كذلك يغفره الله تعالى بالتوبة، فما فائدة الآية؟

قلنا: الفائدة في الآية أن معصية الشرك لا تغفر إلا بالتوبة، أما الكبائر الأخرى فقد يغفرها الله تعالى بغير توبة، وذلك إذا وقعت عن طريق الخطأ أو النسيان أو الجهل أو التأويل بخلاف الشرك.

وهذا هو الذي ينبغي أن يحمل عليه تفسير الآية، وبما ذكرنا يظهر الفرق بين الشرك وبين المعاصي الأخرى؛ فالشرك لا يغفره الله تعالى إلا بالتوبة، أما سائر

الكبائر فقد يغفرها الله تعالى بغير توبة لمن يشاء وهم من ذكرنا، وقد يغفرها بالتوبة.

ودليل ما ذكرنا: الإجماع على الحكم بالنار لكل مشرك مطلقاً، سواء أكان الشرك عن طريق العمد، أم عن طريق الخطأ والنسيان، والجهل والتأويل.

ويدل على ذلك أيضاً هذه الآية: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ فإن فيها دليلاً على أن الله تعالى لا يغفر الشرك، ولا يتجاوز عنه على أي صفة تلبس به المكلف من خطأ أو نسيان أو جهل أو تأويل، اللهم إلا ﴿مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا..﴾ الآية [النحل:١٠٦].

هذا، وأما الكبائر الأخرى غير الشرك فالدليل على أن الله تعالى يغفرها بغير توبة لمن ارتكبها على طريق الخطأ والنسيان أو الجهل والتأويل قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

ويمكن الاستدلال على ذلك أيضاً بالإجماع والاتفاق بين المسلمين، وذلك من أقوالهم فيما جرى من الصحابة، وما شجر بينهم.

ونزيد ذلك وضوحاً فنقول: قوله تعالى: ﴿وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إن في: ﴿لِمَنْ يَشَاءُ﴾ إجمالاً، قد تولى الله سبحانه وتعالى بيانه وتوضيحه في كتابه وعلى لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فمن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥].

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة:٢٨٦].

وفي الحديث: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)).

وقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى ﴿٨٢﴾﴾ [طه]، ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ﴾ [النساء:٩٣]، وغير ذلك كثير في القرآن والسنة.

ويزيد ما قلنا وضوحاً أيضاً أن الله تعالى يقول: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...﴾ الآية [الأعراف:١٥٦]، ﴿سَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ

وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴿١٣٣﴾﴾ [آل عمران] إلى آخر الآيات.

وهناك آيات كثيرة لا تحصى تنص على أن الجنة أعدها الله للمتقين، وليس في القرآن آية تنص على أن الله أعد الجنة للفاسقين الذين يرتكبون الكبائر بل فيه قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ كَانَ مُؤْمِنًا كَمَنْ كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ...﴾ الآية [السجدة].

📖 قال تعالى في القرآن: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختلافا كَثِيرًا﴿٨٢﴾﴾ [النساء]، المعنى والله أعلم: أن القرآن على سعته وطوله وكبره- على غاية من الإحكام والإتقان في جميع فنونه:

- ففي باب البلاغة ترى كل آية وكل سورة وكل جملة وكل مقطع في غاية الإتقان والإحكام، وأعلى مراتب الفصاحة والبلاغة، لا يختلف ذلك من آية لآية، ومن سورة لسورة، بل ذلك صفة عامة لكل آياته على كثرتها.
- وفي باب التاريخ وقصص الأنبياء، وسيرة النبي ﷺ، وأخبار المشركين، وأخبار المنافقين، فأي القرآن جاء من ذلك فإن أهل الكتاب والمشركين والمنافقين لم يستطيعوا أن يطعنوا في صحة ما جاء من الخبر في القرآن، وهكذا إلى آخر فنون القرآن.
- ﴿لَوَجَدُوا فِيهِ اختلافا كَثِيرًا﴿٨٢﴾﴾، المفردات:

«فيه» يعني: في ألفاظه المشتملة على معانيه.

«اختلافاً»: مصدر اختلف، والاختلاف لا يكون إلا بين اثنين فأكثر.

والاختلاف يكون بين العقلاء وغيرهم، بدليل: ﴿مختلف أكله﴾، والاختلاف ورد في الآية مطلقاً.

يصدق هذا الاختلاف على مثل ما نجده مثلاً في قصائد الشعر المشهورة وغيرها، فمعلقة امرئ القيس من أشهر قصائد العرب- تختلف بلاغتها من

بيت لبيت، وترتفع في بيت، وتتدنى إلى حد بعيد في بيت، ويحسن في بيت، ويسيء في بيت، وقد لا يكون في القصيدة الطويلة إلا بيت واحد يحسن فيه الشاعر، ويسلم فيه من المطاعن، ويسمى: (بيت القصيد).

أما القرآن فإن كل جملة من جمله، وكل آية من آياته في غاية الإحسان، وأعلى طبقات البيان، لا يجد الطاعن فيه موضعاً للطعن، فأينما وضع بصره فيه تبهره البلاغة وحسن البيان.

أما أرفع كلام البشر ويتمثل في المعلقات السبع، فسبل الطعن شارعة، وأحسن المعلقات معلقة امرئ القيس، وقد طعن عليه في أبياتها بأكثر من مائة طعن، وهذا الاختلاف -في ظني- هو المقصود في الآية.

ودليل ذلك: أن الله تعالى يبرهن على صحة القرآن، وأنه من عند الله، وبرهان الله تعالى الذي جعله حجة على عباده في القرآن هو بلاغته العالية.

📖 بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا...﴾ [النساء:٩٤]، **في ذلك:**

١- أن المكلف يكون مسلماً بإظهار الشهادتين، وبذلك يدخل الكافر في الإسلام سواء أقالها مكرهاً أم طائعاً أم خائفاً.

٢- أن علينا معاملة الناس بحسب ما ظهر منهم.

٣- إذا ادعى الرجل أمراً لا يعرف إلا من قبله فالقول قوله، وذلك نحو أن يعترف الرجل بدين لآخر ويوصي في ماله بوصايا ويقر لرجل بمال، فيدعي ورثته أنه إنما يريد بذلك حرمان الورثة فإن القول قول المعترف والمقر والموصي، ومن كان القول قوله فعليه اليمين عند التشاجر إن طلبت منه.

- وفي ذلك أن من ترك ما حرمه الله تعظيماً لله وخوفاً منه فإن الله

سيعوضه ويعطيه ما هو أفضل مما ترك: ﴿فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾.

- الدعوى لا تقبل إلا ببرهان.
- أن الظن لا يكفي في الحكم على الغير أو على عرضه أو ماله.
- وأن الإيمان الجملي كافٍ.

📖 بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَاءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ١١٤﴾ [النساء]، في ذلك:

١- التنبيه على حفظ اللسان من الخوض فيما لا يعني.

٢- وأن للآمر بالصدقة والإصلاح بين الناس شأناً عظيماً، ودرجة رفيعة عند الله تعالى، وذلك لأنهما داخلان في إطلاق كلمة: «أو معروف»، إلا أنهما خصا بالذكر لزيادة الحث عليهما والترغيب فيهما وبيان فضلهما.

٣- ولعل زيادة فضل الأمر بالصدقة والأمر بالإصلاح بين الناس هو لما يترتب عليهما من صلاح دنيا الناس، وصلاح معيشتهم واستقرارها؛ فبالإصلاح بين الناس يتوفر الأمن بين الناس فيمكنهم التجارة والزراعة والصناعة والتواصل والتعاون.

وبالصدقة يشبع الجائع ويكسى العاري ويتزوج الأيم، وبهذين تقوم الحياة الدنيا، وتعمر الأرض، وتستقر المعيشة، ويكثر النسل، وتتطور الأمم، وإذا ما صلح أمر الدنيا أمكن قيام أمر الدين وانتشاره.

٤- يمكن أن يقال: إن توسط الأمر بالمعروف بين الأمرين يشير إلى أن قيامه لا يقوم إلا بقيام الأمرين.

٥- وفي الآية أن الوعد من الله بالأجر العظيم على تلك الأعمال الثلاثة لا يحصل إلا بحصول النية الخالصة لوجه الله بمعنى أن يكون الباعث والدافع للمكلف إلى الأمر بالصدقة هو طلب رضوان الله ورجاء ثوابه.

٦- وفي ذلك ما يدل على أنه يشترط في قبول كل ما يتقرب به إلى الله حصول تلك النية التي ذكرنا.

٧- الآية نزلت في جماعات من المسلمين كانت كل جماعة تجتمع للمناجاة والكلام، فيخوضون في الكلام من غير تحرّج منهم عما لا ينبغي الخوض فيه، فنبههم الله تعالى على سوء صنيعهم، وأرشدهم إلى ما ينبغي أن يخوضوا فيه من الكلام.

📖 قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴿١١٤﴾﴾ [النساء]، ذكر الله تعالى هنا ثلاثة أعمال مبرورة وعد الله تعالى العاملين لأيها أو لها أجراً عظيماً وهي:

١- الأمر بالصدقة.

٢- الأمر بالمعروف.

٣- الأمر بالإصلاح بين الناس.

وهنا فوائد:

١- أن لهذه الأعمال الثلاثة شأناً عظيماً عند الله تعالى، ووجه عظمة شأنها عند الله كما يظهر لي أنه يترتب عليها صلاح الدنيا واستقرار الأمن والسلام والسلامة من الفساد والخراب والدمار، وذلك أن الصدقة تغطي حوائج الفقراء، ويترتب على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر غياب الفساد والظلم والشرور والآثام وحصول الخير والرحمة والتعاطف والتبار والتواصل والإخاء، و..إلخ، وبالإصلاح بين الناس تحصل السلامة من تلف الأرواح وتلف الأموال وأمن السبل، فيتوفر الناس حينئذ على تنمية معارفهم وتنمية أموالهم، و...إلى آخره.

وبما ذكرنا تعرف أن تلك الأعمال الثلاثة إذا توفرت عاش الناس في سعادة وأمن، وتوفرت أسباب المعيشة، ونمت الأموال والتجارات، وعمرت المساجد والمدارس،

وكانت السبل عامة مفتوحة أمام الناس، فمن أراد العبادة فطريقها مفتوح، ومن أراد العلم فطريقه مفتوح، ومن أراد التجارة فأسبابها متوفرة، و..إلخ.

٢- ترتيب الخصال الثلاث في الذكر يشير إلى أن الصدقة أفضل الخصال الثلاث، ثم الأمر بالمعروف، ثم الإصلاح بين الناس، ولعل السر في ذلك أنه يترتب على الصدقة حفظ النفوس، والمحافظة على حياة النفس أولى من المحافظة على جلب المصالح الدينية والدنيوية ودرء المفاسد.

والإصلاح بين الناس وإن كان فيه المحافظة على حياة النفس يجيء في المرتبة الثالثة؛ لأنه يترتب عليه مصالح خاصة بالمتنازعين، والمصالح العامة أولى من المصالح الخاصة.

٣- أن قبول الأعمال الصالحة وحصول الثواب على فعلها مشروط بأن تكون الأعمال الصالحة مقرونة بالنية المخلَصة لوجه الله لا يصحبها غرض دنيوي.

٤- أن محل النية القلب، وهي أن يكون الدافع للمكلف إلى العمل الصالح هو الرغبة في رضوان الله، وقد حكى الله تعالى عن موسى عليه السلام قوله: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ ﴿٨٤﴾﴾ [طه].

- إذا فعل المكلف العمل الصالح، وكان الدافع له إلى عمله هو الرغبة في قضاء حاجة الفقير والمسكين والرحمة باليتيم والأرملة ونحو ذلك فهي نية صالحة؛ لأن الله تعالى يحب ويرضى قضاء حاجة الفقير والمسكين، ويحب ويرضى الرحمة باليتيم والأرملة، ومن رغب في الصدق وتحراه في قوله، وتجنب الكذب وتحرى الابتعاد عنه؛ لأنه يحب الصدق ويكره الكذب فنيته صالحة، وذلك لأن الله تعالى يحب الصدق ويرضاه، ويكره الكذب ويسخطه.

٥- جاءت تلك الأعمال مطلقة في الآية مما يدل على أن أي واحد منها وإن قل أو دق أو صغر له وزنه عند الله، وله نصيب من الأجر العظيم، فحقيق بالمؤمن أن لا يستقل شيئاً من ذلك ولا يستصغره.

٦- قد يؤخذ من هنا أن النجوى مكروهة إلا إذا كانت بالبر والتقوى والعمل الصالح، وأما إذا كانت المناجاة بالإثم والعدوان فإنها محرمة بنص القرآن: ﴿فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى...﴾ [المجادلة:٩].

📖 قال الله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٣]:

تميل بالبشر طبائعهم وشهواتهم إلى طلب متاع الحياة الدنيا وزينتها، ولا يزالون في طلب ذلك والسعي إليه على طول أعمارهم لا يكلون ولا يملون، فأعلن الله تعالى إلى هؤلاء على ألسنة رسله عليهم السلام أنكم أيها العباد إذا كنتم تريدون ثواب الدنيا وتقضون أعماركم في طلبه، فإن عند الله ما تطلبون من ثواب الدنيا ومتاعها مع شيء آخر من الثواب وهو ثواب الآخرة ونعيمها الذي لا ينقطع ولا يزول، فما بالكم لا تقبلون إلى ما تطلبون وإلى أعظم مما تطلبون، من عند من يملك ذلك كله، وخزائنه بيده، مع أنه لا يكلف من العمل إلا اليسير، وأعلن تعالى أنه يضاعف لعباده الأجور إلى عشرة أضعاف وإلى سبعين ضعفاً وإلى سبعمائة ضعف و..إلخ.

📖 قوله تعالى: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٤]:

ثواب الآخرة هو المغفرة ودخول الجنة ورضوان الله تعالى، وثواب الدنيا هو مثل ما ذكرنا في تفسير: ﴿أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ﴾ ومثل ما ذكر في قوله تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾ [نوح].

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ۝١٥٩﴾ [النساء]:

١-يؤكد الله تعالىٰ أن اليهود الذين كفروا بعيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ وكذبوه وبهتوا أمه لا بد أن يؤمن كل واحد منهم بعيسىٰ ويصدق به ويعلم أنه رسول الله وذلك عند موته حين لا ينفعه الإيمان.

ويحصل ذلك بأن يُريَ اللهُ المحتضرَ من اليهود آية دالة علىٰ نبوة عيسىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٢- وقد يحصل ذلك بأن يصور الله تعالىٰ للمحتضر من اليهود صورة عيسىٰ كما هي، تحمل ما يدل علىٰ صدقه ضرورة، وقد روي عن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أن عدوه سوف يراه عند موته.

هذا، وقد سمعت عن الكثير من المحتضرين الصالحين أنهم أخبروا عن مشاهدتهم لبعض العلماء الأخيار.

[فوائد من سورة المائدة]

📖 قال تعالىٰ: ﴿فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ...﴾ [المائدة:٣١]، **في ذلك:**

- أن علىٰ الإنسان أن يتعلم ويكتسب المعارف من حيث ما وجدها بغض النظر عن حقارة مصدر العلم.
- وأن الإشارة تفيد ما يفيده الكلام.
- وأن القياس طريق إلىٰ معرفة الحكم الشرعي.
- وأن للمؤمن حرمة وكرامة بعد موته.
- وأنه لا ينبغي كشف وإفشاء ما يوجد من جثة المؤمن من رائحة كريهة أو نحوها.
- وأنه ينبغي الإسراع بتقبير الميت، ولا ينبغي تأخير التقبير حتىٰ يتغير.
- وأن علىٰ المؤمن في حياته الدنيا أن يتنزه عن الأقذار والأوساخ، وأن ينظف بدنه وثيابه حتىٰ لا تظهر منه رائحة كريهة، ولا يظهر علىٰ بدنه أو ثيابه ما يتقذره الناس.
- وأن الميت المؤمن يلف في كساءٍ غامر، ويرش أو يمسح بشيء من الطيب، وكل ذلك لئلا يظهر منه ما يتقذر من شوهٍ في جسمه أو رائحة منه.
- أنه يلزم العالم أن يعلم الجاهل ما يجب عليه وقت الحاجة.
- أنه يلزم تعميق القبر وإحكام دفن الميت حتىٰ لا تظهر منه رائحة، ولا تستطيعه السباع.
- إذا دعت الحاجة لتأخير دفن الميت فيحفظ في ثلاجة، فإن لم يمكن حفظه من التغير والتفسخ فيحفظ في قبره، فإن دعت الضرورة لنبشه فلا بأس في نبشه للضرورة ثم يدفن.
- وقد يؤخذ من هنا استحباب تغميض الميت عند موته، وربط ذقنه حتىٰ لا ينفغر فوه، وتسوية أعضائه، وكل ذلك من أجل ستر سوءته.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: وردت سؤالات من أحد طلاب العلم تتعلق بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [المائدة]، وسيكون الجواب على المهم منها، ونكتفي بالجواب عن السؤال وسيفهم السؤال من ذكر الجواب ومن الله التوفيق:

- القصر بـ «إنما» جاء لقلب اعتقاد المخاطبين، فإنهم كانوا قد اعتقدوا أن للمحاربين جزاءً آخر غير هذا.
- والغرض من توكيد الكلام في هذه الآية هو رد اعتقاد المخاطبين.
- ليس فيها من التأخير والتقديم ما يبعث على السؤال.
- وجيء بكلمة الحرب هنا لبيان العلة في استحقاقهم للجزاء، وهكذا جيء بالاسم الموصول من أجل بناء الحكم على الصلة.
- وجيء بصيغ العموم من أجل شمول الحكم لكل من يدخل تحت الصيغة.
- عطف بالواو أولاً لأن العلة مجموع الأمرين المحاربة والسعي بالفساد، وبأو آخراً من أجل أن الحكم هو واحد من المتعاطفات لا مجموعها.
- السعي يتعدا بـ «في» والنفي بـ «من».
- وجيء بالمضارع من أجل أن الحكم بذلك في المستقبل لا في الماضي.
- سكوت الشارع عن البيان بيان.
- وأحكام الله تعالى جميعاً مبنية على مصالح العباد، سواء ما في هذه الآية وغيرها.
- حد المجمل والمبين صحيح واضح فيه: المجمل ما لم يفهم المراد به تفصيلاً، والمبين بخلافه.
- وفيها أمثلة للمفهوم ولبناء الحكم على الوصف.

- وكل آيات القرآن بليغ، يدل على أنه ليس من كلام البشر.

📖 قال الله جل جلاله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة٥٤]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴿٣٨﴾﴾ [محمد]، **يؤخذ من ذلك:**

١- أن الظالمين وسلاطين الباطل لا يستطيعون طمس الدين الحق ولو بلغوا في الظلم والجبروت ما بلغوا من القتل للمتدينين والفتنة للعوام.

٢- أن الله غير محتاج في إظهار دينه إلى أوليائه المؤمنين.

٣- أنه لا ينبغي أن يحزن المؤمن إذا رأى مسارعة إخوانه المؤمنين إلى الدخول في الفتنة؛ لأن الله تعالى سيأتي بخير منهم.

٤- أنه كان في المؤمنين من ليس بمحمود عند الله.

٥- أن الله تعالى يستر عيوب عباده ولا يحب كشفها، وإنما يهدد ويعاتب تعالى عباده بالتعريض والإجمال، دون التصريح والتوضيح.

[فوائد من سورة الأنعام]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ۝٨ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ۝٩﴾ [الأنعام]:

اقترح المشركون وطلبوا أن ينزل الله تعالى ملكاً لينذر الناس، أو ليصدق النبي ﷺ في دعوته للرسالة، فرد الله تعالى على قريش هذا الطلب وهذا الاقتراح؛ لأن في إنزال الملك على حسب اقتراحهم هلاكهم واستئصالهم جميعاً.

وعلى فرض سلامتهم من الهلاك فإنه تعالى لو أنزله لصوره لهم في صورة رجل ليتم بينهم وبينه التخاطب وتوضيح الرسالة، وإذا كان الملك على صورة رجل حصل عندهم الالتباس، ولم يصدقوا أنه ملك.

- وهلاكهم بإنزال الملك إليهم يحتمل أنه:

١- إما لأن بنية البشر وطبيعتهم التي طبعهم الله تعالى عليها لا تقوى على رؤية الملك على صورته الحقيقية، ولا تبقى الروح في البدن عند رؤيته؛ فإذا رأوه ماتوا، ولا يبقى أحد ممن يراه.

٢- وإما لأن المشركين إذا أنزل الله إليهم الملك ورأوه على صورته التي خلقه الله تعالى عليها ثم لم يؤمنوا به استحقوا الاستئصال والهلاك؛ لأن سنة الله تعالى في الذين لا يؤمنون بعد أن يريهم الله تعالى آية بينة من شأنها أن يصدق بها العقل ضرورة أن يهلكهم ولا يمهلهم.

وقد علم الله تعالى أن قريشاً والمشركين لا يؤمنون إذا أنزل إليهم ملكاً أو أعطاهم آية عظيمة يصدق بها العقل ضرورة، واقتضت حكمته ألا يستأصلهم بعذاب محيط لا يبقي منهم باقية، إما لعلمه تعالى بأنه يكون من ذراريهم من يوحد الله ويعبده ويدين بدينه، وإما

لمصلحة وحكمة لا نعلمها؛ لذلك لم يعطهم من الآيات ما اقترحوا استبقاءً لهم.

- وقد قال تعالى في رد مثل هذا الاقتراح: ﴿وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ﴾ [الإسراء:٥٩]، أي فاستحقوا عذاب الاستئصال المحيط بهم الذي لا يبقي ولا يذر.

فإن قيل: إن القرآن الكريم من أعظم الآيات وأكبر معجزات الأنبياء، وقد كذب به المشركون فلم يهلكهم الله تعالى ولم يستأصلهم.

فيقال: القرآن الكريم هو كذلك إلا أنه ليس آية ضرورية بل هو آية استدلالية تحتاج إلى نظر واستدلال، فإذا تدبر سامعه لآياته وتفكر فيها علم صحتها وإعجازها.

ودليل ذلك: قوله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴿٢٤﴾﴾ [محمد].

📖 قال الله جل شأنه وتعالى سلطانه: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام:٣٨]:

اشتمل القرآن الكريم على كل ما يحتاج له المسلمون من الأحكام والشرائع في جميع المجالات، ومن ذلك علم التصوف الذي هو عبارة عن: «العبادة والزهد والورع والإخلاص، وتوجه النفس توجهاً كلياً إلى الله بحيث لا يبقى لها في متاع الدنيا وزينتها رغبة ولا طمع ولا شهوة».

وقد بين الله تعالى في كتابه الطريق الموصلة إلى الله وإلى عبادته والإخلاص في طاعته والخوف منه، وهي:

- التدبر لكتاب الله تعالى، فإن ذلك كفيل بالوصول إلى المطلوب ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر:٢١].
- ومن الطرق المتفرعة من القرآن: استماع المواعظ سواءً أكانت منظومة في شعر أم غير منظومة.
- والتفكر الطويل في نعم الله تعالى على المتفكر، وفي كثرتها، وفي مصاحبتها له

منذ خروجه إلى الدنيا و..إلخ.

- والتفكر في عظمة الله وسعة علمه وإحاطة قدرته و...الخ، ويتمثل ذلك بالتفكر فيما خلق الله من كل صغير وكبير، فإن في ذلك آيات عظيمة دالة على ذلك.

- التفكر في تقصير العبد في شكر الله وذكره، وفي كبير غفلته وكثير تفريطه وتضييعه.

📖 قال تعالى: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٥٤﴾﴾ [الأنعام]:

كل من فعل معصية الله تعالى فإنه يتصف بالجهالة ويشهد لذلك حديث: ((لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن....إلخ)).

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام]:

يسلط الله تعالى بعض الظالمين على بعض جزاءً لهم على ظلمهم، هكذا جرت سنة الله في عباده، لذلك قال الشاعر:

وما ظالم إلا سيبلى بظالم

وقال آخر:

فقل للشامتين بنا أفيقوا سيلقى الشامتون كما لقينا

وقد يؤخذ من ذلك:

١- أنه لا يجب على المؤمن التوسط والإصلاح بين المجرمين إذا اقتتلوا.

٢- اقتتال المجرمين فيما بينهم عقوبة من الله عاجلة فلا ينبغي للمؤمن أن يدخل مع طرف خوفاً من أن تناله العقوبة النازلة بهم.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴿١٢٩﴾﴾ [الأنعام]:

- من أنواع عذاب الله تعالى في الدنيا تسليط الله تعالى بعض العصاة على بعض، وتخليته بينهم يتقاتلون، ويتعادون، ويتضاررون.

وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دِفَاعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة:٢٥١]، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴿٤٠﴾﴾ [الحج]:

في هاتين الآيتين يبين الله تعالى الحكمة من تخليته بين الناس فيجري بينهم عداء وخصام وخوف شديد، وقتل وقتال بين أمة وأمة، أو بين دولة ودوله، أو قبيلة وقبيلة، أو بين حزب وحزب، أو بين أهل مذهب وأهل مذهب، فيذهب من الفريقين في ذلك القتال الجم الغفير من أشرار الفريقين وشياطينهم، ويَكِلّ بذلك القتال حد الفريقين، وتكسر الشوكة، وتنهار القوة، فيؤدي ضعف المتقاتلين إلى قلة الفساد في الأرض، وقلة البغي والعدوان، فيأمن الناس ويقل خوفهم وتسلم دورهم ومزارعهم ومعابدهم وأموالهم وذراريهم.

- وسمى الله تعالى ذلك نصراً لأوليائه المؤمنين، والحمد لله الحكيم العليم الرحمن الرحيم، فإنه يكفي أولياءه المستضعفين شر أعدائهم بأن يسلط بعضهم على بعض، فيتقاتلون ويتفانون على مرأى ومسمع منهم.

وقال الله سبحانه: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى]:

- قد تنشب الحرب بين طائفتين من العصاة المتمردين فيتأذى المؤمنون من هذه الحرب، ويلحقهم منها شيء من البلاء كخراب البيوت، والنزوح من بيوتهم، وشيء من الخوف، وفساد زروعهم وثمارهم، وضياع أموالهم، وشيء من الفقر والعراء وعدم المأوى.

فتكون الحكمة -والله أعلم- هي ما ذكرنا أولاً في تفسير الآيتين السابقتين تماماً، بالإضافة إلى شيء آخر وهو أن يكون ما لحق المؤمنين والمستضعفين جزاءً لهم على ما فرط منهم من عصيان، وغفلتهم عن شكر الرحمن.

[فوائد من سورة الأعراف]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ...﴾ [الأعراف:١١]: ذكر الله تعالى هنا ثلاث نعم أنعم بها على بني آدم وهي:

الخلق لهم، والتصوير لهم في أحسن صورة، وأمره تعالى للملائكة بالسجود لأبيهم آدم فسجدوا إلا إبليس، والمقام هنا هو في تذكير بني آدم بنعم الله عليهم، وحينئذٍ فلا حاجة إلى تقدير محذوف: «خلقنا أباكم، ثم صورنا أباكم، ثم قلنا للملائكة..»، وممن ذكر هذا التقدير الزمخشري، وتبعه الكثير من المفسرين، والذي دعاهم إلى هذا التقدير أنهم حملوا «ثم» على معناها الحقيقي، ولا يصح حملها على معناها الحقيقي إلا بذلك التقدير.

- وأما على ما ذكرت أولاً من أن المقام مقام تذكير بني آدم بنعم الله عليهم فلا داعي إلى ذلك التقدير، وتكون «ثم» للترتيب في عظم النعمة، فيكون ما بعد «ثم» أعظم مما قبلها، وقد ورد في القرآن الكريم الكثير من استعمال «ثم» في هذا المعنى، وهو استعمال مجازي.

فيكون تكريم آدم أبي البشر بسجود الملائكة له بأمر الله تعالى أعظم النعم الثلاث، ويتلوها في العظم تصوير بني آدم فيما هم عليه من حسن الصورة، ويتلو ذلك في العظم خلقهم.

- ومن فوائد هذه الآية:

١- أن نعمَ الله تعالى على الآباء نِعم على الأبناء أيضاً يلزمهم شكرها، ويتوجه عليهم الاعتداد بها.

٢- أن الابن يلحق بأبيه القريب أو البعيد في الشرف والكرامة.

٣- أن أعظم نعم الله تعالى على بني آدم هي سجود الملائكة لأبيهم آدم بأمر الله تعالى.

٤- أن الله تعالىٰ يريد لبني آدم الشرف والكرامة والرفعة في الدنيا.

٥- المطلوب من بني آدم أن يحافظوا علىٰ منزلتهم التي أنزلهم الله تعالىٰ فيها من الشرف والكرامة والرفعة، وأنه لا ينبغي لهم أن يتنازلوا عنها، ولا أن يدنسوا أنفسهم ويضعوها في مواضع الذلة والمهانة.

- وما ذكروه من أن التقدير: «خلقنا أباكم، ثم صورنا أباكم....» يكون تفسيره وفوائده كما ذكرنا، إلا أن النعم الثلاث تكون علىٰ آدم أولاً، وعلىٰ ذراريه ثانياً، وفي قولهم خروج عن الظاهر في: «خلقناكم»، و«صورناكم» وهما موضعان، وفيما ذكرت خروج عن الظاهر في «ثم»، وهي كلمة واحدة وإن تكررت.

ويرجح قولنا أيضاً: أن الحذف خلاف الأصل، ولا يصار إليه إلا عند الضرورة إليه، ولا ضرورة كما ذكرنا.

مزيد من الأدلة علىٰ بعض ما تقدم:

قال تعالىٰ وهو يخاطب اليهود في زمن النبي ﷺ: ﴿اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة:٤٧]، ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ... وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ...﴾ [البقرة:٥٠-٦١] إلىٰ آخر ما ذكر الله تعالىٰ في سورة البقرة، فجعل الله تعالىٰ ما أنعم به من النعم العظيمة علىٰ أوائل بني إسرائيل نعماً علىٰ ذراريهم.

- وهكذا تكون مساوئ الآباء مساوئ للأبناء، بدليل ما ذكره الله تعالىٰ مخاطباً لبني إسرائيل أيضاً المعاصرين للنبي ﷺ: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا...﴾ [البقرة:٧٢] وإلىٰ آخر ما وبخهم الله تعالىٰ عليه في سورة البقرة علىٰ ما صنعه آباؤهم، وعلىٰ هذا فينحط شرف الابن تبعاً لانحطاط شرف أبيه.

📖 **سؤال:** ما معنىٰ قوله تعالىٰ: ﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ﴾ [الأعراف:٤٠]؟

الجواب: هذا التعبير كناية عن سخط الله تعالىٰ عليهم، وأن أعمالهم عنده

غير مرضية وغير مقبولة، وليس المقصود أن ثمة أبواب تغلق وتفتح.

والقرآن نزل بلغة العرب، والعرب يتفننون في لغتهم فتارة يذهبون بها مذهب الكناية، وتارة مذهب المجاز، وذلك من أجل توضيح المعنى وتصويره للسامع.

📖بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [الأعراف:٣٢]:

١-الزينة هي كل ما يتجمل به الناس من ثياب وفراش ومراكب وحيوانات وطيور وألوان وأصباغ وذهب وفضة وجواهر ولآلئ ودر وصناعات وزخارف وتماثيل ونقوش وطيب وأواني وتفنن في المباني وإلى آخر ما توصل إليه البشر من فنون التجميل في جميع المجالات، فكل ذلك مما أنعم الله تعالى به على عباده، وأباحه لهم، وأراد لهم أن يتمتعوا بها فضلاً منه ورحمة.

ولا يستثنى من ذلك إلا لبس الحرير والذهب فإن الله حرمهما على الرجال دون النساء، وهكذا لبس الثياب الحمر والصفر فإنه ورد الخبر بتحريمهما على الرجال.

ويستثنى أيضاً من ذلك أن يتشبه الرجال بالنساء والعكس في اللباس والحلي وفي غيرهما.

٢-وطيبات الرزق هي جميع المأكولات والمشروبات، ويستثنى من ذلك: أكل الميتة والخمر ولحم الخنزير والدم وما أهل به لغير الله وكل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير، وما أشبه ذلك من حيوانات البحر والحشرات والديدان وأكل أموال الناس بالباطل و..إلى آخر ما ورد القرآن أو السنة بتحريمه، وهو معلوم في كتب الفقه.

٣-يؤخذ من الآية أن الأصل في طيبات الرزق وما أخرجه الله تعالى من أنواع الزينة هو الحل، وعلى هذا فلا يحرم إلا ما ورد الدليل على تحريمه وإلا فهو حلال.

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ..﴾ [الأعراف٤٦]:

الذي يظهر لي أن أصحاب الأعراف رجال مؤمنون من أهل كرامة الله ورضوانه، ومن كرامة الله لهم أن اختصهم بالوقوف علىٰ الأعراف المرتفعة التي يمكنهم من فوقها أن يروا أهل سخط الله وعذابه، وأهل رضوانه وثوابه، فينظرون إلىٰ هؤلاء وإلىٰ هؤلاء، ويخاطبون هؤلاء وهؤلاء، وينادون هؤلاء وهؤلاء كلاً باسمه أو بصفته.

وأصحاب الأعراف رجال مؤمنون- كما ذكرنا- من أهل كرامة الله، ويظهر من خلال كرامتهم هذه أنهم كانوا في الدنيا من الدعاة إلىٰ دين الله، ومن الهداة الدالين علىٰ الحق، ومن المبلغين لحجج الله وبيناته، فيرىٰ كل واحد من أصحاب الأعراف القوم الذين ردوا دعوته، ولم يقبلوا ما أتاهم به من الهدىٰ والبينات، ويعرفهم بأسمائهم وبصفاتهم، ويرىٰ أيضاً المؤمنين الذين استجابوا لدعوته وقبلوا هداه وبيناته.

فيرىٰ أصحاب الأعراف وقومهم تصديق الوعد والوعيد و..إلخ.

والسر في ذلك أن الرجل إذا جاء بخبر صادق، فقوبل بالتكذيب والاستهزاء يشتد ضيقه وحزنه وتنكسر نفسه ويغتم كثيراً، ولا يكون شيء أحب إليه من أن يظهر صدق خبره ببرهان يذعن له المكذبون، ويخضع لصحته المستهزئون، ويضطروا للاعتراف بصدقه والإقرار والاعتراف بكذبهم، وجهلهم، وضلالهم في تكذيب ذلك.

📖 قال تعالىٰ: ﴿فَاذْكُرُوا ءَالَاءَ اللَّهِ...﴾ [الأعراف:٦٩]:

أُمِروا بأن يذكروا نعم الله التي أنعم بها عليهم، وإنما أمروا بذكرها لأن ذكرهم لنعم الله عليهم سبب لشكر مسديها.

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴿٥٦﴾﴾ [الأعراف]، ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ...الآية﴾ [الأعراف:١٥٦]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴿١٢٨﴾﴾ [الإسراء]:

- الوعد الحسن بخير الدنيا والآخرة لعباد الله الصالحين جاء به القرآن في آيات كثيرة فائتة للحصر.

📖 بسم الله الرحمن الرحيم قال الله سبحانه وتعالى:

١- ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا...﴾ إلى آخر الآيات [الأعراف:١٥٦].

٢- وقال تعالى: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر:٧].

٣- ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾ [الزمر].

- تفيد الآية السابقة أن رحمة الله الواسعة كتبها الله تعالى للمتقين الملتزمين بالتقوى دون أهل العصيان المتمردين على الله.

- وشمول رحمة الله تعالى للكافر والعاصي ﴿وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ هي أن الله تعالى دعا الكافرين والظالمين والفاسقين والعصاة إلى التوبة وحذرهم من الإصرار على العصيان؛ لذلك قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء]، ومدد لهم في الأعمار، وأعطاهم السلامة والصحة، ولم يعاجلهم بالعقوبة، ولم يقطع إحسانه إليهم بسبب معاصيهم، وكل ذلك من رحمته الواسعة، وفضله العميم.

📖 قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ...﴾ الآية [الأعراف]:

روي في تفسير ذلك رواية عن النبي ﷺ هي أن الله تعالى أخرج من صلب آدم -من ظهره- جميع ذريته كأمثال الذر، وأشهدهم على أنفسهم قائلاً لهم: ألست بربكم؟ قالوا: بلى...إلخ.

وهذا التفسير المروي غير صحيح عن النبي ﷺ.

والتفسير الصحيح للآية: أن الله تعالىٰ خلق بني آدم كل واحد منهم خلق من ظهر أبيه ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ۝٧﴾ [الطارق]، وفطر لهم العقول الشاهدة لله تعالىٰ بالربوبية، فالعقل بحسب فطرته يشهد لله تعالىٰ بالربوبية، ويدعو صاحبه للإيمان بالله، ويرفض إلهية الأصنام ونحوها مما عبد من دون الله، ولكن أكثر الناس يعرضون عن داعي العقل وندائه، ويميلون إلىٰ الأهواء والشهوات.

والدليل علىٰ فساد الرواية التي رويت في تفسير هذه الآية:

١- أن أي واحد من بني آدم لا يذكر ذلك الاستشهاد، ولو كانت الرواية حقاً؛ لذكر كل واحد من بني آدم ذلك الاستشهاد؛ لأنه من الأمور العظيمة التي من شأنها أن لا تنسىٰ.

٢- أن ظاهر الآية لا يفيد ذلك التفسير.

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ۝٢٠٥﴾ [الأعراف]، **في ذلك:**

آداب لذكر الله والدعاء هي:

- أن يكون ذكر الله والدعاء نابعاً من داخل النفس لا من اللسان وحده.
- أن يكون الذكر والدعاء مقروناً بالتمسكن والتذلل وإظهار الحاجة إلىٰ الله والفقر إليه.
- وأن يقرن أيضاً بالخوف من الله والمهابة منه.
- ألا يجهر الذاكر لله والداعي له بذلك جهراً بل يسره سراً ويخفيه.
- وذكر الله تعالىٰ هنا لذكر الله وقتين هما: أول اليوم، آخر اليوم.

[فوائد من سورة الأنفال]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ...﴾ إلى آخر ما قص الله تعالى عن يوم بدر، **يستفاد من ذلك:**

١- أن للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ولأئمة المسلمين من بعده أن يتصرفوا في الغنائم كيفما شاءوا، وأنه ليس للمسلمين أن يعترضوا على ولاتهم في ذلك.

٢- أنه يحرم كل ما من شأنه أن يفسد ذات بين المؤمنين، ويغيِّر قلوب بعضهم على بعض، ويتسبب في حصول الخلاف والشقاق والعداوات؛ لأنه لا يتم إصلاح ذات البين إلا باجتناب أسباب فساد ذات البين.

٣- وإذا لم يتم صلاح ذات البين كما ينبغي إلا بالاعتذار ونحوه وجب؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به يجب بوجوبه.

٤- ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ﴾: يدل على أن فعل أسباب الخلاف محرم يستحق فاعلها عقاب الله وسخطه.

٥- ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ①﴾: يدل على أن السائلين من الصحابة اختلفوا وتجادلوا في شأن الغنائم، وأن كلاً من المتجادلين والمختلفين أصر على العمل فيها برأيه متناسين لوجود رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بين أظهرهم، وأن من المفروض أن تكون آراؤهم تبعاً لرأيه.

٦- وأن من لوازم الإيمان طاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل أمر صغير أو كبير.

٧- الغنائم (الأنفال) المتنازع عليها هي غنائم يوم بدر.

٨- وقوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ﴾ [الأنفال:٤١]: يدل على أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذا أراد أن يقسم الغنائم فليقسمها بين الغانمين، ويقسم خمسها على من سماهم الله تعالى في هذه الآية، وله أن يتصرف فيها ويوزعها

على غيرهم بدليل أول السورة، وبدليل ما اشتهر وتواتر عن النبي ﷺ أنه وزع غنائم حنين على غير الغانمين؛ فأعطى أبا سفيان مائة بعير، وأعطى ابنيه مائة مائة، وأعطى كبار قريش مائة مائة، وأعطى بعضهم خمسين خمسين، وأقل وأكثر يتألف بها قلوبهم، ولم يعط المقاتلين منها شيئاً، والقصة مشهورة؛ فدل ذلك على ما قلنا من أن للرسول ﷺ كامل الصلاحية في الغنائم إن أحب قسمها بين الغانمين، وإن أحب أن يصرفها في وجه آخر فله ذلك، ولا يجوز للغانمين أن يعترضوا عليه، ولأئمة المسلمين في هذا الباب ما للرسول ﷺ.

٩- علامة المؤمن حقاً أنه إذا كان مصراً على أمر أو رأي فذكَّروه بأن الله تعالى قد نهى أو أمر بخلاف رأيه أن يتراجع فوراً ويخشع لحكم الله وأمره ويخاف من إصراره على رأيه.

١٠- أما الذي لا يتراجع عن إصراره ولو روجع وذكِّر فليس بمؤمن حقاً.

١١- ومن علامة صدق الإيمان أن المؤمن إذا تليت عليه آيات القرآن يصدق بها ويبادر للعمل بموجبها.

١٢- ومن علامة صدق الإيمان أن المؤمن لا يبالي أقسم له رسول الله ﷺ من الغنائم أم لم يقسم له؛ لأنه معتمد على الله في رزقه وواثق به في وعده وراضٍ عن قسمة الله ورسوله ﷺ.

١٣- أما الذي يرضى إذا قسم له رسول الله ﷺ ويسخط إذا لم يقسم له فليس بمؤمن حقاً؛ لأنه غير متوكل على الله ولا معتمد عليه ولا واثق بوعده.

١٤- ومن علامة المؤمن حقاً أنه الذي يقيم الصلوات المفروضة كما أمره الله تعالى، ويؤتي زكاة ماله، فإذا اجتمعت هذه العلامات في المؤمن فهو الذي يستحق اسم الإيمان ويستوجب رضا الرحمن.

١٥- أما الذي لم تتوفر فيه هذه العلامات كلها فليس بمؤمن حقاً.

١٦- قد يؤخذ من هنا أن اسم الإيمان يطلق على المؤمن حقاً، وهو المستجمع لتلك العلامات، ويطلق على الذي لم يستجمع تلك العلامات.

١٧- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ۝ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَمَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ۝﴾ [الأنفال]: ذكر الله تعالى في هذه الآية العلة والسبب التي استوجب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها الأنفال واستحق بسببها أن يحكم الله تعالى له بها دون أهل بدر.

والعلة كما تفيده الآية هي: أن الله تعالى أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن يخرج لقتال أهل بدر فخرج بأمر الله راضياً ممتثلاً لأمر الله مصدقاً لوعد الله موقناً بالحق الذي خرج له.

أما الخارجون معه صلى الله عليه وآله وسلم من المسلمين يوم بدر فخرجوا وهم كارهون للخروج غير واثقين بوعد الله ونصره وغير موقنين بالحق الذي أخرجهم الله له، بل خرجوا وهم يائسون من وعد الله لهم بالنصر غير مطمئنين إليه، وتماماً كما وصفهم الله تعالى: ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ﴾.

١٨- وفي ذلك: أن دخول المؤمن في العمل الصالح وهو كاره للدخول فيه مقبول عند الله، إلا أن ثوابه ناقص، بدليل حكم الله تعالى بالأنفال للرسول صلى الله عليه وآله وسلم دونهم معلِّلاً ذلك بكراهتهم للخروج دون النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

١٩- لا يؤاخذ المؤمن بكراهته للعمل الصالح بقلبه إذا لم يخل بفعله، وعلى المؤمن أن يُكْرِه نفسه على الأعمال الصالحة.

٢٠- النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة المسلمين من بعده هم الذين يقررون تنفيذ الخطط الحربية.

٢١- لا مانع من مراجعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأئمة المسلمين فيما خططوه من العمليات الحربية، وعلى الأئمة أن يبينوا للمعترضين والمجادلين صواب المخطط أو أن المصلحة العامة تقتضيه، وأن يجادلوا المعترضين ويحتجوا عليهم.

٢٢- وأن الاعتراض والمجادلة حول القرار الحربي ونحوه لا يخل بمصداقية الطاعة للإمام، ولا يخل بمكانة المجادل والمعترض.

٢٣- كما يؤخذ من هنا أن النبي ﷺ كان يجتهد في التخطيط الحربي وفي الآراء القتالية، ودليل ذلك هو اعتراض الصحابة ومجادلتهم للنبي ﷺ في خروجه للقتال يوم بدر، مع أن النبي ﷺ لم يخطئهم في اعتراضاتهم ومجادلاتهم بل جادلهم وبيّن لهم صواب الخروج للقتال، وهذا في حين أنه لم يؤثر عنهم شيء من الاعتراضات والجدال في غير ذلك بل كانوا كما وصفهم الله تعالى: ﴿وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا..﴾ [البقرة:٢٨٥].

٢٤- لم يصدر الجدال والاعتراض من كل الخارجين مع النبي ﷺ يوم بدر، وإنما صدر من فريق منهم، وهذا يدل على:

-أن أهل بدر قسمان:

أ- قسم كاره للخروج مجادل ومعترض على قرار الخروج.

ب- وقسم ليس كذلك.

-وأن الراضي بالخروج يوم بدر أفضل من الكاره بدليل ما وصف الله الكارهين به من الأوصاف التي تقلل من منازلهم.

٢٥- ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ...﴾ [الأنفال:٧]، يؤخذ من ذلك: أنه يجوز خطاب المكلفين بالمجمل والمبهم، وأن يتأخر البيان إلى وقت الحاجة، وهذه مسألة أصولية.

٢٦- ويؤخذ من هنا أنه لا حرج على المؤمن في حب الدنيا من الوجه الحلال.

٢٧- وأنه لا حرج أيضاً في الجهاد في سبيل الله وفي طلب المغنم.

٢٨- أن من الحكمة وحسن السياسة أن يمني الإمام أو القائد جيشه قبل الدخول في الحرب ويطمعهم في المغانم والمكاسب من غير أن يكذب في ذلك كما في هذه الآية؛ لما في ذلك من التشجيع للجيش في الخروج للحرب.

٢٩- أن الغرض المطلوب من فريضة الجهاد هو إحقاق الحق وإبطال الباطل، وأن على المجاهد أن يعقد نيته على هذا الغرض.

٣٠- أن على ولي أمر المسلمين أن يحيي ما مات من الحق، ويبطل الباطل؛ فإن لم يمكنه ذلك بالطرق السلمية بعد المحاولات فبالقتل والقتال إلى أن يتحقق المطلوب.

٣١- أن تجييش الجيوش للقتال في سبيل الله من أعمال الأئمة.

٣٢- أن الخير يكون فيما كرهته النفس.

٣٣- وأن ما يريده الله تعالى للمؤمن خير مما يريده المؤمن.

٣٤- أن اعتراض المجرمين وكراهتهم لإحقاق الحق وإبطال الباطل غير مبرر لترك ذلك.

٣٥- الطائفتان اللتان وعد الله المؤمنين السيطرة على إحداهما قد كانت إحداهما ذات عدد كثير وسلاح وعدة للقتال متكاملة، والطائفة الأخرى ليس فيها عدد كثير ولا عتاد حربي؛ بل كان فيها أموال كثيرة وتجارة لقريش، لذلك ودّ المؤمنون أن يكون وعد الله متعلقاً بهذه الطائفة التي تحمل الأموال الكثيرة.

٣٦- أنه يحل قتل الكافرين المحاربين للمؤمنين ويحل أخذ أموالهم وقطع طرقهم.

٣٧- أن على والي المسلمين أن يبعث العيون ليأتوه بأخبار المحاربين ويراقبوا حركاتهم وسكناتهم.

٣٨- أن على قائد الجيش أن يخبر الجيش قبل أن يدخل في المعركة عن عدوهم الذي يريد أن يحاربه بهم؛ ليكونوا على الاستعداد التام لمواجهته وحتى لا يفاجؤوا بما يتسبب في فشلهم من كثرته أو كثرة أسلحته أو نحو ذلك، ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال:٧].

٣٩- أنه كان لغزوة بدر دور عظيم في إحقاق الحق وإبطال الباطل، ومن نتائج هذه الغزوة:

- ارتفاع معنويات المسلمين، وهبوط معنويات المشركين.
- حصلت الهيبة والخوف من المسلمين في قلوب المشركين في جزيرة العرب وفي قلوب اليهود.

- كفى الله نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين جبابرة قريش وصناديدهم الذين كانوا يستهزئون بالنبي ﷺ وبدينه وبالمؤمنين، وكانوا يصدون الناس عن الإسلام، وكان لهم دور كبير في عرقلة دعوة الإسلام.
- شفى الله تعالى في هذه الغزوة قلوب نبيه ﷺ والمؤمنين.
- رفع الله بهذه الغزوة قوماً ووضع آخرين.
- لقي في هذه الغزوة رؤوس الكفر جزاءهم العاجل وذاقوا وبال تكذيبهم، ولقوا في هذه الغزوة مثل ما لقي قوم هود وصالح.

٤٠- أن الدعاء عند مصافة العدو مستجاب.

٤١- أن النصر لا يأتي بكثرة العدد والقوة؛ بل بالإخلاص لله ولرسوله ﷺ وبالاعتماد على الله والتوسل إليه بالدعاء والضراعة والافتقار.

٤٢- لم يكن للمؤمنين في هذه الغزوة لا عدد ولا عدة، فلما رأوا كثرة عدوهم وقوة سلاحه توجهوا إلى الله بقلوبهم وألسنتهم فصاحوا إليه صياح المستغيث ونادوه نداء المضطر؛ فلما رأى الله تعالى صدق انقطاعهم إليه واستعانتهم به واستغاثتهم برحمته أنزل عليهم النصر.

٤٣- ليعلم المؤمنون -وإن توفرت لهم جميع أسباب النصر على العدو- أن النصر لا يتحقق لهم إلا بالاستعانة بالله والافتقار إليه والتضرع بين يديه متناسين لما معهم من الأسباب غير واثقين بها، ولا معتمدين عليها، ولا ملتفتين إليها، وتكون قلوبهم متوجهة إلى طلب النصر من الله، وألسنتهم مرتفعة بالتضرع والدعاء إلى الله في طلب النصر والمعونة.

٤٤- بل ولو أمد الله المجاهدين بألف من الملائكة أو ألفين أو آلاف يقاتلون معهم ويكثرون عددهم لم يكونوا لينتصروا إلا بنصر الله لهم، فليس القلة سبباً للهزيمة، وليست الكثرة سبباً للنصر، فليقطع المجاهدون تعلقهم بالأسباب الظاهرة للنصر وليطلبوا النصر من العزيز الحكيم الذي يملك العطاء والنصر.

- لا يعني هذا أن يعرض المجاهدون عن الإعداد للحرب، وعن الحزم والحذر وعن الإلقاء بالنفس إلى الهلكة، بل أن الأخذ بذلك واجب؛ لأن الله تعالى بنى أعمال الدنيا وحصول نتائجها على الأسباب، ولكن ليست الأسباب هي العلة الموجبة للنصر، بل إن النصر حصل من عند الله وبإرادته، فنحن أخذنا بالأسباب والنتيجة من الله.

ومثل ذلك أن الإنسان يأكل وينمو جسمه، فالأكل حصل من الإنسان ونماء الجسم نتيجة حصلت من الله، وهكذا الدواء، فالدواء سبب وحصول الشفاء من الله.

٤٥- ليعرف المؤمن أن عليه في استنجاح أموره أن يأخذ بالأسباب، ثم يسأل الله النتيجة والوصول إلى المطلوب، وليصرف ثقته في ذلك إلى الله لا إلى الأسباب.

٤٦- يحرم على المؤمن أن يحدث بحديث من عند نفسه أو رواية عن غيره يكون فيه ما يثبط المجاهدين عن الجهاد، أو يقلل من معنوياتهم، أو يدخل الرعب في قلوبهم.

٤٧- طمأنة المجاهدين ورفع معنوياتهم في الجهاد أمر مطلوب للشارع الحكيم: ﴿وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأنفال:١٠]، فحقيق بقادة الجهاد أن يأمروا بقراءة الأشعار الحماسية وتلاوتها بين الجيش.

٤٨- ينبغي ترويح الجيش الذي يراد إدخاله المعركة حتى لا يدخل المعركة إلا وهو في كمال نشاطه وكمال قوة بدنه، فالسهر أو التعب أو الجوع أو العطش يقلل من قوة المرء، ويضعف نشاطه.

٤٩- أنزل الله تعالى في يوم بدر مطراً؛ ليطهر المسلمين به، ولتشتد الرملة بالماء ليسهل على المسلمين القتال عليها، فعلى هذا يلزم قادة الجيوش أن يختاروا لجيوشهم الأماكن الصالحة للقتال فينزلهم فيها، ويتجنب الأماكن التي لا تصلح للقتال عليها، وهكذا يختار الأوقات المناسبة للقتال فيها من شتاء أو صيف أو ليل أو نهار، وذلك يختلف باختلاف المكان والزمان.

٥٠- كما يؤخذ من هنا أن الغسل من الجنابة والوضوء يكسبان الجسم نشاطاً وأريحية، وإذا حصل ذلك اشتدت قوة القلب، وبذلك يحصل الإقدام وتحصل النتائج المطلوبة بإذن الله.

٥١- كما أن نزول المطر لانفراده يتسبب في حصول نشاط وراحة.

٥٢- كما يؤخذ من هنا أن الله تعالى يحب أن يكون المؤمن طاهراً من الأحداث والجنابات، ومن الأنجاس والأقذار، وأنه يحب النظافة والتجمل.

٥٣- يظهر أن نزول قوله تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ...﴾ [الأنفال:٩]، ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ...﴾ [الأنفال:١١] ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ...﴾ [الأنفال:١٢]، قد كان بعد غزوة بدر، ليذكِّر بذلك أهل بدر بعظيم نعمته عليهم في ذلك اليوم وحسن صنيعه لهم؛ ليشكروا الله على ذلك، ولطفاً لهم ليزدادوا من اكتساب مثل ذلك، ولطفاً لغيرهم ليقتدوا بهم فيحظوا من الله بمثل ما حظوا به.

٥٤- ينبغي للقائد أن يتسبب في فعل ما يرعب العدو قبل الدخول في المعركة أو أثناء الدخول في المعركة.

٥٥- ينبغي للمؤمنين أن يكثروا من الدعاء إلى الله بأن يلقي في قلوب الأعداء الرعب وأن يمدهم بأسباب النصر.

٥٦- السبب والعلة التي يستحق بها الكافرون القتل هي: محاربة الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ومحاربة دين الله، وأحكام شريعته، وقد يؤخذ من هنا أن الكافر الذي لا يحارب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم ولا يحارب دين الله وشرائعه وأحكامه لا يُقتل ولا يُحارب.

٥٧- إذا حصل اختلاف بين المؤمنين في شيء من مسائل دينهم فيجب عليهم جميعاً الرجوع إلى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك بسؤال العلماء الراسخين في العلم.

٥٨- أن الاختلاف في بعض مسائل الدين جائز ما لم يؤد إلى فساد ذات البين، فإن أدى إلى ذلك وجب الإعراض عن الاختلاف وتناسيه، أو السؤال عند العلماء.

٥٩- من الحكمة أن السائل إذا قويت الشبهة عنده في مسألته فعلى العالم أن يجيب السائل ويستدل على ما يقول بأدلة كثيرة متظاهرة، ويعظ السائل ويذكره ويبين العلل والأسباب و..إلخ، ألا ترى كيف كان جواب الحق تعالى على السائلين للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الأنفال، وكانوا قد اختلفوا فيمن يستحقها.

٦٠- سأل أهل بدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن مسألة فرعية بعدما اختلفوا فيها فنزل جواب سؤالهم من السماء بقرآن يتلى إلى يوم القيامة، وقد اشتمل الجواب على عدة نقاط هي:

أ- الأنفال هي لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليست لكم أيها المختلفون.

ب- الأمر لهم بتقوى الله جميعاً مما يشعر بأن المختلفين قد أتوا من الاختلاف بما لا يرضاه الله تعالى وبما يستحقون عليه الجزاء والعقاب.

ج- الأمر لهم بإصلاح ما حصل بسبب الاختلاف من فساد ذات البين.

د- ثم الأمر لهم بطاعة الله وطاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يدل على أن اختلافهم في الأنفال كان نتيجة لإعراضهم عن طاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ه- ثم استثارهم إلى طاعة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهيجهم عليها واستحثهم إليها في الأنفال وفي غيرها، وأخبرهم أن ذلك من لوازم الإيمان وتوابعه.

و- ثم أخبرهم بصفات المؤمن حقاً لئلا ينخدعوا بما هم عليه من الإيمان، أو يغتروا بذلك، وتلك الصفات هي: وجل القلب عند ذكر الله، والإيمان والتصديق بما يتلى عليهم من آيات الله، والتوكل على الله، وإقامة الصلوات، وإيتاء الزكاة.

ز- ثم أخبرهم تعالى بالعلة التي استحق بها الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأنفال دونهم.

٦١- ويؤخذ أيضاً أن المؤمن لا يلام على الجبن الطبيعي، وإنما يلام على معصية

الله ورسوله ﷺ، وإن كان ظهور بعض أمارات الجبن تقلل من ثواب العمل وأجره.

٦٢- ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ﴾ [الأنفال:٥]: المعنى أن خروجك أيها النبي ﷺ كان خروجاً مبنياً على الغرض الصحيح والمصلحة العامة والمنافع العظيمة للإسلام والمسلمين، وليس خروجاً ضائعاً كما تتوهمون أيها المؤمنون من أنه يترتب على هذا الخروج مفاسد ومهالك للخارجين ﴿كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ﴾.

٦٣- على الوالي أن يكسب مودة أتباعه وطاعتهم بالمواعظ والتذكير، وأن يذكر المحسنين من أتباعه بأعمالهم ويشهر بهم، ويثني عليهم، ولا ينبغي له أن يعرض عن ذكر أحد من المحسنين لصغره أو لحقارته أو لضآلة نسبه.

٦٤- لا بد للسرية أو الجيش أو الكتيبة أو نحو ذلك من أمير يقف المجاهدون عند أمره، وينتهون عند نهيه فيما أحبوا وكرهوا، وقد كان رسول الله ﷺ هو القائد والأمير للمجاهدين يوم بدر وغيره.

٦٥- ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ۝٨﴾: قد يؤخذ منه أنه كان في المسلمين من يراعي مشاعر كبار قريش ومشائخهم المشركين.

٦٦- ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ قد يكون تثبيت الملائكة للمؤمنين بأن تظهر الملائكة بصور المقاتلين فيكثر بذلك عدد المؤمنين المقاتلين، وإذا رأى المؤمن كثرة المقاتلين معه اطمأن قلبه وثبت في القتال، من غير أن يكون من الملائكة قتال.

٦٧- أن الفأل الصالح مما يستبشر به المؤمن في نجاح ما هو مقدم عليه من الأمر، وذلك أن المؤمنين فرحوا بنزول المطر في عشية يوم بدر واستبشروا به وقويت قلوبهم.

٦٨- الفرار من الزحف معصية كبيرة يستحق بها صاحبها غضب الله ودخول جهنم.

٦٩- يجوز الهروب من المعركة إذا كان من أجل العودة إلى المركز والتعبئة والتزود للكر مرة أخرى، أو كان الهروب من أجل الحيلة والخديعة للعدو.

٧٠- كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمون معه يدخلون المعركة مع المشركين بأمر من الله، كما في هذه الغزوة (غزوة بدر) فإن الله تعالى أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالخروج للتعرض لعير قريش ووعده الله تعالى أنه سيظفر إما بالعير المحملة بتجارات قريش وهي عائدة من الشام وإما بجيش قريش الذي خرج من مكة لحماية العير المحملة بتجاراتهم، وعلى الجملة فلم يكن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدخل في معركة إلا من أجل تحقيق مصلحة عامة للإسلام والمسلمين، وقد يكون معرفة النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين للمصلحة إما بوحي من الله لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم كما في غزوة بدر، وإما بالرأي والشورى؛ فإذا حصل الظن عند أهل الرأي والمشورة بأن المصلحة العامة هو في الدخول في الحرب مع طائفة معينة ساغ لولي المسلمين وقائدهم الأمر والتوجيه بالدخول في الحرب، وبانقطاع الوحي بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يجوز للوالي اتخاذ قرار الحرب إلا بعد مشاورة أهل الشورى وذوي الرأي الذين ينظرون فيما سيترتب على الدخول في الحرب من مصالح ومفاسد، وما سوف ينتج عنها من نتائج؛ فإذا قرر أهل الشورى والرأي أن النتائج الإيجابية ستكون لعدوهم فلا يجوز الدخول في الحرب.

📖 ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال]، كان أمير المؤمنين عليه السلام يقول ما معناه: (كان فيكم أمانان من العذاب، ارتفع أحدهما وهو رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وبقي الآخر وهو الاستغفار).

📖 قوله تعالى: ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ﴾ [الأنفال:٢٤]، يقع ذلك على صور:

١ - أن يريد المرء أمراً ويصمم على فعله، ثم تتغير إرادته ويترك تصميمه لغير سبب واضح.

٢ - أن يعزم المرء على فعل شيء ويستمر ذلك العزم في قلبه إلا أنه يحول بينه وبين ما يريد أن يفعله عوائق وموانع.

٣- أن يكون عند المرء معلومات في قلبه، ثم إذا احتاج شيئاً منها أو شيئين أو أكثر غابت عنه وضاعت، ولم يستطع استخراجها من قلبه.

٤ - ويحتمل أن يفسر ذلك بأن الله تعالى مطلع على ما في القلوب من إيمان وإخلاص ونفاق وخداع وسوء نية وسوء عقيدة و..إلخ.

وهذا التفسير أنسب بالمقام؛ لأن المقام مقام تحذير من مخالفة أوامر الله تعالى ورسوله ﷺ والتفريط في السمع والطاعة.

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال]:

الأمة التي لا يوجد فيها داع إلى الهدى، ولا يوجد فيها صالحون يستغفرون الله ويسبحونه تكون معرضة لعذاب الله وحلول نقمته بهم، وهذا لا يكون إلا بعد أن يعرفوا الهدى ويتبصروا طريقه، ثم بعد ذلك يتجدد منهم التمرد والكفران، وذلك لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴿١٥﴾﴾، وقوله تعالى: ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾ [الأنفال٤٢].

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ﴾ [الأنفال:٣٦]:

- نزلت الآية في كفار قريش أولاً، ثم هي عامة لغيرهم.
- وتفيد أن من شأن الكافرين وطبيعتهم أن ينفقوا أموالهم ولا يتوقفوا عن إنفاقها حرصاً منهم على إطفاء نور الله والصد عن سبيله.

- وأن إنفاقهم لأموالهم في ذلك السبيل الظالم سيكون عليهم حسرة حيث لم يبلغوا بإنفاقها شيئاً مما أملوا وأرادوا، ولم يصل إلى الإسلام والمسلمين من نفقاتهم أي سوء، بل لم يتضرر بها إلا هم وحدهم دون الإسلام وأهله.
- وأنهم مع حرصهم ومبالغتهم في الصد عن سبيل الله وإطفاء نور الإسلام مع ما هم فيه من كثرة الأموال وقوة العدة وكثرة العدد سيغلبون ويقهرون.
- وفي الآية أن الباغي مهما بلغ من القوة والتمكن سينعكس بغيه على نفسه ويعود ضرره عليه.
- وأن العاقبة الحسنة من النصر والظفر والعزة ستكون للمبغي عليه ضد خصمه الباغي.
- في هذه الآية أيضاً ما يقوي عزائم المؤمنين الذين يواجهون عداوات الكافرين ويلقون منهم الأذى والشدة...إلخ.
- في هذه الآية معجزة للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وآية دالة على صدقه، وذلك لأنها أخبرت عن مصير كفار قريش وهو من علم الغيب الذي لا يعلمه إلا الله تعالى، فكان الخبر على حسب ما أخبر:
- ذلك هو حال الكافرين في الدنيا وهو كما رأيت حال بئيس وعاقبة مشؤومة، أما حالهم في الآخرة فسيحشرهم الله تعالى إلى جهنم خالدين في عذابها وبئس المصير.

فإن قيل: نرى الكثير من الكافرين والباغين ينتهي بغيهم بالسيطرة على المؤمنين وأهل الحق.

فيقال: سيطرة الباغي وإن امتدت إلى حين، فهي سيطرة سطحية؛ لأن الحق والنور قائم على رغم أنفه وحجة الله باقية ودينه ظاهر، وقتل الكثير من أتباع الحق وأشياعه لا يعد انتصاراً على الحق والهدى، وقتلهم في سبيل الله شهادة وفوز عند الله، وما لحقهم في سبيل الله من سلطان الكافرين والباغين من الأذى يكون سبباً للرفعة ونيل الدرجات وحسن الذكر في الدنيا والآخرة.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ۝٦٠﴾ [الأنفال]، **في ذلك:**

١- أنه يجب على المؤمنين أن يعدوا أنفسهم لحرب الكفار بالتدريب والتمرن على استعمال السلاح وآلات الحرب.

٢- وأن يحاولوا بقدر استطاعتهم أن يجمعوا لأنفسهم من السلاح وآلات الحرب الثقيلة والخفيفة ما أمكنهم.

٣- وينبغي أن يجروا عروضاً عسكرية الوقت بعد الوقت، يعرضون فيه ما لديهم وما جمعوا من الآلات القتالية، ويعرضوا فيه مهاراتهم القتالية.

٤- ويستحسن أن يجروا مناورات عسكرية -كما يُصْنَع اليوم- تعرض فيها قواتهم وقدراتهم ومهاراتهم؛ لما في ذلك من إرهاب العدو وإدخال الرهب والخوف إلى قلبه، ولما فيه من إظهار عزة الإسلام والمسلمين.

٥- كانت الخيل من أكبر العدة في الحرب، ومن أعظم ما يرهب العدو، أما اليوم فقد تغير الحال، فقد أصبحت الدبابات والمدرعات والأساطيل والطائرات والزوارق الحربية وما أشبهها هي العدة المرهبة للعدو، وأصبحت البنادق الرشاشة الخفيفة والمتوسطة والمدافع والصواريخ هي القوة الفتاكة؛ فعلى الدولة الإسلامية أن تعد من ذلك ما في وسعها مع إعداد الجيش المتدرب والمتمرن على استعمال تلك الأسلحة.

٦- الإعداد الحربي يكون لإرهاب أهل الكفر المحاربين للمسلمين، وأيضاً لإرهاب العدو المتخفي بين المسلمين، وهم المنافقون الذين يتربصون بالمسلمين في الخفاء، ويبتغون لهم الغوائل.

٧- إذا لم يكن عند الدولة الإسلامية من المال ما يمكنها من إعداد القوة المرهبة

للعدو فعلى الأغنياء من المسلمين توفير المال اللازم لإعداد القوة، وقد وعدهم الله تعالى على ما أعطوا في سبيل الله الثواب العظيم والأجر الوافر.

٨- وفي ذلك: أن الله تعالى سيثيب المؤمنين على أي فعل من شأنه أن يدخل الرعب في قلب العدو، فيثابون على إظهارهم التحاب فيما بينهم، وعلى إظهار التواصل والتبارّ، وعلى إظهار اجتماعهم حول قيادتهم، وعلى إظهار طاعتهم لها وانقيادهم لأوامرها، ونحو ذلك.

٩- وينبغي إعلان البيانات والخطب المرعبة للعدو، ونشر كل ما فيه إزعاج الأعداء وإدخال الرعب في قلوبهم في جميع وسائل النشر، مع تزويد الجيوش الإسلامية بما يزيد من معنوياتها ويرفع من نشاطها وتحمسها لقتال العدو، ويعتبر هذا من الإعداد للعدو.

١٠- وينبغي تجهيز المعدات الحربية بحيث تكون صالحة للانطلاق والعمل عند الحاجة.

[فوائد من سورة التوبة]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ الآية [التوبة:٥٥]:

يحسب الناظر إلى العصاة ذوي الترف والغنى، وما هم فيه من كثرة الأولاد والأزواج أنهم في راحة ونعيم واطمئنان، وكيف لا يكون كذلك وأسباب الراحة والاطمئنان والنعيم متوفرة لديهم، والطرق إلى بلوغ شهواتهم ورغباتهم معبدة، ينالون كل شهوة، ويصلون إلى كل رغبة.

- هذا هو ما يتصوره الناظر إليهم ويعتقده فيهم، وفي الواقع وحقيقة الأمر أنهم بخلاف ذلك كله، فهم في خوف عظيم، وقلق مستمر، وسهر متواصل، وهموم وغموم متراكمة، وضنك مستمر، وحرج وضيق، وصدق الله العظيم: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا..﴾ [طه:١٢٤].

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾﴾ [التوبة]، في ذلك:

١- أن الله سبحانه وتعالى يظهر عمل العامل المؤمن للمؤمنين، وإن اجتهد في التكتم والسرية.

٢- وهكذا يظهر الله تعالى عمل المنافق للمؤمنين، ولو جهد في إخفائه وإسراره.

٣- أن ترك العمل السيئ وفعل الأعمال الحسنة بدافع مركب من أربعة أركان لا يضر النية:

أ- الخوف من أن يطلع الله تعالى عليه.

ب- الخوف من اطلاع رسول الله ﷺ عليه.

ج- الخوف من اطلاع المؤمنين عليه.

د- الخوف من الجزاء والعقاب.

وعكس هذه الأربعة في عمل الحسن، إن مثل هذه النية لا تفسد العمل عند الله تعالىٰ، والسبب في ذلك:

أن الخوف من اطلاع رسول الله ﷺ عليه لا يتنافىٰ مع الخوف من اطلاع الله عليه؛ لأن تعظيم رسول الله ﷺ تعظيم لله، وطاعته طاعة لله، ومعصيته معصية لله تعالىٰ، والحياء منه حياء من الله تعالىٰ.

وأن الخوف من اطلاع المؤمنين علىٰ العمل لا يتنافىٰ مع الخوف من اطلاع الله تعالىٰ عليه؛ لأن الله تعالىٰ يحب الستر علىٰ المؤمن، ونهىٰ تعالىٰ عن التجسس عليه، وعن الظن السيئ به، وما يحبه الله تعالىٰ من الأعمال الواجبة أو المندوبة أو المستحبة أو المباحة لا تضر مخالطته للنية ولا يفسدها.

📖 قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾﴾ [التوبة]، في ذلك:

- أن في قول ذلك القول ما يدفع مخاوف العدو.
- لا يكفي الاعتماد علىٰ الله والتوكل عليه بالقلب في دفع مخاوف العدو، بل لا بد مع ذلك من القول لذلك المقول.
- أنه يتعين هذا القول لدفع المخاوف.
- أن لتلك الجمل الأربع خصائص وأسراراً.
- أنه ينبغي للمؤمن أن يتعلم هذا القول ويعلمه أهله وأولاده.
- ينبغي أن يقال هذا الذكر صباحاً ومساءً.
- الأمر وإن كان للنبي ﷺ فإنه يراد به النبي ﷺ والمؤمنون، وهكذا كل ما جاء الخطاب فيه للنبي ﷺ فإنه يراد به النبي ﷺ وأمته إلا ما جاء فيه دليل يدل علىٰ أنه مختص بالنبي ﷺ.
- والعرش هو ملك السماوات والأرض وما بينهما، وليس هو شيئاً آخر كما يتوهمه بعض المتوهمين.

[فوائد من سورة يونس]

📖 قال الله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَ بِالْأَمْسِ...﴾ [يونس:٢٤]:

- أن الحضارة على الأرض ستبلغ الغاية والنهاية، ولا شك أن التطور في العمران قد بلغ النهاية من حيث القوة في البناء، والطول في السماء مئات الأمتار ودقة الهندسة حتى ظهرت على أشكال تبهر الألباب، ثم الهندسة الدقيقة في الشوارع داخل المدن، ودقة انتظام المرور والسير.
- وتطور المواصلات البرية والبحرية والجوية، وانتظام المواصلات بين دول العالم.
- وتطور الاتصالات على وجه الأرض بالصوت والصورة.
- وتطور الإعلام.
- وعلى الجملة فالتطور عام وشامل في كل مجال ومن كل ناحية.
- فالذي يذهب إلى دول أوربا والولايات المتحدة والجابان والصين وروسيا يرى من زينة مدنها ما يبهر لبه، ويستغرق عجبه وإعجابه، ثم إذا رأى تقلبهم في حياتهم تضاعف إعجابه لما يراهم فيه من أسباب النعيم والتطور.
- ولا شك أيضاً أن أهل الحضارة في عالمنا اليوم قد اطمأنوا وظنوا -إن لم نقل استيقنوا- أنهم قادرون ومتمكنون من كل أسباب الحضارة والرفاهية والتقدم والتطور، فمنابع البترول تحت سيطرتهم، وآباره تضخ بترولها إلى أسواقهم، والناقلات الكبار البحرية تمخر المحيطات والبحار آمنة، و...إلخ.

وبعد، فإن أهل تلك الحضارة الراقية معرضون عن شكر الله ومتوغلون في

الكفر به وشديد العداوة للإسلام وأهله، لذلك يتوقع أن ينزل عليهم سخط الله وعذابه فيترك ما هم فيه من الحضارة والتقدم حصيداً، ويأخذهم بذنوبهم فلا يبقي منهم أحداً.

📖 بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: ﴿وَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ اللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ﴿٤٦﴾﴾ [يونس]، في ذلك:

- أن الله تعالى يمهل المتمردين على أنبيائه والمكذبين بدينه، ولا يعاجلهم بعذابه، ولو بلغوا في التكذيب لأنبيائه والتمرد عليهم الغاية والنهاية.
- أن في عذاب الآخرة ما يكفي من الجزاء للمكذبين والمتمردين.
- وفيها التطمين للنبي صلى الله عليه وآله وسلم بأن المكذبين به الذين آذوه واستهزئوا به وتمردوا عليه- سيلقون جزاءهم الكامل والوافي في الآخرة على جميع أعمالهم التي يحصيها الله تعالى عليهم.

📖 قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]:

١-فضل الله ورحمته هنا هو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وما جاءهم به من القرآن والهدى والعلم والحكمة.

٢-أن معرفة الهدى الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإيمان به والعمل بمقتضاه أفضل وأعلى وأعز وأشرف من المكاسب المالية.

٣-أنه لا ينبغي للمؤمن أن يستعظم الأموال ويفرح بها.

٤-أن من شأن المؤمن أن يكون فرحه متعلقًا بما جاء من فضل الله ورحمته، أي: النبي صلى الله عليه وآله وسلم والهدى والقرآن، وأنه ليس من شأنه أن يتعلق فرحه بالأموال دون ما جاء من الهدى والإسلام والقرآن.

٥-الفرح في هذه الآية هو السرور، والفرح الذي في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ لَهُ

قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص٧٦] هو السرور الذي يخالطه الإعجاب بالنفس، وهو محرم.

٦-يظهر من الآية أن كثيرًا من الصحابة كان فرحهم متعلقًا بالمال وجمعه، فأمرهم الله أن يخصوا فضل الله عليهم ورحمته بالفرح، ويعلقوه بذلك، دون المال وجمعه.

٧-يؤخذ من هنا أن المؤمنين بالنبي ﷺ كانوا في فقر وشدة عند نزول هذه الآية.

٨-أن ما هم فيه من الفقر والشدة جعلهم ينظرون إلى الأغنياء وما هم فيه من الغنى والترف يستعظمون ذلك ويعجبون به، ونسوا ما هم فيه من فضل الله العظيم عليهم ورحمته بهم- فوجه الله بهذا الخطاب المزعج لينبههم به من غفلتهم، ويذكرهم من نسيانهم.

[السرور والفرح]:

السرور والفرح هو فطرة وطبيعة بشرية تحصل عند حدوث نعمة أو ظفر ببغية أو نحو ذلك، وحصولها ضروري لا حيلة في دفعه، ولا يستتبع ذلك ولا يلحق بسببه مدح ولا ذم.

وما ورد من ذم الفرح فليس لذات الفرح، وإنما هو لما يصحبه من نسيان نعمة الله على العبد وغفلته عن الشكر، أو لما يصحبه من الإعجاب بالنفس مثلما صدر من قارون، فإنه أعجب بما آتاه الله من الكنوز وقال: ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي﴾ [القصص٧٨]، فظن أنه ببصره وبصيرته وحذقه وسياسته هو الذي جمعها، وأنه لعلمه بطرق المكاسب والأرباح جمع ما جمع، وكثر ما كثر؛ فلإعجابه بنفسه نسي نعمة الله عليه.

والفرح الذي أمر الله تعالى به في الآية هو الفرح والسرور الذي يتبعه الشكر، فإن المؤمن إذا فرح بالنعمة واستعظمها توجه بشكره وحمده إلى الله الذي أولاه تلك النعمة.

[فوائد من سورة هود]

📖 ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ﴾ [هود:١٤]:

- **قد يؤخذ من ذلك**: أنه يحكم بالنكول عن اليمين، والحكم بمجرد النكول عن اليمين هو المذهب.
- **فإن قيل:** هل للحاكم أن ينبه الناكل عن اليمين، أو من يتوقع منه النكول أنّ له أن يرد اليمين على المدعي أم لا؟

يقال في الجواب:

- إذا رأى الحاكم أن المنكر المحكوم عليه باليمين يتهيب من اليمين لتدينه لا لكذبه في الإنكار، ومال وهم الحاكم وتظننه إلى أن المدعي غير محق في دعواه فإنه يجوز للحاكم أن ينبه المنكر إلى أن له رد اليمين على المدعي، بل لا يبعد رجحان ذلك أو وجوبه؛ لأنه بالرد يتبين للحاكم الحق فضل تبين.
- وإذا رأى الحاكم أن نكول المنكر عن اليمين كان لأجل كذبه في الإنكار فلا ينبغي له أن ينبهه إلى رد اليمين على المدعي.
- ويعرف الحاكم ما ذكرنا من القرائن والأمارات، ولا يخفى على الحاكم اللبيب من خلال الدعاوي والإجابات والمناقشات حقيقة الحال عند المدعي وعند المدعى عليه، إلا أن ما عرفه الحاكم من خلال المراجعات بين الخصمين لا يصح أن يبتني عليه حكم شرعي.
- إلا أن الحاكم بعد معرفته لحقيقة الحال ينبغي له أن يضيق على المبطل، فينبه المدعى عليه مثلاً أن يرد اليمين عليه، وأن يلزمه باليمين المؤكدة لشهادة شهوده، وإذا رأى الحاكم أن يحلِّف شهوده فليفعل، أو يتحرى في البحث عن عدالة شهوده، وما أشبه ذلك.
- وإذا لم يكن شيء مما ذكرنا فالذي يظهر لي -والله أعلم- أنه لا مانع من

أن ينبه الحاكم المنكر بأن له أن يرد اليمين على المدعي، وذلك أن الرد لليمين على المدعي حق شرعي للمدعى عليه، وإذا كان حقاً له فلا مانع من التنبيه له بما له من الحق.

- والذي لا يجوز للحاكم هو أن يلقن أحد الخصمين حجته، أو يلقنه كيف يدعي أو كيف يجيب على دعوى خصمه، أو يلقن الشاهد كيف يشهد، والتلقين هو أن يقول الحاكم مثلاً للمدعي أو المدعى أو للشاهد: قل كذا وكذا.

📖بسم الله الرحمن الرحيم، قال الله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ...﴾ [هود]:

في ذلك ثلاثة أوامر هامة مقرونة بالتهديد هي:

١- الاستقامة على فعل ما أوجبه الله تعالى وفرضه على عباده، وعلى ترك ما نهى عنه تعالى، وفي نحو ذلك قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت].

٢- نهى الله تعالى عن الطغيان، والطغيان هو الخروج عن الاستقامة بفعل ما حرمه الله تعالى، أو بترك ما أوجبه على عباده.

٣- ونهى تعالى عن الركون إلى الظلمة، والركون إليهم هو الميل إليهم ولو ميلاً يسيراً، ويتمثل الركون إليهم في معاونتهم على ظلمهم، وفي طاعتهم في معصية الله، وفي تسويدهم، وفي تصديق كذبهم، وفي تبرير أعمالهم، و.. إلخ.

وقد روي أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: ((شيبتني هود والواقعة))، وقال بعض العلماء: إن هذه هي الآيات التي شيبت بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

فإن قيل: ما هو السر هنا في سببية هذه الآيات لشيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم؟

فيقال في الجواب: إن الله تعالى أخذ على النبي ﷺ والمؤمنين أن يقوموا بتأدية ما أمرهم الله تعالى به من الفرائض والواجبات، وأن يكون ذلك على الصفات والشروط التي يريد الله تعالى، وكان النبي ﷺ يرى أن نفسه قاصرة عن تأدية ما أوجبه الله تعالى عليه على الصفة التي يريدها الله تعالى.

[فوائد من سورة يوسف]

١- قال الله سبحانه وتعالى: ﴿حَتَّى إِذَا اسْتَيْئَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا...﴾ [يوسف:١١٠].

٢- وقال: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ...﴾ [البقرة:٢١٤].

٣- وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِى يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ..﴾ [الشورى:٢٨]،

يؤخذ من ذلك:

أن الفرج يأتي بعد أن تستحكم الشدة، ويحصل اليأس، وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يقول: ((اشتدي أزمة تنفرجي)).

معنى الآية الأولى: أن نصر الله يأتي رسله وأتباعهم في حين يقل أملهم في قرب النصر، وييأسون من قربه، وبعدما يبلغون رسالات الله أكمل تبليغ إلى أقوامهم فيكذبونهم، فيكررون عليهم الدعوة وتبليغ الرسالات المرات بعد المرات، والوقت بعد الوقت، والشهر بعد الشهر، والسنة بعد السنة، فيقابلهم أقوامهم بالتكذيب، فيقل أمل الرسل في إيمان أقوامهم، ويحصل لهم اعتقاد قوي بأن أقوامهم لن يؤمنوا برسالات الله.

فإذا حصل الأمران وهما اليأس والظن بعدم حصول الإيمان من أقوامهم- جاء نصر الله.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام:٣٤]: يراد به أنكم أيها المؤمنون - وإن ضعف أملكم في نزول النصر- ستنصرون حقاً وإن تأخر، فثقوا بوعد الله فإن الله لا يخلف وعده، ولا تتغير كلماته التي سبق وأن تكلم بوعده فيها لعباده، ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴿٨٧﴾﴾ [النساء]، ﴿مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ﴾ [ق:٢٩].

- وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ﴿٣٤﴾﴾ [الأنعام] يراد به أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين إذا استبطئوا النصر فلينظروا إلى ما قصه الله عليهم

من أخبار المرسلين مع أممهم فإنه جاءهم نصر الله بعد طول انتظار وبعد اليأس من إيمان الكفار.

- ما هي الحكمة من تأخير النصر عن أولياء الله من الرسل والمؤمنين؟

يقال: في ذلك مصالح عظيمة يظهر لنا منها بالتأمل:

١- الاختبار والابتلاء للمؤمنين فإن بذلك يتميز المؤمن من المنافق، ومن هنا قال بعض أصحاب نبينا محمد ﷺ يوم الخندق ما حكاه الله تعالى في سورة الأحزاب: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الأحزاب].

٢- أن النصر بعد طول انتظاره، وبعد اليأس من قرب نزوله يكون أوقع وأحلى في النفس، فتستعظمه النفس، ويجل قدره عندها، فتندفع النفس إلى شكر الله على هذه النعمة العظيمة، وتبالغ في شكرها وذكرها وحمد الله عليها، والثناء عليه تعالى بها، وهذا بخلاف ما لو جاء النصر قبل الانتظار الطويل، وقبل ما ذكرنا فإنه لا يكبر موقعه في النفس، ولا... الخ.

٣- أن في التأخير إبلاغ المعذرة والزيادة في إكمال الحجة على الكافرين المكذبين بالرسل عليهم السلام، فإن في تطويل المدة قطع معاذير المكذبين فلعلهم يقولون يوم القيامة -لو كانت المدة قصيرة-: لو طولت لنا المدة يا ربنا ومهلتنا، لانكشف لنا الحق، واتضح الصواب، وتبين لنا صدق دعوة رسلك، ولكنك أخذتنا بالعذاب قبل أن ينكشف لنا الحق والصواب.

فمن هنا قلنا: إن في تأخير النصر وطول انتظاره قطع معاذير المكذبين.

- أما تأخير نزول الغيث إلى حد يقنط فيه الناس من نزوله- ففي ذلك من الحكمة استعظام النعمة بنزوله، وجلالة موقعها في النفوس، فتندفع النفوس إلى شكر الله و... الخ.

- قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ لَا يَيْئَسُ مِن رَّوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف]: لا تنافي بين هذه الآية وبين الآية الأولى، فيأس الرسل والمؤمنين متعلق بقرب مجيء

النصر، ولم ييأسوا من مجيئه، ومن هنا قال المؤمنون يوم الأحزاب حين بلغت القلوب الحناجر وظهر نفاق المنافقين: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب]، فهم وإن حصل عندهم اليأس من قرب النصر فإن قلوبهم منطوية ومطمئنة إلى صدق وعد الله تعالى ووعد رسوله ﷺ بالنصر، فقالوا: ﴿هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾﴾ [الأحزاب].

- واليأس من روح الله المذكور في هذه الآية هو أن ينقطع طمع النفس تماماً بحيث لا يبقى لها أمل ولا رجاء في حصول الفرج من الله لا عاجلاً ولا مستقبلاً.
- وهذا اليأس من أوصاف الكافرين، فلا يحصل إلا منهم، أما المؤمنون بالله فلا يحصل منهم على الإطلاق؛ لأن المؤمن بالله يرجو بمقتضى إيمانه بالله حصول الفرج بعد الشدة، ويتوقع مجيء اليسر بعد العسر.

[فوائد من سورة الرعد]

📖 قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد١١]، وقال: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾﴾ [الشورى]، وقال سبحانه: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم]، في ذلك:

أن الله تعالى لا يسلب نعمة عن قوم إلا بسبب معاصٍ يكتسبونها ويصرون عليها، أما إذا كانوا مطيعين لله شاكرين لنعمه فإنه تعالى سيزيدهم نعماً إلى نعمهم، ولا يسلب شيئاً من نعمه التي أعطاهم ومنَّ بها عليهم.

فإن قيل: كيف تجمعون بين هذه الآيات وبين قوله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾﴾ [البقرة]؟

فيقال: إذا نزلت مصيبة بالمؤمنين الشاكرين فإن نزولها محنة وابتلاء يعرّض الله تعالى بسببها المؤمنين على اكتساب المزيد من الحسنات والثواب العظيم، ومن هنا فإن المصيبة تعتبر نعمة عظيمة.

أما الآيات السابقة فإن المراد بالمصائب النازلة العذاب والعقاب العاجل، وحينئذٍ فموضوع الآيات السابقة غير موضوع الآية الأخيرة.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنْ كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الأعراف]، في هذه الآية:

أن الإيمان بالله والالتزام بالتقوى سبب لرخاء المعيشة وازدهارها، وأن الإعراض عن الإيمان والتقوى سبب للجفاف والجدب والفقر.

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى...﴾ الآية [الرعد:٣١]:

قد يفهم من هذا الخطاب أن للقرآن منافع كثيرة، وأن له تأثيراً واسعاً، وأنه قد بلغ الغاية والنهاية في النفع والتأثير، ولو فرض أن نوعاً من الكلام عظيماً تفتت به الجبال، وتنسف به الأرض- لكان القرآن هو ذلك الكلام.

أما أن القرآن شفاء من الهم والغم والحزن والضيق والقلق فقد قال تعالىٰ: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [الرعد].

[فوائد من سورة إبراهيم]

📖 قال تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا......... وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [إبراهيم].

الكلمة الطيبة: يراد بها كما يفيده المثل المضروب في الآية: الكلمة النافعة للناس في دينهم ودنياهم، وفي عاقبة أمرهم، والتي من شأنها أن ينتفع بها سامعها في أي مكان وزمان، ولا يخالط نفعها أي ضرر أو فساد.

والكلمة الخبيثة: هي الكلمة التي من شأنها الضرر بالناس في دينهم ودنياهم وعاقبة أمرهم، ولا يخالط ضررها نفع.

وقد صور الله تعالى الكلمة الخبيثة بما ضربه من المثل لها حيث صورها بصورة الشجرة الضارة المؤذية التي قطعت من أصلها، وأبعدت عن مقرها؛ لأن الشجرة التي لم تقطع وإن كانت خبيثة غير نافعة إلا أنه قد يكون في خضرتها نوع جمال وزينة فإذا قطعت وجفت زال جمالها وانمحت زينتها، وخليت عن أي نفع.

📖 ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝٢٤ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم].

﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ۝٢٦﴾ [إبراهيم]:

يظهر لي والله أعلم أن الكلمة الطيبة هي الكلمة اللطيفة التي ينبسط لها المخاطب ويرتاح لها، والكلمة الخبيثة هي الكلمة الخشنة التي تثير غضب المخاطب وتستفزه، وذلك هو المراد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا

السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت].

وحقاً فإن الكلمة الطيبة كالشجرة الطيبة، فالكلمة الطيبة ينتج عنها بقاء المودة وصلاح شأن الإخوة، ووحدة كلمتهم، وينتج عنها بقاء قوتهم وهيبتهم، وبقاء تعاونهم وتكاتفهم، و... إلخ.

والكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة لا يكون لها ثمر، ولا يحصل منها منافع، بل تقطع وتيبس وتتفتت، ويتبعثر شوكها فيضر الناس.

📖 ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴿٢٧﴾﴾ [إبراهيم]:

- يحظى المؤمن المتحقق بحقائق الإيمان في هذه الحياة الدنيا بعناية الله ورحمته، فلا يزول لذلك عن طريق الحق ولا يزيغ عنها.
- أما الفاسق عن أمر الله فلا يكون له نصيب من عناية الله وتوفيقه ورحمته، فيتخبط في الضلال، وتستهويه شياطين الإنس والجن، فتلقيه في المهالك والمغاوي.

📖 ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ ءَامِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴿٣٥﴾ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٣٦﴾ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ...﴾ [إبراهيم].

ـ قوله: «عند بيتك المحرم» يدل على قدم البيت وأنه محرم من قَبْل نبي الله إبراهيم، ودعاؤه عليه السلام بأن يجعل ذلك البلد آمنا يحتمل أنه دعاء باستمرار أمنه وبقائه وعدم انقطاعه، لأن حرمته سابقة لزمن إبراهيم عليه السلام.

فإن قيل: ما هي الحكمة والسر في جعل الله تعالى البيت الحرام والبلد المحرم

في وادٍ لا زرع فيه ولا ثمار، وليس ثمة اتساع بل كل ما هناك جبال يفصل بعضها عن بعض مضايق تجري فيها السيول؟

قلنا: لعل من الحكمة في ذلك أن الله تعالى لو جعل البيت الحرام والحرم المحرم حيث الأنهار جارية وبساتين الثمار كثيرة متواصلة كبساتين ومزارع نهر دجلة والفرات والنيل لم يتميز الذي يأتيه مخلصاً والذي يأتيه لطلب الدنيا.

ولعل هذا السر هو السر في كون أنبياء الله ورسله عليهم السلام فقراء مساكين؛ إذ لو كانوا ذوي ثراء وغناء ومناصب ووجاهة، لأسرع الناس إلى الإيمان بهم والتقبل لدعواتهم رغبة فيما بأيدهم من الأموال، ولم يتميز المؤمن بهم حقاً من المؤمن بهم رغبة وطلباً للمال والمنصب.

[فوائد من سورة الحجر]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝٩٧ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۝٩٨ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝٩٩﴾ [الحجر].

- ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۝٤٨ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ۝٤٩﴾ [الطور]:
- في ذلك أن المداومة على ذكر الله تعالى بالتسبيح والتحميد سبب للخروج من ضيق الصدر.
- وهكذا علَّم الله نبيه ﷺ الطريق إلى الخروج من ضيق الصدر وقلقه واغتمامه.
- وهذا -وإن كان خطاباً للنبي ﷺ- فهو بلسم نافع لجميع المؤمنين، ووسيلة للتخلص من الضيق والكدر لعامتهم.

يؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [يوسف].

- وتفسير الآية على أن المراد بالتسبيح بحمد الله هو الصلاة.
- ﴿حِينَ تَقُومُ ۝٤٨﴾: يحتمل أن المراد حين تقوم لصلاة الليل، ويحتمل حين تقوم لصلاة الظهر والعصر.
- ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ﴾: يراد به صلاة المغرب والعشاء.
- ﴿وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ۝٤٩﴾: صلاة الصبح.
- ويؤكد هذا التفسير: قوله تعالى: ﴿وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ﴾ [البقرة:٤٥]، والحديث المشهور: أن النبي ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة، ولا منافاة بين التفسيرين؛ لأن الصلاة لم تكن كذلك إلا لما اشتملت عليه من ذكر الله وتسبيحه وتحميده.

- ولعل تسمية الصلاة بالتسبيح بحمد الله لكون ذلك هو الركن المقصود من الصلاة.
- والتسمية لها بذلك تسمية مجازية، وهذا التفسير هو الأولى والله أعلم.

[فوائد من سورة النحل]

📖 قوله تعالىٰ: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴿٥٣﴾﴾ [النحل]، يؤخذ من ذلك: حسن الجهر بالدعاء عند حلول المصائب، فيكون هذا مخصصاً؛ لقوله تعالىٰ: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف:٥٥].

📖 قال تعالىٰ: ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴿٦٠﴾﴾ [النحل]:

رد الله تعالىٰ بهذه الآية علىٰ المشركين حين جعلوا لله البنات، وجعلوا لأنفسهم الذكور، ﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ...﴾ إلخ [النحل]، فأخبر الله تعالىٰ أن لهم الوصف القبيح، وأنهم أهل لأن يكون لهم ذلك الوصف، ولله تعالىٰ الوصف الأعلىٰ والأحسن.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالىٰ: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل]، **في ذلك فوائد:**

- أنه لا يحق لأحد أن يمنع من رعي النحل في مزارعه لإذن الله تعالىٰ لها بالأكل من كل الثمرات.
- أن العسل دواء نافع لكل مرض تقريباً.
- وأن الله تعالىٰ يحب من عباده ويريد منهم أن يتنعموا بطيبات فضله عليهم.
- وأن الإلهام إذا كان من الله يسمىٰ وحياً.

📖 قال تعالىٰ: ﴿فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴿٧٤﴾﴾ [النحل]:

- الفائدة من ضرب المثل: هو تصوير الأمر الخفي للمخاطب بصورة محسوسة فيتجلىٰ للمخاطب ذلك الأمر، وترتسم صورته في ذهنه، فلهذه الفائدة

ضربت العرب الأمثال في لغتها.

والله تعالى ليس مما يتصور؛ لأن التصور لا يكون إلا للأجسام والأعراض، والله تعالى ليس بجسم ولا عرض، لذلك نهى الله تعالى عن أن تضرب له الأمثال.

قوله تعالى: ﴿وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [الروم:٢٧]:

- المثل في هذه الآية هو الوصف، وليس المراد به ما يراد بالمثل في الآية السابقة من تصوير الأمر بصورة محسوسة تكون أقرب إلى فهم السامع.

📖 قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّهْهُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [النحل]:

هذا مثل ضربه الله تعالى ليبين به للمشركين ضلالهم في عبادة الأصنام وغيرها مما لا ينفع ولا يضر، ومساواتهم لها بالله تعالى في العبادة والتعظيم، وفي ذلك دليل على أن استواء الشيئين في أمر معتبر يوجب استواءهما في الحكم المترتب على ذلك الشيء، وأن اختلافهما وعدم استوائهما يوجب اختلاف الحكم وعدم استوائه.

وفي ذلك أيضاً دليل على أن القياس طريق شرعية.

📖 قال الله تعالى: ﴿مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل:٩٦]:

- المعنى: أن ما عند الناس من متاع الدنيا وزينتها سيفنى وينتهي، ولا يبقى منه شيء، وهكذا طبيعة متاع الدنيا.
- وأن ما عند الله تعالى لأوليائه المخلصين من الثواب والنعيم في الآخرة لا يفنى ولا ينتهي، بل يبقى دائماً يتنعمون فيه، بلا انقطاع ولا انتهاء.
- رغب الله تعالى عباده بهذه الآية في ثواب الآخرة، وأن يؤثروها على متاع الدنيا وزينتها، فإن النعيم الباقي الذي لا ينتهي ولا يفنى خير من النعيم الذي يفنى وينقطع.

[فوائد من سورة الإسراء]

📖 قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾..﴾ [الإسراء]، **في ذلك:**

١- أن القرآن يهدي إلىٰ أقوم الطرق المؤدية إلىٰ السعادة والعزة والرفعة والكرامة والطهارة في الدنيا، ثم السعادة الأبدية في جنات النعيم.

٢- أن القرآن يبشر المؤمنين الذين يسيرون في الطريق الأقوم بأن لهم أجراً كبيراً في الدنيا والآخرة.

سؤال: ما هو تفسير قوله تعالىٰ في سورة الإسراء: ﴿وَيَدْعُ الْإِنْسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءَهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾﴾؟

الجواب والله الموفق:

أن الإنسان لشؤمه وسوء رأيه يطلب من ربه ويسأله أن ينزل به وبأهله الشر والبلاء استعجالاً للشر، وذلك كدعائه للخير واستعجاله له، وهكذا طبيعة الإنسان فقد طبع علىٰ شدة العجلة.

ويبدو لي -والله أعلم- أن المراد بالإنسان هنا هو الكافر والمجرم، بدليل آية يونس وهي قوله تعالىٰ: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُهُ بَيَاتًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٠﴾ أَثُمَّ إِذَا مَا وَقَعَ ءَامَنْتُمْ بِهِ آلْآنَ وَقَدْ كُنْتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٥١﴾﴾، ومعنىٰ هذه الآية أن الله تعالىٰ أمر نبيه أن يسأل المجرمين سؤال تجهيل وتوبيخ أي شيء في العذاب دعاكم إلىٰ استعجاله؟ وهل في العذاب ما تستروح إليه النفس أيها المجرمون؟

وفي آية أخرىٰ في سورة يونس يقول الله تعالىٰ: ﴿وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا فِى طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١﴾﴾، وفي هذه الآية ما يفيد أن الله تعالىٰ لا يعجل الإجابة للداعي بالشر علىٰ نفسه أو أهله كما يعجل الإجابة بالخير، وهذه التوسعة فضل الله ورحمته بعباده

فله الحمد كثيراً بكرة وأصيلاً، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

📖 وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]:

إذا ارتكب أهل قرية معاصي الله تعالى، وارتكبوا العظائم، وفعلوا مثل أفعال قوم لوط عليه السلام- فإن الله تعالى يغضب عليهم، ويريد أن ينزل بهم العذاب الذي يستحقونه على جرائمهم، ولكنه تعالى لا ينزل بهم العذاب حتى يبعث إليهم رسولاً فيأمرهم بطاعة الله تعالى، وينهاهم عن فعل معاصيه، فإذا عصوا رسول ربهم، وتمردوا عليه، فإن الله تعالى ينزل عليهم حينئذ ما يستحقونه من العذاب.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء].

وخص الله تعالى الأمر بالمترفين لأن سائر الناس تبع لهم، فإذا صلح المترفون صلح الناس، وإذا فسدوا فسد الناس.

واعلم أن الله تعالى لا يريد إهلاك قرية إلا إذا كان أهلها مجرمين، أما إذا كان أهلها صالحين فإن الله تعالى لا يريد إهلاكهم، قال تعالى: ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا﴿١٤٧﴾﴾ [النساء]، وقال تعالى وهو يخاطب المؤمنين: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾ [البقرة:١٨٥].

وقد وعد الله المؤمن بأن يحييه حياة طيبة، وأن يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب، وأن يدافع عنه.

وقال سبحانه: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال].

سؤال: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]؟

الجواب والله الموفق: المعنى أن أي أهل قرية أو أي طائفة من الناس إذا

تمادوا في العصيان، وأكثروا في الأرض الفساد، وتجبروا وتكبروا، وارتكبوا الفواحش والمآثم، وبلغوا في ذلك الغاية والنهاية؛ فعند ذلك يستحقون العقاب، وفي هذه الحال يريد الله بهم النكال غير أن حكمته تعالى وهو الحكيم العليم اقتضت ألا يفعل بهم ذلك النكال الذي استوجبوه إلا بعد أن يرسل إليهم الرسل تأمرهم بالطاعة، وتنهاهم عن المعاصي؛ لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل، وتماماً كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا...﴾ الآية [طه:١٣٤].

فلما لم يقبلوا أوامر الله تعالى وبيناته التي بلغتها إليهم الرسل، ولم ينتهوا عما هم فيه، بل تمردوا وفسقوا فيها- فهنالك حق عليهم العذاب، فدمرهم الله تدميراً، وهكذا سنة الله تعالى في الأمم التي قص علينا ذكرها في القرآن، فلم ينزل بأحد منها العذاب إلا من بعد الإعذار والإنذار.

فإن قلت: لم خص الله تعالى المترفين بالذكر؟

قلنا: لأن السيطرة والسلطان يكون بأيديهم في العادة، وسائر الناس تبع لهم فإن استجاب المترفون للدعوة استجاب المستضعفون، وإن أبوا أبوا.

ومن هنا ذكر الله تعالى محاجة الفريقين، وما سوف يدور بينهم في النار، وفي يوم القيامة، فقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنْتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا...﴾ الآية [سبأ].

وقال تعالى في سورة إبراهيم عليه السلام: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنْتُمْ مُغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِنْ

شَيْءٍ...﴾ الآية [إبراهيم:٢١]، وفي آية: ﴿إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ ۝٦٤﴾ [ص].

وإرادة الله تعالى إهلاك أهل قرية هي: علمه تعالى بأنهم قد استحقوا العذاب، وليست إرادته تعالى كما هي في المخلوق، فإنها في المخلوق عَرَضٌ يجده صاحبه في قلبه، والله تعالى لا تحله الأعراض.

والذي تعنيه الإرادة في حق الله تعالى هو أن أفعاله تعالى تقع على مقتضى الحكمة والمصلحة؛ فإذا علم تعالى أن الحكمة والمصلحة في فعل شيء في وقت فعله في ذلك الوقت.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء:٣٦].

وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا ۝٢٨﴾ [النجم].

وقد ذم الله تعالى في القرآن الذين يتبعون الظن، ونقول:

الذي يظهر أن الظن قسمان: قسم مذموم، وقسم غير مذموم.

فالظن المذموم هو الذي لا مستند له إلا الوهم والخيال والتقليد، وهذا النوع من الظن هو الذي ذمه الله تعالى في القرآن، ومنه الظن الذي يعارضه العلم.

والظن الذي ليس بمذموم هو الظن الذي يستند إلى دليل صحيح أو أمارة صحيحة، ولم يعارضه ما هو أقوى منه، قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ...﴾ [الحجرات:١٢]، فدل ذلك على ما ذكرنا من أن الظن ينقسم إلى ظن مذموم وظن غير مذموم.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝٥٨﴾ [الإسراء]، في هذه الآية وعيد عام لكل قرية على وجه الأرض، والمرد بإهلاك القرية إهلاك أهلها؛ لأنهم هم المستحقون للهلاك والعذاب بعصيانهم لله وتمردهم عليه.

وليس المراد هلاك القرى في وقت واحد، بل إن كل قرية سيكون هلاكها في

الوقت الذي يعلم الله تعالى أنها تستحق فيه الهلاك أو العذاب، وذلك يختلف باختلاف القرى.

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴿١٦﴾﴾ [الإسراء]:

لا شك أن حجة الله تعالى اليوم قائمة على العالمين؛ فالقرآن اليوم مطبوع ومترجم إلى اللغات الرسمية في العالم، والدنيا طافحة بالمكاتب المحتوية على كتب الإسلام بجميع اللغات ووسائل الإعلام المسموعة والمرئية تنشر دعوة الإسلام وآياته وبيناته، ويتواجه اليوم العلماء من أهل الملل المختلفة والمذاهب المتفرقة على الإنترنت وجهاً لوجه للمناقشات والمجادلات و..إلخ.

بالإضافة إلى أن المسلمين اليوم منتشرون في جميع دول العالم في دول أمريكا وأوربا وأفريقيا وآسيا، ولهم هناك كيانات كبيرة ومساجد ومدارس يرفعون الأذان ويصلون الجمعات والأعياد.

فلا عذر لأي مكلف في مشارق الأرض ومغاربها في الكفر بالله تعالى وبرسوله محمد ﷺ وبدين الإسلام.

📖 ﴿كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا﴿٢٠﴾﴾ [الإسراء]: خير الدنيا ونعيمها عام للمطيع والعاصي، إلا أنه يختص المؤمن بحياة طيبة واطمئنان بال، أما العصاة -وإن أسبغ الله عليهم خير الدنيا- فإنهم يعيشون ويتقلبون في خير الدنيا معيشة ضنكة وتقلباً نكداً، لا يعرفون فيها اطمئناناً في البال، ولا حياة طيبة.

- قد يقال: نجد الكثير من عباد الله الصالحين يعيشون في ضيق من العيش وفي قلق وخوف من السلاطين، و...الخ، فكيف توجيه ذلك مع الآيات السابقة؟

- فيقال: إن عباد الله الصالحين -وإن أصابهم ما أصابهم من المحن والشدائد- راضون عن الله، ولا يكبر عليهم ما يلحقهم في الدنيا من الشدائد، لعلمهم

بما عند الله من الأجر العظيم، والثواب والنعيم، والفضل الكبير الذي أعده للصابرين، فيهون عندهم ما لحقهم، ويصغر في أنفسهم ما أصابهم، وقد علموا أن الله عدل حكيم رؤوف رحيم، فوثقوا بأن ما أصابهم هو خير لهم في دينهم ودنياهم وآخرتهم، ومن هنا فإنهم يعيشون في الدنيا في هدوء بال وسكون نفس وطمأنينة ويحيون حياة طيبة.

- المؤمن ينظر إلى الدنيا على أنها دار ممر وطريق إلى دار أخرى، ويرى أن الدار الآخرة هي دار القرار التي لا انقطاع لها، فنظره متعلق بالدار الآخرة، وبحياتها الأبدية ونعيمها الدائم، فلا يقلق ولا يحزن لما يلحقه في الدنيا؛ لأنه لا يعتبرها إلا طريقاً يمر فيه إلى الدار الآخرة.

فهناك فرق كبير بين المؤمن والمجرم، فالمجرم إذا أصابه مثلاً مرض السرطان فإنها تنهار أعصابه، ويطبق عليه الخوف والقلق العظيم؛ لأنه يرى أنه قد خسر كل شيء، وفاته كل شيء، وانقطع أمله من كل خير، ولم يبق له أمل ولا رجاء في أي شيء، بعكس المؤمن فإنه لا ينقطع أمله بالشفاء والعافية في الدنيا؛ لعلمه بأن الله تعالى قادر على شفائه ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴿٨٠﴾﴾ [الشعراء]، وأنه تعالى هو الذي أنزل البلاء، وأنه وحده هو القادر على رفعه، ثم إنه واثق بأن الحياة الدنيا إذا فاتته فإن له أملاً بالعيش الهني والحياة الطيبة الدائمة في الدار الآخرة، فإذا فاتت عليه أيام الحياة الدنيا فلا يعظم ذلك عليه، ولا يكبر في نفسه، فلا يحزن لفواتها، ولا يقلقه ذهابها.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾ [الإسراء]، في ذلك:

١ - آية بينة ومعجزة واضحة تدل على صدق النبي ﷺ فيما جاء به من عند الله تعالى، وذلك أنه أخبر في هذه الآية عن أمر مستقبل فكان الخبر على حسب ما أخبر، فقد انتشر الإسلام في جزيرة العرب، وعمتها الملة المحمدية، وانتهى الشرك وعبادة الأوثان ودين الجاهلية. وعلم الغيب لا يعلمه إلا الله تعالى.

٢ - أمر الله تعالى نبيه أن يقول ذلك القول- ليرعب المشركين، ويدخل عليهم به الخوف في قلوبهم؛ لأنهم كانوا واثقين في صدق النبي ﷺ، ومجربين لصدق ما أخبر به، لا يشكون في ذلك، ومن هنا روي أن النبي ﷺ قرأ على بعض رؤساء قريش أول سورة فصلت حتى بلغ قوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾ [فصلت]، فوضع يده على فم النبي ﷺ وقال: سألتك بالله والرحم أن يحل بنا مثل ذلك. هذا معنى الرواية.

٣- وفي ذلك أيضاً التطمين للمؤمنين والتثبيت لهم، والشد من عزائمهم، وتقوية صبرهم؛ لأنهم إذا سمعوا ذلك الخبر عرفوا أن الفرج قد أوشك، وأن النصر قد شارف.

٤ - الباطل -وإن عظم أمره واشتد ركنه- فطبيعته الاضمحلال والذهاب، ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

📖 ﴿جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ [الإسراء]:

المعنى: يخبر الله تعالى نبيه ﷺ عن حال المشركين من قريش، وموقفهم من دعوته ﷺ إلى الإسلام، فوصفهم الله تعالى بأنهم لا يعون ما تتلو عليهم من الآيات والحجج، ولا يفقهون؛ لعمى بصائر عقولهم، وصمم آذان قلوبهم، وأنك إن دعوتهم وتلوت عليهم الآيات لا يسمعوا؛ لحيلولة العمى والصمم، وعمى القلب وصممه حجاب مستور لا تراه.

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الإسراء:٨٢]، **في ذلك:**

١- أن القرآن شفاء من أدواء القلوب وأمراضها، فيشفي من الشك والجهل والحيرة، ومن المفروض أنه شفاء من النفاق والكفر، ولكن المنافقين والكافرين لا يسمعون، وهو شفاء لهم ولكنهم لا يشتفون.

٢- أنه رحمة للمؤمنين، ومعنىٰ ذلك أنه يهديهم ويعرفهم سبل السعادة والرفعة والعزة والطهارة في حياتهم الدنيا، ثم السعادة الأبدية في جنات النعيم، ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴿٢﴾﴾ [الجمعة].

[شفاء القرآن]:

📖 قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴿٨٢﴾﴾ [الإسراء]، **في ذلك:**

- أن القرآن شفاء ورحمة للمؤمنين.
- شفاء من أدواء القلوب التي هي الجهل والشك والحيرة والشبه.
- ورحمة من حيث أنه يزكيهم ويطهرهم ويهديهم للطريق القويم التي يلقىٰ سالكها في طريقه رضوان الله ومحبته وطمأنينة قلبه والسعادة في الدنيا، ثم الوصول إلىٰ السعادة في الآخرة.
- أما الظالمون فإنهم يزدادون بنزول القرآن خساراً وذلك من حيث إنهم إذا سمعوا آيات القرآن كفروا بها واستهزؤوا، فيكسبهم ذلك سخط الله تعالىٰ وغضبه عليهم، فيتضاعف عليهم الغضب والسخط فيحرمون رحمة الله ومحبته، ويستحقون عذابه في الدنيا والآخرة.
- ويمكن أن يستدل من هذه الآية علىٰ أن في القرآن شفاءً من أدواء الأبدان وأسقامها، وذلك لإطلاق (شفاء) في الآية، وظاهر الإطلاق يتناول أدواء القلوب، وأدواء الأبدان ؛ ويؤيد ذلك ما روي أن بعض

الصحابة رقى لبعض رؤساء العرب بفاتحة الكتاب فعوفي، والقصة مشهورة.

العلاج بالقرآن:

القرآن علاج لأدواء القلوب من الكفر والنفاق، والكبر والعجب، والرياء والفسوق و...إلخ.

وهذا هو الغرض الأول الذي نزل به القرآن.

وفيه مع ذلك شفاء لأدواء الأبدان وأمراضها، وقد روى الهادي عليه السلام في الأحكام حديثاً في فضل الفاتحة منه: ((وما قرئت على مريض إلا شفي)).

وفي ذلك الحديث المشهور في الرقية بالفاتحة حيث رقى أحد الصحابة لسيد قوم من المشركين وكان قد لدغ، وأعطي على ذلك قطيعاً من الغنم...إلخ، وفي ذلك دليل واضح على التداوي بالقرآن.

ومن الطرق التي رأينا علماءنا عليها في هذا المجال أن يكتبوا آيات من القرآن في إناء، ثم يصبون عليها الماء، ثم يشربها المريض، أو أن يكتبوا الآيات في قرطاس، ثم يضعون القرطاس في ماء، ثم يشربه المريض.

ومن طرقهم أن يكتبوا القرآن في قرطاس ويأمروا المريض بحمله واستصحابه، ولا بأس بالاستشفاء بالقرآن على هذه الطريقة، ولا محذور فيها؛ لأن كتابة القرآن للاستشفاء تماثل قراءته للاستشفاء، لا فرق في ذلك، والدليل الوارد في الاستشفاء بالقرآن يدل على الاستشفاء بما كتب من آيات القرآن.

[الفرق بين الرقية بالقرآن وبين التمائم]:

وقد استنكرت السلفية ما يفعله علماؤنا من الرقية بكتابة القرآن، وبكتابته للاستشفاء، إما شرباً وإما حملاً، واستدلوا على منع ذلك بأنه ورد النهي عن التمائم وتعليقها.

والجواب: أن ما ورد في ذلك يراد به ما كان يصنعه أهل الجاهلية من تعليق بعض أشياء في أعناق الأطفال وغيرهم لحفظهم من الجن والشياطين، فنهى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن ذلك؛ لأن الخرز والأحجار لا تنفع ولا تضر، ولا ينبغي للمسلم أن يعتقد ذلك فيها.

أما كتابة القرآن وتعليقه للاستشفاء والحفظ فقد ذكرنا ما يدل على جوازه، وهو حديث الرقية بالفاتحة، وحديث الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وقد كان القرآن شفاءً لأسقام الأبدان:

١- لما جعل الله تعالى فيه من البركة والخير الكثير للأمة قال تعالى: ﴿وَهَذَا ذِكْرٌ مُبَارَكٌ أَنْزَلْنَاهُ...﴾ [الأنبياء:٥٠].

٢- لما في ذلك من الدلالة والحجة على أنه من عند الله تعالى.

الطب في القرآن:

- من الكلمات المشهورة المسلَّمة عند الناس: «الوقاية خير من العلاج»:

أمر الله باجتناب النجاسات، وبغسلها من الجسم إن وقعت فيه، وغسلها من الثياب، وأمر بالوضوء عند الصلاة، وأمر بالغسل من الجنابة، وباعتزال الحائض، وحرم أكل الخبائث، وإلى آخر ما أمر الله تعالى به، أو حرمه ونهى عنه، فإن فيه -بعد كونه طاعة وعبادة لله- مصالح صحية عظيمة.

الطب في القرآن:

- حرم الله جل جلاله وهو العليم الحكيم على عباده في القرآن الكريم كل ما يضر بصحة الإنسان ويفسدها كالخمر والزنا والنجاسات وأكل الميتة، و..إلخ.

- وأوجب عليهم أن يتعبدوه بعبادات حددها القرآن، وبجانب كونها عبادات لله يوجد فيها مصالح عائدة إلى العباد إما صحية، وإما اجتماعية، وإما... الخ، فالطهارة من النجاسات والوضوء والغسل فيها فوائد صحية،

والصلاة فيها مصالح صحية واجتماعية، والصيام فيه مصالح صحية واجتماعية، وفي الحج مصالح صحية واجتماعية، و...إلخ.

- ذكر الله تعالى النحل في القرآن، وقال: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل:٦٩].
- وقال سبحانه وتعالى: ﴿...كُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا...﴾ [الأعراف:٣١]، وقد فسر الإسراف هنا بالإفراط في الأكل والشرب، وما ذلك إلا لما فيه من الضرر على صحة الإنسان.

والتفسير الثاني للإسراف هو أكل الحرام وشرب الحرام، فنهى سبحانه عن أكل الحرام وشربه بعد أن أباح الأكل والشرب.

[في الروح]:

📖 قال تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا (٨٥)﴾ [الإسراء]:

الروح هي السر الذي يكون به الإنسان والحيوان حياً، وإذا أخذ الله هذا السر صار الإنسان والحيوان ميتاً، وتحول بعد الحياة جماداً.

وفي هذه الآية دليل وبرهان على أن القرآن من عند الله، وأن محمداً ﷺ رسول من عند الله صادق فيما جاء به من عند الله، ولاسيما أهل عصرنا هذا الذي تطورت فيه العلوم والمعارف وتقدمت فيه الصناعة، فإن علماء الطب والتشريح لا يستطيعون مع ما هم عليه من التقدم في هذا المجال، ومع توفر الآلات الاستكشافية الدقيقة أن يشخصوا الروح، وكل ما وصلوا إليه بتقدمهم العلمي والصناعي، هو معرفة ما تركب منه البدن، ووظائف أعضائه، وما يعرض له من علل وأحوال... إلخ.

وعلى الجملة فمجال علمهم وتطوره هو البدن، أما الروح المصاحبة للبدن فبينهم وبينها حجاب حال بينهم وبين معرفتها، وإذا فارقت الروح البدن

مات البدن وصار جماداً.

ويمكن أن يقال: إن الروح شيء، وحياة البدن شيء آخر.

ودليل ذلك: أن الإنسان إذا نام ذهب عقله وتفكيره وسمعه وبصره وإحساسه، وعلمه ومعلوماته، وخوفه وأمنه، وقوته وجبنه وشجاعته... وإلخ، إلا أن هذه الحياة الجسدية لا تزيد عن حياة النبات أما الروح فهو شيء آخر غير هذه الحياة النباتية، وإذا ذهبت حياة الجسد خرج الروح، هكذا طبع الله تعالى الإنسان والحيوان.

[فوائد من سورة الكهف]

📖 بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجَا ۝١ قَيِّمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥ فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى ءَاثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ۝٦﴾:

يبين الله تعالىٰ هنا أن القرآن الكريم نعمة عظيمة أنعم الله بها علىٰ هذه الأمة، وأن عليهم أن يشكروا الله عليها، ويثنوا عليه بها.

وقد بين الله تعالىٰ هنا وجه النعمة بالكتاب الكريم من جهات:

١- أنه كتاب قيِّم لا عوج فيه، والمعنىٰ: أنه كتاب يشهد لنفسه بالصدق والحق والحكمة والعدل والهدىٰ والنور و...إلخ، ويبرئ نفسه من الباطل والريب. يعرف ذلك أولو الألباب ويشهدون به، فيهتدون بهديه إلىٰ الدين الحق والصراط المستقيم، ويستنقذون به أنفسهم من طرق الضلال المؤدية إلىٰ الهلاك.

٢- إنذار الناس من بأس الله الشديد، وعذاب الجحيم الذي أعده للمجرمين والظالمين والمشركين، نعمة عظيمة.

٣- وتبشير المؤمنين الذين يعملون الصالحات بالثواب العظيم والأجر الكريم في جنة الخلد نعمة عظيمة أيضاً.

٤- ثم إن ذلك الكتاب القيم سبب لتزكية النفوس، ومنهلٌ للعلم والحكمة، وطريق للذكر والشرف في الدنيا والآخرة، وكل ذلك من النعم المتبالغة في العظم.

- ﴿وَيُنْذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۝٤﴾ وهم المشركون حيث قالوا: إن

الملائكة بنات الله، والنصارى حيث قالوا: إن المسيح ابن الله، وبعض اليهود حيث قالوا: عزير ابن الله، كلهم قالوا ذلك من غير حجة ولا برهان بل إنما قالوا زوراً وبهتاناً، وزورهم هذا وكذبهم جريمة عظيمة وبهتان كبير لما فيه من الحط لله العلي الكبير عن مقام الإلهية ومنزلة الربوبية إلى منزلة المربوبين المخلوقين.

إذ أن التوالد إنما هو من شأن الأجسام المخلوقة، وصفاتها المحدثة، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، لذلك جاء الإنذار الخاص لهم بالعذاب العظيم.

- ﴿فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ...﴾: سورة الكهف من السور التي نزلت في مكة، وقد لبث النبي ﷺ في مكة عشر سنوات تقريباً يدعو قريشاً إلى الله فكذبوه وتمردوا عن دعوته، وكان ﷺ حريصاً على أن يدخلوا في الإسلام، فبالغ في دعوتهم، وأجهد نفسه في ملاحقتهم؛ شفقة عليهم من سخط الله وعذابه، ورغبة منه ﷺ في أن يدركوا ثواب الله ورحمته في الدنيا والآخرة، فلحقه في هذا السبيل من الحزن والأسف والأسى ومن النَّصَب والعناء ما لحقه، حتى دعاه ربه إلى التخفيف عن نفسه، وترك ما هو فيه من النَّصَب وعظيم الأسى على المشركين حين أصروا على الشرك والتكذيب.
- فالله تعالى إنما يريد منه ﷺ أن يبلغهم رسالته إليهم وحججه عليهم، فمن آمن فلنفسه، ومن كفر فعليها، وليس هو ﷺ مكلفاً من الله بأن يدخلهم في الإسلام.

📖 ﴿إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۝٧ وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ۝٨﴾:

يبين الله تعالى هنا لنبيه ﷺ وللمؤمنين ولسائر المكلفين أنه تعالى قضى بعلمه وحكمته ألا يكره المكلفين على الدخول في الإسلام، وألا يضطرهم إلى الدخول فيه اضطراراً، فرغبة الرسول ﷺ في أن ينزل الله تعالى آية تضطر

قريشاً إلى الإسلام- رغبة متنافية مع ما قضت به حكمة التكليف والابتلاء.

وقد أبان الله تعالى في هذه الآية الكريمة وفي غيرها حكمة التكليف وهي:

مجازاة المحسنين بالثواب العظيم، ومجازات المسيئين في العذاب الأليم، وذلك مترتب في عدل الله وحكمته على اختبار المكلفين وابتلائهم، الذي يتمثل في أمرين متنافيين ليختار المكلف أيهما بمحض إرادته:

١-حب الله وطاعته، وهذا هو ما دعت إليه الرسل عليهم السلام.

٢-حب متاع الدنيا وزينتها، وهذا هو ما تدعو إليه الشهوة والهوى.

فمن أحب الله وأطاعه واستجاب لدعوة رسله عليهم السلام- استحق عند الله الجزاء العظيم في جنات النعيم.

ومن آثر متاع الدنيا وزينتها، واستجاب لداعي شهوته ونوازع هواه- استحق سخط الله وعذابه.

ولا شك أن المكره على عمل صالح أو عمل قبيح لا يستحق الجزاء بثواب أو عقاب.

📖 ﴿وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا۝٨﴾ تؤذن بأمرين:

١- أن متاع الدنيا وزينتها إلى فناء وانقطاع.

٢- وأن وعد الله بالبعث والحساب على وشك الوقوع، وأنه لا محالة واقع.

ومعنى ﴿صَعِيدًا جُرُزًا﴾: أرض مستوية لا نبات فيها ولا مرعى، ولا ارتفاع ولا انخفاض، وعليها يحشر الله الأموات للحساب.

📖 ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ [الكهف:٢٩]:

- ﴿الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾ مثل: ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ...﴾ [الإسراء:٨١]، ﴿وَبِالْحَقِّ أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الإسراء:١٠٥] ﴿وَبِالْحَقِّ نَزَلَ﴾ والمراد القرآن.

- وفي هذا دليل واضح على أن الله تعالى جعل اختيار الإيمان أو الكفر إلى المكلفين، ووكل ذلك إلى مشيئتهم.

- وأن لكل مكلف مشيئة يقلبها حيثما أراد.
- وأن تلك المشيئة مشيئة مطلقة غير مقيدة.
- وفي ذلك أيضاً أن صيغة الطلب قد تخرج عن معناها الذي هو الطلب إلى معنى آخر.
- أن ما على الداعي إلى الله إلا أن يبين الحق، ويوضح حجته قَبِلَ الناس أم لم يقبلوا، وليس عليه أن يدخلوا في الهدى ويلتزموا به.
- وعلى الداعي أن يبين أن ما يدعوا إليه من الحق هو من عند الله ربكم وخالقكم الذي يستحق أن تسمعوا له ولا تعرضوا عنه.
- أن على الداعي إلى الله وإلى دينه الحق أن يوضح للناس المدعوين أنهم إن قبلوا الحق واستجابوا، فإنما نفعوا أنفسهم، وإن أعرضوا فإنما ضروا أنفسهم، ليس لداعيهم نفع من ذلك ولا ضر.
- أن على الداعي إلى الله أن يرغب في طاعة الله بذكر الثواب والسعادة في الدنيا والآخرة، وأن ينفر عن معاصي الله بذكر العذاب الدائم في الجحيم.
- يؤخذ من ذلك ومن نحوه أن النية والدافع للمكلف إلى العمل الصالح إذا كانت هي الخوف من عذاب الله، والرغبة في ثوابه- تكون نية صحيحة مقبولة عند الله.

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف]:

١-قارن الله تعالى في هذه الآية بين نعم الدنيا ونعيم الآخرة الذي يتسبب عن الأعمال الصالحة، وقد فضل الله تعالى نعيم الآخرة بتفضيله للأعمال الصالحة.

٢-والباقيات الصالحات هي الأعمال الصالحة التي يكتب الله تعالى حسناتها في صحيفة العامل، وسميت باقيات لأن جزاءها باق لا ينفد. ولا شك أن ما يبقى من النعيم ولا ينفد أفضل من النعيم الذي لا يبقى بل يزول وينتهي.

٣-طلب المال والبنين والسعي لتحصيلهما حلال لا محذور فيه ولا حرج، وبإمكان المكلف أن يجمع بين الأمرين: طلب المال والبنين والأعمال الصالحة الباقية.

٤-قد يحصل للمكلف في بعض الأوقات وبعض الحالات عدم تيسر الجمع بين الأمرين، فإذا لم يتيسر له ذلك فالخليق به أن يختار الباقيات الصالحات، ويتوجه بسعيه وعمله إليها.

٥-الجدير بالمؤمن والذي ينبغي أن يكون عليه المؤمن أن يجعل سعيه في الباقيات الصالحات في الدرجة الأولى، وسعيه لطلب زينة الحياة الدنيا في الدرجة الثانية.

📖 قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف]، في ذلك:

- أن أهل المذاهب الباطلة الملتزمين بها المستقيمين عليها يدينون بها، وهم يرون أنهم في جادة الصواب.

والسر في ذلك كما يظهر لي: أن المكلف في أول الأمر يترك الحق، ويدخل في الباطل تبعاً لدواعي هوى نفسه، ثم يتلمس مع مرور الوقت المبررات والمعاذير ويركبها في نفسه، ويستحسنها؛ فإذا اعترض عليه أحد سرد عليه تلك المبررات والمعاذير في صورة شبه، ولا يزال يستحسنها ويعجب بها حتى يرى ويعتقد أنها عين الصواب.

وهذا بالنسبة للمتعلمين، وأما الجهلة المقلدون فيستحسنون الباطل من أول أمرهم، ويدينون بصدقه من أول معرفتهم به ودخولهم فيه.

- وإنما كان هذا النوع أخسر الناس عملاً؛ لأنهم مجدون في العمل بدينهم، محافظون على إقامته والدفاع عنه، صابرون على ذلك، ويرون أنهم في عين الصواب، وعلى جادته، وهم في الواقع على ضلال؛ فيذهب عمله ذلك باطلاً لا يستفيد منه ثواباً، ولا يدفع عنه عذاباً، بل إن عمله ذلك ينقلب وبالاً يستحق

عليه العذاب، ثم يدخله الله تعالىٰ النار لتركه الحق وذهابه في الضلال.

فأي خسارة أعظم من خسارة من يفني عمره في عمل يرجو به رضوان الله ودخول الجنة والسلامة من النار، فإذا جاءه الموت انكشف له سخط الله عليه واستحقاقه لجهنم خالداً فيها.

[فوائد من سورة مريم]

📖 قوله تعالىٰ: ﴿أَنَّا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴿٨٣﴾﴾ [مريم]:

إذا تمرد المكلف علىٰ الله بالكفر أو الفسوق والعصيان سحب الله تعالىٰ عنايته به وحفظه له جزاءً علىٰ تمرده وفسوقه، ويخلي بينه وبين الشياطين فلا يمنعهم منه، فتلعب بهم الشياطين، وترمي بهم في أودية الهلكات، فهذا هو المعنىٰ المراد من إرسال الشياطين علىٰ الكافرين.

ولا يجوز ولا يصح أن نقول: إن الله تعالىٰ كلف الشياطين بحمل رسالة منه إلىٰ الكافرين تحتوي علىٰ تنفيذ المزيد من الكفر بالله والتمرد عليه والتوغل في الضلال والإضلال والفسوق والعصيان، وذلك لقوله تعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ﴾ [الأعراف:٢٨]، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِى الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ...﴾ [النحل:٩٠].

[فوائد من سورة طه]

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ [طه]، **في ذلك**:

- علىٰ الذي يتلقىٰ العلم عن العالم أن يستمع إليه ويصغي حتىٰ يفرغ العالم من كلامه وإملائه، وبهذا أدب الله تعالىٰ رسوله ﷺ.
- أن من شأن طالب العلم أن يستمر في طلبه وأن لا يتوقف عند حد.
- علىٰ طالب العلم أن يستعين في طلبه بالله تعالىٰ، وبالتضرع إليه بالدعاء.
- أن العلم عطية من الله وفضل.
- أن القرآن الكريم ينبوع العلم والحكمة.
- ينبغي القصد إلىٰ الدعاء بهذا الدعاء القرآني.
- أن الله تعالىٰ يحب أن يدعىٰ بهذا الاسم ﴿رب﴾ لوروده هنا وفي أكثر الأدعية القرآنية.
- إذا فهمت مسألة من العلم فاشكر الله تعالىٰ علىٰ ذلك، واسأله أن يزيدك علماً وهكذا؛ وسؤال الله تعالىٰ باسمه (رب) (ربنا) اعتراف لله تعالىٰ بأنه المنعم المتفضل علىٰ عبده بعظيم النعم وبكثرتها، والاعتراف بذلك شكر لله تعالىٰ.

وقال تعالىٰ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ ﴿١٦﴾ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْءَانَهُ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ ﴿١٩﴾﴾ [القيامة]: موضوع هذه الآية مثل موضوع الآية السابقة إلا أن في هذه تفصيلاً أكثر.

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴿١٢٤﴾﴾ [طه]:

هكذا حكم الله تعالىٰ علىٰ المعرضين عما دعاهم الله تعالىٰ إليه علىٰ ألسنة رسله عليهم السلام، الذين تمردوا علىٰ الله تعالىٰ ولم يستجيبوا له، وهذا هو نوع من أنواع عذاب الله في

الحياة الدنيا، فيعيش أعداء الله تعالىٰ المعرضون عن ذكر ربهم عيشة نكدة لا تعرف الاطمئنان والراحة، وهم دائماً في ضيق وقلق، وتطبق علىٰ صدورهم الأكدار، وتأتيهم أسباب الهم والغم من كل مكان، ولا يزالون في جهد وعناء، وتعب شديد، ونصب مستمر، يحاولون رد أسباب الأكدار والضيق والحرج.

وإذا أغلقوا باباً من ذلك انفتح عليهم أبواب، وإذا حاولوا سد فرجة توسعت أو انفتح عندها فرجة أوسع منها، فلا يزالون كذلك في مكابدة إلىٰ أن تنقضي أعمارهم.

- عكس المؤمن، فإن الله تعالىٰ يعطيه ثواب الدنيا وثواب الآخرة، فيحييه الله تعالىٰ حياة طيبة لا تعرف النكد ولا الضيق ولا الحرج ولا التعاسة ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل:٩٧] ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾﴾ [يوسف].

[فوائد من سورة الأنبياء]

📖 قوله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا﴾ [الأنبياء:٢٩]، **يؤخذ من ذلك**: أنه يجوز للحاكم أن يحكم بين المترافعين إليه باجتهاده.

📖 **سؤال:** قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَّحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ ءَايَاتِهَا مُعْرِضُونَ۝٣٢﴾ [الأنبياء]، ما هو معنى: ﴿سَقْفًا مَّحْفُوظًا﴾؟ وما هي آيات السماء؟

الجواب:

السماء كما يبدو لظاهر العين سقف مظلل على الأرض، فالأرض تقل الأنام، والسماء تظلهم، ومعنى «مَّحْفُوظًا»: أن الله تعالى حفظ السماء من الجن والشياطين، فلا يستطيعون استراق السمع كما حكى الله تعالى عن الجن في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ فَوَجَدْنَاهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا۝٨﴾ [الجن].

وآيات السماء هي: الشمس والنهار، والقمر والليل، ومنازل الشمس والقمر، وما يحصل عن ذلك من طول الليل وقصره، والحر والبرد، والفصول الأربعة واختلاف طبائعها، ومعرفة السنين والحساب، وصلاح الأشجار والثمار، وإلى آخر ما جعل الله تعالى من المصالح العظيمة المترتبة على حر الشمس وضوئها واختلاف منازلها.

ومن آياتها النجوم وفيها مصالح عظيمة يهتدي بها المسافرون في البر والبحر، وبها يهتدي الزراع لمعرفة أوقات الزراعة، وجعلها الله تعالى رجوماً للشياطين، وزينة وجمالاً للسماء الدنيا.

وما يلحق بذلك: الرياح واختلاف هبوبها والسحاب والمطر والرعد والبرق والصواعق، هذه هي الآيات الظاهرة، وهناك آيات عظيمة يعرفها علماء الفلك لا تكاد تنحصر.

📖 قوله تعالى: ﴿خُلِقَ الْإِنْسَانُ مِنْ عَجَلٍ..﴾ [الأنبياء:٣٧]:

- يصور الله تعالى هنا شدة عجل الإنسان، وأنه بلغ فيه العجل مبلغاً عظيماً.
- وقال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا۝١١﴾ [الإسراء]: و«عجولاً» من أبنية

المبالغة، وهذه الآية كالأولى في بيان شدة عجلة الإنسان، إلا أن الآية الأولى تدل على ذلك عن طريق الكناية؛ فإن المخلوق من العجل لا بد وأن يحمل في ذاته صفة العجل، والكناية أبلغ من الحقيقة؛ لأنها تثبت الصفة أو النسبة لصاحبها مقرونة بالدليل، فكأنه هنا قال: إن الإنسان عجول شديد العجلة، والدليل على ذلك: أنه خلق من العجل.

📖بسم الله الرحمن الرحيم ﴿الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾﴾ [الأنبياء]:

المراد أرض الشام، والبركة التي جعلها الله تعالى في أرض الشام هي:

١- أنها أرض الأنبياء ومقرهم، فمنها ظهرت رسالات الله وكتبه وآياته وأشرقت أنوار هداه للعالمين.

٢- أرض زراعية خصبة تزرع فيها أنواع الحبوب والفواكه والخضروات، وتتوفر فيها مياه الأنهار والأمطار.

٣- كانت أرض الشام على طول التاريخ وإلى زمن قريب ملتقى للتجار من جميع البلدان، وقد حكى الله تعالى عن سبأ سفرهم إلى الشام فقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾﴾ [سبأ]، وبركة قرى الشام (أي مدن الشام) أنها تتوفر فيها أنواع البضائع المطلوبة للناس، والتي من شأنها أن يربح فيها البائع والمشتري، وفي آية سبأ دليل على أن مدن الشام كانت أسواقاً تجارية عالمية.

٤- ومن بركتها كما يظهر سهولة أهلها في معاملاتهم للتجار الموردين والمستوردين مما أدى إلى استمرار التجارة فيها، ورغبة الناس في التوجه بتجاراتهم إليها.

٥- ومن بركتها اعتدال مناخها مما جعلها صالحة لإنتاج أنوا ع الحبوب والخضروات والفواكه، وجعلها تطيب لساكنيها وللوافدين إليها.

📖 بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، قال الله سبحان وتعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء]:

هذا وعد من الله تعالىٰ مؤكد لأمة محمد ﷺ بأنهم سيستولون على الأرض، ويقهرون أهلها، وينتصرون عليهم، ويأخذون ما تحت أيديهم من الأرض.

- والأرض: هي الأرض التي كان للمسلمين بها عهد وسابق معرفة وقت نزول القرآن، وذلك أرض الشام والعراق ومصر وما حولها، وأرض فارس والروم وما جاور ذلك.

- وفعلاً فقد فتح المسلمون تلك الأرض التي ذكرنا، وانتصروا على سلاطينها وملوكها وقهروهم، واستولوا على ما تحت أيديهم من الأرض.

فإن قيل: إن السلاطين والملوك الذين استولوا على تلك البلاد سلاطين جور وفسوق وعصيان، يشربون الخمر، ويرتكبون أغلظ الفواحش، ويبغون في الأرض بغير الحق، و..إلخ، وصفاتهم هذه تتنافىٰ مع ما جاء في الآية: ﴿يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴿١٠٥﴾﴾ [الأنبياء].

يقال في الجواب: الحرب لفتح تلك البلدان كان باسم الإسلام والمسلمين وباسم أمة محمد ﷺ، ولا شك ولا ريبة أن في أمة محمد ﷺ طائفة أو طوائف صالحة، لأدلة وردت بذلك، فإذا ورثت الأمة أرضاً واستولت عليها فقد شاركتها في ذلك الطائفة الصالحة.

وبإمكان الرجال الصالحين بعد فتح تلك البلاد أن يسيروا فيها ويسكنوها ويتملكوا فيها من الأرض ما أحبوا بالشراء أو بالهبة أو بنحو ذلك على رغم أهل تلك الأرض الأصليين، ويأخذ الرجل الصالح نصيبه من الخراج والفيء، وحينئذ فيصدق ما في الآية من: ﴿أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴿١٠٥﴾﴾ على أمة محمد ﷺ لوجود الصالحين في ضمنهم وإن قلوا.

وهذا مثل قوله تعالىٰ: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠].

[فوائد من سورة الحج]

📖 **سؤال**: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ [الحج]؟

الجواب والله الموفق:

أن المعنى كما يذكره المفسرون: أن من يستبعد ويظن أن الله تعالى لن ينصر رسوله على أعدائه من المشركين وغيرهم، ولم يثق ويصدق بوعد الله تعالى كما يصدق المؤمنون؛ فليربط حبلاً في جهة العلو، وليختنق فيه حتى يذهب خوفه وقلقه.

نعم، كان المسلمون في أول الإسلام في شدة شديدة، ومضايقة بالغة من المشركين، وفي خوف وأذى، وعذاب ونكال، ومطاردة وملاحقة و..إلخ.

وكان رسول الله ﷺ يبشرهم بالعاقبة الحسنة، وبالتمكين في الأرض، وبالنصر والظفر، وبالغنائم والفتوح...إلخ؛ فكان المؤمنون الذين استحكم الإيمان في قلوبهم يستروحون إلى ذلك الوعد الجميل، ويتسلون به، ويشتد صبرهم وتقوى عزائمهم وتطيب نفوسهم، ويذهب عنها الكثير من القلق والضيق، ويحل محله الفرح والسرور بما وعد الله تعالى.

أما المسلمون الضعفاء الإيمان الذين لم يستحكم الإيمان في قلوبهم- فقد كانوا على العكس، لم يفدهم وعد الله وبشارته شيئاً، فجاءت هذه الآية تندد عليهم شدة الجزع، وكثرة القلق، وغلبة اليأس والقنوط، مع ما يسمعون من نبيهم ﷺ من الوعد والبشارة بالنصر والفتح والظفر والتمكن في الأرض.

فحين لم تنفعهم هذه البشائر، والطبائع البشرية في العادة من شأنها أن تنتفع بمثل ذلك وتتسلى به، وتجد فيه الدواء الشافي، والمخفف من آلام تلك الشدائد والمضائق، فحين لم ينفعهم هذا الدواء قال الله تعالى لهم على سبيل التنديد والتوبيخ والذم والتجهيل: من غلب عليه اليأس والقنوط من النصر والظفر

فالحل أن يدخل رأسه في المشنقة، ويقتل نفسه بالاختناق؛ وذلك لكي يخرج من شدائد الجزع والفزع والقلق والضيقة و...إلخ!! فإنه لا حل إلا هذا الحل.

نعم، وجاء هذا الحل كما قدمنا على طريقة التنديد والتوبيخ، وذلك أنه كان قد استقر في قرارة قلوبهم وجزموا وقطعوا ألا فرج لهم ولا مخرج مما هم فيه من الشدة إلا الموت. والله أعلم، والحمد لله رب العالمين.

📖 قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ...﴾ [الحج:١٨]:

سجود الناس واضح، أما سجود الشمس والقمر والنجوم والجبال وأشباهها من المخلوقات التي لا عقول لها فمعناه -كما يظهر لي-: هو الانقياد والخضوع، وبعبارة أخرى: هو الانفعال لما يريد الله منها، فإن الله تعالى حين أراد جري الشمس والقمر في الفلك جرتا كما يريد وعلى حسب ما يريد، والأشجار والزروع تنبت كما يريد خالقها، وتخرج ثمراتها كما يريد خالقها، وهكذا سائر المخلوقات كل مخلوق منها يكون في خلقه على حسب إرادة الله وحكمته من غير زيادة ولا نقصان.

فهذا هو سجود ما لا يعقل كما يظهر لي، وهو سجود مجازي علاقته التشبيه بالسجود الحقيقي، وجاء في أول الآية بهمزة الاستفهام التقريري التي تدل على أن سجود تلك المذكورات في الآية أمر واضح مكشوف لرؤية العين، وأن رؤيتها لذلك مستمرة متجددة في حال الخطاب وبعده، وذلك حيث عبر بالفعل المضارع: «يسجد»، والذي يراه الناظرون ويعرفونه ويقرون به هو ما ذكرنا من أمر المخلوقات، لا السجود الحقيقي.

وإنما قال تعالى: ﴿وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ﴾ لأن الانقياد لما يريده الله تعالى من الناس لم يحصل إلا من بعضهم، أما البعض الآخر فلم يحصل منهم ما أراده الله تعالى من الانقياد لإرادته، فإنه تعالى ما خلق الجن والإنس إلا

ليعبدوه، فلم يعبده إلا بعضهم، وحق العذاب على من لم يطعه، ولم ينقد لإرادته.

وفي هذه الآية دليل على بطلان قول المجبرة إذ لو كان الأمر كما تقوله المجبرة من أن الله تعالى يريد كفر الكافر وعصيان العاصي كما يريد إيمان المؤمن وطاعته، لو كان الأمر كذلك لكان جميع الناس منقادين لإرادة الله غير متأبين، ولما كان للتفرقة بين الناس وبين غيرهم مما ذكر في الآية وجه، فافهم ذلك.

-السجود هو: وضع الوجه على الأرض على الصفة التي يفعلها المصلي، وفي السجود غاية التذلل والانقياد والتواضع لله، ولا ينبغي ذلك إلا لمن أسدى إليك غاية الإحسان، وأولاك أصول النعم وفروعها، وأسبغ عليك العطاء والفضل، وهو الله رب العالمين الرحمن الرحيم ملك يوم الدين، وإن أولاك غير الله نعمة فهي في الحقيقة من الله وإنما هو واسطة أجرى الله تعالى النعمة على يديه، قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ﴾ [النحل:٥٣].

نعم، قد جاء في الإسلام وجوب شكر من أولاك نعمة وإن كانت في الحقيقة من الله: ﴿أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ۝١٤﴾ [لقمان]، ((من أولاك يداً فكافه...))، ((من لا يشكر الناس لا يشكر الله))، ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ۝٦٠﴾ [الرحمن].

وشكر الناس يكون بالثناء الحسن والدعاء لهم، وبالمكافأة بالمثل أو أحسن، وعلى الجملة تكون المكافأة لكل ما فيه إحسان.

سؤال: كيف تفسرون قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ۝٥٢ لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ...﴾ الآية [الحج].

الجواب والله الموفق والمعين:

أن الشيطان يلقي بوساوسه وشبهه فيما تتلوه رسل الله عليهم السلام ليشبهوا على

المؤمنين، وليوقعوا في نفوسهم الريبة والشك فيما سمعوه إلا أن الله سبحانه وتعالى ينسخ الله تلك الوساوس التي تثير الشك والشبه، ويزيلها من صدور المؤمنين بما أعطاهم الله تعالى من الحجج والدلائل، وزيادة الهدى والنور، ثم يحل محل تلك الوساوس دلائل الحق والهدى.

أما الذين في قلوبهم مرض فإن تلك الوساوس التي يلقيها الشيطان في نفوسهم تتمكن في قلوبهم، فيزدادون مرضاً إلى مرض.

فالشيطان هو الذي ألقى الوساوس والشك والريبة في قلوب المرتابين، والله تعالى لم يكن منه إلا التخلية؛ فسمى تعالى ما حصل بسبب التخلية فتنة للذين في قلوبهم مرض.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَءَاتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾﴾ [الحج]، **في ذلك:**

١- أن الصلاة أفضل العبادات التي تعبد الله بها المؤمنين، وأفضل الصلاة هو الركوع والسجود.

٢- وتأتي سائر العبادات في الدرجة الثانية، ألا ترى كيف بدأ الله تعالى بالركوع والسجود، ثم ذكر بعد ذلك الأمر بالعبادة، وعبادة الله تعالى هي السمع والطاعة فيما أمر ونهى.

٣- فعل الخير هو نوع من نوعي العبادة المأمور بها في الجملة السابقة، وخص الله تعالى الأمر بفعل الخير مع دخوله في الأمر السابق لبعث المأمورين على فعل الخير وحثهم عليه زيادة حث لما جبلت عليه طبيعة البشر من الشح: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء:١٢٨].

٤- وختم الله تعالىٰ تلك الأوامر بالأمر بالجهاد في الله حق جهاده، والجهاد في الله حق جهاده هو الجد والتشمير في امتثال ما أمر الله به والانتهاء عما نها عنه، والاستقامة علىٰ ذلك، وهذا الأمر هو أمر عام يدخل تحته كل ما تضمنته الأوامر الأولىٰ، إلا أن في هذا الأمر تأكيداً زائداً علىٰ ما في الأوامر الأولىٰ، وذلك من حيث كان الأمر هنا بلفظ الجهاد، ولفظ الجهاد يعطي فائدة زائدة؛ لأن الجهاد هو إبلاغ الجهد في تحصيل الأمر، فكأنه تعالىٰ قال في هذا الأمر الأخير: وأبلغوا الجهد وشمروا غاية التشمير وجدوا غاية الجد في تحصيل ما أمرتكم به من العبادة وترك ما نهيتكم عنه، وليكن ذلك منكم بنية صالحة مخلصة لله تعالىٰ لا يشوبها شائب ولا يخالطها مخالط.

ومقصودنا بما ذكرنا من أن الصلاة والركوع والسجود أفضل العبادات هو أن ذلك بعد الإيمان إذ الإيمان هو في الدرجة الأولىٰ علىٰ الإطلاق، والصلاة أفضل أعمال المؤمنين.

٥- وقوله تعالىٰ: ﴿مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا...﴾ [الحج:٧٨]: يفيد أن الركوع والسجود والصلاة وعبادة الله وفعل الخير والجهاد في الله حق جهاده- أن كل ذلك ملة إبراهيم عليه السلام ودينه الذي جاء به من عند الله، وأنتم أيها المسلمون أبناء إبراهيم عليه السلام وذريته فأنتم أولىٰ الناس بأن تحيوا ملته، وتنصروا دينه.

بالإضافة إلىٰ أن أباكم إبراهيم عليه السلام قد سماكم المسلمين من قبل أن تخلقوا، وذلك حين هاجر بابنه إسماعيل وأم إسماعيل إلىٰ مكة، وكان من دعائه عليه السلام ومن دعاء ابنه إسماعيل عليه السلام حين كانا يبنيان الكعبة- ما حكىٰ الله تعالىٰ في قوله: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِنْ

ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴿١٢٨﴾﴾ [البقرة]، فلا أحد أولى منكم يا ذرية إبراهيم بإحياء ملته ونصرة دينه، والدخول في شرف هذا الاسم الإبراهيمي القديم، وتوسيع دائرته.

وقد انضاف إلى شرف اسمكم القديم شرف جديد وهو تسميتكم في هذا الدين الجديد والملة المحمدية باسم المسلمين، شرف على شرف، وفخر على فخر، وذكر على ذكر؛ فاذكروا أيها المسلمون هذه النعمة السَّنِيَّة، واشكروها ولا تكفروها.

٦- ومع ذلك كله فإن الله تعالى قد زادكم إلى ذلك الشرف المتقدم شرفاً آخر ومفخرة أخرى، وذلك أنه تعالى اختاركم واصطفاكم من بين الأمم، واجتباكم من دون قبائل العرب والعجم، فأنتم صفوة البشر وخيرة الأمم؛ فبعث نبيه الخاتم منكم وجعلكم أنصاره وحملة دينه، تبلغونه إلى الناس وهو يبلغكم ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة:١٤٣]، أفلا يكون جميع ما تقدم باعثاً لكم على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة والاعتصام بالله.

٧- ومن البواعث لكم على اعتناق ملة الإسلام أنه ملة سمحة مبنية على التسهيل والتيسير، لم يشرع فيها من التكاليف ما يوقعكم في الحرج والشدة ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج:٧٨].

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴿٧٨﴾﴾ [الحج]،

في ذلك:

- تنبيه للمؤمنين الذين آمنوا بالله ورسوله على أنهم مكلفون من الله بأبواب من التكاليف:

١- الركوع والسجود وذلك عبارة عن إقامة الصلاة.

٢- عبادة الله والمراد بعبادة الله تعالى هو التذلل لله تعالى والتواضع له، ويتمثل ذلك في امتثال أوامره والانتهاء عن نواهيه.

٣- فعل الخير، و«الخير» جاءت هنا وفي سائر القرآن كلمة مطلقة؛ لأن مفهوم كلمة الخير أمر مركوز في نفوس المخاطبين، تنجذب إليه نفوسهم وتميل إليه وترغب فيه وتحبه، على العكس من مفهوم كلمة الشر، فإن مفهوم الشر أمر تنفر منه النفوس وتكرهه ولا تحبه، وإن أردت المزيد من استيضاح مفهوم كلمة الخير، فهو: أن كل فعل أو قول يترتب على فعله مصلحة عامة أو خاصة من غير ضرر أو فساد فهو خير.

وإذا التبس الفعل هل هو من باب الخير أم من باب الشر؟

فلينظر الإنسان إلى النتائج المترتبة على فعله سلباً وإيجاباً؛ فإن كانت إيجابياته أرجح فهو خير، وإن كانت سلبياته أرجح فهو شر، وإن تساوت فلا خير فيه.

- واعلم أن كل ما أمر الله به أو ندب إليه فإنه خير، وأن كل ما نهى الله تعالى عنه فهو شر.

٤- ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ اعلم أن الجهاد في الله أبواب متنوعة:

- فالدعوة إلى الله تعالى والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر جهاد.
- وتعليم الناس العلم والخير جهاد.
- واكتساب الحلال ليعود به المكتسب على أبويه وأولاده وزوجته ويصل به أرحامه، ويكرم ضيفه، ويعود به على المسكين والضعيف والجار جهاد.
- والإصلاح بين الناس وفصل خصوماتهم جهاد.
- والتصدر للحكم والفتوى جهاد.

- وتعلم العلم جهاد.
- والمحافظة على أداء فرائض الله جهاد.

[فوائد من سورة المؤمنون]

📖بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قوله تعالىٰ: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [المؤمنون]:

هذه حقيقة يشهد لصدقها أن جسم الإنسان يتحول بعد موته إلىٰ تراب، وتحوله إلىٰ تراب يدل علىٰ أن أصله من تراب.

ـ ومن هنا يمكننا أن نقول إن كل ما يعيش علىٰ الأرض من حيوانات فإن أصل خلقه من التراب، وكذلك النباتات فإن أصل خلقها من التراب.

📖 ﴿فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلْكِ فَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي نَجَّانَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ [المؤمنون]، يؤخذ من ذلك:

أن علىٰ من أنعم الله تعالىٰ عليه بنعمة أن يحمد الله تعالىٰ عليها بعينها فيقول: الحمد لله الذي أطعمني، الحمد لله الذي سقاني، الحمد لله الذي رزقني كذا، ونحو ذلك.

📖 ﴿قُلْ رَبِّ إِمَّا تُرِيَنِّي مَا يُوعَدُونَ ﴿٩٣﴾ رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [المؤمنون]، يؤخذ من ذلك:

أن علىٰ المؤمن إذا رأىٰ نزول العذاب علىٰ قوم أن يدعو الله تعالىٰ بالسلامة من ذلك العذاب، وأن لا يجعله منهم وفيهم.

[فوائد من سورة النور]

📖 قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴿٢٤﴾﴾ [النور]:

يظهر لي -والله أعلم- أنه يصح تفسير هذه الشهادة، وبيان معناها- بأن الله تعالى يري العصاة صور أقوالهم وأعمالهم، التي عملوها بأيديهم وأرجلهم، صوراً مرئية يرون في تلك الصور ما عملوه وقالوه، على وجه أبلغ وأدق وأصدق مما نراه على شاشات التلفزيون والفيديو والكمبيوتر؛ فإذا رأوا الصور المعروضة لهم يوم القيامة التي تحكي ما عملوا وقالوا- علموا هناك صحتها، وعلم الناظرون إليها من أهل الموقف صحتها وتيقنوها، وسمي ذلك شهادة؛ لأنه يتبين ويظهر بها صحة دعوى ملائكة الرحمن على العبد العاصي.

فإن قيل: فهل يحكم الحاكم اليوم على أحد المتنازعين عنده إذا بين الخصم على دعواه بصور مرئية تصدق دعواه، أو أشرطة صوتيه تحكي اعترافه؟

قلنا: إذا عرف الحاكم من قِبَل الخبراء العدول أن هذه الصورة التي استشهد بها الخصم صورة أصلية، وتحققوا أنه لم يدخلها تعديل ولا تحريف، وتيقنوا ذلك بما لهم من المعرفة والخبرة في ذلك المجال- فإن على الحاكم أن يحكم عليها، ويستند إليها.

فإن لم يشهد الخبراء على صحتها، وأنه لم يدخلها تغيير- فلا يجوز الاستناد إليها، ولا يحكم بموجبها؛ لأن الصور المعروضة على الشاشات يدخلها التغيير والتزوير والتبديل و...إلخ.

أما الصوت المسجل فلا يجوز الاعتماد عليه في الحكم؛ لأن تقليد الأصوات وحكاياتها كثير شايع، إلا إذا عرف الحاكم وتيقن أنه صوت المدعى عليه، ولكنه لا يعرف ذلك إلا إذا كان يعرف صوت المدعى عليه من قبل لكثرة

الاختلاط به، وطول صحبته، والاجتماع معه، بحيث لا يخفى عليه صوته وصوت من يقلده- فإنه يحكم عليه.

ودليل ما ذكرنا: نحو قوله تعالى: ﴿يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ﴾ [ص:٢٦]، فإنها تدل على أن الحاكم إذا تيقن الأمر، واستحكم علمه به فإنه يجب عليه أن يحكم بموجبه، من غير فرق بين حصول علمه عن طريق شهادة أو رؤية أو سماع، أو نحو ذلك من طرق العلم.

📖 قوله تعالى: ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ...﴾ الآية [النور٣٥]، في هذا فوائد:

١- أن الزيتون شجرة مباركة، والمعنى أن فيها منافع للناس.

٢- أن الشجرة التي تضربها الشمس من الشرق والغرب أزكى وأكثر نفعاً من الشجرة التي لا تضربها الشمس إلا أول النهار أو آخره.

٣- فيها إشارة إلى علم الصناعة حيث ذكر مصباحاً زجاجياً والزيت المستخرج من الزيتون.

٤- أن التأنق في اقتناء المصنوعات جائز.

٥- أن تجميل المساجد بأنواع القناديل والثريات جائز.

[فوائد من سورة الفرقان]

📖 قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا﴿٣١﴾﴾ [الفرقان]، وقال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠] جعل الله الدنيا دار تكليف وامتحان وابتلاء، وجعل سبحانه وتعالى الدار الآخرة دار جزاء.

ـ ولما كانت الدنيا دار ابتلاء وفتن ومحن وتكليف و...إلخ- اقتضت حكمته تعالى أن يخلي بين عباده، فلم يَحُلْ تعالى بين الظالم والمظلوم، ولا بين المؤمن والكافر، ولا بين المفسد والمصلح، ولا بين المهتدي والضال، ولا بين البر والفاجر، ولا بين العالم والجاهل، ولا... ولا... إلخ.

ـ إلا أن الله تعالى ينصر أولياءه ويحفظهم ويثبتهم، إلا أن ذلك يكون على صور لا ترفع الابتلاء والمحن والفتن.

ومن أمثلة نصر الله لأوليائه: ما حكاه الله تعالى من نصره لنبيه ﷺ في قوله: ﴿فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ...﴾ الآية [التوبة].

ومن الأمثلة أيضاً ما حكاه الله تعالى من قذفه للرعب في قلوب أعداء النبي ﷺ: قال تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ﴾ [الأحزاب].

ومن الأمثلة: ما حكاه الله تعالى من أنه أنزل السكينة على النبي ﷺ وعلى المؤمنين في يوم حنين، فقال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التوبة:٢٦]، والسكينة التي أنزلها هي طمأنينة القلب.

ـ وعلى حسب ما ورد في الآيتين السابقتين فلا بد لأولياء الله والدعاة إلى دينه من أن يلاقوا عداوات شديدة تلازمهم وتضايقهم، وتبالغ في أذاهم والضرر بهم.

ـ والمطلوب الذي يريده الله تعالى من أوليائه أن يقابلوا تلك الشدائد والمحن

بالصبر، ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، والمراد بالصبر المطلوب هو:

١ـ الصبر على التمسك والاستقامة بما هم عليه من الدين والحق والطاعة لله، والدعوة إلى دينه، وأن لا يصدهم عن ذلك ما يلاقوه من المحن والشدائد.

٢ـ أن يصبروا على ما يلحقهم من الأذى والمحن والشدائد إلى أن يأذن الله تعالى بالفرج.

ـ ولقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ﴾ [الفرقان:٢٠]، تفسير أوسع مما ذكرنا، فالغني فتنة للفقير، والفقير فتنة للغني، والابن فتنة للوالد، والوالد فتنة للابن، والزوجة فتنة للزوج، والزوج فتنة للزوجة، والعالم فتنة للجاهل، والجاهل فتنة للعالم، والأخ فتنة لأخيه والعكس، والجميل فتنة لغيره والعكس، والضرة فتنة لضرتها والعكس، والجار فتنة لجاره، والقريب فتنة لقريبة... و...إلخ.

📖 قال الله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١]:

اقتضت حكمة الله تعالى أن يبتلي أولياءه الصالحين بأعدائه المجرمين، وأن يخلي بينهم وبينهم، زيادة في التكليف واختباراً لثبات أوليائه ومدى صبرهم على دينهم فيتميز بذلك الثابت على دينه من المتزلزل فيه.

وما زال أولياء الله تعالى يتصارعون مع أعدائه في كل زمان ومكان إلا أنها تشتد أحياناً، وحيناً تخف.

📖 قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان]، السرف كما يظهر لي نوعان:

١ - فنوع منه هو الإنفاق في المعاصي فهذا سرف وإن كان ذلك شيئاً قليلاً، ولا شك في تحريم الإنفاق في معصية الله تعالى لأن ذلك عناد لله وحرب لله تعالى وفساد ومناصرة للشيطان، و...إلخ.

٢- أن يصنع للوجبة الواحدة ما يكفي عشرين آكل، وليس الأَكَلَة إلا خمسة أو ستة، مع العلم بذلك من غير داعي كتوقع أضياف أو مساكين، ويستمر الأمر على ذلك، فيأكل الخمسة حاجتهم من الطعام ثم يرمى بالباقي في صندوق القمامة.

فمثل هذا سرف وهو المقصود في الآية لمقابلته بالتقتير، والتقتير هو: أن لا يعطي المنفق أهله من النفقة إلا أقل من حاجتهم مع غناه وقدرته، والإسراف أن يعطيهم أكثر من حاجتهم، والمطلوب التوسط بين ذلك: ﴿وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا﴾.

-قد يكون الإنسان فقيراً وله عول محتاجون فإذا كان للفقير هذا قليل من الفلوس فلا ينبغي له ولا يجوز أن ينفقها في القات وأهله محتاجون للطعام والشراب واللباس، وإنما قلنا ذلك:

١- أن العقلاء تذم من يكون كذلك.

٢- لقوله تعالى: ﴿لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا ءَاتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا ءَاتَاهَا﴾ [الطلاق:٧]، فالإنفاق على العول واجب بهذه الآية.

فلا يجوز للفقير ترك الإنفاق الواجب، والعدول إلى شراء القات بدلاً عن ذلك؛ لأن شراء القات غير واجب.

-إذا أدى الإنسان أهله وعوله حاجتهم من النفقة وتوابعها من غير تقصير عن نفقة مثلهم من مثله فلا حرج عليه في شراء القات، وإنما الحرج أن يكون شراء القات سبباً في التقتير على الأهل والتقصير في حاجتهم.

-ليس من الإسراف أن يقدم الإنسان لضيفه ذبيحة كاملة ولو علم أنه لا يحتاج إليها.

📖 تفسير قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان]:

هنا يبين الله تعالى الحكمة من جعل الليل والنهار متعاقبين يخلف أحدهما الآخر، فجعلهما الله تعالى كذلك من أجل أن يتذكر فيهما المتذكرون فيرتدعون عن العصيان ويقلعون عن السيئات ويتوبون إلى الله تعالى، أو أن يذكر فيهما الذاكرون نعم الله تعالى فيشكرونها بطاعة الله تعالى وحمده وذكره.

فالليل والنهار وقتان للتوبة والشكر لله تعالى، وتعاقبهما سبب لإيقاظ الغافل وتذكير الناسي.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾﴾ [الفرقان]، المعنى:

أن الله تعالى بحكمته وعلمه جعل الليل والنهار يتعاقبان ويخلف أحدهما الآخر إلى نهاية الزمان- جعلهما الله كذلك ليتذكر الغافل، ويتوب العاصي، وأن يحدث الشاكر فيهما شكر الله من فعل ما أمر الله به، وترك ما نهى عنه، وذلك أن اختلاف الليل والنهار على المكلف يتسبب في مراجعة نفسه ومحاسبتها فيدعوه ذلك إلى التوبة والاستغفار إن كان فرط منه ذنب، أو أخذته غفلة، أو يدعوه ذلك إلى شكر الله على ما أولاه من النعم، ويدفع به إلى فعل الطاعات وترك المحرمات.

وعلى الجملة فقد جعل الله تعالى الليل والنهار وقتاً لمن يريد أن يتوب إلى الله ويرجع إليه، ولمن يريد أن يشكر الله تعالى بفعل ما أمر به وترك ما نهى عنه.

وهذا بالإضافة إلى ما في تعاقبهما على المكلف من تنبيهه على الرجوع إلى الله وعلى شكره وذكره.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، صفات المؤمن الذي جاء الوعد له بالمغفرة والجنة في القرآن الكريم، **فجاء في سورة الفرقان** قوله تعالى: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا...﴾ إلى آخر السورة، وقد وصفوا هنا بعدة صفات هي:

١-التواضع: ﴿الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا﴾.

٢-الحلم: ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴿٦٣﴾﴾

٣-إقامة الصلوات: ﴿يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا﴿٦٤﴾﴾.

٤-التضرع إلى الله بالدعاء وبالسلامة من جهنم: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا﴿٦٥﴾﴾.

٥-الاقتصاد في المعيشة والتوسط في النفقة: ﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا﴾.

٦-يوحدون الله ولا يشركون به أحداً.

٧-لا يقتلون النفس المحرمة.

٨-لا يزنون.

٩-لا يحضرون مجالس الزور.

١٠-الإعراض عن اللغو.

١١-إذا ذكروا بآيات الله خشعوا وأطاعوا.

١٢-يتضرعون إلى الله بالدعاء ليصلح أولادهم وأزواجهم.

١٣-يدعون الله تعالى بأن يجعلهم قدوة في الدين يهتدي بهم المهتدون.

وفي سورة المؤمنون:

١٤-الخشوع في الصلاة.

١٥-الإعراض عن اللغو وقد تقدم في الفرقان.

١٦-إيتاء الزكاة

١٧-حفظ الفرج.

١٨-حفظ الأمانة.

١٩-الوفاء بالعهد.

٢٠-المحافظة على الصلوات.

وفي آل عمران:

٢١-المحافظة على التقوى.

٢٢-الإنفاق في السراء والضراء.

٢٣-كظم الغيظ.

٢٤-العفو عن الناس.

٢٥-الإحسان.

٢٦-إذا أساءوا ذكروا الله وفزعوا إلى الاستغفار.

٢٧-لا يصرون على ذنب اقترفوه بل يبادرون بالتوبة وطلب المغفرة.

وفيها أيضاً:

٢٨-يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم.

٢٩-يتفكرون في خلق السماوات والأرض.

٣٠-يتوسلون إلى الله بالاعتراف بعلمه وعظيم حكمته، وتقديسه وتنزيهه عن فعل ما يتنافى مع الحكمة في أن يقيهم عذاب النار.

٣١-ويستجيرون إلى الله من خزي أهل النار في النار.

٣٢-ويوقنون بأنه لا نصير لأهل النار ولا شفيع، ويعترفون بذلك في دعائهم طلباً لرحمة الله لهم، وتمسكناً بين يدي دعائهم.

٣٣-يتوسلون في دعائهم بأنهم استجابوا لدعوة الرسل وآمنوا بها ودخلوا فيها وسمعوا وأطاعوا، فجعلوا ذلك وسيلة إلى الله تعالى في أن يغفر ذنوبهم ويكفر سيئاتهم، وأن يميتهم مع الأبرار.

٣٤-يدعون الله تعالى بأن يعطيهم ما وعدهم على ألسنة الرسل عليهم السلام من ثواب الدنيا والآخرة.

وفي الأنفال:

٣٥-توجل قلوبهم عند ذكر الله تعالى.

٣٦-يزداد إيمانهم عند سماع القرآن.

٣٧-يتوكلون على الله دون غيره.

٣٨-إيمان لم يعقبه ريب.

٣٩-الجهاد في سبيل الله بالنفس والمال.

٤٠-أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين.

٤١-الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

٤٢-﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴿١١٢﴾﴾ [التوبة].

سؤال: ما هو تفسير قوله تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴿٧٧﴾﴾ [الفرقان]؟

الجواب: التفسير أن الله تعالى لا يبالي بعذابكم لأنكم قد استوجبتم العذاب، ولولا ما اقتضته حكمته من دعوتكم إلى الإسلام وتكريرها عليكم لَحَلَّ بكم العذاب، ولنزلت بكم نقمة الله، وإن لم ينزل بكم العذاب الآن فإنه سوف ينزل بكم لا محالة، ولن تستطيعوا الهروب منه، ولا مخلص لكم منه، وحلوله لازم بكم، والله أعلم هذا هو الذي ظهر لي من تفاسير هذه الآية.

والخطاب في هذه الآية هو لكفار قريش الذين كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وكفروا بما جاءهم به من عند الله.

وإنما قلنا: إنه لكفار قريش؛ لأن سورة الفرقان نزلت بمكة، وكان أهل مكة هم الذين تصدوا لدعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالتكذيب وصد الناس عنها، وحاربوها قبل غيرهم بشتى الوسائل مثل تعذيب المؤمنين وإيذائهم و..إلخ.

[فوائد من سورة الشعراء]

📖 قوله تعالى: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء]:

هذا وعيد صادق من رب عظيم قادر قاهر للذين ظلموا بعاقبة ظلمهم وسوء أعمالهم وأنها عاقبة عظيمة لا يتصور عظمتها ولا وبالها ولا مدى آلامها فيهم.

وهذا الوعيد مطلق، فلذلك ربما وقع في الدنيا، وربما وقع في الآخرة.

وإذا وقع في الدنيا فلا يكفي عن عذاب الآخرة إلا إذا تابوا وأنابوا إلى ربهم وأصلحوا واستقاموا.

[فوائد من سورة القصص]

📖 بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ قال تعالىٰ: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ [القصص:٦٨]، تبارك الله رب العالمين الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصىٰ كل شيء عدداً، عالم الغيب والشهادة، الحكيم الخبير، الذي يخلق ما يخلق علىٰ مقتضىٰ علمه وحكمته، ويختار ما يختار علىٰ مقتضىٰ علمه وحكمته.

أما الملائكة والإنس والجن فلا يملكون إلا السمع والطاعة والرضا بما قضاه الحكيم العليم؛ لأنهم في الأصل جهلاء لا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء، لذلك لا يكونون أهلاً للاقتراح علىٰ الله تعالىٰ أو لنقده فيما خلقه أو اختاره.

فخلق سبحانه وتعالىٰ الخلائق كما يشاء ويريد، وقدر أرزاقهم وآجالهم و... و...، واصطفىٰ منهم أنبياءً ورسلاً، و...إلخ؛ فلا يحق للمكلفين الاعتراض علىٰ اختيار الله تعالىٰ.

[فوائد من سورة العنكبوت]

📖 ﴿الم۝١ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ۝٣﴾ [العنكبوت]:

- على المكلف وإن كان من أهل التقوى أن يعلم أنه سيتعرض للاختبار والفتنة في الدين.
- وأن يعلم أن الله تعالى يثبت الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا والآخرة.
- وعليه أن يستعد للفتنة إن عرضت، وذلك:

١- بالحرص على ملازمة التقوى، وشدة التواضع لله تعالى.

٢- بالالتجاء إلى الله والافتقار إليه، وسؤاله المعونة والتوفيق والعصمة من الانزلاق في الفتن، و..إلخ.

📖 بسم الله الرحمن الرحيم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ۝٤٣﴾ [العنكبوت]:

ضرب الله تعالى أمثالاً كثيرة في القرآن الكريم، وضرب المثل يقرب المعنى إلى ذهن السامع ويصوره له تصويراً يكاد أن يراه بعينه، ويلمسه بيده.

-وأهل العلم هم الذين يدركون بعقولهم المعنى المراد بكل مثل ضربه الله، وتستحكم معرفتهم بذلك.

-أما الكفرة وأهل الجهل والغفلة فإنهم لا يفهمون ذلك، ولا تدركه عقولهم لبعدهم عن النظر والتفكر في المثل وفي مضربه.

📖 قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ۝٤٥﴾ [العنكبوت]:

- الصلاة تُجدِّد الإيمان وتوقظه في نفس المصلي، وبحياة الإيمان في قلب المكلف تنتهي نفسه عن الفواحش والمنكرات، وتبتعد عنها وتكرهها،

هذا هو شأن الصلاة.

- أما الذي يصلي ولا يترك المعاصي فيحتمل أن تكون صلاته ناقصة، والنقص قد يكون نقص الخشوع، أو نقص النية الصالحة.

📖 قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [العنكبوت]، **في ذلك**:

- أن ملازمة تقوى الله تعالى سبب لحصول التنوير في القلب وزيادة البصيرة في الدين.
- أنه لا بد من إخلاص النية في الأعمال الصالحة وترك المعاصي.
- أن أهل التقوى لا يفتتنون إذا افتتن الناس.
- أن الله تعالى مع أهل التقوى حيثما كانوا يسددهم ويعينهم، ويدافع عنهم.

[فوائد من سورة الروم]

📖 قال تعالى: ﴿الم۝١ غُلِبَتِ الرُّومُ۝٢ فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ [الروم]، وقد فسر المفسرون البضع السنين بسبع سنوات.

أن الله سبحانه وتعالى عذب مشركي قريش بالجدب والقحط سبع سنين كسني يوسف.

ومن الشواهد القريبة أن الحرب العراقية الإيرانية انتهت في السنة الثامنة، وهكذا الحرب اليمنية الأهلية بعد ثورة ٢٦ سبتمبر.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، قال تعالى: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ۝٧﴾ [الروم]:

- وصف الله تعالى الكفار المنكرين للبعث والحساب بأن لهم علماً يتعلق ببعض قليل من ظواهر الحياة الدنيا، أما اليوم الآخر بما فيه من الحساب والجزاء فهم عنه في غفلة مطبقة، وذلك هو سمة الكفار في قديم الدهر وحديثه.
- ﴿ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ يفيد أن علم الكفار وإنما تعلق بشيء قليل من مخلوقات الحياة الدنيا، فعلى هذا فإن كل ما نراه اليوم في العالم من التقدم الصناعي والتطور في الاكتشافات إن كل ذلك قليل بالنسبة لما أودعه الله تعالى من الأسرار في الأرض.

📖 قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ۝١٠﴾ [الروم]:

تفيد هذه الآية أن العاصي المصر على عصيانه يؤول به عصيانه ويجره إلى التكذيب بآيات الله والاستهزاء بها.

وقريب من هذا المعنى الحديث المشهور: ((من حام حول الحمى يوشك أن يقع فيه)).

يتعرض العصاة المصرون على العصيان للفتن المضلة قال تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ...﴾ [النور:٦٣]، وقال تعالى في آخر قصة أصحاب السبت التي قص فيها فتنتهم: ﴿كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف].

لذلك يمكننا أن نقول: إن الفتن تنقسم إلى قسمين اثنين:

١-الفتنة التي ذكرنا، وهي ما تكون المعاصي سبباً لحصولها، وهذه الفتنة خاصة بالفاسقين المتمردين على الله بعصيانهم.

٢-فتنة عامة وهي التي ذكرها الله تعالى في قوله: ﴿الم﴿١﴾ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ﴿٣﴾﴾ [العنكبوت].

والفرق بين الفتنة الخاصة وبين الفتنة العامة أن الفتنة الخاصة كانت عقاباً وجزاءً على عصيان العصاة، والفتنة العامة ليست عقاباً وإنما جاءت لاختبار الداخلين في الإيمان وتمييز صادق الإيمان من كاذبه.

ويظهر لي أن الفتنة الخاصة أشد وأعظم من الفتنة العامة، وذلك لأن الفتنة الخاصة جاءت عقاباً وجزاءً على اقتراف المعاصي، وذلك سبب مناسب للتشديد في الجزاء.

وليست الفتنة العامة عقاباً ولا جزاءً كما أسلفنا فمن الحكمة أن لا تكون في شدتها وعظمها كالفتنة الخاصة.

📖 بسم الله الرحمن الرحيم ﴿وَاختلاف أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ﴾ [الروم٢٢]:

اختلاف أصوات البشر آية من آيات الله الدالة على قدرته، وعلمه وحكمته، فإن لكل واحد من البشر صوت مخالف لأصوات غيره من الناس.

وهكذا اختلاف ألوان البشر فإنه آية من آيات الله العظيمة، إلا أن اختلاف الألوان البشرية ليس عاماً لكل فرد من أفراد البشر فقد يتفق أن تتوحد ألوان عدة من الناس في السواد أو البياض، أو في الحمرة، أو في الصفرة، أو فيما بين ذلك من شدة اللون وفتوره.

[فوائد من سورة لقمان]

📖 وقال تعالىٰ: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان:١٨]: لا تلو عنقك وتعرض بوجهك عن الناس ترفعاً وتكبراً.

[فوائد من سورة السجدة]

سؤال: كيف التفسير لهاتين الآيتين:

١- ﴿يُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ۝٥﴾ [السجدة].

٢- ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ۝٤﴾ [المعارج]؟

الجواب والله الموفق:

أن المعنى في الآية الأولى والله أعلم: أن الله سبحانه وتعالى ينزل أمر الشرائع والأحكام من السماء إلى الأرض على ألسنة الرسل من الملائكة ثم تعود الملائكة إلى السماء في يوم لما جعل الله تعالى للملائكة من القوة على قطع المسافة الطويلة في وقت قصير، وقد صور الله تعالى لنا طول ما تقطعه الملائكة في اليوم بأننا نحن البشر لو نظرنا إلى طول تلك المسافة وقسناها على حسب نظرنا لقدرنا أنها لا تُقطع تلك المسافة إلا في ألف سنة.

والمعنى في الآية الثانية: أن الله تعالى سيبعث الناس للحساب يوم القيامة الذي مقداره خمسون ألف سنة، وستحضر الملائكة وجبريل في ذلك اليوم لتنفيذ أمر الله من الحساب وما يتبعه.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ۝٢٣ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ۝٢٤﴾ [السجدة]:

- قد فسروا: ﴿فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ بلقاء محمد ﷺ لموسى ﵇ في السماء ليلة المعراج، وبلقائه في يوم القيامة، والمناسب تفسير ذلك بغير ما فسروا وهو أن يكون:

فلا تكن في مرية من لقاء مثل ما لقي موسى من العناء والنصب والأذى الكثير المتطاول، فصبر وصبر معه المخلصون فجعلهم الله بصبرهم أئمة

يهدون إلى الحق...إلخ.

وحينئذ فتكون هذه الآية في المعنى مثل قوله تعالى: ﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ﴾ [الأحقاف:٣٥]، وهو الحث للنبي ﷺ على الصبر وتحمل الأذى الذي يلاقيه في سبيل تبليغ رسالة ربه، ثم الوعد بالعاقبة الحسنة للمؤمنين الصادقين في إيمانهم، والصابرين لربهم.

ويؤخذ من ذلك:

١- أن على الدعاة إلى الله أن يعدوا أنفسهم لتحمل الأذى في سبيل الدعوة، وأن يقابلوا ذلك بالصبر.

٢- أن الإمامة في الدين ثواب عاجل للصبر في سبيل الدعوة إلى دين الله، وعلى الإيمان الراسخ بآيات الله.

٣- أن العلم والحكمة ثواب يعطيه الباري تعالى للمتقين الداعين إلى الله الصابرين.

[فوائد من سورة الأحزاب]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [الأحزاب:٥]، وفي الحديث المشهور: ((رفع عن أمتي الخطأ والنسيان)).

وللخطأ صور يقع عليها:

١ـ منها: أن يقع الخطأ ويترتب عليه جناية على نفس أو مال فإن الجاني يضمن ما ترتب على خطئه من ذلك.

والدليل على ما قلنا من الضمان قوله تعالى: ﴿وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ...﴾ [النساء:٩٢].

٢ـ ومنها: أن يقع الخطأ في فعل واجب كصلاة وحج وزكاة وصوم وما أشبه ذلك تحتم على المخطئ إصلاح الخطأ إن أمكن، أو إعادة الواجب إن لم يتأت الإصلاح، أو نحو ذلك كبعض واجبات الحج.

٣ـ ومنها: أن يقع الخطأ بفعل محظور غير ما ذكرنا من الجناية على نفس أو مال، كأن يقع في الزنا أو شرب المسكر خطأً لم يتوجه عليه شيء.

٤ـ ومنها: أن يقع الخطأ من العالم المجتهد في حكم شرعي فرعي فإنه لا يترتب على خطئه أي مسؤولية.

٥ـ ومنها: أن يقع الخطأ في معرفة الله، أو فيما يستحقه الله تعالى من الأسماء والصفات، وما يلحق بذلك من أصول الإيمان فإن الخطأ في هذا الباب غير معفو عنه؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء:١١٦].

📖 قوله تعالى: ﴿مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الأحزاب:

- يدل على أن الصادقين المخلصين من الصحابة قلة قليلة، وأن الكثير منهم لم يف بعهده، ولم يصدق في إيمانه، وبدلوا عهدهم وإيمانهم.
- وأنه ينبغي للوالي والقائد أن ينوه بأهل الصبر والثبات والنكاية في العدو، وأن يُعرِّض بأهل الفشل والجبن والخيانة من غير أن يصرح بهم.

📖 قوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا﴿٣٨﴾﴾ [الأحزاب]:

المعنى أن ما أراد الله تعالى أن يكون من أمره فلا بد أن يكون ويحصل، وهذه الآية في المعنى كقوله تعالى: ﴿وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا﴿٣٧﴾﴾ [الأحزاب].

وقد جاءت هاتان الآيتان في أمر الله تعالى لنبيه أن يتزوج بزوجة زيد بن حارثه بعد أن يطلقها زيد، فكبر على النبي ﷺ ذلك، وخشي مقالة الناس فيه واستنكارهم عليه، فيقولون: إن محمداً تزوج بزوجة ابنه زيد، وكان النبي ﷺ قد تبنى زيداً قبل البعثة، فكان يقال: زيد بن محمد، وهكذا كانت عادة العرب، فأراد الله تعالى أن يبطل ذلك، فأنزل قرآناً لإبطال ذلك: ﴿وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ﴿٤﴾﴾ [الأحزاب]، ﴿ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ..﴾ [الأحزاب]، ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب:٤١]، ﴿وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ﴾ [الأحزاب:٣٧].

وحتم على نبيه ﷺ أن يتزوج زينب حتماً ليبطل بذلك سنة الجاهلية، ويمحو أصلها؛ لأنه ﷺ إذا تزوجها سقطت تلك السنة من نفوس المسلمين وذهبت مكانتها من قلوبهم.

- يمكن أن يفهم من الآية أن القدر قسمان:

١- قدر مقدور، أي واقع حتماً.

٢- قدر غير مقدور، أي غير واقع، وذلك لما تعطيه الصفة من المفهوم.

فإن قيل: فما هو القدر الذي لا يقع؟

قلنا: هو ما يقضي به الله ويقدره على عباده من التكاليف الشرعية، فإن أكثر المكلفين لا يفعلون ما قدره الله عليهم.

توضيح:

١- قدر متعلق بأفعاله تعالى، كنزول المطر وخلق الخلائق، وإماتة ذي الروح، والجدب والخصب، وزكاء الثمار وجري الأنهار، ومسير الشمس والقمر والنجوم، والليل والنهار، والصحة والعافية، وطول الأعمار وقصرها، والأمراض والصواعق والزلازل، ونحو ذلك.

٢- قدر متعلق بأفعال المكلفين، فإنه تعالى قدر عليهم أن يفعلوا ما أمرهم به من الأعمال الزاكية التي تقربهم إليه، وقدر عليهم أن يتركوا ما نهاهم عنه من القبائح، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ..﴾ [الكهف:٢٩] فإنه تعالى وكل إلى عباده فعل ما قدره عليهم أو تركه، وجعل ذلك إلى مشيئتهم واختيارهم، فمن الناس من يفعل ما قدره الله عليه، ومنهم من لم يفعل ذلك.

- جاءت الآثار بالنهي عن الخوض في القدر، وما ذلك إلا لخفاء معناه ودقته على أفهام عامة المسلمين، فالخوض يؤدي إلى ارتباك عقولهم واضطرابها، وأن يتولد فيها معاني مفهومات خاطئة.

- أهل السنة والجماعة هم الذين أكثروا الخوض في القدر وتوسعوا في ذكره وتفسيره وشرحه، وإلى اليوم لم يصلوا إلى فهم معناه، والذين توصلوا إليه إنما هو أوهام وخيالات، فبنوا عقائدهم ومذاهبهم في هذا الباب على تلك الأوهام والخيالات من غير مبالاة، فحكموا بكفر طوائف كثيرة من المسلمين بناءً على تلك الأوهام.

- وقال بعض علماء الأشاعرة المحققون: إنه ما زال يبحث عن معنى القدر الذي يذكره أصحابه الأشاعرة مدة ثلاثين سنة فلم يتوصل إلى معناه الذي يقصده علماء الأشعرية.

- أما بسطاء أهل السنة الذين لا تحقيق لهم في مباحث علم الكلام، ولا اطلاع لهم على دقائقه وزواياه وجوانبه فيقولون: القدر: هو علم الله في الأزل بما سيكون

في المستقبل، وبعضهم يقول: القدر هو قدرة الله وأن الله على كل شيء قدير.

وأرى أنه حصل للعوام ذلك من العلماء المحققين عوضاً عن معنى القدر الذي لم يتوصلوا هم إلى فهمه وبدلاً عنه، ألجأتهم الضرورة إلى ذلك، وعند الضرورة تباح المحظورات.

فترى اليوم جماهير أهل السنة يقولون إن الزيدية والشيعة والمعتزلة ينكرون علم الله أو قدرة الله، ويكفرونهم بذلك، وحاشا الزيدية والمعتزلة والشيعة من تلك التهمة الباطلة.

📖 قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ﴾ [الأحزاب:٣٩]:

ليس معنى ذلك أن رسل الله عليهم السلام لا تدخل إلى قلوبهم المخاوف الطبيعية كالخوف من العدو، والخوف من قالة الناس، والخوف من السباع والهوام، و...إلخ؛ لأن الخوف والوجل طبيعة بشرية طبع الله تعالى عليها البشر بما فيهم الأنبياء والرسل عليهم السلام.

بل معنى الآية -والله أعلم- أن الرسل عليهم السلام يطيعون الله تعالى في كل ما أمر ونهى، لا يفرطون في شيء من ذلك، فلا يتركون واجباً أوجبه الله عليهم لخوف أحد، ويؤثرون مخافة الله تعالى على مخافة غيره.

وقد كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يخاف مشركي قريش إلا أنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يترك ما أمره الله تعالى به من تبليغ الرسالة لأجل خوفه منهم.

وقد خرج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من مكة بعد موت عمه أبي طالب خوفاً من قريش ولم يدخل مكة إلا بجوار بعض كبراء قريش وهو المطعم بن عدي، ثم خرج صلى الله عليه وآله وسلم منها خائفاً مستخفياً في غار حراء.

وقد كان المشركون يضاعفون المخاوف على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من أجل أن يتنازل عن دينه، ويرجع إلى دينهم، فلم تصده مخاوفهم عن دينه،

ولم يتنازل؛ لأنه ﷺ يعلم أن طاعة الله أولى من طاعتهم، ومخافته أولى من مخافتهم، وعذابه أعظم من عذابهم.

وفي هذا الباب يقول الله تعالى: ﴿وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ...﴾ [البقرة:٢١٤]، وقال سبحانه يطمئن رسوله ﷺ من خوف الناس: ﴿يَاأَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة:٦٧].

📖 قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾﴾ [الأحزاب]:

الذكر الواجب الذي لا بد منه قسمان:

الأول: ذكر الله تعالى في الصلوات الخمس باللسان والقلب.

الثاني: اطمئنان القلب بوحدانية الله تعالى وعدله، وأنه لا يشبه المخلوقات، ولا يفعل المقبحات، والاستيقان بالوعد والوعيد، واعتراف القلب بأن الله تعالى هو المنعم المتفضل، وأن النعم كلها من عنده، فهذا الذكر لا بد أن يكون في قلب المؤمن، وليس له حد محدود، لكن لا ينبغي أن تطول الغفلة عنه، فعلى المؤمن أن يستعرض في قلبه عظمة الله تعالى ووحدانيته، وتنزيهه عن مشابهة المخلوقين، وعن فعل المقبحات، وأن يستعرض الثواب والعقاب، وأن يعدد في قلبه نعم الله تعالى عليه.

📖 قال الله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِى يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾﴾ [الأحزاب]:

المعنى والله أعلم: أن الله تعالى وحده هو الذي لا يزال يمد عباده المؤمنين برحمته وإحسانه وفضله، وملائكة الله تعالى أيضاً أيها المؤمنون تدعو الله تعالى وتسأله أن يرحمكم.

ورحمته تعالى لعباده المؤمنين عامة لنعم الدين والدنيا، ومن أعظم نعمه أن

أرسل إليهم رسولاً من أنفسهم يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، والحكمة في إمداد الله تعالى لهم برحمته الدينية والدنيوية هي أن يخرجوا من ظلمات الكفر إلى أنوار الإسلام والإيمان.

📖 قال الله جل جلاله: ﴿إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ۝٦٧ رَبَّنَا ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَثِيرًا ۝٦٨﴾ [الأحزاب]:

- الناس عموماً يكونون في ديانتهم وسلوكهم تبعاً لمشائخهم وأغنيائهم ووجهائهم، أينما سلكوا سلكوا، وأينما توجهوا توجهوا.
- أنه لا يعذر التابع بجهله، وضعف تفكيره.
- أن التقليد في الجملة مذموم، والمقلد على خطر.
- أنه يضاعف العذاب للمتبوع بسبب ضلاله وإضلال غيره.
- أن كبراء الناس وساداتهم ومشائخهم عادة ما يكونون في ضلال عن الحق.
- أن المال يطغي وذلك من حيث أنه سبب للسيادة والكبر.

📖 قال الله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ...﴾ [الأحزاب]:

- الأمانة هنا هي الدين الذي جاءت به رسل الله وأنبياؤه عليهم السلام إلى البشر.
- وعرض هذه الأمانة العظيمة التي جاءت بها الرسل عليهم السلام على السماوات والأرض والجبال، وإباؤها عن حملها وخوفها منها كناية عن عظمة الأمانة، وليس ثمَّة عرض على الحقيقة، ولا إباء ولا إشفاق.
- وتلك الكناية يراد بها أن يتصور المخاطب عظمة الأمانة، ويتصور مدى كبرها.
- أما الإنسان فإنه حمل الأمانة حين عرضت عليه؛ لأنه عاقل مختار.
- وقوله: ﴿إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ۝٧٢﴾ يفيد: أن الإنسان بطبعه كثير

الظلم لنفسه ولغيره، وكثير الجهل بما ينفعه ويضره في العاجل والآجل، وليس ذلك تعليلاً لحمله الأمانة كما قد يتوهم.

- وقوله: ﴿لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ...﴾ إلخ- تعليل لحمل الإنسان للأمانة وقبوله لها.

[فوائد من سورة سبأ]

📖 قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ⑱﴾ [سبأ]:

القرى التي بارك الله فيها هي قرى الشام، والبركة التي جعلها الله تعالى فيها هي كما يظهر لي:

١- خصوبة أرضها واعتدال مناخها، وكثرة مياهها، مما جعلها صالحة للزراعة بجميع أنواعها من الحبوب والخضار والفواكه، فتغل الكثير الطيب من ذلك على اختلاف أنواعه وأجناسه مع الصلاح التام.

والقرى الظاهرة المذكورة في الآية هي: قرى ما بين الشام واليمن، وليست بمباركة كقرى أرض الشام، وفعلاً فإن ما بين الشام واليمن جبال الحجاز وسهل تهامة القريب من ساحل البحر الأحمر لا يصلح فيها إلا زراعة بعض أنواع الحبوب وبعض أنواع الفواكه.

٢- أن أرض الشام هي أرض الأنبياء والرسل عليهم السلام، وهذه بركة أخرى.

[فوائد من سورة فاطر]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ...﴾ [فاطر:١]:

افتتح الله سورة فاطر بالحمد لله الذي هو حقيق بالحمد والشكر الذي عم عباده بنعمه التي لا تعد ولا تحصى، وقد ذكر الله تعالى هنا أمرين ينبه الله تعالى بهما عباده على استحقاقه الحمد والشكر وهما:

١- فطره للسماوات والأرض، وقد اشتمل هذا الأمر على ما لا يعد ولا يحصى من النعم الدنيوية.

٢- أن جعل الملائكة رسلاً بوحيه إلى رسله، وقد اشتمل ذلك على ما لا يعد من النعم الدينية.

﴿أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ الملائكة أرواح لطيفة، وقد جعل الله منهم رسلاً بوحيه إلى رسله، ولا بد للملائكة المرسلين بالوحي إلى البشر من قوة وآلة تمكنهم من السباحة في الفضاء، وقطع المسافة من السماء إلى الأرض، وقد سمى الله تعالى هذه القوة والآلة أجنحة.

وذو الثلاثة الأجنحة أقوى على الطيران وأسرع فيه من ذي الجناحين، وذو الأربعة أقوى وأسرع من ذي الثلاثة، و...إلخ.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر]، جعل الله تعالى رسله إلى أنبيائه من الملائكة، وذلك جبريل عليه السلام قال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿١٩﴾ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾ [التكوير].

- وقد يكون لله تعالىٰ رسلٌ آخرون من الملائكة أرسلهم إلىٰ بعض أنبيائه، يدل علىٰ ذلك ما في هذه الآية: ﴿رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ﴾ فذكر أنواعاً من الملائكة.
- وصف الله تعالىٰ رسله من الملائكة بأن لبعضهم جناحين جناحين، ولبعضهم ثلاثة ثلاثة، ولبعضهم أربعة أربعة، والجناح هو آلة الطائر الذي بها يطير، وهي من الريش، هذا هو ما نعرفه عن الجناح.
- وليست أجنحة الملائكة مثل أجنحة الطير بل هي عبارة عن قوة يجعلها الله تعالىٰ للملك بها يستطيع أن يَسْبَح في الفضاء ويقطع بها المسافة بين السماء والأرض صعوداً ونزولاً ويميناً وشمالاً.
- واختلاف الملائكة في عدد الأجنحة كما في الآية عبارة عن اختلافهم في القوة علىٰ الطيران والسرعة في الفضاء.

وإنما قلنا إن أجنحتهم ليست كأجنحة الطير- لأن الملائكة أجسام لطيفة لا تتناسب معها الأجنحة الكثيفة والثقيلة.

[فوائد من سورة يس]

📖 قوله تعالى: ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَءَاثَارَهُمْ...﴾ الآية [يس:١٢]:

قد يؤخذ من الآية: صحة معنى الحديث القائل: ((من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة...، ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة)).

وهذه الآية تدل على أكثر مما دل عليه حديث: ((إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له)).

- وفي الآية دليل على أن صحيفة السيئات والحسنات لا تطوى بموت الإنسان، بل لا تزال مفتوحة لتسجيل السيئات والحسنات.

📖 قوله تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّاتِهِمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴿٤١﴾﴾ [يس]، فيها تفاسير:

١ـ أن الله تعالى بقدرته حمل البشر في السفن تسير بهم على أمواج البحار، والمراد بالذريات الجماعات.

٢ـ أن الله تعالى حمل الآباء في سفينة نوح، وذراريهم في أصلابهم.

٣ـ الذريات النطف، والسفن أرحام الأمهات.

وقوله تعالى: ﴿وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴿٤٢﴾﴾ [يس]، قيل: إنها الإبل، وقيل: المراد السفن، أي: وخلقنا لهم من مثل سفينة نوح سفناً أخرى مماثلة لسفينة نوح يركبونها في البحار.

سؤال: ما هو تفسير «وما خلفكم» في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴿٤٥﴾﴾ [يس]؟

الجواب والله الموفق: أن المراد بذلك -والله أعلم- أن يتقوا أن يحل بهم مثل ما حل بمن مضى من الأمم التي تقدمت كقوم فرعون وعاد وثمود وقوم لوط

و...إلخ، أو ما سيأتي من العذاب يوم القيامة، وما بين أيدهم هو عذاب الدنيا.

📖 قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ...﴾ [يس:٦٠]، قد يؤخذ منه: أن الابن من الزنا يسمى ابناً، وبناءً على ذلك فلا يجوز أن يتزوج الرجل بابنته من الزنا.

[فوائد من سورة الصافات]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ۝١ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ۝٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ۝٣﴾ [الصافات]، في ذلك:

١- أن الله تعالى يحب الاصطفاف في بعض مواطن العبادة.

٢- أن صلاة الجماعة أفضل من صلاة الانفراد لما فيها من الاصطفاف وتسوية الصفوف.

٣- وأن الجماعة تتزايد في الفضل بحسب تزايد الصفوف.

٤- وأن تسوية الصفوف في الصلاة وفي غيرها محبوب عند الله.

٥- أقسم الله بالصافات والصافات هم الملائكة، وقد يكون المراد الملائكة وغيرهم ممن يصطفون لعبادة الله في صلاة أو في جهاد أو في نحو ذلك.

- ويمكن تفسير الثلاث المتعاطفات بالمجاهدين فيكون الله تعالى أقسم بهم في أحوالهم الثلاثة:
- حالة اصطفافهم للقتال.
- وبحالة زجرهم للعدو زجراً.
- وبحالة ذكرهم لله ذكراً.

ويمكن تفسير ذلك بالمصلين في حالاتهم الثلاث:

- حالة اصطفافهم للصلاة.
- وحالة زجرهم للشيطان والهوى والكسل.
- وحالة تلاوتهم للقرآن في الصلاة.

كيف يعلِّم الله الإنسان ما لم يعلم؟

يعلم الله تعالى الإنسان ما لم يعلم:

١- إما بالوحي بواسطة الرسل كعلوم الدين، وكعلم صناعة الحديد

وتشكيله الذي علمه الله تعالى نبيه داود عليه السلام، وكعلم الطب الذي جاء نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم منه بأبواب كثيرة، وفي القرآن كثير من الإشارات إلى علم الأجنة والتكوين، وإلى شيء من علوم البحار، وعلوم الفضاء، وعلوم الاقتصاد والسياسة والصناعة و...إلخ.

٢- وقد يكون بواسطة العقل فيعطي الباري بعض العقول زيادة تُمكِّنه من التفكير الصحيح الذي يصل بصاحبه إلى الإبداع والاختراع.

٣- وقد يكون حصول العلم للإنسان من الله بواسطة حيوان مثلما تعلم ابن آدم الذي قتل أخاه من الغراب كيف يواري سوأة أخيه، ولا يخفى أن البشر قد تعلموا الكثير من المعارف بواسطة الحيوانات الصغيرة والكبيرة.

[فوائد من سورة ص]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾﴾ [ص]:

إنكار المشركين للبعث والحساب والجزاء يستلزم نسبة الله تعالى في خلقه للسماوات والأرض وما بينهما للجهل والعبث والتلاعب والحمق، ورد الله تعالى عليهم بأنه حكيم، ومن شأن الحكيم أن تكون أفعاله مبنية على مراعاة الحكمة والمصالح، والحكمة تقتضي التفرقة بين المفسد والمصلح، وبين المتقي والفاجر، وبين المؤمن الملتزم، وبين الكافر المسترسل في الفساد، ولو لم يكن بعث ولا حساب لاستوى كل أولئك.

وفي هذه الآية دليل على الحكم على القائل بلازم قوله؛ فإن المشركين المنكرين للبعث لم يقولوا صريحاً: إن الله تعالى يسوي بين المؤمن الذي يعمل الصالحات وبين المفسد في الأرض، وبين المتقي وبين الفاجر، بل أنكروا البعث، ولزم من إنكارهم للبعث نسبة الله تعالى في خلقه للسماوات والأرض وما بينهما إلى الباطل والعبث والجهل.

ولزم أيضاً من إنكارهم للبعث والجزاء اتهامهم لله تعالى بأنه يسوي بين المؤمن والمفسد، وبين المتقي والفاجر، وهم لم يقولوا ذلك، وإنما لزمهم ذلك من قولهم النافي للبعث والحساب.

ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [الجاثية].

[فوائد من سورة الزمر]

📖 قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى﴾ [الزمر٤٢]، **يؤخذ من هنا:**

١-أن الروح شيء وحياة الجسم شيء آخر، فإن جسم النائم يكون حيًّا وروحه عند الله تعالى، يردها الله تعالى في جسمه عند الاستيقاظ.

٢-أن الروح لا تموت بموت الجسم، بل يمسكها الله تعالى ولا يردها إلى جسمه في الحياة الدنيا ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾، أما روح النائم فإنه يردها إلى جسمه عند الاستيقاظ ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ﴾ [الأنعام٦٠].

٣-تطلق النفس على الروح.

٤-قالوا: إن الروح جسم لطيف.

قلت: يمكن أن يقال: إن الروح سر من الأسرار التي اختص الله تعالى بعلمها ولم يطلع عليها أحدًا من عباده، وقد قال الله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء٨٥]، وهذه الآية تفيد أن ما عندنا من العلم نحن البشر لا يكفي لإدراك ماهية الروح.

٥-والتصور والتصديق مدار علوم البشر ومنتهى معارفهم، والروح أمر وراء دائرة تصورات البشر، فليست حينئذ داخلة في دائرة معارفهم.

وتلخيص ذلك أنه ليس للبشر قدرة ولا إمكانية يتوصلون بها إلى معرفة الروح.

٦-وقد عجزت معارف البشر اليوم عن معرفة ماهية الكهرباء الذي يجري في الأسلاك ويستنفع به في الكثير من المنافع، فلم تدركه حواسهم على الإطلاق.

📖 قال تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ﴿٤٧﴾﴾ [الزمر]، ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا﴾ [الجاثية:٣٣]:

- ذلك في الكافرين والفاسقين المتمردين على الله، والمنافقين؛ فإنهم سيرون يوم القيامة في صحائف أعمالهم دقائق سيئاتهم وجلائلها، وكبائرها وصغائرها، ولم يكن دخل في حسبانهم أن أعمالهم سيئة وقبيحة، بل كانوا لضريهم عليها وإلفهم لها يرونها حسنة.
- أما المؤمن فلا يبدو له من الأعمال السيئة ما لم يحتسب؛ لأنه يجتنب الكبائر، وتكفر له الصغائر، وإذا زلت به قدمه في معصية ندم وتاب إلى الله منها واستغفر، فلا يرى يوم القيامة في صحيفته ما يسوؤه.

[فوائد من سورة غافر]

📖 قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝٧ رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتِ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ ءَابَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٨ وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝٩﴾ [غافر]:

- الذين يحملون العرش هم الملائكة المكلفون بأعمال ملك الله تعالى؛ فإن الله تعالى قد وكل قبض أرواح البشر إلى ملك الموت (عزرائيل): ﴿قُلْ يَتَوَفَّاكُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السجدة:١١]، ووكل إلى جبريل تبليغ رسالات الله إلى الأنبياء والمرسلين: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ۝١٩٤﴾ [الشعراء]، و..إلخ.
- يؤخذ من ذلك عظيم فضل التسبيح والتحميد والإيمان بالله والاستغفار.
- كما يؤخذ منه: استحباب الاستغفار والدعاء للمؤمنين الأحياء منهم والأموات.
- وأن المؤمن ينتفع بالاستغفار والدعاء ولو ميتاً.
- أن الاستغفار يختص بالتائب المستقيم على الحق لا للمصرين، ولا للضالين عن طريق الحق.
- أن الداعي يقدم بين يدي دعائه الثناء على الله والمدح له بما هو أهله.
- أن بركة المؤمن التائب المستقيم على الحق تلحق أبويه وذريته وزوجاته إذا كانوا صالحين.
- إذا أراد المؤمن أن يدعو لغيره من المؤمنين قريب أو بعيد فليدع بمثل هذا الدعاء، وهو طلب المغفرة، وطلب النجاة من النار، وطلب دخول الجنة، وإشراك الوالدين والذرية والأزواج في الدعاء، وطلب النجاة مما يسيء

المكلف يوم العرض والحساب.

- أنه ينبغي التوسل إلى الله تعالى في الدعاء بما قد سبق فيه من الله الوعد بالتفضل به للمؤمنين.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، **في هذه الآية:**

١ - أن الله تعالى يستجيب دعاء من دعاه، وله شروط مذكورة في مواضعها.

٢ - أن الدعاء عبادة لله، وإنما كان الدعاء عبادة لله لما فيه من إظهار الفقر والحاجة إلى الله، ومن التواضع والتذلل في مسألة الله، ولما يتضمن من الاعتراف والإقرار بملك الله وقدرته وغناه وسعته وجوده ورحمته.

٣ - أن الله تعالى يحب أن يُسْأل من فضله في كل صغير وكبير.

٤ - أن ترك المسألة والدعاء معصية توجب لصاحبها دخول النار صاغراً.

[فوائد من سورة فصلت]

📖 قال تعالىٰ: ﴿وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ ۝٦ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ۝٧﴾ [فصلت]:

نزلت هذه الآية في مكة قبل أن تنزل فريضة الزكاة، ولعل الزكاة التي وصف الله المشركين بعدم إيتائها هي زكاة كانوا متعارفين علىٰ أدائها من قبل مجيء الإسلام، وكان قد بقي في المشركين بقايا من دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام كالحج ومناسكه، والذبح، ومثل ذلك الزكاة المذكورة في هذه الآية.

وفي ذلك دليل واضح علىٰ عظم شأن فريضة الزكاة، حيث قرنت بذكر الشرك، والكفر باليوم الآخر.

📖 ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا﴾ [فصلت:١٠]:

أودع الله تعالىٰ في الأرض ما يكفي أهلها من الأقوات والأرزاق، وما يحتاجون إليه في حياتهم جيلاً بعد جيل، وقرناً بعد قرن، إلىٰ نهاية الزمان.

وفي هذا الزمان نرىٰ تصديق هذه الآية واضحاً، فسكان الكرة الأرضية مع كثرتهم العظيمة تتوفر لهم أرزاقهم من الأرض وحاجاتهم، وحاجة حيواناتهم من الطعام والشراب والدواء والملابس والمساكن والمراكب والآلات والوقود و..إلخ.

ففي هذه الآية دليل علىٰ صدق القرآن، وأنه منزل من عند إله قادر عليم حكيم.

📖 ﴿وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝١٨﴾ [فصلت]:

ذكر الله تعالىٰ هذه الآية بعد ذكره للعذاب الذي أنزله علىٰ المكذبين، وفيها:

أن الله تعالىٰ إذا أنزل العذاب علىٰ قوم مجرمين ينجي صالحيهم من ذلك العذاب.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ۝١١﴾ [الرعد].

📖 قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ

لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴿٥٣﴾﴾ [فصلت]:

وفعلاً فقد أرى الله تعالى أهل الكفر دلائل صدق القرآن، وصدق نبي الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم ففي هذا الزمان الذي تطور فيه التقدم في جميع المجالات انكشف لأهل الكفر حقائق كان القرآن ونبي الإسلام قد تحدث عنها قبل هذه الاكتشافات بقرون عديدة.

وكانت هذه الاكتشافات التي اكتشفت في هذا العصر منها ما هو في الآفاق، ومنها ما هو في نفس الإنسان، فصدق الله العلي العظيم، وصدق رسوله الصادق الأمين صلى الله عليه وآله وسلم، ولكن ذلك لم يزدهم إلا كفراً وطغياناً.

[فوائد من سورة الشورى]

سؤال: قال الله تبارك وتعالى: ﴿حم۝١ عسق۝٢﴾ [الشورى]، لماذا زيد في أول هذه السورة ﴿عسق﴾ دون سائر سور آل حم؟

الجواب: لا بد أن لزيادة ﴿عسق﴾ في تلك السورة حكمة ومعنى تختص به تلك السورة؛ فإن تلك الزيادة تنبه القارئ لها والسامع إلى التدبر والتأمل لما في السورة- زيادة تدبر وزيادة تأمل، ولولا تلك الزيادة لما تنبه القارئ ولما تدبر زيادة تدبر وتأمل على سائر سور آل حم.

وهكذا جميع السور التي بدأت بالحروف المقطعة فإن بدايتها بالحروف مما ينبه السامع والقارئ إلى التأمل والتدبر لما يتلى في السورة من الآيات، وفي زيادة الحروف زيادة تنبه، والله أعلم.

📖 قوله تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ۝٢٧﴾ [الشورى]، في ذلك:

أن ما يفعله الله تعالى بالعبد من الفقر والمرض و..إلخ إنما يفعله لمصلحة عائدة إلى العبد.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ۝٢٧﴾ [الشورى]:

- تدل الآية على أن الفقر نعمة عظيمة يلزم المكلف الرضا بها، والشكر عليها.

بيان ذلك:

أن قلة ذات اليد سبب يدعو العبد إلى التوجه إلى الله بالدعاء والتضرع في طلب ما يحتاج إليه، فإذا أعطاه الله تعالى شيئاً مما سأل الله استعظم ما أعطاه الله، وإن كان شيئاً قليلاً، وشكر الله تعالى على ما أعطاه، ومع الفقر والحاجة لا يزال

يدعو الله تعالى ويتضرع إليه، ويتوجه إليه بالعبادة والإخلاص، لما هو فيه من الحاجة إليه تعالى.

أما إذا كان العبد في سعة من الرزق ورغد من العيش- فإنه لا يجد في نفسه حاجة إلى الله ولا إلى سؤاله، ولا إلى التضرع إليه، وبمرور الوقت تتضاعف الغفلة عن الله وعن ذكره وشكره إلى أن يقسو القلب تماماً وتغمره الغفلة، وإذا وصل إلى هذه الحالة تورط في ارتكاب المآثم واقتراف الجرائم، والحمد لله على عظيم فضله علينا، وكثير إحسانه إلينا، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين، وسلم تسليماً كثيراً.

سؤال: قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ [الشورى:٤٠]، ووجه الإشكال أن الله تعالى جعل جزاء الحسنة الواحدة عشر حسنات، وجعل جزاء السيئة الواحدة سيئة واحدة، وهذا في حين أن المكلف إذا عمل في آخر حياته سيئة واحدة من الكبائر ولو كان قبل أن يعمل السيئة الكبيرة ملازماً للتقوى والطاعة لله، فإن ذلك الجزاء الخالد في جهنم جزاء عظيم لا يستوعب العقل عِظَمَه وكثرته مع أنه جزاء سيئة واحدة؛ فكيف ترون حل هذا الإشكال؟

الجواب والله ولي التوفيق:

أن السيئة الكبيرة وإن كانت سيئة واحدة يماثلها عذاب جهنم الخالد، غير أننا لا ندرك المماثلة ولا نتصورها، وقد صور الله تعالى لنا عِظَم بعض الكبائر فقال سبحانه: ﴿أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة:٣٢]، فصور تعالى لنا عِظَم قتل النفس المحرمة، وبين لنا أنه في العظم عنده بمنزلة قتل آدم وذريته على وجه الأرض بما فيهم الأنبياء والرسل والصالحين و...إلخ.

ولا شك أننا لا نستنكر أن الذي يقتل بني آدم جميعاً بما فيهم من الأنبياء والصالحين يستحق عذاب جهنم الخالد.

إذا عرفت ذلك عرفت أن الإشكال حصل بسبب جهلنا بعظم المعصية الكبيرة، وعدم تصورنا لها على حقيقتها.

[فوائد من سورة الزخرف]

📖 ﴿أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾ [الزخرف١٨] استنكر الله تعالى على المشركين إذ قالوا: إن الملائكة بنات الله، تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيرًا.

وقد يؤخذ من ذلك فوائد:

١-أن الأنثى أدنى من الذكر وأنقص.

٢-أن همة المرأة الزينة والتزين لا همة لها وراء ذلك، بخلاف الرجل فإن همته بعيدة.

٣-لا قدرة للمرأة على المجادلة المنطقية والمحاجة العقلية.

٤-قد يؤخذ من هنا أنه يكره أو يحرم على الرجل أن يتشبه بالمرأة في لبس الحلية والزينة الخاصة بالنساء.

٥-أن الحلية والزينة الخاصة بالنساء لا حرج عليهن في التحلي والتزين بجميع أنواعها.

٦-أن من قال للرجل إنه امرأة فقد ذمَّه وحقَّره، وذم المسلم وتحقيره لا يجوز.

٧-أن فطرة المرأة وعقليتها ناقصة.

٨-إذا كانت المرأة لا تستطيع أن تبين حجتها في المخاصمة، فلا تصلح لولاية أي عمل إداري.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَرَحْمَةُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٣٢﴾﴾ [الزخرف]، يقول الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وآله وسلم:

- إن ما أعطاك الله تعالى من النبوة، وتفضل به عليك من الرسالة والهدى خير وأفضل مما عليه أهل الدنيا من البسطة في المال وكثرته.

وسميت النبوة رحمة؛ لأنها سبب في استنقاذ الناس من الضلال وإدخالهم في الهدى.

-ومثل هذه الآية قوله تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴿٥٨﴾﴾ [يونس]، **يؤخذ من هذه الآية:**

١- أن العلم أفضل من المال.

٢- أنه يجب على المسلم أن يستشعر عظيم نعمة الله عليه بالإسلام والهدى، وأن يعدها في نفسه أعظم نعمةً من المال.

٣- إذا رأى المسلم أهل الغنى والمال فلا يستحقر نعم الله عليه، وأن ما هو فيه من نعمة الهدى أعظم وأفضل.

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ۝٣٣ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ۝٣٤ وَزُخْرُفًا وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا...﴾ [الزخرف]، **في ذلك فوائد:**

١- أن أفعال الحكيم تعالى المتعلقة بالمكلفين مبنية على مصالحهم العائدة إليهم.

٢- أن كثرة المال فتنة.

٣- أن ما نراه اليوم ونشاهده من التقدم الصناعي والحضارة في العالم اليوم قد حصل بإذن الله وإرادته ومشيئته، وأن تخلف الكثير من دول العالم بإذن الله وإرادته، وأن التقدم والتخلف كانا لمصلحة عائدة إلى المكلفين.

٤- أن الله تعالى يريد أن يكون الناس أمة واحدة على الإسلام.

وقد خالف أهل السنة على اختلاف مذاهبهم في ذلك، وفي هذه الآية ما يحجهم ويرد عليهم.

٥- أن طبائع البشر مفطورة على تبعية الفقراء للأغنياء، وطاعتهم لهم، والاقتداء بهم.

٦- أنه يجوز استعمال الذهب والفضة في تجميل المساكن والبيوت والمساجد والدَّرَج والسرر، ونحو ذلك.

٧- جواز تشييد البيوت والمساكن والمساجد بالقص والجبس، وتزيينها بالنقوش وألوان البويات من الداخل والخارج.

٨- جواز رفع البيوت طابقاً فوق طابق.

٩- أن على العالم إذا فعل فعلاً يستنكره أتباعه وغيرهم أن يبين لهم وجه حسنه، ويرفع عنهم الإشكال واللبس.

سؤال: ذكر الله تعالى في القرآن أنه رفع بعض الناس على بعض ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً فما تفسير ذلك؟

الجواب: رفع بعض الناس على بعض في الرزق فجعل بعضهم غنياً ذا مال، وجعل بعضهم فقيراً، وجعل الأغنياء متفاوتين في الغنى، فكان ذلك سبباً لأن يتسخر الأغنياء الفقراء في البناء والزراعة والصناعة وفي غير ذلك، ولولا حاجة الفقراء لما تسخرهم الأغنياء، ولو كان الناس أغنياء جميعاً أو فقراء جميعاً لما عمرت الأرض.

[فوائد من سورة الجاثية]

﴿وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية:٢٢]:

خلق الله السماوات والأرض وما بينهما من الإنس والجن والملائكة وغيرها لغرض عظيم وحكمة عظيمة، وقد ذكر الله تعالى هذه الحكمة وذلك الغرض العظيم في كتابه الكريم، فذكر من ذلك بعض ما عرَّفنا:

١- في السماوات والأرض وما بينهما آيات عظمة الله وجلاله وكماله وربوبيته، وآيات سعة رحمته، وآيات إحاطة قدرته وسعة علمه وكبريائه، وآيات حكمته وغناه وعزته وقوته.

٢- خلق الله المكلفين، وخلق لهم السمع والأبصار والأفئدة لينظروا في آيات الله المبثوثة في السماوات والأرض وفي أنفسهم، وفي عظيم نعمة الله عليهم، وكثرة آلائه السابغة عليهم؛ ليشكروا الله وليعظموه وليعبدوه.

٣- خلق الله السماوات والأرض وما بينهما ليرتب على ذلك الجزاء الوافي للمحسنين على إحسانهم، وللمسيئين على إساءتهم في الدار الأخرى.

بيان تابع:

في خلق السماوات والأرض وما بينهما دلائل واضحة على علم الله وحكمته وغناه وعزته و...إلخ، ورأينا الأجيال يخلف بعضهم بعضاً، بعد أعمار يعمرونها على ظهر الأرض، ولا بد على مقتضى حكمة الله وعلمه أن يكون له تعالى حكمة عظيمة في خلق الإنسان في أحسن تقويم، الذي زوده في خلقه بالسمع والبصر والعقل والروح، وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته، وجعله خليفة في الأرض، وجعله أعظم المخلوقات الأرضية، وجعل له من السلطان في الأرض ما لم يجعله لغيره، ثم جعل له عمراً محدوداً، يكون ضعيفاً في أول عمره، ثم يدرجه في القوة والكمال إلى أن يبلغ أشده، ثم يأخذه الضعف شيئاً فشيئاً، إلى أن ينتهي به الضعف

إلى الموت، يتراوح هذا العمر في المتوسط ما بين الستين والسبعين.

ولا شك أن ذلك على حسب مقتضى الحكمة، يستدعي أن الموت ليس هو الغاية والنهاية للحياة، بل إن ألسنة الحكمة تنادي بأن هناك وراء الموت حياة مكملة ومتممة لحكمة الحياة الدنيا، تستوفي فيها الحكمة حقوقها، وتبلغ غايتها ونهايتها.

مثال توضيحي للحكمة

لو أن ملكاً من ملوك الدنيا بنى مدينة كأروع ما يمكن من قدرة البشر، وزودها بما تحتاج إليه من المياه والمرافق و...إلخ، فلما أتم بناءها خربها من غير عيب ولا داع يستدعي تخريبها، ثم بعد تخريبها بنى مدينة أخرى كالأولى في الحسن والروعة والجمال فيها كل ما تحتاجه من المياه والمرافق فلما أتم بناءها خربها، وهكذا يبني ثم يخرب ثم يبني ثم يخرب و...إلخ.

فإن العقلاء بلا شك يحكمون على هذا الملك بالحمق والجهل، ويحكمون على عمله بأنه عمل باطل، وسعي خاسر وجهد ضائع.

وهكذا لو فرضنا أن الموت هو النهاية والغاية للحياة الدنيا، وأنه ليس وراء الموت حياة أخرى لكان ما نشاهده من الحياة، ثم الموت- عمل باطل، وصناعة ضائعة، تدل على أن صاحبها أحمق جاهل؛ تعالى الله عن ذلك وعما يقوله الجاهلون علواً كبيراً.

مثال آخر لتوضيح الحكمة في الخلق:

قد دلت المخلوقات على أن خالقها عليم حكيم، فلو أن الموت هو الغاية والنهاية ليس وراءه حياة أخرى، ولا جزاء ولا حساب لأدى ذلك إلى:

-أن يستوي الظالم والمظلوم، والعالم والجاهل، والمصلح والمفسد، والشاكر والكافر، والمتقي والفاجر، و...إلخ- عند الخالق الحكيم، حيث توفاهم بالموت ولم ينصف المظلوم من الظالم، ولم يكافئ العالم ولم يميز الجاهل ولم يجز الشاكر، ولم يعاقب الكافر، ولم يُرَقِّ المتقي ولم يهن الفاجر و...إلخ.

وذلك مما يستنكره أهل العقول في الشاهد، فإنهم يستنكرون على مالك العبيد إذا لم يفرق بين محسنهم ومسيئهم، ومطيعهم وعاصيهم، وشاكرهم وكافرهم و...إلخ، وهكذا يستنكرون على الملك في مثل ذلك.

إذا عرفت ذلك فإن الله تعالى حين أمات الظالم والمظلوم والشاكر والكافر، والمصلح والمفسد، و...إلخ، ولم يعاملهم بحسب أعمالهم، ولم يميز بينهم، بل إنه تعالى يمدهم بالإحسان، ويواصل عليهم الإنعام، عرفنا حينئذ على حسب مقتضى الحكمة أنه لا بد بعد الموت من حياة تستكمل فيها الحكمة مشوارها، وتبلغ فيها نهايتها.

وقد أدرك هذه الحقيقة رجال في الجاهلية فقالوا: لا بد من دار بعد هذه الدار ينتصف فيها للمظلوم من الظالم، وينال فيها الظالم جزاءه و...إلخ؛ منهم: الزبير بن عبدالمطلب، وقس بن ساعدة.

-لولا أن هناك حياة أخرى بعد الموت يجازى فيها المحسن والمسيء لقبح من الحكيم العليم أن يمد عبيده بأسباب القوة والتمكين، ثم يخلي بينهم فيتظالموا بسبب ذلك، ولا يمنعهم ولا يقطع عنهم المدد، وقد ذكر الله تعالى الحكمة في خلق السماوات والأرض فقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ۝٢٧ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ۝٢٨﴾ [ص].

وقال سبحانه: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٣٨ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ ۝٣٩﴾ [النحل].

وقال: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى ۝٣١﴾ [النجم].

وفي القرآن الكثير من مثل ذلك، إلا أن في إدراك هذه الحقيقة ومعرفة الحكمة كما ينبغي نوع خفاء، لا يدركها إلا بعض العقلاء، وإن أدركوها فقد لا

يوقنون بها بل يجوزونها، لذلك لم يكل الله تعالى في معرفتها المكلفين إلى مجرد عقولهم، بل أرسل الرسل وأنزل الكتب لبيان هذه الحقيقة، وأيدهم بالمعجزات والبراهين والحجج الدالة على صدقهم، وبذلك قطع الله تعالى على المكلفين عللهم وأعذارهم.

فالحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله، وصلى الله وسلم على محمد وآله الطاهرين. ليلة عيد الفطر ١٤٣٠هـ. يرسم

[فوائد من سورة محمد]

📖 قال تعالىٰ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ...﴾ [محمد:١٩]، أمر الله تعالىٰ هنا بالعلم بأنه لا إله إلا الله، والعلم بذلك لا يحصل إلا إذا حصلت أسبابه.

وأسباب العلم هي النظر والتفكر في الدلائل والآيات، فيكون ذلك واجباً؛ لأن ما لا يتم الواجب إلا به يجب كوجوبه.

📖 قال تعالىٰ: ﴿وَإِنْ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد:٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ...﴾ [المائدة:٥٤]،

يؤخذ من ذلك:

- أنه كان في مؤمني الصحابة الكثير من ضعاف الإيمان الذين ليس لهم جد وعزيمة في التمسك بحقائق الإيمان ولا في جهاد المشركين.
- وأنهم كانوا علىٰ حال لا يرضاها الله تعالىٰ.
- وأنه لا يكفي لحصول محبة الله ورضاه مجرد الدخول في الإسلام بالشهادتين.
- أن وراء الصحابة قوماً هم أفضل وأزكىٰ عند الله من كثير من الصحابة.
- في الآيتين تعريض بكثير من الصحابة، في الآية الأولىٰ تعريض إجمالي، وفي الثانية تفصيلي.
- أنه كان في الصحابة من يراعي مشاعر المشركين بحيث أنه لا يصدر منه إليهم ما يسوؤهم.
- من أخص أوصاف المؤمن:

١- العزة علىٰ الكافرين.

٢- التذلل والتواضع للمؤمنين.

٣- الجهاد في سبيل الله.

٤- لا يصده عن فعل ما أمر الله تعالىٰ ورسوله ﷺ خوف لوم لائم من المشركين، أو المنافقين، أو الظالمين.

- أنه ينبغي التلطف في نصيحة المتهاون بدينه ونحوه، بحيث لا يشعر من نصيحتك وموعظتك بما ينفره.

[فوائد من سورة الحجرات]

📖 قال تعالى: ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝٩﴾ [الحجرات]، من فوائد هذه الآية كما يظهر لي:

- أن الواجب على المسلمين أن يصلحوا بين المتقاتلين من المسلمين، وذلك بأن يوقفوا القتال بينهم بأي وسيلة، وعليهم أن يلزموا الطرفين بوقف القتال إلزاماً، الظالم منهما والمظلوم.

وعلى المصلحين أن ينظروا في الأسباب التي هيجت القتال بين الطرفين فيقطعوها بالصلح على حسب ما يرونه حقاً، ويلزموا الطرفين بذلك.

- والمخاطب بهذا الأمر من له استطاعة وقدرة على الإصلاح بين المتقاتلين، وهو من فروض الكفايات فإذا قام به البعض سقط الوجوب عن الآخرين.
- ولا يشترط أن يكون هذا الصلح قائماً على الحق والعدل الذي لا يستطيعه إلا العلماء المجتهدون، بل المطلوب هو الإصلاح بين المتقاتلين ووقف القتال وقطع الأسباب على حسب ما يراه المصلحون صواباً في وجهة نظرهم.
- ويلحق بهذا أن يرى المصلحون أن المتنازعين على وشك القتال وليس هناك ما يردعهم عن القتال من دولة أو قبيلة فإن الواجب على المصلح أو المحكم بينهما أن يلزم الطرفين بما يراه صواباً من الصلح إن لم يتمكن من قطع النزاع بالحكم، ولا يجوز التفريط والإهمال في ذلك حتى يقع القتال.

وإنما قلنا ذلك إلحاقاً لهذه المسألة بالمسألة الأولى، وأيضاً فإن المصلح أو المحكم في مثل ذلك بين أمرين:

١- أن يتشكك عن الإلزام بالصلح وقطع الشجار به، فيؤدي ذلك إلى اقتتال

الطرفين وإزهاق الأرواح، وما يلحق بذلك من الخوف، وفساد الأموال وضياعها و...إلخ.

٢- أن يلزم الطرفين بالصلح ويحكم به عليهم على حسب ما يراه صواباً.

ولا شك أن الأمر الثاني أهون.

فإن قيل: قد ورد فيمن يحكم بغير ما أنزل الله ما ورد مثل قوله تعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴿٤٤﴾﴾ [المائدة].

قلنا: قد أمر الله تعالى أن نصلح بين المتقاتلين أمراً مطلقاً؛ فإذا أصلحنا بينهما على حسب ما نراه من الصواب فقد أدينا ما أُمرنا به، وقد أمرنا بالصلح بين الناس كما أمرنا بالحكم بينهم، فلم يدخل المصلح في عموم الآية.

- وقوله تعالى في آخر الآية: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴿٩﴾﴾ [الحجرات]، هذا هو الصلح الثاني فقد أمر الله تعالى فيه المؤمنين المصلحين بأن يقوموا ضد المعتدي من الطرفين ويقاتلوه حتى يكف عن عدوانه ويرجع إلى أمر الله، فإذا رجع إلى الصواب وترك القتال- وجب على المؤمنين أن يصلحوا بينهما بالحق والعدل، وذلك بأن يلزموا كل طرف بضمان ما وقع منه من جناية على الطرف الآخر في كل صغير وكبير.

قد يقال: ما هو السر في إطلاق الصلح الأول، وتقييد الصلح الثاني بالعدل والقسط؟

فيقال في الجواب: لعل السر والله أعلم أنه لم يتعين المعتدي من الطرفين في الصلح الأول، ولم يتحدد لنا الظالم منهما من المظلوم، بل إن كل طرف يعتقد أنه على الحق وأنه غير معتدٍ، وهذا في الغالب، فإذا كان الأمر كذلك فلا يتأتى الحكم بين الطرفين بالحق والعدل إذ يحتمل أن كل واحد من الطرفين ظالماً ومظلوماً، والمظلوم المدافع عن نفسه لا يضمن ما حدث منه من جراحات أو غيرها؛ لأنه مدافع عن نفسه، والظالم يلزمه ويحكم عليه بما جنى على المظلوم.

فكان ذلك الالتباس والاحتمال عائقاً أمام تحري الحق والعدل فيما جرى بين الطرفين، وكان الصلح وقطع أسباب النزاع بين الطرفين هو البديل.

أما الصلح الثاني فقد تعين المعتدي من الطرفين، وتحدد للمصلحين الظالم منهما والمظلوم، فأمكن المصلحين حينئذ أن يتحروا العدل والحق فأُمِروا به.

وقال تعالى في الإصلاح بين الناس: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴿١١٤﴾﴾ [النساء].

وفي الصلح قال تعالى: ﴿وَإِنِ امْرَأَةٌ خَافَتْ مِنْ بَعْلِهَا نُشُوزًا أَوْ إِعْرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا أَنْ يُصْلِحَا بَيْنَهُمَا صُلْحًا وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء:١٢٨]، وفيه يقول تعالى: ﴿فَمَنْ خَافَ مِنْ مُوصٍ جَنَفًا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بَيْنَهُمْ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [البقرة:١٨٢].

فكل هذه الآيات تدل على أهمية الإصلاح بين الناس، وأنه خير من الحكم في معالجة مشاكل الناس، وأن فيه فضلاً عظيماً.

ويتبين فضل الصلح على الحكم فيما يلي:

١- الصلح متيسر فباستطاعة كل عاقل أن يفعله.

٢- سلامة الصلح من الغضاضة بين الخصمين، وبين المصلح وأحد الخصمين.

📖 قال الله تعالى: ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا﴾ [الحجرات:١٢]، **في ذلك:**

١- أن من أظهر الإسلام يكون حكمه حكم المسلمين، وليس علينا أن نبحث عن صحة إسلامه، بل لا يجوز التجسس عليه، أو سوء الظن به إطلاقاً.

٢- أن ظاهر المسلمين العدالة، حتى يظهر ما يخدشها.

٣- أن الله تعالى يريد أن يكون المسلمون إخوة متحابين، وأن يكونوا أمة واحدة، وحزباً واحداً، وكياناً واحداً.

٤- أنه يحرم على المسلم أن يثير أي سبب من أسباب العداوة.

٥- أن ظاهر الإسلام كاف في الحرمة والأخوة.

أما إذا ظهر من المسلم ما يخل بإسلامه كارتكاب كبائر الإثم، أو الخيانة للإسلام والمسلمين؛ فإنها تطيح عدالته وتضعف حرمته.

ودليل ذلك: ما أنزل الله تعالى في المنافقين من الذم والتحذير: ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ۝١﴾ [المنافقون]، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ۝٤﴾ [المنافقون].

وقال سبحانه في الفاسق: ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات].

📖 قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ۝١٣﴾ [الحجرات]، **في ذلك:**

١- أن الناس متساوون غير متفاضلين من حيث أصل الخلقة، فإن أصل خلقة البشر جميعاً من آدم وحواء، فهم جميعاً مستوون في هذه النسبة.

٢- أن الحكمة في تقسيم الناس إلى شعوب وإلى قبائل ليعرف بعض الناس بعضاً، وليتميز بعضهم من بعض، فيقال: فلان بن فلان اليمني، أو القرشي، أو الهمداني، أو الحميري، أو الخولاني، أو السحاري...إلخ.

٣- أن أشرف البشر عند الله وأكرمهم لديه وأرفعهم عنده هو أتقاهم، فعلى قدر الرسوخ في التقوى تكون الكرامة عند الله، والوضيع عند الله، المهين عنده- هو الذي لا حظ له في التقوى.

- وهناك شرف وكرامة من جهة العرف المتعارف عند الناس، فالرجل يشرف ويكرم على أمثاله وأقرانه وأصحابه إذا زاد عليهم في الكرم والسخاء والحلم عن السفيه والتجاوز عن المسيء، والإغضاء عن البذيء، والتواضع لكل شريف ووضيع، ولكل غني وفقير، ولكل قريب وبعيد،

والشجاعة من غير بغي ولا عدوان، والوفاء والصدق، و...إلخ؛ فبمثل ذلك يشرف الرجل عند الناس ويسود، ويراعى هذا الشرف في ذرية الرجل إلى أن يُنْسى الرجل وتُنْسى أعماله.

- وقد يفسد الشرف في الذرية قبل أن ينسى الرجل، وذلك بأن تعمل الذرية بعكس أعمال أبيهم.
- وقد قال رسول الله ﷺ حين سئل عن الكرم والشرف: ((خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام...)).

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحجرات]، **في الآية:**

١- أن أصل الناس ومنبتهم واحد، فهم جميعاً مخلوقون من آدم وحواء، فلا تفاضل بينهم من هذه الناحية.
٢- أن الله تعالى بعد أن خلقهم من أصل واحد فرعهم إلى فروع كثيرة، وشعبهم إلى شعوب عظيمة، فاليمن شعب، ويضم الكثير من القبائل، وهكذا سائر الشعوب.
٣- أن الحكمة في تفريع بني آدم إلى قبائل وتشعيبهم إلى شعوب هي أن يتعارف الناس فيما بينهم، فيعرف أن ذلك الرجل فلان بن فلان من قبيلة كذا وكذا.
٤- أن الفضل والكرم عند الله هو في التقوى لا في النسب.

الناس وإن استووا في الأصل والنسب فقد يتفاضلون من جهات:

١- من جهة مكارم الأخلاق كالكرم والشجاعة والتواضع والصبر، و...إلخ.
٢- من جهة كمال الجسم وجمال الصورة، ووفارة العقل والذكاء.
٣- من جهة العلم: ﴿هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر:٩].
٤- من جهة قوة البدن: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ﴾ [البقرة:٢٤٧].

٥- من جهة الحياء.

وحينئذ فلا منافاة بين ما ذكرنا وبين الآية التي صدرنا بها هذا الموضوع؛ لأن الآية تنفي المفاضلة في الأصل والنسب، وما ذكرنا من التفاضل هو في شيء آخر غير النسب.

وقد تفضل قبيلة على قبيلة، وشعب على شعب بفضائل كالكرم والشجاعة وحسن الجوار ونصرة الضعيف والتعطف على المساكين، والتواضع، والقبض على أيدي سفهائهم من العدوان على الضعيف والمسكين وابن السبيل، ونصرة الحق والمحقين، وإغاثة الملهوف، والصدق، والوفاء بالوعد والعهد.

وقد تنحط القبيلة وترذل بفعلها عكس ما ذكرنا من الفضائل.

إذا فضل الله تعالى بعض القبائل على بعض أو بعض الشعوب على بعض فإنما هو لما فيهم من مكارم الأخلاق ومرضيها، ومن هنا جاء في الحديث المشهور خطاباً للصحابة: ((خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا)).

وقد فضل الله تعالى أمة محمد ﷺ على غيرها من الأمم فقال جل وعلا: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران:١١٠]، ففضلها الله تعالى لا من جهة النسب ولكن من جهة فعلها للمعروف وأمرها به، وتركها للمنكر ونهيها عنه.

والمعروف هو: ما تعرفه العقول من مكارم الأخلاق ومحاسن الأعمال والأقوال، والمنكر: هو ما تستنكره العقول وتنفر عنه لفحشه ورذالته.

ومن جهة تواضعها لله حين آمنت به وصدقت بكتبه ورسله وباليوم الآخر، وخضعت لطاعته، ولم تتكبر عن ذلك ولم تَرُدَّه كما يفعل المتكبرون، بل قالوا: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة].

وما فضل الله تعالى العرب على غيرهم ولا قريش ولا الأنصار ولا بني هاشم ولا أهل البيت إلا لمثل ما ذكرنا، ومن هنا قال تعالى: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام:١٢٤].

وهذا الفضل الذي ذكرنا للشعوب والقبائل ليس المراد به كل فرد فرد من الشعب أو القبيلة، بل المراد أن الفضل لجملة الشعب أو جملة القبيلة أو جملة الأمة.

ودليل ذلك: أنه قد ثبت فضل أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على غيرها من الأمم، ولا شك ولا ريب أن في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكثير من الفاسقين والظالمين والمفسدين والمتكبرين، وثبت فضل قريش وفيهم ما فيهم من الجبابرة والفساق والظلمة، وثبت فضل بني هاشم وفيهم ما فيهم من الظالمين والفاسقين.

ومن قبل فضل الله تعالى آل إبراهيم على العالمين، وآتاهم الكتاب والحكمة فكانوا كما وصفهم الله تعالى في القرآن بقوله: ﴿فَمِنْهُمْ مُهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ۝٢٦﴾ [الحديد].

فإن قيل: هل فيما ذكرتم ما ينافي الحديث: ((الناس سواسية كأسنان المشط ليس لعربي على عجمي فضل إلا بالتقوى)).

قلنا: إذا صح هذا الحديث فمعناه أن الناس في أصل أنسابهم سواء لا فضل لأحد على أحد من هذه الناحية وإنما يتفاضل الناس بالتقوى، وهذا لا يتنافى مع ما ذكرنا كما لا يخفى.

إذا كان هناك رجلان مستويان في العلم والعمل والتقوى حسب ظاهر الحال فهما مستويان في الفضل من هذه الناحية ومع ذلك فيمكننا أن نقول: إن أحدهما أفضل نسباً من الآخر، وذلك بأن يكون أبوه وجده وجده الأعلى علماء أتقياء مصلحين آمرين بالمعروف ناهين عن المنكر دون الرجل الآخر.

والدليل على أن ذلك وجه تفضيل:

١- قوله تعالى: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ﴾ [النمل:١٩]، فإن نعمة الله تعالى على الأب نعمة على الابن يلزمه شكرها.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الطور:٢١]، فأفادت هذه الآية أن الله تعالى يلحق الذرية الصالحة بمنازل آبائها الصالحين.

يستوي المسلمون جميعاً -وإن تفاضلوا من جهات-:

١- في التكاليف بالأحكام الشرعية.

٢- في القصاص والجنايات والأروش والديات، فأحرار المسلمين سواء، وعبيدهم سواء، وإماؤهم سواء في كل ذلك.

٣- في الحقوق والمواريث.

على ما ذكرنا مضت الشعوب والقبائل إلى اليوم، فالعجم يعترفون بالفضل للعرب، والعرب تعترف بفضل قريش، وقريش تعترف بفضل بني هاشم، ويدينون بلحوق الولد بأبيه في الفضل والشرف، وبلحوق خلف القبيلة لسلفها في الشرف والفضل.

وفي الرواية المشهورة أن الصحابة سألوا رسول الله ﷺ عن الكريم المعرق في الكرم، فقال رسول الله ﷺ: ((الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم)) هذا معنى الرواية.

وانتسب النبي ﷺ في بعض المواقف فقال: ((أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبدالمطلب))، ولم يقل ذلك النبي ﷺ إلا وهو يرى أن له شرفاً وفضلاً بانتسابه إلى المشهور بالفضل والكرم (عبدالمطلب).

يثبت بما ذكرنا أن الناس وإن استووا من جهة فإنهم متفاوتون في الفضل من عدة جهات.

[فوائد من سورة الذاريات]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات:٢٢]:

١- كل ما يحتاجه الإنسان والحيوان من الرزق لا يحصل إلا بالماء النازل من السماء، ولولا ما ينزله الله تعالى من ماء السماء لعدمت أرزاق الإنسان والحيوان، فمياه الأنهار والوديان ومياه العيون النابعة من الأرض أو من الجبال حصلت من مياه الأمطار النازلة من السماء ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ [المؤمنون:١٨].

٢- وما توعد الله تعالى به المجرمين من العذاب يأتي من السماء، فالصواعق والعواصف والفيضانات وكثرة الأمطار والثلج وشدة البرد وشدة الحر و...إلخ يأتي من السماء.

٣- إذا كان رزق أهل الأرض في السماء، فإنهم يعلمون علماً ضرورياً أنه لا قدرة لهم على إنزاله، ولا في استطاعتهم أن يصلوا إليه.

وهكذا ما يخشون نزوله عليهم من العذاب هو في السماء، ولا طاقة لهم على دفع العذاب النازل بهم من السماء.

فإذا استيقن أهل الأرض ذلك، وقر علمه في قلوبهم- فمن الجدير بهم أن يتوجهوا إلى من يملك ذلك ويقدر عليه، فيعطوه من أنفسهم ما يجلب لهم رضاه، وما يدفع عنهم سخطه.

[فوائد من سورة القمر]

📖 قال الله تعالى: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ①﴾ [القمر]، وقال سبحانه وتعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل١]، وقال تعالى: ﴿اقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ①﴾ [الأنبياء]، هكذا قال الله تعالى، **ويؤخذ من ذلك**:

١- أن عمر الدنيا وقت نزول الوحي على رسول الله ﷺ قد مضى أكثره، ولم يبق إلا أقله.

٢- لفظة «اقتربت» تدل على أن نزول الوحي على النبي ﷺ كان والأقل من عمر الدنيا قد مضى أكثره، وقد أخذنا ذلك من لفظة اقتربت فإن زيادة الألفاظ فيها يدل على شدة الاقتراب.

فإن قيل: كيف استقام أن يقال: «اقتربت الساعة»، وقد مضى منذ نزلت هذه الآية أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، وذلك كثير؟

فيقال في الجواب: الاقتراب المذكور هنا هو اقتراب نسبي بمعنى أنه قد مضى الأكثر من عمر الدنيا، فإذا كان قد مضى الأكثر من عمرها، ولم يبق إلا الأقل فإنه يصح أن يقال: إنه قد اقتربت نهاية الدنيا.

و«انشق القمر» المعنى: أن انشقاق القمر قد قرب أيضاً.

[فوائد من سورة الرحمن]

📖 ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿الرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن]، **في ذلك:**

١- أن العلم بالقرآن أكبر نعم الله تعالىٰ علىٰ الإنسان، وهو أكبر نعم الله تعالىٰ علىٰ الإنسان سواء تعلمه الإنسان أم لم يتعلمه، وسواء عمل بأحكامه أم لم يعمل بها.

والذي يقرأ القرآن ويعمل بأحكامه أفضل من الذي يعمل بأحكامه ولا يقرؤه.

وكان القرآن أفضل النعم لما فيه من الهدىٰ للناس إلىٰ طريق السعادة في الدنيا، ثم السعادة في جنات النعيم مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، ثم السلامة من سخط الله وغضبه في الدنيا وفي الآخرة في عذاب الجحيم.

٢- خَلْقُ الإنسان وإن كان أول النعم وأساسها وأصلها، فإنه في المرتبة الثانية باعتبار الغاية، فإن تعليم الله تعالىٰ للقرآن باعتبار غايته التي هي السعادة في الدنيا والسعادة الأبدية في الآخرة والسلامة من النار.

٣- وثالثة هذه النعم هي أن الله تعالىٰ علَّم الإنسان البيان، والبيان هو إبانة اللسان عما يريده الإنسان.

📖 قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿الرَّحْمَٰنُ ١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ ٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ٤﴾ [الرحمن] **في ذلك:**

١-أن هذه النعم الثلاث أعظم نعم الله علىٰ الإنسان وأكبرها، وأن نعمة الهدىٰ والإيمان والقرآن أعظم هذه النعم الثلاث، ويليها في العظم والكبر نعمة خلق الإنسان بما هو عليه من حسن التقويم والعقل والحواس والحياة والعافية والشهوة. ويليها في العظم والكبر نعمة البيان، وهي تعبير الإنسان بلسانه عما في ضميره.

٢-وأن على الإنسان أن يكثر ذكر هذه النعم في نفسه، ويعترف بها في قلبه وعلى لسانه، وأن يحمد الله تعالى عليها، ويخصها بمزيد الشكر.

٣-اشتملت هذه السورة على تعداد نعم الله تعالى العظيمة والبليغة، الواضحة والمكشوفة بالضرورة أو بالاستدلال، ولم تتعرض السورة للنعم الخفية أو الدقيقة، وذلك يدل على أن اسم «الرحمن» يطلق على الله تعالى من حيث إنه المعطي والمتفضل بالنعم الكبرى المكشوفة الواضحة.

٤-قد يؤخذ من هنا أن اعتراف القلب بنعم الله وتصديقه بها يعتبر شكرًا.

📖 بسم الله الرحمن الرحيم ﴿يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ۝٣٣...﴾ [الرحمن]:

- يقال يوم القيامة للجن والإنس: إن كان لكم قوة وقدرة على الهروب من الله والخروج من حدود ملكه لتنجوا من حسابه، وتنجوا من قبضة قدرته فاخرجوا، ولكن لا قدرة لكم ولا قوة على الهروب من عدل الله تعالى، ولا على الخروج من أقطار ملكه؛ لأن الخروج لا يكون إلا بقوة، ولا قوة لكم.

[فوائد من سورة الحديد]

📖 قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد:٢٥]، في الحديد:

١- تصنع منه السيوف والسهام والرماح، هذا في قديم الدهر، وبه كان يقتل بعضهم بعضاً، وبه نصر الإسلام وقامت شرائع الإسلام و...إلخ، وكل ذلك بالحديد الذي هو آلة للقتل والجرح.

أما اليوم فقد صنع من الحديد أسلحة عظيمة البأس فتاكة كما هو معروف.

٢- في الحديد مصالح عظيمة كالسيارات وجميع وسائل النقل البري والبحري والجوي، وصنعت منه المصانع المختلفة والآلات المتحركة وغير المتحركة في جميع مجالات الحياة.

واستعمل في تعمير المساكن وناطحات السحاب وبناء الجسور والكباري وإلى آخر منافعه التي لا تحصى.

وقد توسعت منافعه اليوم كثيراً في مجال الزراعة ومجال الطب و...إلخ.

وبذلك يظهر السر في ذكر الله تعالى لنعمته بالحديد على عباده من بين أنواع المعادن الأخرى.

وفي هذا الزمان خصوصاً تتكشف لنا حكمة الله وإحاطة علمه حيث أودع في الأرض كميات عظيمة من معادن الحديد تكفي لحاجة البشر، وتتكفل بمنافعهم على طول الزمان، وحاجة البشر اليوم للحديد حاجة عظيمة لا يغطيها إلا كميات لا تتصور.

ولعلم الله تعالى بحاجة البشر في آخر الزمان لكميات هائلة من الحديد أودع في الأرض ما يكفي لحاجتهم في آخر الزمان.

وهذا في حين أن الله تعالى لم يودع في الأرض من النحاس وسائر المعادن إلا أقل بكثير مما أودعه فيها من الحديد.

وتبارك الله رب العالمين القائل: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ۝٨ عَالِمُ الْغَيْبِ

وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴿٩﴾ [الرعد].

فمقادير ما خلقه الله تعالى في الأرض أو أودعه فيها كأنواع المعادن وغير ذلك، كل شيء من ذلك على مقدار محدد على حسب حاجة البشر إليه في حياتهم الدنيا، قدره عالم الغيب والشهادة بعلمه، فلم يزد العليم الحكيم على ما تدعو إليه الحاجة والمصلحة، ولم ينقص المقدار عما تدعو إليه الحاجة والمصلحة.

[فوائد من سورة المجادلة]

📖 قال تعالى: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٢١﴾ [المجادلة]، وقال سبحانه: ﴿وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠﴾ [الحج]:

-النصر المراد -كما يظهر لي- هو ظهور الحق وظهور حججه وبيناته، وقد يحصل مع ذلك قوة وسلطان وقد لا يحصل، وشواهد ذلك كثيرة.

-يختلف الرجال والنساء في التكاليف الشرعية تبعاً لاختلافهما في التكوين.

[فوائد من سورة الحشر]

سؤال: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [الحشر:١]، ما هذا التسبيح الذي في مثل هذه الآية؟

الجواب والله الموفق:

أن كل ما في السماوات والأرض من المخلوقات من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار والحيوانات صغيرها وكبيرها، والأشجار والبحار والأنهار والأرض وما عليها- كل ذلك ناطق بلسان حاله على أن له صانعاً حكيماً عليماً قديراً عظيماً متعالياً عن مشابهة المخلوقات، منزهاً عن مماثلتها...إلخ.

فالناظر إذا نظر في أصغر مخلوق كالذرة، وتدبر بفكره في خلقها وحياتها، وأن جسمها ذلك الصغير قد احتوى على كل ما احتوى عليه جسم الفيل الكبير من القلب والدورة الدموية، وجهاز التنفس، وجهاز الهضم، وجهاز التناسل، والأعصاب والشرايين، والعظام والمفاصل والدماغ، والسمع والبصر، والشم والذوق، والإحساس والتوالد و...إلخ.

بالإضافة إلى ما هي عليه من الاهتداء لمعاشها، ولما فيه منفعتها، والهروب من المخاوف، واتخاذ المنازل التي تحفظها من المخاوف والأمطار، وما هي عليه من التعاون فيما بينها، وادخار الطعام في مخازن تحت الأرض و...إلخ.

فإن نظره يؤديه إلى معرفة عظمة خالقها وعظيم قدرته وسعة علمه وحكمته، و..إلخ.

فهذا هو تسبيح الذرة، فكأنها بما تحمله من آيات عظمة الله وعلمه وحكمته وقدرته ووحدانيته تنطق بذلك وتتكلم به.

وهي وإن لم تتكلم بلسان المقال فإنها تسبح بلسان الحال وتقول: سبحان خالقي

ما أعظم رحمته بي، حيث تفضل علي بخلقي، وأودع فيَّ من آيات علمه وحكمته وقدرته ما يبهر الألباب، ويستفرغ عنده الفكر ما لديه من العجب العجاب.

📖 قال الله تعالى: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْءَانَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴿٢١﴾﴾ [الحشر]:

- هذا مثل صور الله تعالى فيه لعباده ما يحمله القرآن من كلام الله تعالى وآياته وبيناته وما لها من التأثير في القلوب وإيقاظ الفكر، وتحريك العقول وإزعاجها عن غفلتها، حيث أن القرآن هو الغاية والنهاية في التأثير في هذا المجال، فهو أعظم الكلام تأثيراً على الإطلاق، فصور الله تعالى لعباده ذلك بصورة محسوسة من أجل أن يتوجهوا بعقولهم، ويفتحوا آذان قلوبهم إلى آيات القرآن ليتفكروا فيها، وينعموا في التأمل لما فيها من الذكر والمواعظ والعبر والعلم والحكمة.

وإنما قلنا: إن ذلك مَثَلٌ ضربه الله؛ لقوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [العنكبوت:٤٣].

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ...﴾ إلى آخر السورة [الحشر]،

في هذه الآيات:

- ذكر بعض أسماء الله تعالى وصفاته.
- وفيها إشارة إلى أن كلمة الإخلاص أفضل صفات الله تعالى، وذلك من حيث أنه تعالى صدر بها صفاته، ومن حيث كررها، وتسمى «لا إله إلا الله»: كلمة الإخلاص، وكلمة التوحيد، وكلمة التقوى.

وإنما كانت أفضل الصفات- لأن معناها إثبات الإلهية لله تعالى وأنه الإله الواحد، وأن ما سواه باطل، وتعني البراءة من كل معبود سوى الله تعالى.

وقد صدّر الله تعالىٰ سورة الإخلاص عند تعداد صفاته تعالىٰ بـ«أحد»، وفي قوله: ﴿وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ۝٦٥ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝٦٦﴾ [ص]، وفي آية الكرسي، وفي أول آل عمران، وفي مواضع أخرىٰ، وكل ذلك دليل علىٰ فضل تلك الكلمة كما لا يخفىٰ.

📖 قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ۝٢٢ هُوَ اللَّهُ الَّذِى لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٢٣ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝٢٤﴾ [الحشر]، في ذلك:

أن إثبات الوحدانية لله تعالىٰ، ونفي الشريك عنه هو أول ما يجب علىٰ المكلفين معرفته من صفات الله تعالىٰ، ويتلو ذلك في الأهمية معرفة إحاطة علم الله تعالىٰ بالغيب والشهادة، ويتلو ذلك معرفة سعة رحمة الله بعباده حيث أعطاهم جلائل النعم ودقائقها.

[فوائد من سورة الجمعة]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ۝١ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ
يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ
قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ۝٢ وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ۝٣ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۝٤
مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ
مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۝٥ قُلْ
يَاأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا
الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝٦ وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ۝٧ قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ
تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨﴾.

وقد مضى(١) ذكر الآيات المتعلقة بالجمعة وها أنا أعود إلى أول سورة الجمعة لاستكمال ما بقي من الفوائد في هذه السورة على حسب ما ظهر لي، أما الإحاطة بفوائد السورة جميعاً فلا يعلمها إلا الله تعالى ولا يحيط بها سواه.

وأن القرآن لا تفنى عجائبه ولا يزال العلماء يستخرجون منه العجائب والغرائب منذ يومه الأول وإلى اليوم، ولن يزالوا يكتشفون أسراره ويستنبطون بدائعه وغرائبه إلى يوم القيامة، نسأل الله الكريم أن يجعلنا من أهله علماً وعملاً بحق محمد وآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم والحمد لله رب العالمين.

فمن الفوائد:

١- أن كل ما يرى وما لا يرى من المخلوقات في السماوات والأرض يدل بخلقه

---

(١) تمت إضافة بقية سورة الجمعة التي أشار إليها المؤلف -أيده الله- هنا إلى كتاب «الفقه القرآني» لتعلقها بموضوعه.

على تنزيه الله تعالى وتقديسه عن مشابهة المخلوقات، وعن الشركاء، وعن العجز والجهل، وتدل على اختصاصه بالخلق والملك والعظمة والجلال والكبرياء، وعلى استحقاقه للحمد والشكر دون ما سواه.

٢- وأن الواجب على ذوي العقول أن ينظروا بعيون عقولهم إلى ذلك التسبيح الناطق في صغير المخلوقات وكبيرها، فلعلهم إن نظروا ينخرطون معها في التسبيح.

٣- أن منة الله تعالى ونعمته على قريش وعرب الجزيرة بمحمد ﷺ أعظم وأكبر من منته على غيرهم.

٤- قد يستدل مما هنا على أن العرب أفضل من غيرهم من أمم الأرض، وذلك من حيث أن الله تعالى اختصهم بالتقديم برسالة الإسلام وخاتم الأنبياء صلوات الله عليه وآله، وأن يكونوا أول من يتلى عليه آيات الله، وأول من يتزكى بدين الإسلام، وأول من يحمل العلم والحكمة.

٥- وأن منته هذه التي مَنَّ بها على قريش والعرب قد أرادها الله لهم واختصهم بها أولاً ولذراريهم ما تناسلوا إلى يوم القيامة.

٦- ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٤﴾﴾ لم يدرك الكثير من قريش والعرب مدى هذه النعمة، وعظمة ذلك الفضل الذي اختصهم الله تعالى به، ولا مقدار ذلك الشرف الكبير الذي شرفهم الله به.

٧- ﴿الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ الكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة هي العلم بطرق الحق والصواب.

٨- أنه ينبغي للداعي إلى الله أن يرتب دعوته للجاهلين:

أ- فيبدأ أولاً بذكر آيات الله الدالة على عظمة الله وجلاله وعلمه وقدرته، وذكر آيات رحمته وسعة نعمه على عباده، وحلمه عنهم، حتى إذا استوعب الجاهل ذلك، وعَقَلَه- وقَرَّ في لبه.

ب- ثنى بتزكية الجاهل وتطهيره من أدناس الجهل وأعمال الجاهلين، وذلك بالتوبة والإقلاع عنها والاستغفار من ذنوبها وآثامها.

ج- ثم ثلث بعد ذلك بتعليمه أحكام دين الإسلام «العلم والحكمة».

٩- يمكن الاستدلال من هنا على جواز ذكر المصرّ على فسوقه وعصيانه بما فيه، وذمه بعصيانه.

١٠- وأن العالم الذي لا يعمل بعلمه مذموم ومحروم من شرف العلم ورفعته، وأنه لا يستحق إلا الذم والنقص.

١١- ليس للعالم الذي لا يعمل بعلمه إلا التعب والعناء والثقل، بل إن الجهل خير له من حمل العلم من غير عمل، وهذا معنى التشبيه.

١٢- مثل الله اليهود بالحمار الذي هو أخس الحيوانات التي تحمل الأثقال؛ ليصور لنا خسة اليهود وانحطاطهم السحيق.

١٣- تفيد الآيات هنا: أن اليهود الذين حملوا التوراة ودرسوها وعلموا بما فيها من العلم والأحكام قد تركوا الأحكام التي كلفهم الله تعالى فيها العمل بها وهم يعلمون ذلك، ويعلمون مع ذلك أن الله سوف يعذبهم على تركها وترك العمل بها.

١٤- وقد يؤخذ من هنا أنه لا حرج على المؤمن أن يتمنى الموت حباً منه للقاء ربه.

١٥- قد يؤخذ من هنا أن الله تعالى يقبل دعوة المبطل إذا دعا على نفسه في المباهلة.

١٦- وفيما هنا معجزة ظاهرة تدل على صدق النبي ﷺ في نبوته، وذلك من حيث أنه أخبر في هذه الآيات عن حال اليهود الظاهرة والباطنة والمستقبلة: ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا﴾.

١٧- استاءت اليهود حين بعث الله محمداً ﷺ من قريش ومن العرب وأرسله إليهم أولاً واشتد حسدهم حتى كتموا وأنكروا ما في التوراة من البشارات بالنبي ﷺ ومن ذكر صفاته، وادعوا أنهم أهل النبوات والشرف والقرب من الله دون العرب؛ فأرغمهم الله تعالى حين قال: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ④﴾،

وحاجهم الله تعالىٰ في هذه الآيات وأفحمهم وذمهم وأخزاهم، ويستفاد من ذلك: أن معصية الله تعالىٰ تهدم الشرف الرفيع، وتذهب بالفضل والكرامة، وبمعصية الله يتحول العزيز إلىٰ الذلة، وتتحول العظمة إلىٰ صغار، ﴿كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾.

١٨- قد يستفاد من هنا أن معصية العالم أقبح وأفحش وأعظم عند الله تعالىٰ من معصية الجاهل.

١٩- يجب علىٰ المكلف الرضا بما اختاره الله تعالىٰ وفعله، ولا يجوز له الانتقاد لحكم الله واختياره في صغير الأمور وكبيرها فإن الله تعالىٰ عزيز حكيم لا يختار أمراً ولا يحكم بحكم إلا بعلم وحكمة، ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴿٤﴾﴾ وقد ذم الله اليهود وأخزاهم حين اعترضوا علىٰ الله تعالىٰ أن بعث في الأميين رسولاً منهم.

٢٠- ومما يزيد في قوة ما ذكرنا في رقم (١٨) أن الله تعالىٰ ذكر في سورة الأعراف الذي آتاه الله تعالىٰ العلم والحكمة ثم انسلخ عنه ولم يعمل به ومال إلىٰ الدنيا والهوىٰ، فذمه ثم مثله بالكلب: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ...﴾ إلخ [الأعراف:١٧٦]، فضرب الله تعالىٰ أسوأ الأمثال للعلماء الذين لا يعملون بعلمهم.

٢١- قد يستفاد من هذه السورة أن العلم بالله تعالىٰ أهم العلم وأولها وأولاها، ويليه في الأهمية العلم بالأحكام العملية، وذلك من حيث أن السورة بدأت بتسبيح الله وتقديسه وتنزيهه وذكر أسمائه الحسنىٰ وذكر رحمته بعباده ومنته بإرسال الرسول ﷺ، وإخراج الناس من الظلمات إلىٰ النور، وما يلحق بذلك، وما يتصل به من ذكر اليهود واعتراضهم علىٰ اختيار الله وحكمته وفضله العظيم، ثم بعد ذلك أرشد الله المؤمنين إلىٰ ما يجب عليهم فعله في يوم الجمعة، وإلىٰ أحكام صلاة الجمعة.

٢٢- وفيها هنا بيان فضل العلم وشرفه: ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾.

٢٣- وأن العلم أفضل من العمل بغير علم، وذلك من حيث بدأ بذكر العلم بالله في هذه السورة، ثم ذكر بعد ذلك العمل.

٢٤- وأن تعليم الناس معالم دينهم وأحكامه هو عمل الأنبياء الذي ابتعثهم الله من أجله، فمن هنا يكون ذلك من أفضل الأعمال وأجلها.

٢٥- وأن رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عامة لذراري المرسل إليهم إلى يوم القيامة، وذكر الله تعالى أنه بعث في الأميين رسولاً منهم وفي ذراريهم ليذكرهم بنعمته عليهم ومنته العظمى إليهم حيث كان الرسول منهم وبلغتهم وفي بلادهم، وهم أول من يتلقى عنه ويؤمن به و...إلخ، ولم يرد أنه رسول إليهم خاصة من دون الناس لقوله تعالى: ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف:١٥٨].

٢٦- قد يؤخذ من هنا أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معصوم لا يقول للناس إلا الحق، ولا يدلهم إلا عليه.

٢٧- الأميون هم قريش وسائر قبائل العرب، وسموا أميين؛ لأنه لا كتاب لهم، وليس فيهم علم ولا علماء، كما هو الحال في اليهود والنصارى.

٢٨- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ﴾ التعبير بالفعل المضارع هنا يدل على أن المخلوقات التي في السماوات والأرض دائمةُ التسبيح ومستمرةٌ فيه، ويؤخذ من ذلك أن الناس الذين يشركون بالله ويكفرون به مخلوقات شاذة عن عامة المخلوقات وخارجة عن فطرتها.

٢٩- ﴿وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ...﴾ في ذلك دليل على أن الله تعالى يريد ببعثة الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تزكية الأميين وإخراجهم من الضلال المبين، فيكون في ذلك حجة على الذين يقولون: إن الله تعالى لا يريد أن يؤمن الكافر، ولا أن يتزكى..إلخ.

٣٠- وقد يؤخذ من هنا أيضاً أن تصريف الحجج وتوضيحها إذا لم يفد مع

المبطل المتمرد أن يدعى للمباهلة، وأن إباءه من المباهلة دليل على ضلال مذهبه وبطلانه.

٣١- وأنه سيكون في أمة محمد ﷺ وفي ذراريهم من يحمل العلم والحكمة، وأن على العلماء أن ينقلوا العلم إلى من بعدهم: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾؛ لأن رسالة النبي ﷺ لا تصل إلى من سيأتي بعده ﷺ إلا بنقل العلماء إليهم.

٣٢- وفي هذه السورة أنه ينبغي للداعي إلى الله وإلى دينه أن يبدأ في أول كلامه بذكر الله وذكر عظمته وجلاله وسلطانه، وذكر نعمه العظيمة على عباده ورحمته بهم ومنته عليهم حين هداهم للإسلام، وأرسل إليهم رسولاً منهم، وأنزل عليهم القرآن، ثم بعد ذلك يذكر الموضوع الذي يريد أن يلقيه في مسامعهم.

٣٣- ﴿إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ...﴾ ما زال اليهود إلى اليوم يدعون أنهم شعب الله المختار، وصفوته من البشر، وأنهم أحباء الله وأولياؤه...إلخ، وحقاً فقد كانوا خيرة الله من الناس وصفوته منهم ﴿وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٤٧﴾﴾ [البقرة]، ﴿وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴿٣٢﴾﴾ [الدخان]، إلا أنهم كفروا بعد نعم ربهم، وكفروا بنبي الله عيسى عليه السلام، وبهتوا أمه عليها السلام، ثم كفروا بخاتم الأنبياء والمرسلين صلوات الله عليه وآله وعليهم، وحرفوا التوراة، وغيّروا أحكام الله تعالى، وقتلوا الأنبياء، وأكلوا الربا، واستحلوا السبت، وارتكبوا المعاصي، وتمردوا على الله؛ فلعنهم الله تعالى، ومسخهم قردة، وغضب عليهم، وألبسهم الذلة والصغار إلى يوم القيامة؛ فلم يبق لهم من بعد ذلك من ولاية الله حظ ولا نصيب، وسلبهم الله تعالى كل شرف وعزة، وأخذ منهم ما أعطاهم من نعمه، وأحل بهم غضبه ولعنته، وجعل منهم القردة والخنازير، وقال: إنهم شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل، و...إلخ.

٣٤- ويؤخذ من هنا أنه لا يقبل قول الرجل إنه على الحق أو قول الطائفة إنها على الحق إلا بدليل، وأنها لا تقبل شهادة الرجل لنفسه، وأنها لا تقبل رواية الطائفة إذا كانت روايتها لتشييد مذهبها، حتى ولو أجمعت الطائفة على صحة الرواية، وذلك من حيث أن الله تعالى في هذه السورة كذب اليهود فيما ادعوه لأنفسهم من الاختصاص بولاية الله دون غيرهم من الناس، ولم يعتبر ما بأيديهم من النقل عن موسى عليه السلام دليلاً.

٣٥- كما قد يؤخذ من هنا أن الأمة لا تكفر كلها، وإلا لما تأتى أن تصل شريعة النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى الآخرين الذين لم يلحقوا زمن الرسالة.

٣٦- قوله تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ فيها الإرشاد إلى الأخذ بأسباب الرزق من التجارة والزراعة والصناعة والإجارة والسفر.

٣٧- إن دين الإسلام دين لم تُهمل فيه مصالح العباد في دنياهم.

٣٨- كما قد يؤخذ من هنا الإرشاد للمسلمين إلى أن يأخذ كل رجل أو كل فريق في طريق غير طريق الفريق الآخر، وأن يتوزعوا في طرق المكاسب وهذا مستفاد من كلمة «انتشروا».

ولعل الحكمة في ذلك هو ما يترتب على التوزع من قيام مصالح الأمة وسد الحاجات العامة؛ فإذا أخذ بعضهم في طريق تأجير منافعه في البناء أو في الزراعة أو في نحو ذلك حصلت مصلحة الأمة في هذه الناحية، وإذا أخذ بعضهم في مجال السفر للتجارة وجلب البضائع توفرت الحاجات والطلبات للأمة، وهكذا فإن كل فريق يسد حاجات المجتمع من جانب.

وفي ذلك إرشاد للمسلمين إلى الزراعة والتجارة والصناعة و..إلخ.

٣٩- كما يستفاد من سورة الجمعة: أن اشتغال المؤمن بأداء فرائض الله لا ينقص من رزقه، ولا يدخل عليه بسبب الاشتغال بأداء الفرائض أي خلل أو نقص في تجارة أو زراعة أو صناعة أو نحو ذلك.

٤٠- إذا أخذ المسلم في طريق لطلب الرزق فلم يحصل على شيء فليأخذ في طريق أخرى، وهكذا حتى يحصل على طلبه من الرزق، ولا يجوز له أن ييأس؛ لأن الله تعالى قد قال: ﴿وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ ولم يقل كذلك إلا وقد أرصد لكل منتشر في الأرض فضلاً من رزقه.

٤١- و«انْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ» ليس مطلق الانتشار سبباً في تحصيل الرزق، بل المراد الانتشار إلى حيث يظن تحصيل الرزق، فالذي يبيع الحطب ينتشر إلى حيث تكثر الأشجار، وصاحب الصيد إلى حيث يتواجد الصيد و..إلخ.

٤٢- كما يؤخذ من هنا أنه لا حرج أن يعرض المؤمن نفسه للإيجار، ولا نقص يلحقه بسبب ذلك.

٤٣- وأن فيما أحله الله تعالى من طرق المكاسب كفاية كافية لتغطية حاجات المكلفين.

٤٤- وأنه لا يعذر أحد في أخذه بأسباب المكاسب المحرمة؛ لوجود وكثرة الأسباب المشروعة.

٤٥- ﴿لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ يدل على أن حصول الطالب للرزق من طرقه المشروعة على ما يطلبه ليس حتمياً، وإنما هو دائر بين لعل وعسى، ولعل السبب في ذلك هو:

- ما يعلمه الله تعالى من المصلحة للمكلفين فبعض الطالبين قد تكون مصلحته في تقليل رزقه، أو حرمانه أحياناً، وبعضهم قد تكون المصلحة في توسيع رزقه وتكثيره.
- وليبقى قلب الطالب للرزق معلقاً بربه، يسأله أن يرزقه، وأن يتفضل عليه بالرزق، ولو كان الأخذ بأسباب الرزق موجباً حتماً لحصول الرزق لما التفتت القلوب إلى الله في طلبها للرزق، ولا تضرعت إليه بالدعاء في حصول الرزق، ولا تضرعت إليه بالدعاء في حصول الرزق، ولكان قلب الطالب للرزق معلقاً بالأسباب ومتوجهاً إليها خاصة.

٥٦- كما يؤخذ من هنا أن للمتكلم حقاً على المخاطب فحقه أن يصغي إلى كلامه،

ويقبل بوجهه عليه، وأن لا ينصرف عن ذلك حتى يكون المتكلم هو المنصرف.

٥٧- وقد يؤخذ من هذه السورة أن المؤمن بحاجة إلى أن يتعاهد قلبه بالمواعظ والتذكير في كل أسبوع، وأن ذلك أمر لا بد منه لحياة الإيمان في قلبه، وذلك من حيث أن الله تعالى حكيم لا يوجب شيئاً إلا لحكمة ومصلحة عائدة إلى المكلف.

٥٨- تقضى الصلاة ويفرغ منها بالسلام: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ﴾ فيؤخذ من ذلك أنه لا يلام المصلي للجمعة وغيرها على المبادرة إلى الخروج من المسجد عند الفراغ من الصلاة مباشرة قبل أن يذكر الله بعد الصلاة، وقبل أن يتنفل بركعتين أو أربع.

٥٩- وقد يؤخذ من هنا أنه لا يشرع أن يصلي الرجل ركعتين تحية للمسجد إذا كان الإمام يخطب، وذلك من حيث أنه مأمور بالسعي إلى ذكر الله وذكر الله هو استماع الخطبة وفعل الصلاة.

٦٠- الاشتغال بالبيع والشراء ونحوهما من الأعمال حال نداء الجمعة أو بعده محرم، والعلة في تحريم ذلك هو كونه شاغلاً عن الجمعة، ومثل ذلك يأتي في كل ما يشغل عن واجب تضيق.

٦١- إذا لم يكن العمل شاغلاً عن إجابة النداء فلا يحرم، وذلك نحو أن يتعاقد البائع والمشتري في طريقهما إلى المسجد، أو يتساومان على الثمن في طريقهما، أو ينقد المشتري للبائع الثمن في الطريق، أو يحمل الذاهب إلى المسجد حملاً بأجرة من السوق إلى المسجد أو يتحدث الرجلان في طريقهما إلى المسجد.

٦٢- قد يؤخذ من هنا أنه لا يجوز إقامة جمعة ثانية في البلد الصغير، وذلك من حيث أن الله تعالى أمر المؤمنين بالانصراف إلى حيث ينادي المنادي لصلاة الجمعة.

٦٣- كما قد يؤخذ من هنا أن علماء الصحابة وأهل البصائر كانوا قلة قليلة، وأن الكثرة الكاثرة منهم كانوا من العوام وأهل الجهل والغفلة، ودليل ذلك: ﴿..... وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ۝٩﴾، و﴿...وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ

اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴿١١﴾﴾.

٦٤- إذا غفل المؤمنون عن فعل واجب أو تهاونوا به، أو قصروا في تأديته فيجب على العالم والواعظ أن ينبههم على سوء تفريطهم، ويحثهم على فعل ما تهاونوا به، ويرغبهم فيه، ويؤكد عليهم أهميته عند الله.

٦٥- أن من شأن الإيمان أن تتبعه طاعة الله وامتثال أمره؛ لذلك دعا الله تعالى المتصفين بالإيمان إلى المسارعة إلى الجمعة.

٦٦- ﴿وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ...﴾ يدل على أن علماء اليهود وأحبارهم وذوي الدراسة منهم كانوا يعلمون أن الله سوف يعذب العصاة منهم ويخزيهم في نار جهنم، وأن ما كانوا يروجونه لأتباعهم وعوامهم من أن الله لا يعذب اليهود في جهنم على الإطلاق لكونهم أحبابه وأولياءه وأهل صفوته وخيرته، أو أنه إن عذب أحداً منهم فإنما يعذبه أياماً معدودة، ثم يخرجه إلى دار كرامته ورحمته مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين- إنما هو زور يموهون به على الرعايا، ويسهلون به عليهم ارتكاب الجرائم والفواحش.

٦٧- ﴿ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴿٨﴾﴾ فيه أن الله تعالى سوف يحاسب اليهود على كل صغير وكبير من معاصيهم، وأن شرف العصاة وفضلهم بالاصطفاء وبولادة الأنبياء عليهم السلام وبحمل علم الأنبياء ومعرفة شرائعهم لا يغني عنهم من عذاب الله شيئاً، ولا يدفع عنهم سخط الله وغضبه ولعنته في الدنيا ولا في الآخرة.

٦٨- ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ...﴾ إلخ: يدل على أن أفعال الله تعالى وأحكامه مبنية على الحكمة والعدل والمصالح العامة أو الخاصة، وأن أفعاله وأقواله وأحكامه خالية من القبح والجور والعبث والكذب، لا يظلم مثقال ذرة، ولا يحيف.

٦٩- وأن من اعترض على الله تعالى في شيء من أحكامه بالقول أو بالفعل فقد شابه اليهود الذين اعترضوا على الله تعالى في اختياره لمحمد ﷺ للنبوة والرسالة، واستحق ما استحقوه من الذم والعقاب والخزي والصغار.

٧٠- وأن الواجبات الشرعية وإن استوت في الوجوب فإنها تتفاوت أهميتها، ويتفاوت فضلها.

٧١- وقد يؤخذ من هنا أنه لا ينبغي للإمام أو غيره أن يقوم بخطبة بعد الصلاة؛ لما في ذلك من شغل الناس عن أعمالهم.

٧٢- وأن المسلمين على عهد رسول الله ﷺ كانوا يعملون في دنياهم من الزراعة والتجارة ونحوهما أول اليوم وآخره، من الصباح إلى المساء.

٧٣- وأن التصوف والانقطاع إلى العبادة والزهد فضيلة، وليس بحتم محتوم على المؤمن؛ لأن الله تعالى ورسوله ﷺ رضي للمؤمنين بحضور صلاة الجمعة ثم ينصرفون إلى أعمال الدنيا وطلب الرزق، وقد كانوا قبل الصلاة في أعمال التجارة وغيرها.

٧٤- أن الصحابة لم يكونوا من أهل الكسل، بل كانوا من أهل النشاط والعمل المتواصل في جميع المجالات الدينية والدنيوية، وهم الأسوة للمسلمين.

- قد يقال: ليس في القرآن الكريم والسنة النبوية الحث للمسلمين على التجارة والزراعة والبناء والصناعة وغير ذلك فما هو السبب في ذلك؟

فيقال في **الجواب:** الناس جميعاً بما فيهم المسلم والكافر مندفعون بطبائعهم إلى الدنيا وأعمالها فلا يحتاجون إلى من يحثهم ويبعثهم على الإقبال إليها والتوجه إلى الاشتغال بها فإن حبهم لها كفيل ببعثهم إليها وإقبالهم على الأخذ في جميع المجالات.

٧٥- ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَاةِ...﴾ يدل بمفهوم الشرط أن المسلم إذا لم يسمع النداء لصلاة الجمعة، ولم يعلم أو يظن أنه ينادى لصلاة الجمعة في قريته أو نحوها

فإنه لا يجب عليه السعي، كما يؤخذ من هنا أن المسلم إذا كان بعيداً عن مسجد الجمعة بحيث لا يسمع النداء من ذلك المسجد من منادٍ صيِّت فإنه لا يجب عليه حضور الصلاة في ذلك المسجد.

٧٦- لم يذكر الله تعالىٰ من أسماء أيام الأسبوع إلا الجمعة والسبت، ولم يذكر غيرهما، والسبت لليهود، والجمعة للمسلمين، حيث إن الله تعالىٰ أوجب تعظيم هذين اليومين، فتعظيم الجمعة في دين الإسلام هو بالحضور والاجتماع لصلاة الجمعة واستماع خطبتها، وتعظيم السبت في دين موسىٰ عليه السلام هو بترك الأعمال في يوم السبت.

- فيؤخذ من هنا أيضاً أن في دين الإسلام تخفيفاً ورحمة وتيسيراً أبلغ مما في شريعة بني إسرائيل.

٧٧- وأن شرف الجمعة والسبت ليس لذات اليومين، وإنما هو لتفضيل الله تعالىٰ لهما إذ لو كان تفضيلهما لذاتيهما لألزم الله تعالىٰ أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بتعظيم السبت، ولأمر أمة موسىٰ عليه السلام بتفضيل الجمعة.

٧٨- وكأن فضل يوم الجمعة هو بسبب ما جعل الله تعالىٰ فيه من فريضة صلاة الجمعة وخطبتيها.

٧٩- صلاة الجمعة ركعتان يخطب الإمام قبل الصلاة خطبتين، عرف ذلك من غير القرآن، أي من معلومات الدين الإسلامي الضرورية، وهكذا كونها قائمة مقام صلاة الظهر.

٨٠- ذكر الله في أول السورة نعمته علىٰ المسلمين بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبما جاء به إليهم من الهدىٰ والعلم ليستنقذهم به من الضلال المبين، وذمَّم إليهم اليهود حين لم يعملوا بما جاءهم من الهدىٰ وتركوه؛ ليذعنوا لما أمرهم بعد ذلك من فريضة الجمعة، وليسارعوا إليها، وليحذروا التهاون بها.

[فوائد من سورة التغابن]

📖 فسر الهادي عليه السلام ﴿بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ في قوله تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [التغابن:١١]:

١- بحكم الله وإرادته ومشيئته فيما نزل من الله من المصائب على سبيل الجزاء والانتقام من أعدائه تعالى، وكذلك فيما نزل بعباده الصالحين على طريق المحنة والابتلاء.

٢- بتخلية الله وعلمه، وذلك فيما نزل من المصائب بالمؤمنين من الفاسقين.

٣- بأمر الله وحكمه وإذنه، وذلك فيما نزل من المصائب بالفاسقين من المؤمنين.

قلت: يؤخذ من هذا التفسير جواز إطلاق اللفظة المشتركة وإرادة معانيها المختلفة، وكذلك إطلاق اللفظة وإرادة معناها الحقيقي والمجازي معاً.

[فوائد من سورة الطلاق]

📖 قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، الإنسان في هذه الحياة الدنيا يشتغل تفكيره في همين اثنين:

الأول: هم الرزق والخوف من الفقر والحاجة.

الثاني: هم المصائب عموماً والخوف منها، كالخوف من الظلمة ومن تهديداتهم، والخوف من الأعداء والخصوم، والخوف من الفتن، وتراكم الديون و..إلخ.

وهذان الهمَّان هما من أكبر ما يكدر الحياة وينغصها وقد يؤدي ذلك إلى انهيار الصحة وفساد العقل.

ولا يوجد لذلك القلق والضنك والضيق دواء إلا في التقوى ففيها الفرج والمخرج، غير أن حكمة الله تعالى اقتضت أن يرزق المتقين من حيث لا يؤملون ولا يفكرون.

[فوائد من سورة الملك]

📖 قوله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا﴾ [الملك:٣]:

ورد القرآن بأن السماوات سبع، وورد بأن الله زين السماء الدنيا بمصابيح وجعلها رجوماً للشياطين، فعلى هذا فإن كل ما نشاهده من النجوم مباشرة أو بواسطة المناظير الفلكية فهو في السماء الدنيا.

وعلى هذا فتكون السماء الدنيا عبارة عن طبق فضائي مترامي الأطراف تسبح فيه النجوم، والسماء الثانية كذلك إلا أنه لا نجوم فيها، وهكذا الثالثة والرابعة والخامسة والسادسة والسابعة.

ويمكن أن يقال: السماء الدنيا هي عبارة عن الفضاء الذي تتواجد فيه الشمس والقمر والنجوم المزهرة الواضحة النور المشرقة، وذلك لأن الله تعالى سماها مصابيح، ومن هذه النجوم المشرقة ترجم الشياطين.

وسائر النجوم التي ليست بمشرقة ولا واضحة النور منها ما هو في السماء الثانية، وما هو في الثالثة، وما هو في الرابعة، و...إلخ، وذلك على حسب البعد فأبعد النجوم في السابعة، والذي يليه في البعد في السادسة و..إلخ.

وهذا القول أقرب إلى الصحة في نظري، وذلك لما تدل عليه الآية التي صدرنا بها هذا الموضوع، وذلك تسمية الله تعالى لزينة السماء الدنيا بالمصابيح، والمصابيح لا تطلق إلا على ما له نور تقع به رؤية الأجسام، ولا تقع الرؤية إلا بالكواكب الكبيرة كالشمس والقمر والزهرة ونحوها من الكواكب الثاقبة للظلام بقوة نورها، ولا تقع الرؤية للأجسام على الأرض بالنجوم الصغيرة، ولا بالنجوم التي لا ترى إلا بالمناظير الفلكية.

وقال تعالى بعد ذكره للسبع السماوات: ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ [الطلاق:١٢]:

أخبر الله تعالى أنه خلق من الأرض مثل السماوات في العدد، والذي يظهر أن السبع الأرضين هي في ضمن الكرة الأرضية والكرة الأرضية هي عبارة عن سبع أرضين.

ويستدل لذلك من هذه الآية وذلك أن الله تعالى يقول فيها: ﴿يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ﴾ والأمر هو القرآن والوحي النازل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فدل ذلك على أن لكل واحدة من الأرضين حظاً من نزول الوحي والقرآن، وتنزل القرآن والوحي إنما نزل على الرسول محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأرض.

الكرة الأرضية:

الأرض على شكل كرة قال ذلك كثير من علماء الإسلام كالرازي والزمخشري وأحمد بن يحيى المرتضى وغيرهم كثير، وأصبحت كرويتها اليوم حقيقة لا شك فيها.

الليل والنهار:

يكون نصف الكرة الأرضية نهاراً، والنصف الآخر ليلاً يسير الليل خلف النهار، ويسير النهار خلف الليل.

[فوائد من سورة القلم]

📖 قال الله تعالىٰ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾ [القلم]:

- الإعراب: «أنت»: اسم ما. «بمجنون» خبر ما، والباء صلة مؤكدة. «بنعمة ربك» متعلق بمجنون، والتقدير: ما أنت يا محمد مجنوناً بسبب نعمة النبوة التي أنعم الله بها عليك.

وكان المشركون في مكة قد أكثروا الدعايات والترويج على النبي ﷺ بأنه مجنون، حتى داخل أكثر الناس شيء من التصديق والاعتقاد بجنون النبي ﷺ فأنزل الله تعالىٰ لرد تلك الدعايات وتلك الترويجات صدر سورة «ن».

📖 قال تعالىٰ: ﴿ن وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١﴾ [القلم]:

أقسم الله تعالىٰ فيما هنا بالقلم وبما يكتب الكاتبون والمعروف أن الحالف لا يحلف إلا بما هو عنده عظيم، وحينئذٍ فإقسام الله تعالىٰ بالقلم وبما يكتب الكاتبون يدل علىٰ مكانة كبيرة للقلم، ولما يخطه القلم.

-وقد لفت هذا القسم أنظارنا إلىٰ مكانة القلم، وما يخطه القلم؛ لنتفكر في السبب الذي رفع القلم والكتابة إلىٰ تلك المنزلة الرفيعة التي تستدعى به في حكمة الحكيم العليم.

وإذا لفتنا أنظارنا إلىٰ القلم والكتابة نجد أن الله تعالىٰ لم يقسم بهما إلا لما يتعلق بهما من المصالح العظيمة، وستجد أن القرآن حفظ بالقلم والكتابة، وكتب العلم حفظت بالقلم والكتابة، وأموال الناس وحقوقهم وأملاكهم تحفظ بالقلم والكتابة، والاتفاقيات والمعاملات والعقود والعهود تحفظ بالقلم والكتابة، وبواسطة القلم والكتابة يتواصل أهل النواحي والأقطار بعضهم ببعض بأكمل البيان، وبواسطة القلم والكتابة يمكنك التعرف علىٰ أخبار الأولين والآخرين و...إلخ.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤﴾ [الطور]:

أقسم الله تعالى بأشياء: منها الكتاب المسطور، وإقسامه بالكتاب المسطور يدل على علو منزلة الكتاب، وعلو منزلته عند الله تعالى هي لأنه سطر في هذا الكتاب دين الله تعالى الذي ارتضاه لعباده، ولما فيه من الهدى والبينات والحجج والبراهين.

وقال سبحانه وتعالى: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]:

ففيما هنا يبين الله تعالى أن نعمة الله تعالى على عبيده بما علمهم من الكتابة بالقلم من أبلغ النعم وأعظمها، وقد دل على علو منزلة هذه النعمة وزيادة عظمتها حين وصف نفسه تعالى بالأكرم.

📖 ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ ۝١٠ هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ ۝١١ مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢ عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ ۝١٣ أَنْ كَانَ ذَا مَالٍ وَبَنِينَ ۝١٤ إِذَا تُتْلَى عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ۝١٥ سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ ۝١٦﴾ [القلم]، **في ذلك فوائد منها:**

١- أن كثرة الحلف صفة ذميمة.

٢- وأن من عرف بكثرة الحلف لا تقبل شهادته ولا روايته.

٣- وهكذا الحكم في الهماز والنمام، والذي لا يؤدي حق المال والمعتدي، فإنها لا تقبل شهادة كل واحد منهم ولا روايته.

٤- قد يؤخذ من هنا أن صدور الحلف نادراً من المكلف لا يخل بعدالته، وهكذا صدور الهمز أو النميمة أو منع الخير، أو الاعتداء، أو فعل الإثم نادراً لا يخل بالعدالة.

٥- وأن من اتصف بتلك الصفات أو ببعضها لا يستشار في أمر ولا تطلب منه نصيحة، ولا يقبل منه رأي، ولا يعتمد على خبره وروايته وشهادته.

٦- كأن تلك الصفات الذميمة متلازمة يدعو بعضها بعضاً، فإذا وجدت في

المكلف صفة منها تبعتها الصفة الأخرى حتى تكتمل جميع تلك الصفات التي خاتمتها التكبر على الله، والتكذيب بآياته، والكفر برسله عليهم السلام.

٧- كما يؤخذ من هنا أنه يجوز ذكر العاصي بما فيه من الصفات الذميمة التي اكتسبها بيده، وأنه يجوز التشهير به، وذلك لأن تلك الآية نزلت في رجل بعينه بدليل قوله تعالى: ﴿سَنَسِمُهُ عَلَى الْخُرْطُومِ۝١٦﴾.

٨- يمكن أن يقال: إن السبب الداعي للمكلف إلى كثرة الحلف هو أنه يجد في نفسه أنه لا قيمة لقوله عند الناس، ولا وزن لكلامه بينهم فيحلف عند كل حديث يلقيه إلى الناس ليقبلوه، وبهذا تعرف أن كثرة الحلف تنبئ عن ضعة الحالف وهوانه، وخفة وزنه عند الناس.

ولا يخفى أن الرجل الوضيع الذي يعاني من الضعة والهوان بين الناس يحقد على ذوي الرفعة والشرف من الناس، فيحاول أن ينفذ حقده بما يمكنه فيكسر في أعراضهم ويحاول إلصاق المذام بهم، ويغري بعضهم ببعض، ويعتدي عليهم إن أمكنه العدوان، ويظاهر المعتدين، ولا يتنزه في فعل المآثم.

٩- قد يؤخذ من هنا أن أهل تلك الصفات غالباً ما يكونون ذوي ألسنة حداد، ومنطق عذب المذاق، يصغي إليه سامعه لحلاوته وحسنه، وربما اغتر به واعتمد عليه وركن إليه، فلذلك حذر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين من قبول حديث من كان يحمل مثل تلك الصفات؛ لأن حديثهم ونصائحهم وإن كانت حسنة وصحيحة في الظاهر يكمن وراءها شر وفساد.

ومن هنا فإن الواجب على المؤمن اليوم أن يتحذر من قبول أخبار السلاطين وأتباعهم، ومن الإصغاء إلى ما يروجونه من الدعايات، وأن يتحذر من نصائحهم ومكائدهم وحيلهم، ويتمثل ذلك اليوم في الشخصيات المرموقة في المجتمعات، فإنهم يحملون مثل تلك الأوصاف التي ذكرها الله تعالى في الآية التي ذكرناها، ومن تأمل ذلك عرف صحة ما أقول.

📖 قال الله سبحانه وتعالىٰ في سورة (ن): ﴿إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ۝١٧...﴾ الآيات:

ذكر الهادي يحيى بن الحسين عليه السلام أنها نزلت في قريش حين خرجت يوم بدر لحرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واثقة بالنصر على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومن معه من المسلمين، معجبة بكثرتها وقوتها وكثرة عتادها لا تخالجها الشكوك في ذلك فخيب الله آمالها وقطع رجاءها، وكان الأمر على خلاف ما أملت، فصرع الله في تلك الحرب سادة قريش وكبراءها وأعيانها وتعرضت للأسر والهزيمة والخيبة.... هذا معنى تفسير الهادي عليه السلام.

رأيت هذا التفسير للهادي عليه السلام ولم أره لغيره، وهو تفسير حقيق بالصحة والقبول؛ لتشابه ما حصل لقريش يوم بدر بما حصل لأصحاب الجنة.

[فوائد من سورة الحاقة]

📖 في تفسير أهل البيت عليهم السلام لقوله تعالى: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴿١٧﴾﴾ [الحاقة]، أنه يقوم بتدبير الملك يوم القيامة ثمانية أملاك أو ثمانية أصناف من الملائكة.

وأقول: الثمانية الأصناف التي تقوم بتدبير الملك يوم القيامة هي كما يلي:

١- صنف مهمته تعذيب أهل النار، وهذا الصنف هو المعني بقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴿٦﴾﴾ [التحريم]، ولقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴿٣٠﴾ وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً..﴾ الآية [المدثر]، وعلى هذه الجماعة من الملائكة ملك اسمه مالك: ﴿وَنَادَوْا يَامَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ...﴾ [الزخرف:٧٧].

٢- وصنف مهمته تعظيم أهل الجنة، وإيصال الثواب إليهم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴿٧٣﴾﴾ [الزمر]، وفي قوله تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد]، في آيات كثيرة.

٣- صنف يسوق أهل النار من المحشر إلى جهنم، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧١].

٤- صنف يسوق أهل الجنة من المحشر إلى الجنة، وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ [الزمر:٧٣].

٥- / ٦- وصنف منهم عليهم السلام يسوق الخلائق عند بعثهم إلى موضع الحساب، وصنف منهم عليهم السلام يشهد على المكلفين بما قدموا وأخروا، وهذان الصنفان هما المذكوران في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴿٢١﴾﴾ [ق].

٧- وصنف منهم عَلَيْهِ السَّلَامُ على حساب المكلفين ومناقشتهم وإعطائهم الكتب، فيأخذها أهل الموقف بأيمانهم وبشمائلهم، وهذا الصنف من الملائكة مذكور في آي كثيرة.

٨- وقسم منهم موكلون بالشفاعة وهم المذكورون في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء]، وفي قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبأ].

فإن قيل: ما فائدة هذا التشكيل للقيام بملك الله وأمره في الآخرة، والله على كل شيء قدير، فليس بحاجة إلى الملائكة، ولا إلى غيرهم؟

قلنا: الفائدة من ذلك:

١- اللطف للمكلفين في الدنيا، وذلك من حيث أنهم إذا علموا أن في النار ملائكة غلاظاً شداداً، وأن كل نفس يوم الورود إلى المحشر معها سائق من الملائكة يسوقها، وشهيد يشهد عليها، وإلى آخر ما ذكر مما تصنعه الملائكة الموكلون بالعباد في يوم القيامة، إذا علم المكلف ذلك دعاه علمه إلى الخوف وملازمة التقوى.

٢- في ذلك من الحكمة ما ذكره الله تعالى من الابتلاء لعباده كما في سورة المدثر.

٣- ظهور صدق الوعد والوعيد، وصدق ما أخبرت به الرسل من أخبار يوم القيامة هنالك يعلم المكذبون بالرسل صدق ما أخبرتهم به الرسل علماً ضرورياً، ولعله يشهد لذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴿٥١﴾﴾ [غافر]، فبقيام الأشهاد بأداء شهادتهم يوم القيامة ينصر الله رسله، ولما يترتب على شهادة الأشهاد يوم القيامة من عظيم الحكمة أقسم الله تعالى بهم كما في سورة البروج: ﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ﴿٣﴾﴾ [البروج]، على أحد التفاسير.

٤- ظهور شيء من عظمة سلطان الله لأهل الموقف حيث تقوم الملائكة المقربون وجبريل صفوفاً أو صفاً لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى، ولا يشفع أحد منهم إلا من بعد إذنه.

٥- إظهار العدل والإنصاف في حق أهل النار، وإظهار الفضل والإحسان في حق أهل الجنة..إلى غير ذلك.

[فوائد من سورة نوح]

📖 سورة نوح عليه السلام وهي: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ...﴾ [نوح] إلى آخر السورة، **فيها فوائد**:

١- أن التوبة إلى الله تعالى تصح وإن كان الدافع إليها هو الرغبة إلى ما عند الله تعالى من خير الدنيا ومتاعها: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝١٠ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝١١ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَكُمْ أَنْهَارًا ۝١٢﴾.

٢- أن عبادة الله، وترك معاصيه سبب لمغفرة الذنوب، وسبب لسلامة المكلف وحفظه من حوادث القتل إلى أن يبلغ أجله المسمى.

٣- أن القحط وقلة الأمطار وغور مياه الآبار وجفاف مياه السيول والأنهار وقلة المال، وذهاب الجنات كل ذلك سببه عصيان الله وارتكاب محارمه، وأن التوبة إلى الله والاستغفار سبب لذهاب ذلك، وحصول الخصب والرخاء والثمار والجنات والأنهار و...إلخ.

٤- أن الله تعالى يحب أن يتمتع عباده المؤمنون بما أعطاهم من متاع الدنيا وأحل لهم منها، ويحب أن يتسببوا في حصول ذلك.

٥- التوبة إلى الله وطلب مغفرته سبب لأن يرزق الله فاعله البنين.

٦- أن الشمس والقمر سراج وضياء في السماوات السبع.

٧- ﴿وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ۝١٧﴾ [نوح] في ذلك رد على من أنكر وجود المجاز في القرآن.

٨- أخبر الله عن نوح عليه السلام أنه لبث ينذر قومه ألف سنة إلا خمسين عاماً، وفي هذه السورة أخبر تعالى عن شدة عنايته بمعالجة قومه حتى يردهم إلى الله تعالى: ﴿إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝٥....﴾، ﴿ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝٨ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ۝٩﴾ [نوح]،

وكرر عليهم حجج العقول، وصرف لهم الآيات وأوضح لهم الدلالات، ولم يصدر منه في سبيل دعوتهم إلى الله أي فتور أو توان، فشكا إلى الله بعد عشرة قرون من الزمان يدعوهم فيها إلى الله تعنتهم وتمردهم على الله وعلى رسوله، ودعا الله تعالى عليهم.

٩- أنه يجوز الدعاء على الكافر بنزول عذاب الله عليه، وحلول سخطه تعالى بساحته، وينبغي أن يكون ذلك بعد اليأس من صلاحه.

١٠- ختم نبي الله تعالى دعاءه على قومه بالاستئصال بطلب المغفرة من الله له ولوالديه و..إلخ ليشعر بأن المكلف وإن بلغ في منازل التقوى والعبادة ما بلغ لا يفي بما عليه من الشكر لله، ولا تبلغ تقواه وعبادته إلى التخلص من كل تقصير وتفريط وتضييع و...إلخ.

١١- وأنه لا ينبغي لأحد من العباد وإن بلغ أرفع منازل التقوى والعبادة أن يزكي نفسه.

١٢- أنه ينبغي إذا دعا المكلف ربه أن يبدأ بنفسه ثم والديه ثم المؤمنين والمؤمنات، وفي ذلك دلالة على أن الله تعالى يستجيب دعاء المؤمن للمؤمن في ظهر الغيب.

١٣- وينبغي أن يكون نداء الله تعالى في الدعاء باسمه الكريم «رب» مضافاً إلى الداعي فيقول: «ربي» وتحذف الياء تخفيفاً أو بـ«ربنا»، ولعل السر في ذلك- والله أعلم- أن قول الداعي: يا ربي، يا ربنا يفيد التذلل لله تعالى والاعتراف والتسليم لله تعالى بالربوبية، واعتراف العبد وتسليمه بالعبودية لله، والفقر والحاجة إليه.

سؤال: قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسَ سِرَاجًا ﴿١٦﴾﴾ [نوح]، من أين علم المشركون أن السماوات سبع بعضها فوق بعض، حتى خاطبهم الله بذلك الخطاب الذي يفيد أنهم قد رأوا ذلك وعلموه؟

الجواب والله الموفق:

يمكن أن تحصل المعرفة بذلك للمشركين عما اشتهر عن أهل الأديان السالفة، وذلك كما اشتهر لهم تعظيم البيت الحرام، وحرمة الحرم المحرم، والأشهر الحرم، والطواف بالبيت، والسعي، والوقوف بعرفة، والمبيت بمزدلفة، و..إلخ.

فقال لهم تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَوْا كَيْفَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ١٥﴾ كما قال لهم: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت:٦٧].

نعم، يجاب بمثل هذا عن قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا...﴾ [الأنبياء:٣٠]، وهذا إن أريد بالآية أن السماوات والأرض كانتا ملتصقتين ففتقهما الله تعالى عن بعضهما وفصلهما، فجعل هذه أرضاً وتلك سماءً بعد أن كانتا شيئاً واحداً.

وأما إن أريد بفتقهما تلك عن الماء وهذه عن النبات فالأمر ظاهر محسوس.

[فوائد من سورة المزمل]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝٥﴾ [المزمل]:

-هو الوحي الذي أنزله الله تعالى على نبيه ﷺ وهو القرآن.

-ووصفه الله تعالى بالثقل؛ لأنه قول يحمل الحق والصدق، في حين أن ما يحمله من الحق والصدق يتعلق بأمور هامة عظيمة، هي إثبات توحيد الله، ونفي الشركاء عنه، وبيان عظمته وجلاله وكبريائه، وسعة رحمته ومغفرته، وإحاطة علمه وشمول قدرته، وما يستحقه تعالى على عباده من عبادته وطاعته وأداء شكره وذكره...وإلخ.

والكشف عن أحقية البعث والجزاء والحساب والجنة والنار و..إلخ. مع ما تحمله ألفاظ القرآن من حسن وجمال وبلاغة فاقت ما يعهده فصحاء العرب وشعراؤهم من البلاغة، وعجزوا عن أن يأتوا بسورة من مثله؛ لهذا كان له وقع عظيم في مسامع النبي ﷺ والمسلمين والمشركين؛ لأنهم وجدوا لألفاظه حلاوة وجمالاً وحسناً فائقاً، وفهموا منه معاني بالغة الأهمية ثقيلة الوزن تكشف زيف الخرافات والأباطيل والأوهام، وتقرر حقائق الحق الذي لا يجد العقل مجالاً إلى رده.

هذا وجه مما يحتمله تفسير ﴿قَوْلًا ثَقِيلاً﴾ في نظري.

-والوجه الثاني مما يحتمله الكلام هو:

أن القرآن وصف بالثقل لما يحمل من ثقل التكاليف على النبي ﷺ أولاً وعلى سائر المكلفين ثانياً.

﴿إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ۝٦﴾:

﴿نَاشِئَةَ اللَّيْلِ﴾ محتمل لتفسيرين:

١-أنها هي أول الليل.

٢-أنها نفس الرجل الذي يقوم للصلاة في الليل.

﴿هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ المعنى: أن الصلاة في أول الليل -على التفسير الأول- وقراءة القرآن فيها تكون أكمل؛ لصفاء النفس في ذلك الوقت وبعدها عما يشوش الفكر، فتقبل النفس على استحضار عظمة الله وجلاله، ويقبل الفكر على التدبر لمعاني القرآن.

-وعلى التفسير الثاني: أن النفس التي تقوم الليل للصلاة تكون أبلغ إقبالاً إلى الله وإلى استحضار جلاله وعظمته وذكره وشكره وحمده، وأحسن تدبراً لمعاني القرآن.

﴿أَشَدُّ وَطْئًا﴾ استعارة بالكناية شبه فيها أثر ذكر الله واستحضار جلاله في صلاة الليل وأثر قراءة القرآن على النفس بأثر وطء قدم الحيوان الكبير، وهذا التشبيه تشبيه مضمر في النفس مكنيٌّ عنه بذكر الوطء، وذكر الوطء يسمى استعارة تخييلية، وفائدة هذه الاستعارة هي تقريب المعنى وتصويره للسامع حتى يكون أقرب إلى فهمه، وذلك أن أثر القرآن وذكر الله تعالى في الليل على نفس المصلي أثر معنوي لا يدركه الفهم حق الإدراك، وهذه الاستعارة صوَّرته للسامع بصورة محسوسة مدركة بالبصر، وما يدرك بالبصر أقرب إلى الفهم مما لا يدرك بالبصر.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ أي: أن قارئ القرآن في صلاة الليل يجد أبلغية القرآن في الاستواء والاعتدال والانتصاب المستوي، ويراه على اعتدال واستواء تام لا يراه عليها في النهار.

﴿وَأَقْوَمُ قِيلًا﴾ استعارة بالكناية شبه فيه القرآن وما يحمله من الحق والصدق والهدى بنحو العود المنتصب الذي لا عوج فيه ولا التواء على الإطلاق، وهذا التشبيه مضمر في النفس، ودل عليه بقوله أقوم؛ لأن القيام من صفات الأجسام، وفي ذلك تصوير للاعتدال والاستواء المعنوي في القرآن بالاستواء والاعتدال في نحو العصا ليقرب فهمه للسامع.

﴿إِنَّ لَكَ فِى ٱلنَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا ۝﴾:

أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بالقيام لصلاة الليل، وعلل ذلك بأن له ﷺ في النهار أعمال طويلة وشواغل وتعرض له فيه حاجات كثيرة إلىٰ درجة أنه لا يمكنه أن يتفرغ فيه لنوافل الصلاة ولا يكاد فكره يخلو فيه من القلق والانزعاج والاضطراب، ولا يصفو ذهنه للتدبر فيه لمزاحمة الحاجات والمطالب والأشغال.

﴿سَبْحًا طَوِيلًا ۝﴾ أي: ذهاباً طويلاً في الأعمال والأشغال الدينية والدنيوية.

﴿وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا ۝﴾:

﴿اسْمَ رَبِّكَ﴾ أي: أسماء ربك لما ذكروا من أن اسم الجنس المضاف يفيد العموم.

والدليل علىٰ إفادته للعموم قوله تعالىٰ: ﴿أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة١]، فبهيمة اسم جنس مضاف يفيد العموم لوقوع الاستثناء بعده، والاستثناء دليل العموم، فيكون المعنىٰ: اذكر أسماء ربك، وأمر بذكرها لما تحمله من المعاني الدالة علىٰ كمال الله وجلاله وعظمته ورحمته وسعة علمه وقدرته وعزته وكرمه..إلخ.

وفي ذكرها وذكر ما تحمله من المعاني ما يملأ نفس الذاكر من الإيمان بالله والهيبة منه والتعظيم له والحمد له، وتقديسه والشكر له، ثم الإقبال عليه بالخضوع والخشوع والتوبة والاستغفار والخوف و...إلخ.

﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ المعنىٰ: وانقطع إليه انقطاعاً بجد وعزيمة صادقة لا تلتفت إلىٰ ما سواه.

﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ۝﴾:

ثم استأنف تعالىٰ القول لرسوله ﷺ بأن ربك هو رب المشرق والمغرب، والمراد:

١-أنه رب أهل المشرق وأهل المغرب.

٢-أو أنه رب المكان الذي تشرق منه الشمس، ورب المكان الذي تغرب منه.

ثم وصفه بأنه لا إله إلا هو لا شريك له ولا رب سواه، وإذا كان كذلك فإنه أهل لأن نتوكل عليه ونعتمد عليه ونلتجئ إليه دون ما سواه؛ لأن القوة له

جميعاً، وله الملك كله، وبيده الخير، وهو على كل شيء قدير.

﴿وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا ﴿١٠﴾﴾:

أمر الله نبيه ﷺ بأن يواصل الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه، وأن يصبر على ما يلحقه في سبيل ذلك من أذى المشركين، وأن يقابل أذاهم له واستهزاءهم به حين يبلغهم ويقرأ عليهم القرآن بالسكوت والابتعاد عنهم من غير رد أي فعل لا بلسانه، ولا بخلقه وحسن بشاشته، ولا بيده.

-وفي ذلك دليل على أن الكلام القبيح الموجه إلى شخص كالتكذيب له والاستهزاء به، ورميه بالباطل واتهامه بما ليس فيه وتهديده والاستخفاف به، ونحو ذلك من الكلام البذيء- يؤثر في نفسية الشخص الموجه إليه ذلك تأثيراً مؤلماً، ويضايقه مضايقة شديدة من غير فرق بين متسع الصدر وضيقه، وهادئ الطبع وثائره، إلا أن متسع الصدر وهادئ الطبع يمكنه كظم الأثر النفسي بحيث لا يظهر عليه أي أثر من آثاره، وضيق الصدر وثائر الطبع لا يملك التحكم في نفسه فيظهر الأثر النفسي على لسانه وجوارحه وأخلاقه.

وفي ذلك أيضاً دليل على أن طبائع البشر في هذا الباب موجودة في النبي ﷺ وأنه يتأثر كما يتأثر غيره.

📖 ﴿وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا ﴿١١﴾ إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا ﴿١٢﴾﴾ [المزمل] في هذا ما يقوي عزيمة النبي ﷺ على الصبر على أذى المشركين، من ناحيتين:

١- إذا علم أن أذيتهم له لا تطول، بل لا يعاني من أذاهم إلا زماناً قليلاً فإنه يهون عليه ما يعاني من أذاهم، ويحمله على الصبر على ما يلقى منهم.

٢- إذا علم أن الله تعالى سوف يجازيهم على ما صدر منهم إلى النبي ﷺ من التكذيب والاستهزاء و...إلخ فإنه سيهون عليه أذاهم.

-خص أولي النعمة من المكذبين بالتهديد والوعيد؛ لأن الناس لهم تبع، يطيعونهم إذا أمروهم، ويقلدونهم في التكذيب والاستهزاء لذلك كان أولو

النعمة أضل وأعتى وأحق بالأضعاف المضاعفة من العذاب؛ لأنهم ضلوا في أنفسهم وأضلوا أتباعهم، فيستحقون جزاء ضلالهم وجزاء إضلالهم للناس.

-يزيد في طمأنة النبي ﷺ وتحمله لأذى المشركين إعلام الله تعالى له أنه هو الذي يتولى الانتقام من المشركين، وأنه هو المتكفل بمؤاخذتهم.

وقوله تعالى ﴿ومهلهم قليلاً﴾ يدل على أن أذى المشركين قد بلغ من النبي ﷺ كل مبلغ وأنه لشدة ما لقي منهم وكثرته وطول زمانه قد توقع نزول العذاب عليهم حالاً، وظن أنه قد انتهى إمهالهم، وحان وقت عذابهم ورجا من الله ذلك، فأمره الله تعالى بأن يصبر وينتظر فإن الفرج قريب.

[فوائد من سورة المدثر]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنْذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر]:

- هذا هو صدر سورة المدثر، والخطاب فيها موجه للنبي ﷺ.

١- الآية الأولى نداء للنبي ﷺ.

٢- الأمر له ﷺ بالقيام والتشمير والجد في الإنذار للناس من الشرك والكفر بالله واقتراف المآثم وارتكاب الجرائم.

٣- الأمر له ﷺ بأن يخص الله تعالى بالتكبير والتعظيم والعبادة دون ما سواه.

٤- أمره الله تعالى أن يطهر ثيابه ونفسه من الأقذار الحسية والمعنوية.

٥- أمره الله تعالى أن يبتعد عن الخبائث الحسية والمعنوية.

٦- ثم نهاه الله تعالى عن الاعتداد بما فعل أو أعطى.

- وهذه الآيات قد جمعت للنبي ﷺ الواجبات التي كلفه الله تعالى بها وهي:
- الدعوة إلى الله والإنذار، وذلك بتبليغ رسالة ربه.
- عبادة الله تعالى وحده دون ما سواه من المعبودات.
- أن يكون طاهر الثياب من النجاسات والأقذار نظيفها، وأن يكون ﷺ طاهر البدن، ونظيفاً من النجاسات والأقذار والأوساخ والروائح الكريهة، وأن يكون طاهر الباطن من خبائث الأخلاق وفواحشها.
- أن يكون ﷺ بعيداً عن فعل الفواحش والخبائث، وعن مقاربة ما يخدش في كرامته أو ينقص من قدره، من أي قذر حسي، أو معنوي.
- وأن لا يَعُدّ ما فعله أو أعطاه كثيراً؛ لأن الإنسان إذا رأى ما فعله كثيراً يخف نشاطه ويقل عمله، وإذا رآه قليلاً يتجدد نشاطه، ويشتد اهتمامه بالازدياد من السعي.

ولا يخفى ما في الالتزام بتلك التوجيهات الربانية إلى النبي ﷺ من كمال النبي ﷺ وجماله.

- ثم أمره الله تعالى بالصبر؛ لأنه لا يحصل المطلوب كما ينبغي إلا إذا صحبه الصبر والتحمل، وأن يكون صبره لله تعالى لا لغيره.

[فوائد من سورة القيامة]

📖 قال تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ۝١ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ۝٢..﴾ [القيامة]:

أقسم الله تعالى هنا بالنفس اللوامة التي تلوم صاحبها على فعل ما لا ينبغي ولا يجوز، أو على ترك ما يحق فعله.

-ويظهر لي والله أعلم أن النفس هذه هي غير العقل؛ لأن وظيفة العقل هي معرفة الحسن والقبيح، والخطأ والصواب والحكم بذلك، وبعد حكم العقل تنبعث النفس إلى الارتياح بفعل الحسن والصواب، وتنكسر لفعل القبيح والخطأ، وتلوم صاحبها على تفريطه.

وهناك نفس أخرى هي النفس الشهوانية، وهي التي تميل بصاحبها إلى فعل المشتهيات، وفي هذه النفس يقول الله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى۝٤٠﴾ [النازعات].

-وأقسم الله تعالى بالنفس اللوامة؛ لشرفها وكرامتها، وعظيم نفعها، وليلفت العباد أنظارهم للتفكر فيها، وفيما جعل الله تعالى من النعمة العظيمة فيها للعباد، وفيما فيها من الدلالة على عظيم قدرة الله تعالى، وعظيم منته، وما جعل فيها من الألطاف الداعية إلى التوبة وإلى تلافي ما فرط من العبد.

-وأقسم الله تعالى بيوم القيامة لينبه الله تعالى بالقسم به العباد إلى عظمة ذلك اليوم وإلى ما يجيء به من الحساب والجزاء والجنة والنار والثواب والعقاب، فإنهم إذا انتبهوا وتفكروا في ذلك اليوم العظيم انبعثت الدواعي في نفوسهم إلى طاعة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

-وحين أقسم الله تعالى بهذين القسمين الذين يدل أحدهما على عظيم قدرة الله في خلق النفس اللوامة، ويدل الآخر على الأمر العظيم الذي سيؤول إليه الخلق أردف الله تعالى ذلك بما يدل على قدرة الله تعالى على بعث الخلائق وإعادتهم إلى الحياة مرة أخرى فقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ۝٣ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ۝٤﴾ [القيامة]، استنكر الله تعالى على الإنسان

الذي ينكر البعث بعد الموت، كيف ساغ له إنكار البعث وإمكانه على الله وهو يرى قدرة الله العظيمة في نفسه حيث خلقه ولم يكن شيئاً مذكوراً، وجعل له السمع والبصر والفؤاد، وركبه فأحسن تركيبه، وصوره فأحسن صورته، كيف يظن مع ما يرى من ذلك أن الله تعالى لا يقدر على إعادة الحياة إلى العظام البالية، فإن العاقل يحكم بأن إعادة الخلق أسهل من ابتداء خلقه.

-وعلى مقتضى ذلك فإن الله قادر على تسوية الإنسان وإعادته كما كان يجمع صفاته الجليلة والدقيقة حتى تسوية البنان وتخاطيطها المختلفة من إنسان لإنسان بحيث لا تتساوى تخاطيطها، ولا تتشابه على الإطلاق.

-ثم قال تعالى: ﴿بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ۝٥ يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ۝٦﴾: ثم أخبر تعالى أن إنكار المنكرين للبعث وكفرهم به ليس لخفاء الحجة على عقولهم وعدم معرفتهم بها، وتعقلهم لها، بل إن إنكارهم للبعث وتعنتهم إنما كان لتمردهم وفجورهم، وإرادتهم للاستمرار على الفجور وارتكاب الشهوات والانصياع مع الأهوية، وإذا ذكر بيوم القيامة يستبعد ذلك ويجحده، هكذا أخبر الله تعالى عن طبيعة الكافر المنكر للبعث.

[فوائد من جزء عم]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

جزء عم: يتركز موضوع السور في هذا الجزء أولاً على أمرين:

الأول: التنبيه على آيات الله الدالة على عظمته وجلالته، وقوته وعلمه، وحكمته ووحدانيته تعالى.

الثاني: إثبات البعث بعد الموت، والحساب، والجنة والنار و... إلخ

وهذا الموضوع هو الموضوع الرئيسي في هذا الجزء.

وقد اشتمل هذا الجزء ثانياً على عدة مواضيع ذكرت بالتبع للموضوع الرئيسي وهي:

١ـ ذكر العاقبة السيئة للمكذبين بالرسل الذين تكبروا وطغوا، كذكره لعاقبة فرعون وثمود، وإرم ذات العماد.

٢ـ ذكر الله قصة أصحاب الأخدود، وقصة أصحاب الفيل، وفي هاتين القصتين ما يقوي صبر المسلمين ويشد من عزيمتهم على تحمل أذى المشركين المكذبين.

٣ـ ذكر الله تعالى ما يشد من عزيمة النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويقوي من صبره، ويزيد في معنويته وقوة نفسيته، وذلك سورة الضحى، والشرح، والكوثر، وهذه السور الثلاث للنبي صلى الله عليه وآله وسلم خاصة.

٤ـ وفي هذا الجزء الحث على إطعام المسكين وإكرام اليتيم، وذلك في سورة الفجر، والبلد، والماعون.

٥ـ وفيه التذكير لقريش خاصة بما أنعم الله به عليهم من الأمن في البلد الحرام، وفي أسفارهم، وفي وفارة أرزاقهم، وذلك في: سورة قريش، والفيل، والبلد، والتين، وفيه غير ما ذكرنا من المواضيع يطول بنا تعدادها، لا تخفى على المتأمل.

[فوائد من سورة النبأ]

📖 بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، قال تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢...﴾ إلخ [النبأ]:

هذه السورة الكريمة نزلت في إثبات البعث وتقريره رداً على الكفار المنكرين له والمستبعدين لحصوله فأول آية هي: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١﴾ عن أي شيء يتساءلون؟ استفهام يستنكر الله به على المستبعدين لحصوله، وعلى المنكرين لوقوعه، بمعنى أن البعث حقيقة ثابتة لا تستبعد في قدرة الله الحكيم العليم، وليس فيها ما يبعث على التساؤل والاستنكار.

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢﴾ عن البعث والحساب.

﴿الَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣﴾ فبعض منهم يجحده، وبعض آخر يثبته، ووصف النبأ بالعظيم؛ لعظم البعث وما يترتب عليه من الحساب والجزاء الخالد.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥﴾ كلا ردع وزجر للمنكرين للبعث على إنكارهم.

📖 قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النبأ]:

فوائد من الآية:

١- ينبغي أن يكون طلب الرزق في النهار لا في الليل، فيطلب العبد رزقه ويلتمسه في أي وقت من أوقات النهار، وقد جاء في السنة الحث على طلب الحاجات في البُكَر.

٢- امتن الله تعالى على عباده بما جعل من نعمة الليل ونعمة النهار، وأرانا فيهما من آثار قدرته وعلمه وحكمته آيات بينات.

٣- وردت هاتان الآيتان في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى على البعث والحساب.

٤- يغطي الليل بظلمته الأرض وما عليها لمصالح عظيمة للإنسان والحيوان،

فكثير من هوام الأرض وحشراتها وحيواناتها تخرج في الليل لطلب رزقها، أما النهار فتختبئ في بيوتها، كالثعابين والحيات والسباع وبعض الطيور...إلخ؛ لأنها تتعرض في النهار للقتل والطرد.

وفي ظلمة الليل يمكن الخائف أن يخرج لطلب حاجاته.

وكان الناس في حروبهم قبل التقدم الحربي يتحاربون في النهار فإذا جاء الليل حجز بينهم بظلمته، ورجع كل من المتحاربين إلى مكانه.

يستر الليل بظلمته كل شيء فيضطر الإنسان وكثير من الحيوانات إلى التخلي والتوقف عما هو فيه من العمل وطلب الرزق فيهدأ ويسكن وينام فلا يأتي اليوم التالي إلا وقد تجدد نشاطه.

من الفوائد الفقهية من هذه الآية:

أنها تصح صلاة الذي يصلي وهو عريان في ظلمة الليل لأن الله تعالى جعل ظلمة الليل لباساً.

📖 قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١﴾ [النبأ]، في ذلك:

١- أن طلب الرزق والمعاش سنة إلهية.

٢- وأن طلب المعاش يكون في النهار.

٣- وأنه لا ينبغي طلب المعاش في الليل.

٤- ولا ينبغي مواصلة الليل بالنهار في طلب المعاش.

٥- وأن الله تعالى لا يخيب من طلب المعاش في النهار.

٦- وأنه لا ينبغي النوم في النهار؛ لأنه وقت الرزق الذي يفيضه الله على عباده.

٧- وأن على المكلف أن يستيقظ من النوم قبل طلوع الفجر ليشهد اليوم كله.

٨- ومعنى ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠﴾ هو أن الله جعل الليل ساتراً بظلمته لكل ما أظلم عليه يغطيه، ويستره عن أعين الناظرين، وفي ذلك مصالح عظيمة لعباد الله.

[فوائد من سورة النازعات]

من تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام:

النازعات فيما أرى -والله أعلم- فهي السحائب المنتزعات لماء الأمطار من البحار والأنهار وما في الأرض من الندوة والبخار، وكذلك صح في الروايات والأخبار. انتهى

[فوائد من سورة عبس]

📖 ﴿قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ ١٧﴾ [عبس]: الإنسان هنا هو الإنسان المنكر للبعث، وهذا دعاء عليه باللعن، ويستعمل هذا الدعاء: قُتِل الإنسان، قاتل الله زيداً، ونحوه- على من يفعل المنكر الواضح النكارة، أو يتمرد على الحق الواضح المستبين.

وليس المقصود هنا هو ظاهر معناه، بل التعجيب من قبح فعله وشدة نكارته، مع وضوح الحق وجلائه بأدنى نظر وفكر.

[فوائد من سورة المطففين]

📖 قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ٣...﴾ [المطففين]:

ـ هذا وعيد من الله بالعذاب للمطففين، وقد فسرهم الله تعالى بأنهم الذين يستوفون حقهم من الناس عند البيع والشراء ونحوهما كيلاً أو وزناً وإذا أعطوا الناس حقوقهم بالكيل أو الوزن يخونونهم في الكيل والوزن.

ويلحق بذلك عدم إيفاء الناس بالعدد وبالذرع فلا تجوز الخيانة في ذلك.

وهكذا جميع ما للناس من حقوق عند بعضهم الآخر فيجب على كل أن يعطي الناس حقوقهم كاملة غير منقوصة، وإلا دخل في هذا الوعيد العظيم.

[فوائد من سورة الطارق]

📖 قال محمد بن القاسم عليه السلام في تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ۝١١﴾ [الطارق]: فالرجع من السماء -والله أعلم- دوران فلكها ذاهباً تحت الأرض وراجعاً من فوقها. انتهى

وهذا التفسير يفيد كروية الأرض عند محمد بن القاسم عليهما السلام.

[فوائد من سورة الفجر]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ۝٣ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ ۝٥﴾ [الفجر]:

الفجر: هو المعروف.

والليالي العشر: قيل: إنها العشر الأُوَل من ذي الحجة، وقيل: العشر الأواخر من رمضان.

قلت: أقسم الله تعالى بليال عشر، وإنما خص ليالياً عشراً لما فيها من الآيات الواضحة الدالة على عظمة خالقها وحكمته؛ لذلك فيتوجه القول بأنها العشر الوسطى من كل شهر؛ لأن القمر يكون فيها أكمل وأكثر نوراً من سائر الشهر.

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: كل شفع وكل وتر مما خلقه الله تعالى، ولذلك جاء معرفاً بالألف واللام.

﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ﴾: كقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣﴾ [المدثر]، وذلك عند طلوع الفجر، فإن الليل يطوي ظلمته قليلاً قليلاً حتى ينتهي تماماً.

سؤال: ما معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ ۝١٤﴾ [الفجر]؟

الجواب: المعنى المقصود هو أن لا يظن العصاة والمتمردون على الله أن الله بعيد عنهم وغافل عنهم، بل هو قريب منهم بحيث إنه تعالى يراهم ويرصد أعمالهم، وقوته محيطة بهم.

- معنى قوله تعالى: ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر]:

الأوتاد هي الأهرام التي بناها فرعون، وهي أبنية عظيمة شبيهة بالجبال؛ لذلك سماها الله أوتاداً، وبهذا التفسير فسرها القاسم بن إبراهيم عليه السلام.

[فوائد من سورة البلد]

📖 معنى قوله تعالى: ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ① وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ② وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④﴾ [البلد]:

أقسم الله تعالى بالبلد الأمين وهو مكة وما حوله من الحرم المحرم الذي جعله الله تعالى بلداً آمناً يأمن فيه كل من دخله حتى الطير والوحش.

﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ②﴾ في هذا تعجيب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم ولغيره حيث أمن كل داخل في الحرم حتى الطير والوحش، إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلم يأمن في الحرم، بل أخافه المشركون، واستحلوا دمه، ولم يجعلوا له في البلد الحرام أي حرمة.

وفي ذلك من العجب ما لا يخفى، كيف يأمن الجاني والقاتل والظالم والمجرم والقاصي والداني والطير والوحش في البلد الأمين، ولا يأمن رسول رب العالمين صلى الله عليه وآله وسلم؟!!

﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ③﴾: يحتمل ذلك عدة احتمالات:

١- أن يكون المراد بوالد: آدم، وما ولد: ذريته إلى يوم القيامة.

٢- أن يكون المراد الأم وولدها، والأب وولده، أي أم كانت وأي أب كان.

٣- أن يكون المراد إبراهيم عليه السلام، وما ولده إبراهيم عليه السلام من الأنبياء والرسل والصالحين ومن جملتهم محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وإنما ذكرنا هذا الاحتمال لما فيه من تعظيم محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

- ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ④﴾ فسر الهادي عليه السلام ذلك بمثل تفسير قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ④﴾ [التين]، ويحتمل أن يفسر بأن الله تعالى خلق الإنسان في هذه الحياة الدنيا في تعب ونصب حيث يعاني فيها من الهم والغم والحرب والخوف والقلق والفقر والمرض و...إلخ.

📖 ﴿لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝١ وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد]:

يقسم الله تعالى بالشيء ليلفت أنظار المخاطبين السامعين إلى ما فيه من الدلالة على عظمة الله وقدرته وما جعل فيه من كبير نعمه على عباده، فأقسم الله تعالى هنا بمكة؛ لينبههم على النعمة العظيمة التي جعلها في مكة، وهي نعمة الأمن فيه لأهله ولمن دخل فيه من غير أهله، أما أهله فإنهم يأمنون فيه ويأمنون إذا خرجوا منه لا يتعرض لهم أحد من العرب بسوء، وبذلك الأمن العام استقرت تجارتهم وتوفر عندهم الطعام، وقد ذكر الله تعالى ذلك في سورة قريش، وأقسم الله تعالى هنا بقوله: ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣﴾ لينبه الغافلين على عظيم قدرة الله وعظيم حكمته في خلق الإنسان من أبويه، وتناسل الذراري وتكاثرها، مع ما في خلق الإنسان وتركيبه من الجمال وحسن القوام، وما أودع الله فيه من التشريف والكرامة على سائر الحيوانات.

-وسط الله تعالى قوله: ﴿وَأَنْتَ حِلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾ بين القسمين؛ لينبه على بشاعة وفحش ما صنعته قريش بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا البلد الحرام، حيث أن الناس والوحوش والطير تأمن في الحرم، ولا يتعرض لها أحد بسوء، ولا يهيجها ولا ينفرها، ولا يفزعها، أما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإن قريشاً استحلته في هذا البلد ولم تراع فيه الحرمة التي جعلها الله هناك.

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ ۝٤﴾، يعاني الإنسان في حياته منذ خروجه إلى الأرض وإلى أن يموت الشدائد والمشاق، ولا تنفك عنه تلك الشدائد والمشاق طول حياته، فلا يكاد يتخلص من شدة أو مشقة إلا ودخل في أخرى، هذا معنى الآيات المذكورة في الجملة، وفي ذلك فوائد منها:

١- أن في هذه الآيات تسلية للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عما لحقه من قريش من الأذى ومحاولة القتل له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإخافتهم له، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا سمع هذا

القسم الذي يؤكد الله تعالىٰ فيه أن الكبد لكل إنسان ملازم له غير منفك عنه منذ خروجه من بطن أمه وإلىٰ أن يموت، إذا عرف النبي ﷺ ذلك هان عليه ما يكابد من قريش؛ لعلمه أن كل إنسان يعاني في حياته نحواً مما يعانيه ﷺ، وقد قالوا: إن المصيبة إذا عمت هانت.

٢- المناسبة واضحة بين المقسم به، وبين جواب القسم.

٣- في ذلك أن لمكة عند الله تعالىٰ شرفاً عظيماً، وقد أفهمت ذلك الجملة الأولىٰ علىٰ وجهين:

أ- من حيث الإشارة إليه بهذا، ولفظة «هذا» في هذا المكان ونحوه تفيد تعظيم المشار إليه.

ب- من حيث أن الله تعالىٰ أقسم به، ومن شأن المقسم به في لغة العرب أن يكون عظيماً.

-وفيه أن قريشاً انتهكوا حرمة عظيمة متعاظمة، وذلك من حيث أنهم انتهكوا حرمة الحرم المحرم، وحرمة النبي ﷺ.

-وفيه أن مكة بلد حرام، وقوله تعالىٰ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا ءَامِنًا﴾ [العنكبوت:٦٧] يدل علىٰ حرمة جميع الحرم المحرم، ويدخل في ذلك مكة وسائر الحرم المحرم.

-في ذلك أن استحلال النبي ﷺ في البلد الأمين أمر عجيب مستغرب، وذلك حيث أن أرفع البشر وأزكاهم وأفضلهم عند الله تنتهك حرمته في الحرم المحرم في حال أنه يأمن فيه الوحش والطير، وقاتل النفس والناس جميعاً.

[فوائد من سورة الليل]

📖 قوله تعالىٰ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَى۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى۝١٠﴾ [الليل]:

- المؤمن الذي يعمل الأعمال الصالحة ويتقي الوقوع في معصية الله يسهل الله تعالىٰ له الطريق إلىٰ رضوانه، ويحميه من الوقوع في المهالك والفتن.
- المعرض عن الله وعن دينه وعن الأعمال الصالحة لا يسهل الله تعالىٰ له الطريق إلىٰ رضوانه، ولا يحميه من الوقوع في الفتن والمهالك، ولا يجنبه من الوقوع في أسباب المعاصي؛ لأنه لا يستحق الإعانة والتوفيق والتسديد، بل يكله إلىٰ نفسه فتلعب به شهواته، وترمي به أهواؤه في المهالك، وتورطه شياطين الإنس والجن في العظائم، وتزين له القبائح.

فهذا هو تيسير الله تعالىٰ طريق العسرىٰ للمكذبين الفاسقين والعصاة المتمردين، وليس لله تعالىٰ من تيسير طريق جهنم سوىٰ ما ذكرنا؛ لأن الله تعالىٰ عدل حكيم لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها، ويؤت من لدنه أجراً عظيماً، ولا يفعل تعالىٰ القبيح ولا يرضاه ولا يحبه ولا يريده ولا يشاؤه، تعالىٰ الله عن ذلك علواً كبيراً.

والذي فعله الله تعالىٰ هو أن ترك العصاة من الإعانة والتوفيق والتسديد والتسهيل والتنوير، فوقعوا في المعاصي وخاضوا فيها بشهواتهم وأهوائهم، ودخلوا في ذلك كله باختيارٍ منهم.

📖 وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا۝٤﴾ [الطلاق]:

يحضىٰ المؤمن الملازم للتقوىٰ بالسلامة من الوقوع في الفتن بسبب ما جعله

الله تعالى له من التوفيق والتسديد والإعانة والتنوير، ويسهل الله تعالى له طريق رضوانه، وييسر له سبل السعادة، ومع ذلك يرزقه الله من حيث لا يحتسب، خير الدنيا وخير الآخرة.

فما أعظم التقوى، وما أعظم ثمارها، وما أكثر خيرها، وما أوسع بركتها!!

وما أخسر الذي ترك التقوى، واسترسل في إشباع شهواته وجرى خلف هوى نفسه، ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝٩٦﴾ [الأعراف].

يمر بالناس ويعرض لهم في حياتهم الدنيا عوارض من الخوف على النفس والأهل والأولاد من القتل وعلى البيوت والأموال من الخراب والفساد، ويمر بهم الجدب وقلة المياه وبخس الثمرات وفسادها، وتمر بهم نكبات وجوائح وفواقر و..إلخ، وكل ذلك إنما وقع بسبب العصيان لله والتمرد على الله، والفسوق عن دينه، وتماماً كما قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ ۝٣٠﴾ [الشورى].

فما أشأم المعاصي تتسبب كما أسلفنا أولاً في وقوع الفتنة المضلة، وتتسبب في وقوع الكوارث والمصائب والجدب والغلاء والفقر و..إلخ.

[فوائد من سورة التين]

📖 قال الله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ① وَطُورِ سِينِينَ ② وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ③﴾ [التين]، **في ذلك:**

- أن لطور سيناء فضلاً على غيره من الجبال، ويلحق به في الفضل «الواد المقدس طوى».
- البلد الأمين هو مكة، ويلحق بها في صفة الأمن الحرم المحرم كله بدليل: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا﴾ [العنكبوت:٦٧].
- قد يكون شرف الطور وفضله حاصلاً من قبل أن كلم الله تعالى موسى عنده، ويكون شرفه لعلمه تعالى بما يحصل عنده من تكليم موسى، ومن كتابة التوراة عنده.
- ويتفرع على ذلك تفضيل المكان الذي يتلى فيه القرآن على غيره.
- ويتفرع على ذلك أيضاً أنه يجب تعظيم ما عظمه الله تعالى.
- في الإقسام بطور سينين وبالبلد الأمين- آية دالة على صدق رسول الله ﷺ وذلك أن اليهود والمشركين كانوا يتناقلون خبر رسول الله ﷺ فإذا سمع اليهود صدور ذلك القسم عن النبي ﷺ علموا أنه نبي؛ لأن محمداً ﷺ لم يسبق له معرفة من قبل النبوة بما جرى عند الطور من آيات الله وكراماته على موسى وبني إسرائيل، وعند ذلك يتبين لهم أن اقتران الطور والبلد الأمين هنا لم يكن إلا لأنه قد جرى في مكة مثل ما جرى عند الطور.

[فوائد من سورة العلق]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥﴾ [العلق]:

أعظم النعم على الإنسان كما يستفاد من هنا:

- خلق الإنسان كما هو عليه من الكمال والجمال والعقل والتقلب في نعم الله.
- علم القراءة والكتابة.
- اكتساب العلوم والمعارف في شتى المجالات.

فإذا اجتمع للإنسان الخلق السوي والعلم الشامل للقراءة والكتابة واكتساب المعارف؛ فإنه بذلك يبلغ الكمال ويسمو بنفسه إلى الكرامة والجلالة والجمال، ولا سيما إذا التزم بالعمل والتقوى ونهى النفس عن الهوى، ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة:١١].

ويستفاد من تلك الآيات المباركات التي هي أول ما نزل من آيات القرآن الكريم أمور:

- أن على القارئ أن يبتدئ قراءته للقرآن باسم الله الرحمن الرحيم.
- وأن المبتدئ للقراءة باسم الله جدير بالفهم واكتساب العلم.
- وأن العلم بعد نعمة الخلق للإنسان أعظم نعم الله على الإنسان وأكبرها وأجلها.
- ولا يخفى أن المراد بالعلم هنا هو العلم الذي جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من عند الله تعالى.
- وفي الدرجة الثانية بعد علوم الشرائع السماوية العلوم الدنيوية وهي كثيرة كالعلوم السياسية والعلوم الاقتصادية والعلوم الاجتماعية والعلوم

الرياضية والعلوم الطبية والعلوم الصناعية وميادينها كثيرة، وعلوم البحار والفضاء، والعلوم الطبيعية و..إلخ، وقد تطورت اليوم العلوم الصناعية تطوراً عظيماً في جميع المجالات.

- ولا يخفى أنها علوم عظيمة استفاد منها البشر وسخروها في منافعهم، إلا أن الإنسان لا يعدو أن يكون كما قال الله تعالى في هذه السورة بعد الآيات التي صدرنا بها هذا الموضوع: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَيَطْغَى۝ أَنْ رَآهُ اسْتَغْنَى۝﴾ [العلق]، فلم تزدهم النعم التي أفاضها الله تعالى عليهم في هذا الزمان إلا طغياناً وكفراً وتمرداً على الله وفساداً في الأرض.
- ويستفاد أيضاً أن الله تعالى يحب أن يتعلم الإنسان القراءة والكتابة، وأن يكتسب العلوم الدينية والدنيوية.
- وأن كتابة العلوم وقراءتها من الكتب والاستفادة منها أمر مطلوب لله.
- كما يؤخذ من هنا أن الشارع الحكيم لم ينه عن تدوين السنة النبوية.
- الأمر بالقراءة متوجه إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو المخاطب به أولاً، والأمة مأمورة بما أمر بها نبيها صلى الله عليه وآله وسلم إلا ما استثني وهو أمور معدودة يعرفها العلماء، وحينئذ فتكون الأمة مأمورة بالقراءة التي أمر بها النبي صلى الله عليه وآله وسلم وبالعلم الذي أمر بتعلمه النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- وقد تعلم النبي صلى الله عليه وآله وسلم القراءة للقرآن والعلم الذي تضمنه القرآن وعلم الشرائع والأحكام، تعلم كل ذلك وغيره من جبريل عليه السلام، ثم تعلم المسلمون ذلك من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأمر صلى الله عليه وآله وسلم أن يعلم بعض المسلمين بعضاً.

وكان المسلمون في أول الأمر يتعلمون ذلك ويحفظونه حفظاً في صدورهم، ولم يكونوا يكتبونه في الصحائف.

وقد عرف العرب في تلك العصور بمقدرتهم على الحفظ في صدورهم فكانوا يحفظون الأنساب وتواريخ العرب وأيامهم وقصصهم وأشعارهم وخطبهم ودقائق أخبارهم، يحفظون ذلك حفظاً، يتلقاه الآخر من الأول.

وقد جاءت صفتهم بالحفظ في صدورهم في الكتب المقدسة السابقة حين وصفت أتباع النبي الأمي بأن صحائفهم في صدورهم.

وما زال المسلمون كذلك يتلقون العلم من أفواه العلماء، ويحفظونه في صدورهم إلى القرن الثاني الهجري حين رأى العلماء أن الحفظ قد بدأ يضعف ويتناقص؛ فكتبوا ما نقلوه من العلماء، فكتبوا سيرة النبي ﷺ وتفاصيل أخباره وأخبار آبائه وأجداده وأمهاته وجداته، وكتبوا سنته التي هي أقواله وأفعاله ومعاملاته وأخلاقه، وكل ما يتعلق به.

وكتبوا أخبار أصحابه وتواريخهم وسيرهم وأقوالهم وأفعالهم، وكتبوا تفسير القرآن الذي سمع من النبي ﷺ ومن الصحابة ومن التابعين، وكتبوا تواريخ العرب وأخبارهم وقصصهم وأيامهم ودقائق أخبارهم، ودونوا شعر كل شاعر من شعرائهم، ودونوا خُطب خطبائهم، وأمثالهم، ولم يفتهم من علم تأريخ العرب وأنسابهم شيء تقريباً.

وكانت بداية تأريخ العرب من عهد عدنان وقحطان، أما ما سبق ذلك العهد فلا ركون عليه؛ لأن النبي ﷺ لم يقبل من علماء الأنساب إلا إلى عدنان، ولم يقبل منهم ما فوق ذلك.

- وفي ذلك أن أول العلم معرفة الله حق معرفته حيث نبه في تلك الآيات التي هي أول ما نزل من آيات القرآن على أن الله تعالى هو الرب الذي خلق الإنسان من علق، وأنه تبارك وتعالى هو الذي علم الإنسان الكتابة بالقلم، وعلمه ما لا يعلم، فنبه إلى النظر في آيات قدرته وآيات علمه ورحمته التي إذا ما أمعن الإنسان النظر، وأنعم الفكر فيها- علم ربوبية الله وعظمته وقدرته وعلمه وحكمته وعظيم رحمته.
- وإذا كان الله تعالى أمر القارئ بأن يبتدئ قراءته للقرآن باسم الله تعالى ليحظى بمعونة الله وفضله- فإن ذلك يفيد أن المبتدئ باسم الله في أي عمل آخر يحظى بمعونة الله أيضاً، هكذا يستفاد بالقياس والإلحاق.

- والمراد من العلوم الدنيوية هو العلوم التي ينتفع بها الناس، وكل ما كان أكثر نفعاً كان أولى بالتعلم من غيره.
- وإذا كان للمسلمين دولة فحقيق عليها أن تصنف لكل علم محتاج إليه صنفاً من الطلبة يغطي حاجة البلاد في ذلك المجال.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ۝١ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ۝٢ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ۝٣ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ۝٤ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ۝٥﴾ [العلق]:

- كانت هذه الآيات الكريمات أول ما نزل من القرآن على النبي ﷺ، وفيها:

١- ذكر نعمتين من نعمه العظيمة على الإنسان هما:

أ- خلق الإنسان على ما هو عليه من الكمال.

ب- تعليمه الإنسان ما لم يعلم من أنواع العلوم، من ذلك تعليمه الكتابة بالقلم، والقراءة لما سطره القلم في الأسفار، وفي ذلك دليل على أن هاتين النعمتين هما أعظم نعمة على الإنسان على الإطلاق.

وقد ذكر الله تعالى هاتين النعمتين في سورة الرحمن، وصدَّر بهما ذكر نعمه على المكلفين، فقال سبحانه وتعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ۝١ عَلَّمَ الْقُرْءَانَ۝٢ خَلَقَ الْإِنْسَانَ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ۝٤﴾، ثم بعد ذلك عدد الله تعالى في هذه السورة الكثير من نعمه.

وفي سورة العلق أصحب الله تعالى ذكر هاتين النعمتين بصفتين من صفاته هما: «ربك، الأكرم»، وفي سورة الرحمن باسمه «الرحمن» وكل ذلك يشير إلى أن تلك النعمتين العظيمتين صدرتا عن رحمة من الله عظيمة بالإنسان، وعن كرم خالص، ورب رحيم.

- وهاتان النعمتان العظيمتان تدلان دلالة واضحة ومكشوفة على عظيم رحمة الله وعظيم كرمه.

[فوائد من سورة القدر]

📖 قال الله تعالى: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ① وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ② لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ③...﴾ إلخ [القدر]، في هذه السورة:

- بيان فضل القرآن، وارتفاع شأنه، وعلو منزلته.
- ويؤخذ من ذلك أن العمل الصالح يزيد فضله ويتضاعف إذا عمل في وقت مبارك.

[فوائد من سورة العاديات]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، ﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ① فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ② فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ③ فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا ④ فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا ⑤ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ⑥..إلى آخر السورة﴾ [العاديات]:

-أقسم الله تعالى بالخيل المتصفة بخمسة أوصاف هي:

١-الخيل التي تجري بالمجاهدين ويسمع لها صوت في جريها.

٢-وتقدح بحوافرها من قوة الجري ناراً تلمع.

٣-وذلك في غاراتها في البكور.

٤-وتثير من قوة جريها الغبار.

٥-حتى تتوسط بالمجاهدين صفوف الأعداء.

ويستفاد من ذلك:

١-أن الله تعالى يحب الخيل، وإذا كان الله تعالى يحبها فينبغي إكرامها.

٢-أنه يستحب اقتناء الخيل وحسن تربيتها وترويضها إلى أن تكون على الصفة التي أقسم الله تعالى بها في هذه السورة.

٣-أن الخيل من عتاد الحرب.

٤-أن الله يحب القتال على الخيل.

٥-أن الفارس أفضل عند الله من الراجل من حيث القتال على الخيل والقتال على الرجل.

٦-أن أفضل الأوقات للغارة على العدو هو وقت الصبح، وقد كان النبي ﷺ إذا غزا قوماً سار إليهم فإذا وصل بالقرب منهم في العشي انتظر حتى الصباح فإذا أصبح غار عليهم.

ويؤيد ذلك قوله تعالى: ﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ ⑰⑦﴾ [الصافات].

وينبغي أن تكون الغارة في أول الصباح بعد صلاة الفجر مباشرة؛ لأنه الوقت الذي يظهر فيها لمعان قدح الحوافر.

٧-أن تكون الغارة مشتملة على عدد من الخيول متصفة بالسرعة القصوى.

٨-وأن لا يتوقف جري الخيل وسرعتها حتى تتوسط العدو ولا تقف دون وسطه.

٩-أن النصر متوقع إذا كانت الغارة على حسب ما ذكرنا.

١٠-في ذلك دليل على أن العدو يفشل ويرعب إذا رأى سرعة الخيل المغيرة عليه.

١١-أكد الله تعالى على الحث على سرعة الخيل وعدم توقفها حتى تتوسط صفوف العدو بعدة تأكيدات:

-بذكره ضبح الخيل وهو شدة صوت نَفَسها من أثر الجري والسرعة.

-وقدحها النار بحوافرها من قوة الجري وشدته.

-إثارتها للغبار المتصاعد في السماء من شدة الجري وقوة الحركة.

-العطف بالفاء يدل على عدم التوقف في الجري والسرعة حتى توسطت العدو.

١٢- لعل السر والحكمة من تحديد الصبح للغارة:

-أن الخيل والرجال تكون في الصباح نشطة وقوية؛ لأن النوم والراحة تعيد للجسم قوة وطاقة عالية.

-أن الغبار يثار في الصباح أكثر مما يثار في غيره من الأوقات، وفشل العدو ورعبه يكون على قدر ما يرى من الغبار فإذا كثر الغبار كثر رعبه.

١٣-فيما تقدم حث على جهاد الكافرين وأعداء رب العالمين ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾.

١٤-وفيه دلالة على أنه ينبغي فعل الأسباب التي ترعب العدو وتخيفه.

١٥-في ذلك ما يلفت نظر العاقل للتفكر في كيفية خلق الخيل وما يترتب عليها من المنافع في قتال العدو وإخافته وترعيبه، ومن الجمال والزينة، ومن القوة والسرعة و..إلخ.

١٦-في ذلك أيضاً ما يلفت نظر العبد إلى نعم الله عليه في الخيل، وفي كيفية

خلق الخيل وما هو عليه من الصفات، وما فيه من المنافع العظيمة للعبد ما يدعو العاقل إلى الاطمئنان بعظمة خالقه، والإيقان بعلمه وحكمته وقدرته، والاعتراف بعظيم نعمته.

١٧-وقد يؤخذ من هنا أنه لا ينبغي تبييت العدو.

﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝٦﴾:

هذه الجملة هي جواب ذلك القسم (المقسم عليه) والكنود الكفور، ولعل المناسبة المعنوية بين القسم وجوابه هي:

١- أن الكافر بربه وبنعم خالقه لو تأمل كيفية خلق الله تعالى في الخيل، وما فيها من المنافع العظيمة للإنسان- لتراجع عن كفره، وأقبل إلى الاعتراف بربه وبنعمه عليه.

٢- أن في الإقسام بتلك الصفات ما يقلق الكنود ويدخل في قلبه الخوف حين يتصور الخيل وهي مغيرة على الكافرين، فيدعوه الخوف إلى ترك الكفر.

٣- أن الكافر بالله والجاحد لنعمه يستحق الغارة القاتلة لكفره بالله وجحوده لنعمه، وأن الله تعالى قد يسلط أولياءه على الذين خصوا ربهم بالكفر والجحود.

[فوائد من سورة التكاثر]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَتَّىٰ زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ ﴿٢﴾ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٤﴾ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ﴿٥﴾ لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ﴿٦﴾ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ﴿٧﴾ ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر]:

- التكاثر في الأموال والأولاد سبب حال بين المشركين وبين الإيمان بالبعث والحساب، أي: أن ذلك شغلهم عن النظر والتفكر فيما أنذرهم الله ورسوله من البعث والحساب، فكفروا بذلك ولم يصدقوه.
- واشتغالهم بالتكاثر استغرق أعمارهم فماتوا وهم كافرون بالبعث والحساب.
- والتكاثر هو التسابق فكل واحد من أهل الأموال والأولاد يسعى بجهده ليكون أكثر من غيره مالاً وولداً، ولا يرضى أن يكون غيره أكثر منه مالاً وولداً.
- وفي ذلك دليل على أنه لا يجوز السعي لطلب المال من أجل أن يكون الطالب أكثر مالاً.

[فوائد من سورة العصر]

📖 بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين: قال الله سبحانه وتعالىٰ:
﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ ۝٣﴾:

أقسم الله تعالىٰ بالعصر، والعصر هو الوقت الذي تصلىٰ فيه صلاة العصر، أقسم الله تعالىٰ به لما فيه من الآيات الدالة علىٰ قدرة الله وعلمه وعظمته وقد قيل: إن العصر المقسم به هو صلاة العصر، والأقرب أنه الوقت بدليل أن الله تعالىٰ أكثر من القسم بأوقات الليل والنهار كقوله: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١... وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤﴾ [الفجر]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ۝١٧ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨﴾ [التكوير]، ﴿وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ ۝٣٣ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ۝٣٤﴾ [المدثر] و...إلخ.

- ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾ هذا هو المقسم عليه، والمعنىٰ: أن الإنسان المعرض عن الله بالكفر أو الفسق واقع في خسارة الدنيا والآخرة.
- فإن قيل: نحن نرىٰ الكثير من أهل الكفر والفسوق متنعمين في الدنيا بأنواع نعيمها، ومن كان كذلك فليس بخاسر في الدنيا؟

فيقال: هم -وإن كانوا كذلك- في الخسران، وهذا هو الذي توجه إليه التوكيد بالقسم.

- ويتمثل خسر أهل الأموال الفاسقين في:

١- النصب والتعب المتواصل في السعي لجمع المال وحفظه عما يعرض له من النهب والسرق والظلمة والكساد والفساد والضياع والخيانات والمداينات و...إلخ.

٢- العذاب النفسي الدائم الذي يتسبب من الخوف من مفارقة الحياة الدنيا ومفارقة الأموال، ومن الخوف من المستقبل المجهول، وما يأتي به الزمان من المصائب والكوارث والأمراض وفقدان المال، وفقدان الأهل

والأولاد، وتعرضهم للمكاره والمصائب.

٣- التعب النفسي وإجهاد الفكر فيما يدفع به شر الأعداء وحوادث الزمان وما يتوقع من المكاره والمصائب.

٤- الفزع بعد الفزع يحدث بسبب الوهم من لا شيء كما قال تعالى في المنافقين: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾ [المنافقون:٤].

٥- فقدانهم للطمأنينة والسكينة والرضا في حياتهم الدنيا؛ لأن ذلك لا يحل إلا في قلوب المؤمنين.

- ومن كان كذلك في حياته الدنيا فهو في خسار وتماماً كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه:١٢٤].

- وأما خسارة الآخرة فواضحة.

- وقد بين الله تعالى أنه لا ينجو من خسارة الدنيا والآخرة إلا من جمع بين أربع صفات هي:

١- الإيمان.

٢- العمل الصالح.

٣- التواصي بالحق.

٤- التواصي بالصبر.

- والإيمان هو الإيمان بالله وبملائكته وبرسله وبما أنزل الله تعالى على رسله، وباليوم الآخر، والسمع والطاعة لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم، والتسليم والانقياد والتواضع لله ولرسوله وللحق، و...إلخ.

- والأعمال الصالحة هي ما أوجبه الله تعالى على عباده وفرضه عليهم من العبادات والمعاملات.

- والتواصي بالحق هو أن يحث بعض المكلفين بعضاً، ويدعو بعضهم بعضاً إلى فعل ما أوجبه الله وأمر به، وترك ما نهى عنه وحرمه.

- والتواصي بالصبر أن يحث بعضهم بعضاً على الالتزام والمداومة على

الأعمال الصالحة، وترك القبائح المحرمة، والرضا بما قضاه الله وقدره من الأمراض والفقر والمصائب و...إلخ.

وفيها هنا فوائد:

- أن التواصي بالحق والتواصي بالصبر واجبان.
- أن المؤمن محتاج دائماً إلى من يذكره ويوصيه بعمل الواجبات واجتناب المقبحات، والصبر على الالتزام بذلك، والصبر على البلوى.
- وأن الدين سيحيا ويستمر بالتواصي بالحق والتواصي بالصبر، وما دام المؤمنون كذلك فإن دينهم لن يضيع ولن ينسى، ولا يلحقه تغيير ولا تبديل.
- تترتب أهمية الأربع الصفات، فأهمها وأعظمها الإيمان، ثم العمل الصالح، ثم التواصي بالحق، ثم التواصي بالصبر.
- وإذا كانت تلك الأربع الصفات واجبة فإنه يجب معرفة كل صفة منها تمام المعرفة، فيجب معرفة الإيمان الذي يريده الله تعالى من المكلفين، ويجب معرفة الأعمال الصالحة التي أرادها الله تعالى من عباده، ويجب معرفة الحق الذي أمر الله المكلفين بالتواصي به، ولا يتم ذلك إلا بتعلمه عند ذوي العلم.
- والعقل يحتم على صاحبه أن يدفع عن نفسه الخسار والبوار المعلوم من ذلك والمظنون.

[فوائد من سورة الفيل]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قال الله سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ۝٣ تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ سِجِّيلٍ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَأْكُولٍ۝٥﴾ [الفيل]:

- في هذه السورة يؤكد الله تعالى للنبي ﷺ وللمسلمين أنه سينتقم ممن يحارب دينه، ويعادي رسله، وذكَّرهم -ليطمئنوا- بما فعل بأصحاب الفيل من النقمة منهم وإنزال العذاب عليهم.

وقد كانت تلك الفعلة قريبة العهد بهم، لم يمض عليها إلا مدة يسيرة، وبالقرب من مكة في الحرم المحرم ما بين منى ومزدلفة، وأصحاب الفيل هم: أبرهة الحبشي وجيوشه، وكان أبرهة والياً على اليمن، وكان حدوث قصتهم في عهد عبدالمطلب، وكان مولد النبي ﷺ في السنة التي حدثت فيها هذه القصة.

- وكان أبرهة خرج في جيش عظيم من اليمن ليهدم الكعبة، ولما رأت قريش ذلك الجيش تيقنوا أنه لا طاقة لهم بالوقوف في وجهه، فخرجت من مكة، فأبطل الله كيد ذلك الجيش، وأرسل عليهم جماعات من الطير يحمل كل طير حجراً من طين يابس، فرمتهم بتلك الأحجار فقتلتهم جميعاً، فكانوا في ذلك المكان جثثاً هامدة مشتتة، يشبهون الزرع الذي أكلته الأنعام، وداسته بأقدامها.
- نزلت هذه السورة لتؤكد للنبي ﷺ أولاً وللمؤمنين ثانياً، وتطمئنه بأن الله سبحانه وتعالى سوف ينصره على المشركين، ويعلي كعبه، ويخزي عدوه.
- وفيها أن القياس طريق معتبرة؛ لأن المعنى المقصود من هذه السورة: أن

الله تعالىٰ سوف ينصر رسول الله ﷺ وينتقم له من المشركين الذين يكفرون به ويكذبونه ويريدون أن ينزلوا به المكاره والمهالك، أو ما ترىٰ إلىٰ صنيعه بأصحاب الفيل حين أرادوا هدم بيت الله، واستحلال حرمته.

- الفرج يأتي حين تبلغ الشدة غايتها فإن أصحاب الفيل لم يأتهم سخط الله وعذابه إلا عند أن وصلوا وادي محسِّر في طرف منىٰ، ورسول الله ﷺ لم يأته الفرج إلا بعد الهجرة، وهذه السورة نزلت عليه في مكة.
- في هذه السورة ما ينبه رسوله ﷺ والمؤمنين إلىٰ ألا يهوله ما يرىٰ عليه المشركين من العدد والعدة والقوة، فإن الله سيبددها ويقيك شرها.

قد يقال: ما هو السبب في نزول عذاب الله علىٰ أصحاب الفيل في حين أن المشركين قد ملئوا الكعبة بالأصنام وأحاطوها بالأصنام، وعبدوها من دون الله تعالىٰ في البيت الحرام وداخل الكعبة.

فيقال -والله أعلم-: هناك فرق بين كفر المشركين وكفر أصحاب الفيل؛ فإن المشركين وإن أشركوا بالله فإنهم كانوا يعظمون البيت العتيق، ويعظمون الحرم المحرم، أما أصحاب الفيل فقد جاءوا لهدم الكعبة واستحلال حرمتها وحرمة البلد الحرام، والمسجد الحرام والحرم المحرم.

فإن قيل: قد استحل الحجاج بن يوسف قائد الجيش الأموي البيت العتيق، ورموه بالمجانيق وهدموه، واستحلوا حرمته وحرمة البلد الحرام والحرم المحرم؛ فما هو المانع من نزول العذاب عليهم كما نزل علىٰ أصحاب الفيل؟

فيقال -والله أعلم- لعل السر أن في إهلاك أصحاب الفيل علىٰ تلك الصورة العجيبة إرهاصاً لنبوة محمد ﷺ.

ووجه آخر هو أن أبرهة وجيشه كانوا في قوة عظيمة لا تقدر قريش علىٰ مواجهتها؛ فلو أن أبرهة هدم الكعبة واستحل الحرمة هناك، ثم أقام بمكة يطرد الحجاج والمعتمرين ويردهم، ويقتل من يدعو إلىٰ ذلك لضاعت الحرمة المحرمة، وضاع البيت العتيق ونسيه الناس، ثم لا تستعاد حرمته عند العرب إلا

بعد عقود من الزمن.

أما غزو الجيش الأموي للكعبة وهدمهم لها فإن المسلمين كانوا يومئذ في كثرة عظيمة، وهدمها لا ينقص من حرمتها عندهم ولا من حرمة المسجد الحرام والبلد الحرام.

فبان بنزول العذاب على أصحاب الفيل عظيم حرمة الحرم المحرم، وحرمة البيت العتيق.

أما في غزو الجيش الأموي للكعبة فكانت الحرمة واضحة للمسلمين وقوية في نفوس المؤمنين.

[فوائد من سورة الكافرون]

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿قُلْ يَاأَيُّهَا الْكَافِرُونَ ① لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ② وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ③ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ ④ وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ⑤ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ⑥﴾ [الكافرون]، في هذه السورة:

١- أنه ليس هناك حل وسط بين المسلمين والكافرين، فلأهل الإسلام دين يدينون الله به، ولأهل الكفر ملة يدينون بها، ولا يصح أن يتنازل المسلم عن شيء من دينه من أجل التقارب والتصالح مع الكافرين.

٢- إقناع الكافرين إقناعاً مؤكداً بأن أهل الإسلام لا يتنازلون عن إسلامهم، ولا عن شيء من دينهم، وإقناع للمسلمين بأن الكافرين لا يتنازلون عن كفرهم ولا عن شيء من عقائدهم الكفرية.

- والذي يظهر لي أن ذلك خطاب لكفار مكة لا لعموم الكفار، فيدل ذلك على أن كفار مكة الذين خوطبوا في هذه السورة لا يؤمنون أبداً وأنهم سيموتون على الكفر، وذلك مصداق ما اشتهر عن أمير المؤمنين أنه قال في مسلمة الفتح وعلى رأسهم أبو سفيان ومعاوية: (والله ما أسلموا، ولكن استسلموا).

- التكرير في هذه السورة يؤكد أن الكافرين لا يتنازلون أبداً عن كفرهم، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأتباعه لن يتنازلوا عن إسلامهم ودينهم.

[فوائد من سورة المسد]

📖 بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ، قال الله سبحانه وتعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِنْ مَسَدٍ ۝٥﴾ [المسد]، في ذلك:

١ - دليل علىٰ صحة نبوة النبي ﷺ وصدق دعوته، وذلك من حيث أنه جاء بسورة خاصة في ذم عمه أبي لهب، وسبه باسمه الخاص به من دون غيره من كفار قريش، فلم يرد في القرآن التصريح باسم واحد منهم؛ ولو كان القرآن من عند النبي ﷺ لما خص عمه بمثل ذلك، لما جبلت عليه النفوس البشرية من التعصب للقريب والحميّة لأن يلحقه ما يشين ولو كان أهلاً للشين؛ فحين رأينا النبي ﷺ جاء في القرآن الكريم بهذا الذم لعمه إلىٰ يوم القيامة علمنا أن القرآن من عند الله تعالىٰ وأنه صادق.

٢ - في ذلك ما يدل علىٰ جواز الذم للفاجر والدعاء عليه باللعن أو بغيره.

📖 قوله تعالىٰ: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١...﴾ إلىٰ آخر السورة [المسد] في هذه السورة فوائد:

١-أن محمدًا ﷺ رسول من عند الله؛ وذلك أن هذه السورة في ذم عم النبي ﷺ أبي لهب وذم امرأته، ولم يأت ذم أحد من قريش باسمه الخاص غير عم النبي ﷺ أبي لهب، ولو كان القرآن من النبي ﷺ لا من عند الله لما خص عمه بهذا الذم والوعيد وامرأته دون غيره من قريش الذين آذوه وكذبوا به.

٢-أن أبا لهب عم النبي ﷺ وامرأته بالغا في أذية النبي ﷺ أكثر من غيرهما من رجال ونساء قريش.

٣-أنه لا يجوز لكل ذي ولاية عامة أن يحابي قريبه في الحق، أو أن يغمض عن بعض سيئاته.

٤-يؤخذ من السورة أن أبا لهب كان ذا مال وتجارة.

٥-أن قرابة النبي ﷺ لا تنفع قريبه المرتكب للكبائر، ولو كانت القرابة من النبي ﷺ تنفع أحدًا من أهل الكبائر لنفعت عمه أبا لهب، الذي هو صنو أبيه وشقيقه.

٦-إذا كانت القرابة من النبي ﷺ لا تنفع العاصي فبالأولى أن صحبة النبي ﷺ لا تنفع العاصي الذي ليس بذي قربى.

زبر من الفوائد القرآنية

[السيرة النبوية وقصص الأنبياء والأمم السابقة]

[الحكمة في ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام في القرآن]:

سؤال: ما هي الحكمة في ذكر قصص الأنبياء في القرآن الكريم؟

الجواب ومن الله التوفيق:

أن لذلك حكمة ومصلحة في عدة نواحٍ:

١- في قصصهم تثبيت للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وشدٌّ من عزمه على تبليغ الرسالة، وذلك أن النبي إذا علم ما جرى على أنبياء الله ورسله صلوات الله عليهم من الأذى والشدائد والتكذيب والاستهزاء وطول المضايقات من المكذبين سنين بعد سنين- هان عليه ما هو فيه من الأذى، والمصائب إذا عمت هانت؛ ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ﴾ [فصلت:٤٣]، ﴿وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ﴾ [هود:١٢٠].

٢- أن في قصص الأنبياء عبرة وموعظة للمؤمنين: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف:١١١].

٣- في ذكر قصصهم صلوات الله عليهم بيان شرفهم عند الله، ورفيع منازلهم لديه.

السيرة النبوية في القرآن الكريم:

١- ذكر الله تعالى غزوة بدر، وما حدث فيها، وشيئاً من تفاصيلها في سورة الأنفال.

٢- وذكر تعالى غزوة أحد، وشيئاً من تفاصيلها في سورة آل عمران.

٣- وذكر تعالى غزوة الخندق في سورة الأحزاب.

٤- وذكر تعالى يهود المدينة، وما حل بهم من النبي ﷺ في سورة الأحزاب وسورة الحشر وسورة الفتح.

٥- وذكر تعالى صلح الحديبية، وفتح مكة في سورة الممتحنة وسورة الفتح.

٦- وذكر تعالى غزوة حنين في سورة التوبة.

٧- وذكر تعالى هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة في الأنفال وفي التوبة.

[خطاب الله لنبيه محمد ﷺ في القرآن]:

خاطب الله تعالى النبي ﷺ في القرآن وناداه بعدة صفات:

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ...﴾ [التحريم:١]، ونحوها.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ...﴾ [المائدة:٦٧].

٣- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ ①﴾.

٤- ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ①﴾.

وخاطب الله تعالى المسلمين وناداهم بعدة صفات:

١- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾.

٢- ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ ⑯﴾ [الزمر].

٣- وخاطبهم مع غيرهم بـ﴿يَا بَنِي ءَادَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف:٣١].

٤- وبـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [النساء:١]،

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى﴾ [الحجرات:١٣].

٥- ونادى سبحانه وتعالى المشركين بـ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾، وأهل الكتاب بـ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾، و﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾.

[وظائف النبي التي أرسله الله للقيام بها:]

📖 قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]:

في هذه الآية بيان وظائف النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أرسله الله تعالى للقيام بها وهي:

١- الشهادة لله تعالى يوم الحساب بأن الله تعالى قد أقام على الكافرين الحجة وبين لهم الحق.

٢- التبشير للمؤمنين بثواب الله وعظيم رحمته في الدار الآخرة.

٣- الإنذار للكافرين بالعذاب الدائم وبسخط الله وغضبه في جهنم التي أعدها للكافرين والمنافقين والمتمردين عليه.

٤- الدعوة إلى دين الله والعمل بشرائع الإسلام والالتزام بالإيمان والاستقامة على التقوى، والترغيب في ذلك والترهيب من التهاون بذلك.

٥- وأن يكون صلى الله عليه وآله وسلم سراجاً ينير سبل السلام ويوضح طرق الحق والهدى، ويكشف بطلان الباطل وسوءة الضلال.

ويستفاد من ذلك:

١- أن على العالم أن يبين حجة الله ويكشفها للمبطلين كشفاً لا يبقى لهم بعده حجة عند الله يوم القيامة؛ لأن العلماء هم ورثة الأنبياء في هذا المجال.

٢- أن على العالم أيضاً أن يبين للناس ما أعده الله تعالى من الثواب العظيم والكرامة في جنات النعيم.

٣- وما أعده الله تعالىٰ من العذاب الأليم في جهنم.

٤- أن يدعو الناس إلىٰ الإيمان والعمل الصالح والعمل بشرائع الله وأحكام دينه، ويوضحها لهم، ويرغبهم فيها، ويحذرهم من عصيان الله، و...إلخ.

٥- أن يكونوا هداة إلىٰ الحق، وأدلاء علىٰ سبله ومبينين لها.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ...﴾:

أمر الله تعالىٰ نبيه ﷺ بأن يمضي في أداء رسالته، ونهاه أن يستمع لما يقوله الكافرون والمنافقون في سبيل دعوته من الأمر له بالكف عن الدعوة والسكوت عن ذكر آلهتهم، و...إلخ.

وأمره تعالىٰ أن لا يلتفت إلىٰ تهديداتهم ولا يكترث بها، بل يمضي في دعوته إلىٰ الله وإلىٰ دينه من غير مبالاة ولا اهتمام بشيء من ذلك، وأن يثق بالله ويعتمد عليه فإنه سيكفيه ما يخاف منهم وما يتوقعه من تهديداتهم.

- وقد وردت الآية في ذكر وظائف النبي ﷺ علىٰ الترتيب المنطقي؛ فالواجب علىٰ النبي ﷺ أولاً وقبل كل شيء أن يبين الأدلة والبراهين والحجج للناس، فإذا بين ذلك وقبلوه وآمنوا به؛ فإنه يبين ما أعد الله تعالىٰ من الخير الكثير والثواب الوفير والكرامة العظيمة في جنات النعيم، و...إلخ.

- وإن هو بين الحجج والبراهين والأدلة ثم لم يستجيبوا ولم يؤمنوا فإنه يأخذ في بيان ما أعد الله للمكذبين والكافرين من العذاب الدائم في دار الجحيم و...إلخ.

- ثم بعد بيانه ﷺ للبشارة للمؤمنين والإنذار للمكذبين فعليه ﷺ أن يدعو المؤمنين بعد تبشيرهم بالثواب والكرامة إلىٰ العمل بأحكام دين الله والاستقامة علىٰ ذلك.

- ثم بأن يكون ﷺ سراجاً منيراً يضيء للمؤمنين سبل الحق ويدلهم عليها ويهديهم إليها لئلا يضلوا عن الحق.

[بلغ ما أنزل إليك من ربك]:

📖 قوله تعالىٰ: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ وَاللَّهُ يَعْصِمُكَ مِنَ النَّاسِ﴾ [المائدة٦٧]:

١-هذه الآية الكريمة هي آية من سورة المائدة، وسورة المائدة من آخر ما نزل من القرآن بالإجماع والاتفاق، فيكون نزولها في آخر عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢-تدل الآية على أن الله تعالىٰ كلف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتبليغ الناس حكمًا عظيماً، وأنه خاف من تبليغه وتردد مخافة من الناس، فحتم الله تعالىٰ على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يبلغ ذلك الحكم إلىٰ الناس، وعصم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أذىٰ الناس وضررهم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٣-يؤخذ من الآية أن الحكم الذي أمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتبليغه للناس حكم عظيم يتوقع من الناس أن يرفضوه، بل يتوقع منهم قتل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو حربه أو نحو ذلك.

٤-ويؤخذ من الآية ووقت نزولها أن الله أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يبلغ ذلك الحكم الكبير إلىٰ المسلمين.

٥-وأن الذين خافهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم المسلمون.

٦-وأن الله تعالىٰ آمنه من شر المسلمين.

وكل ذلك لأن هذه الآية نزلت وليس في جزيرة العرب مشرك.

٧-أن ذلك الحكم الذ يأمر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتبليغه أمر هام، تترتب عليه مصالح عظيمة دينية ودنيوية. وقد تصورنا أهميته وعظمته من حيث إن الله تعالىٰ قال لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه إذا لم يبلغ هذا الحكم فكأنه لم يبلغ رسالة الله، فنزل الله تعالىٰ أهمية هذا الحكم منزلة أهمية الرسالة كلها.

٨-لا شك أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد بلغ ذلك الأمر الهام للناس.

٩-إذا عرفت ذلك فيكون الأمر الهام الذي أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتبليغه هو أمر خلافة

علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأن ذلك هو الذي يقلق بلا شك قريش ويزعجها.

١٠-وكان البلاغ بعد رجوع النبي صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع إلى المدينة، فإنه استوقف الناس في مكان يقال له: غدير خم، فخطبهم وبلغهم ما أمره الله تعالى بتبليغه، وهو: ((ألست أولى بكم من أنفسكم؟)) قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((فمن كنت مولاه فهذا علي مولاه...)) الخ، وهذا حديث متواتر معلوم.

[ولقد نعلم أنك يضيق صدرك]:

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر]، في ذلك:

١-أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يلقى من ألسنة المشركين من فاحش القول ما يؤذيه ويضيق به صدره الفسيح.

٢-أن على الذي يلقى الأذى في الله أن يصبر من غير أن يكون منه أي رد فعل.

٣-أن الله تعالى سيثيب الصابر على الأذى، ويعاقب مؤذيه.

٤-أن على المؤمن الداعي إلى ربه أن يستمر في إيمانه وعبادته ودعوته إلى ربه، ولا يلتفت إلى أقوال الصادين عن دين الله، ولا يبالي بأذاهم.

٥-أن المؤمن إذا علم أنه بعين الله يهون عليه ما هو فيه من الشدة؛ لعلمه أن الله تعالى عدل حكيم لا يظلم مثقال ذرة.

٦-أن طبيعة الإنسان أن يضيق صدره إذا عرض له عارض من عوارض الحياة الدنيا المؤذية، فلا يصح ما يقال: إن المؤمن قد يترقى في درجات القرب إلى الله حتى يصل إلى الدرجة التي لا يشعر فيها المؤمن بشيء من هموم الدنيا.

[ألم نشرح لك صدرك...]:

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ ۝٧ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ۝٨﴾ [الشرح].

تدل هذه السورة على:

- أن النبي ﷺ كان في شدة شديدة من المشركين وأذاهم وطغيانهم حيث لم يزدادوا بدعوة النبي ﷺ إلا عتواً ونفوراً، وكأن النبي ﷺ استبطأ نزول النصر وفتح باب الفرج؛ فنزلت هذه السورة لتخفف عن النبي ﷺ مما هو فيه من الشدائد الشديدة من المشركين، ولتسليه عما أصابه ويصيبه منهم.

فذكره الله تعالى نعماً أسداها إليه وتفضل بها عليه، وأكد له أن ما هو فيه من العسر سيذهب ويعقبه اليسر.

وأرشده إلى الاستمرار في عبادة الله وأداء فرائضه، وأن يتوجه إلى الله بالدعاء في حاجاته وجميع أموره.

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ المعنى: أن الله تعالى شرح للنبي ﷺ صدره أي وسعه، فلم يكبر عليه من التكاليف أي كبير، ولم يعظم عليه منها عظيم ولا حقير، فبلغ رسالات الله غير مكترث بجبابرة قريش، ولا مبالٍ بوعيدهم، ولا ملتفت إلى كثرتهم وجبروتهم، وما هم فيه من العدد والعدة، وهذه نعمة من الله عظيمة على نبيه المصطفى ﷺ.

﴿وَوَضَعْنَا عَنْكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ وهذه نعمة ثانية تفضل الله بها على رسوله محمد ﷺ والمعنى: أن الله تعالى مكّنه من إنذار المشركين، وتبليغهم الرسالة، وإسماعهم الحجة حتى عقلوها وعلموها واستيقنوها، وأعانه على ذلك حتى عمهم برسالته، وحتى استوضحوا حجة الله عليهم، وكان هذا أثقل التكاليف على النبي ﷺ وأشدها عليه لعلمه بجبروت المشركين وعظيم كبريائهم وأنفتهم وحميتهم.

فلما عمهم النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ بتبليغ رسالات الله وحججه عليهم قال الله له: ﴿إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى:٤٨]، أي: ما عليك يا محمد إلا أن تبلغهم آيات الله وحججه عليهم، وليس عليك أن يؤمنوا: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ﴿٥٤﴾﴾ [النور].

وبهذا التبليغ وضع الله عنه تكليف تبليغ الرسالة إلى المشركين، وحط عنه ثقلها الثقيل، وأمره بهجرهم هجراً جميلاً.

- ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴿٤﴾﴾ وهذه نعمة ثالثة أفاضها الله تعالى على نبيه محمد صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، فقد أشهر الله تعالى في الناس فضل النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ، وعظيم شرفه وكبير منزلته.
- فهذه النعم الثلاث أفاضها الله تعالى على نبيه محمد صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ بعد مبعثه.
- كأنَّ النبي صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ كان قبل نزول هذه السورة قد استبطأ نزول النصر على المشركين، وحصول الفرج، وطال انتظاره صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ لحصول ذلك، وكاد صبره صَلَّىٰللَّهُعَلَيْهِوَآلِهِوَسَلَّمَ أن ينفد؛ فنزلت هذه السورة تذكره بأن نعمة النصر وحصول الفرج وإن تأخرت فقد أعطيناك ثلاثاً من النعم الكبرى وعجلناها لك لتقر بها عينك، وليعظم أجرك في الصبر وانتظار الفرج، فلا تظنن أن الله قد نسيك ولم يبال بك، فإنك عند الله بمكان عظيم، لذلك أعطاك ما أعطاك بعد النبوة من شرح الصدر ووضع الوزر العظيم ورفع الذكر في العالمين.
- **وفي ذلك:**

١- أن على المؤمن ألا ينسيه ما هو فيه من الشدة والمضائق والمصائب نعم الله عليه وعظيم إحسانه إليه.

٢- وأن يكون ظنه بالله حسناً فيما ابتلاه ويتلقاه بالصبر والرضا عن الله.

٣- وليحذر من أن يستولي عليه اليأس من رحمة الله وفضله.

٤- وليعلم أن الخير هو فيما اختاره الله له.

٥- وعليه أن يثق بوعد الله، وأن ينتظر الفرج، وأن يشمر في عبادة الله، وأن يستمر في الرغبة إلى الله بالدعاء وطلب الحوائج.

٦- أن الله تعالى يحب من عبده الجد في طاعته وعبادته والتشمير في ذلك؛ فإذا فرغ من عبادة فليدخل في عبادة أخرى، وهكذا.

٧- وأن على المؤمن ألا يرغب إلى أحد سوى الله في تفريج كربه وكشف الشدائد عنه.

[فتح مكة وفوائده]:

📖 قال تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ۝١ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ [الفتح]:

نزلت هذه السورة قبل فتح مكة، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد رأى في المنام أنه يفتح مكة وتلك الرؤيا كانت قبل الحديبية، وبشر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أصحابه بذلك، ولم يحدد لهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ موعد الفتح.

ولما خرجوا مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للعمرة إلى مكة يوم الحديبية ظنوا أن رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ستتحقق في خروجهم هذا، فلما حالت قريش دون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين من دخول مكة، وصدوهم عن المسجد الحرام، وبعد مفاوضات تم الصلح بين الفريقين ورجع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى المدينة.

لما حصل ما حصل دخلت الشكوك في قلوب البعض من الصحابة، وكان ممن جهر بشكه وجادل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذلك عمر بن الخطاب.

-﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا﴾ أكد الله تعالى صحة رؤيا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنها وعد حق واقع لا محالة.

وأكده تعالى أيضاً في آخرة السورة: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ

لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح].

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾: قد يقال في تفسير ذلك: أن فتح مكة سبب لمغفرة ذنوبكم أيها المسلمون ما تقدم منها وما تأخر، ووجه الخطاب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لئلا يداخلهم العجب في إيمانهم وأعمالهم الصالحة، فإنهم إذا سمعوا كلام الله في نسبته الذنب إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فسيقولون فكيف بنا نحن فيستشعرون كثرة الذنوب.

-وإنما كان الفتح سبباً لمغفرة الذنوب لأن المسلمون فتحوا مكة بقيادة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقهروا أهلها وانتصروا عليهم، وأدخلوهم في الإسلام بقوة شوكتهم، وقد كان أهل مكة أعظم وأقوى أعداء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين في الإسلام، ولم يلق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه من غيرهم مثل ما لقي منهم، وقد كانوا هم أصحاب بدر وأحد والخندق والحديبية، فيعتبر فتح مكة أكبر انتصار أحرزه المسلمون في تأريخ جهادهم مع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

-وقد كان فتح مكة سبباً أيضاً في دخول العرب في دين الله أفواجاً، فبهذا يحصل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمون على ثواب أكبر هزيمة للشرك، وثواب إدخال قريش في الإسلام، وثواب ما نتج عن ذلك من دخول العرب في دين الله أفواجاً، فيحصل لهم من الثواب والأجر ما لا يكاد يحصى، وينتج عن ذلك محو السيئات: ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود:١١٤].

-أما مغفرة ما تأخر من ذنوبهم فلأن ما يعطيهم الله تعالى من ثواب الفتح وثواب دخول الناس في دين الله أفواجاً يكون سبباً في توفيق الله لهم وتسديده وزيادة هداه لهم وتنويره لقلوبهم: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ [إبراهيم:٢٧]، ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾﴾ [الطلاق].

-وهذا التفسير هو على خلاف ظاهر الآية، ولكنا عدلنا عن الظاهر لأنه

ليس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ذنب متقدم غير مغفور، ولا يتوقع منه بعد الفتح ذنب لعصمته صلى الله عليه وآله وسلم عن اقتراف الذنوب.

-وقد فسرت الآية بأن المراد مغفرة الذنوب التي اكتسبتها قريش في عداوتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فإنها بعداوتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وحربها له اكتسبت ذنوباً كبيرة فلما فتحت مكة ودخلت قريش في الإسلام غفر الله ذنوبها المتقدمة والمتأخرة: ((الإسلام يجب ما قبله)).

-وذنوبهم المتقدمة هي ما حصل منهم في أول الأمر، والذنوب المتأخرة هي ما حصل منهم في آخر الأمر قبل أن يسلموا، وعلى هذا التفسير يكون كاف الخطاب في (ذنبك) مفعولاً به، وقد قالوا: إن المصدر يضاف إلى فاعله وإلى مفعوله.

-وقد يمكن أن تفسر بأن المراد أن قريشاً كانت ترى في حال شركها وعداوتها للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أن كل ما فعله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها من العداوة والقتل والجرح والأسر ذنباً إليها وقطيعة رحم، هكذا كانت تعتقد قريش، قام أبو جهل في غزوة بدر يدعو فقال: اللهم أقطعنا للرحم فأحنه الغداة.

وبفتح مكة ودخول قريش في الإسلام انمحت تلك العقيدة وذهبت وخلفتها المحبة والمودة والأخوة؛ ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝٧﴾ [الممتحنة].

-والتفسير الأول أقرب إلى ذهني، والثاني يذكره المفسرون، والأول والثالث من عندي، وكل هذه التفاسير الثلاثة مخالفة للظاهر، والذي دعا إلى مخالفة الظاهر هو ما ذكرنا سابقاً بأنه لا ذنب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا قبل الفتح ولا بعده لعصمته صلى الله عليه وآله وسلم.

-يمكن تفسير الآية على الظاهر ويكون المراد مغفرة ما ندر من صغير ذنب من النبي صلى الله عليه وآله وسلم قبل الفتح وما يحتمل أن يقع بعد الفتح، أو ما تقدم في السنين الأولى، وما تأخر في السنين القريبة من الفتح، وهذا أبعد التفاسير.

-في الآية أن فتح مكة كان سبباً في حصول أربع نعم عظيمة هي:

١- مغفرة ذنبه صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- وإتمام النعمة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٣-وهداية الله تعالى لنبيه إلى صراط مستقيم.

٤-وحصول نصر عزيز لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ومغفرة ذنبه في صدارة هذه النعم الأربع وفي مقدمتها فتكون هي أعظم النعم الأربع.

لذلك فيكون مغفرة الذنب هو مغفرة ذنوب أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المسلمين، أو مغفرة ذنوب المشركين أو مغفرة ما توهمته قريش ذنباً على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما قدمنا والله أعلم.

-وإتمام النعمة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالفتح هو أن فتح مكة كان سبباً في إسلام قريش جميعاً وبإسلام قريش دخلت قبائل العرب في الإسلام حتى عم الإسلام جزيرة العرب جميعاً وبذلك يكون النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أتم رسالته وبلغها وأكمل مشوار مهمته بنجاح عظيم حظي برضوان الله عليه، فصلوات الله عليه وسلامه ورحمته وبركاته وعلى أهل بيته الطاهرين.

-وهداية الله تعالى لنبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى صراط مستقيم نعمة حصلت بسبب فتح مكة حيث أن العراقيل والعوائق التي كانت تعترض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في طريق دعوته قد زالت وكسحت بسبب فتح مكة وإسلام قريش فنفذت رسالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسار دينه في جميع الجزيرة العربية ودخل الناس في دين الله أفواجاً، فلم يلق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في طريقه المستقيم بعد الفتح ما يعرقل سير الرسالة، والحمد لله رب العالمين.

-وبالفتح وإسلام قريش زالت العوائق والعراقيل في طريق الدعوة، وبزوالها انتصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على المشركين في جزيرة العرب، وارتفعت راية الإسلام في كل مكان والحمد لله رب العالمين.

[وعلمك ما لم تكن تعلم]:

📖 قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ

عَظِيمًا﴿١١٣﴾﴾ [النساء]، يؤخذ من ذلك: أن العلم بأحكام الله وشرائعه فضيلة عظيمة.

ويبين ذلك ويوضحه: أن الرسل عليهم السلام أفضل البشر عند الله، وإنما كانوا أفضل البشر؛ لأنهم جاءوا من عند الله برسالة إلى البشر هي أن يعلموهم العلم والعمل.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴿١١٣﴾﴾ [النساء]، في هذا:

- أن للعلم بما جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فضلاً عظيماً عند الله تعالى.
- وأن علينا أن نعلم ذلك الفضل العظيم ونعتد به.
- والكتاب هو القرآن، والحكمة هي العلم الذي جاء به النبي صلى الله عليه وآله وسلم غير القرآن وهو السنة.
- ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ أفاض الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم معارف كثيرة، وفتح له أبواباً من العلم غير ما تضمنه الكتاب والسنة.
- وفضل الله علينا -يا أمة محمد- عظيم؛ لأن ما تلقاه النبي صلى الله عليه وآله وسلم من الفضل العظيم قد ألقاه إلى أمته، وأفاضه عليهم.

[فاستقم كما أمرت ومن تاب معك....]

﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴿١١٢﴾ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴿١١٣﴾﴾ [هود]:

- أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين بالامتثال والاستمرار على فعل ما أوجبه الله عليهم وترك ما نهاهم عنه، وألا يخلوا بذلك على الدوام إلى أن يأتيهم الموت.
- ونهاهم تعالى عن الطغيان، وهو أن يتجاوزوا حدود الله التي حدها لهم.
- ونهاهم تعالى أن يميلوا إلى المشركين والظالمين أي ميل بل أدنى ميل.
- وفي ذلك: أنه يجب فعل الطاعة على حسب ما أمر الله من غير زيادة ولا نقصان.

[أمر الله لنبيه ﷺ بالصبر]:

📖 بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٧﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٨﴾﴾ [النحل]، **في ذلك**:

توجيه للنبي ﷺ كيف يقابل الأذى الذي يلحقه من المشركين، فأرشده تعالى إلى:

- أن يتلقى الأذى بالصبر.
- وأن يستعين الله تعالى على الصبر.
- وأرشده الله تعالى إلى أنه لا يبالي باستمرار الكافرين على الكفر والشرك، ولا بكثرة الداخلين فيه، ولا يهتم بذلك ولا يكترث.
- وإلى أن لا يضيق صدره بما يرى ويسمع من كيدهم للإسلام والمسلمين ومكرهم بهم، وعداوتهم لهم، فإن الله بنصره وحفظه ومعونته مع المتقين المحسنين.

[لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة]:

📖 قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ﴾ [الأحزاب:٢١]:

جاء النبي محمد ﷺ بدين الإسلام وأحكامه وشرائعه التي أوحاها الله تعالى إليه في القرآن الكريم، ودعا الناس إلى ذلك وشرح لهم أحكام دينهم التي أوحاها الله تعالى إليه في الكتاب الكريم، وبين لهم ما أنزل الله إليه من الشرائع والأحكام، وفصل لهم ما يريده الله تعالى من الفرائض والسنن، وتماماً كما قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾﴾ [الجمعة]،

وقد استغرق تبليغ هذه المهمة ثلاثاً وعشرين سنة.

ولولا الكمال البشري الذي كانت عليه جِبلّة النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما تم تبليغ تلك المهمة خلال تلك الفترة.

[فوائد من آية: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾]

📖 قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾ [الحجرات]، **في هذا فوائد:**

١ـ أن رفع الصوت والجهر به عند الخطاب من سوء الأدب: ﴿وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ ۝١٩﴾ [لقمان].

٢ـ أن رفع الصوت والجهر به وإن كان من سوء الأدب جائز عند مخاطبة الناس بعضهم لبعض.

٣ـ أنه يكره رفع الصوت عند من يستحق التعظيم والتكريم كالعلماء والأئمة والأبوين.

٤ـ في ذلك تنبيه على أن المكلف يجب عليه أن يتحرز من صغائر الذنوب كما يتحرز من كبائرها، وأن الذنب الصغير إذا لم يتداركه المكلف قد يحبط ثوابه وحسناته.

٥ـ في الآية دليل على صحة المذهب الكلامي الذي يقول بالإحباط وينفي الموازنة.

٦ـ الخطاب لصحابة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، وأعمالهم التي يخشى عليها الإحباط برفع أصواتهم فوق صوت النبي صلى الله عليه وآله وسلم هي: الإيمان والهجرة والجهاد وصحبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيؤخذ من ذلك: أن الصحابة كغيرهم لا يغني عن عصاتهم من عذاب الله شيء.

كما يؤخذ من الآية: أن الصحابة كانوا لشدة تواضع النبي صلى الله عليه وآله وسلم وكريم أخلاقه ولطافته ولين جانبه يسيئون عليه الأدب ولا يعطونه ما يستحق من التعظيم والتوقير.

وإذا كان نزول هذه الآية في الشيخين أبي بكر وعمر كما في البخاري وهما من كبار الصحابة فكيف سيكون أدب غيرهما من الصحابة، وقد كان نزول هذه الآية في السنة التاسعة من الهجرة وهي سنة الوفود، ولم يعش النبي ﷺ بعد ذلك إلا سنة تقريباً.

[تصديق الله لرؤيا النبي ﷺ]:

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾﴾ [الفتح]، **في ذلك:**

١ـ أن الوحي قد يأتي الأنبياء عن طريق الرؤيا.

٢ـ أن الشك قد داخل نفوس بعض الصحابة في صدق رؤيا النبي ﷺ لذلك جاءت الآية مؤكدة بعدة تأكيدات.

٣ـ أن مكة تسمى المسجد الحرام لأن المسلين لم يدخلوا الكعبة.

٤ـ أن الحلق والتقصير من شعائر الحج والعمرة.

٥ـ أن الله تعالى يؤخر النصر لمصلحة.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن رؤيا إبراهيم عليه السلام في ذبح ولده إسماعيل عليه السلام ﴿إِنِّي أَرَى فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ...﴾ [الصافات:١٠٢].

وذكر تعالى رؤيا نبينا محمد ﷺ في جيش قريش يوم بدر فقال سبحانه: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا... الآية﴾ [الأنفال:٤٣].

وقال سبحانه: ﴿وَمَا جَعَلْنَا الرُّؤْيَا الَّتِي أَرَيْنَاكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ..الآية﴾ [الإسراء:٦٠].

وكانت الرؤيا التي ذكرها الله تعالى في هذه الآية هي:

أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأى في المنام أن بني أمية ينزون على منبره نزو القردة، هكذا روى الكثير من المحدثين.

فكانت الرؤيا رؤيا حق، وتأويلها ما وقع من استيلاء ملوك بني أمية على منصة الخلافة، وقد كانت خلافتهم فتنة التهمت السواد الأعظم من المسلمين وجرتهم إلى الهلاك والضلال.

والشجرة الملعونة في القرآن هم -كما وردت الأخبار- بنو أمية وفي رواية أنهم بنو أمية وبنو مخزوم.

[تعامل النبي صلى الله عليه وآله وسلم مع زوجاته]:

📖 قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاةَ أَزْوَاجِكَ..﴾ إلى نهاية قوله تعالى: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا۝﴾:

هذه الآيات هي صدر سورة التحريم، وفيها فوائد:

١- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان لطيفاً في معاملته لزوجاته إلى حد بعيد لا يعاملهن إلا بالرفق واللين والسهولة.

٢- أن معاملة الزوجات باللطف واللين والتسامح والعفو سنة مشروعة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وما يترتب على هذه السنة من سوء معاشرة الزوجة لزوجها وطغيانها عليه، وقلة أدبها عليه لا يقلل من شأن هذه السنة، وقد حث النبي صلى الله عليه وآله وسلم على هذه السنة مع علمه بما يترتب عليها من سوء أدب الزوجة مع زوجها فقال صلى الله عليه وآله وسلم: ((خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي))، وفي حديث: ((استوصوا بالنساء خيراً.... الحديث)).

٣- أن الصبر على الزوجة المؤذية لزوجها واحتمال أذاها فضيلة سنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٤- أن النساء غير مأمونات على الأسرار.

٥- لا ينبغي للزوج أن يؤاخذ الزوجة إذا أفشت سره؛ لأنه وضع سره عند من ليس بمأمون على حفظه.

٦- أنه ينبغي احتمال أذى الصاحب المؤذي ومعالجة أذاه بالإحسان إليه.

٧- أنه كان في زوجاته ﷺ زوجتان تبالغان في أذاه إلى أقصى غاية وتتمردان عليه فعالج ﷺ ذلك بالإحسان إليهما لترضيا عنه فلم ينفع ذلك فيهما، فحاول أن يرضيهما بفعل أمرين هما:

أ- حلف لهما أن لا يقرب مارية القبطية وكانتا تغاران منها.

ب- أسر إليهما بسر هو أن أبويهما أبا بكر وعمر ـ سيأخذان بعده الخلافة.

فلم يخفف ذلك من تسلطهما عليه ﷺ فصبر واحتمل الأذى وأغضى حتى رحمه ربه فأنزل تعالى قرآناً يتهددهما فقال تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾﴾ [التحريم]، ثم أتبع سبحانه وتعالى هذا التهديد بتهديد آخر هو التهديد بالطلاق، وأنه تعالى سيبدله بزوجات أفضل منهما فقال تعالى: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبْدِلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَانِتَاتٍ تَائِبَاتٍ عَابِدَاتٍ سَائِحَاتٍ ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾﴾ [التحريم]:

١- لا خلاف بين علماء المسلمين من السنة والشيعة أن المقصود بالخطاب في هاتين الآيتين عائشة بنت أبي بكر، وحفصة بنت عمر بن الخطاب.

٢- أن الصالحين من عباد الله معرضون للابتلاء بالزوجات المؤذيات، وقد ابتلى الله تعالى نبيه نوحاً ونبيه لوطاً عليهما السلام بمثل ما ابتلى به محمداً ﷺ.

٣- ويخطر ببالي هنا استشعار حكمة الله تعالى فيما نرى ونسمع من نحو أن يكون الزوج صالحاً فسيح الصدر صبوراً وتكون زوجته سيئة الأدب شديدة الأذى لزوجها أو العكس فتكون الزوجة هي الصالحة والزوج هو البذيء،

فإن الله تعالى بعلمه وحكمته هو الذي هيأ ويسّر اجتماع مثل ذينك الزوجين؛ لأنه تعالى علم أنه لا يحتمل أذى مثل تلك الزوجة إلا مثل ذلك الرجل، وعلم أنه لا يحتمل أذى الزوج وسوء خلقه إلا مثل تلك المرأة، وبمثل ذلك تعمر الأرض وتستمر الحياة البشرية.

٤- هذه السورة تدل على صدق نبوة النبي ﷺ وصحة رسالته من عند الله تعالى، وذلك من حيث إنه ذكر قصة النبي ﷺ مع زوجاته وما جرى بينهما، ولو كان ذلك القرآن من عند النبي ﷺ ومن تأليفه لما أفشى ما يجري بينه وبين زوجاته ولتكتم على ذلك؛ لأن العادة عند عقلاء الرجال جارية بالتكتم عن إفشاء مثل ذلك.

٥- أن زوجات النبي ﷺ اللاتي كن تحته عند نزول هذه السورة لسن بأفضل نساء العالمين، بل إن في النساء المسلمات يومئذٍ من هن أفضل من زوجات الرسول ﷺ.

٦- أنه يجوز تهديد الزوجة المؤذية بالطلاق، وأن الزوج سوف يستبدل بها خيراً منها في الدين والأخلاق والجمال.

٧- قد يؤخذ من هنا: أن الذي يفارق زوجته المؤذية التي لم يفد معها الإحسان والعلاج ولم يجد الزوج إلى استصلاحها سبيلاً سيعوضه الله تعالى بها خيراً منها.

٨- في الآية تعريض بحفصة وعائشة فيؤخذ منها أن تلك الصفات التي هي: مسلمات، مؤمنات.. إلخ- ناقصات في حفصة وعائشة.

٩- قد يؤخذ من هنا أيضاً أن بعض زوجات النبي ﷺ اغتررن فتوهمن أنهن أفضل النساء، وأنه لا يوجد في النساء من يساويهن، أو من هي أفضل منهن.

١٠- قوله تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ﴾ [التحريم٣] قد يؤخذ منه: أنه لا ينبغي أن يستقصي الرجل حقه من صاحبه، فإذا كان ولا بد فليأخذ البعض من حقه ويترك البعض.

١١- يؤخذ من قوله تعالى: ﴿إِنْ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا وَإِنْ تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةُ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهِيرٌ﴿٤﴾﴾ أن عائشة وحفصة كانتا قد أوغلتا في أذية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنهما أصرتا على مواصلة أذيته، وذلك لأن المبالغة في التهديد تدل على أنهما قد بالغتا في الأذى والتمرد على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

١٢- ينبغي أن يستأن بعقوبة العاصي حتى يذكر بالله، وتعرض عليه التوبة.

١٣- ينبغي للذي يحلف بالامتناع من الحلال أن يحنث في يمينه ويكفِّر، ولا ينبغي أن يصر على الاستمرار في الوفاء بيمينه.

١٤- قد يؤخذ من هنا: أن التحريم بمنزلة اليمين كأن يقول: حرمت على نفسي دخول بيت فلان، أو تكليم فلان، أو أكل اللحم، أو نحو ذلك، أو: اللحم عليّ حرام، أو دخول بيت فلان عليّ حرام، ونحو ذلك.

١٥- في آخر سورة التحريم التكميل لأولها والتتميم له، فقال عز من قائل: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴿١٠﴾...﴾ إلى آخر السورة، فاستفيد من ذلك أن الاتصال بالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والقرب منه بسبب أو بنسب لا يفيد العصاة، ولا يغني عنهم من الله شيئاً، وكأن عائشة وحفصة قد توهتما أن لهما بالقرابة من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حصانة تدفع عنهما عقوبة المعاصي، فمسح الله تعالى هذا الوهم، بما ضرب من المثل بامرأة نبي الله نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، وبامرأة نبي الله لوط عَلَيْهِ السَّلَامُ.

١٦- ويؤخذ من هنا: أن المشروع في حق من علق بقلبه شبهة في دينه أن نبين له الحق ونفصله من جميع وجوهه حتى لا يبقى فيه أي التباس.

١٧- أن فسق الزوج وعصيانه وتمرده على الله تعالى لا يخدش في إيمان زوجته، ولا ينقص من ثوابها، كما أن إيمان الزوج وصلاحه لا ينفع زوجته العاصية،

ولا يقلل من عصيانها ولا ينقص من عقوبتها وجزائها.

١٨- أن شفاعة نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشفاعة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يوم القيامة ليست للعصاة والظالمين والمجرمين والمتمردين على الله الذين لم يتوبوا من عصيانهم، وماتوا على الإصرار، وإذا لم تكن لهؤلاء فلم يبق إلا أن تكون للمؤمنين المتقين الذين ماتوا على التوبة.

١٩- عصيان عائشة وحفصة لا يخرجهما من أمهات المؤمنين فما زالتا من أمهات المؤمنين، وما زال المؤمنون مكلفين بوجوب توقيرهما، وحفظ كرامتهما، والمحافظة على صيانتهما، وعلى الجملة فما وجب للأبوين وجب لهما، وقد أمر الله تعالى بالبر بالوالدين وإن كانا كافرين، وأمر بالمصاحبة لهما بالمعروف، ونهى عن طاعتهما في عصيان الله تعالى.

٢٠- أن طبيعة الحياة الدنيا وهمومها وغمومها ومكدراتها يستوي فيها الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وغيرهم، فليوطن المرء المسلم نفسه على الصبر والرضا، وليعلم أن الذي يحاول أن تصفو له المعيشة يحاول ما لا يمكن.

٢١- أن عباد الله الصالحين أعظم ابتلاءً في هذه الحياة الدنيا، كمريم بنت عمران، وآسية زوجة فرعون، ونوح ولوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ونبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و..إلخ.

٢٢- أن زوجة فرعون ومريم بنت عمران بلغتا في التقوى منزلة رفيعة، وكان لهما من قوة الإيمان والصبر والعزيمة الصادقة، والعمل الصالح ما أهلهما لأن يذكرا في القرآن العظيم، مع من ذكر من أنبياء الله ورسله وصالحي عباده.

٢٣- أن الذي يرفع قيمة المكلف أو يضعه هو عمله لا غير، فلم ينفع زوجة نوح ولوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ شدة صلتهما بنوح ولوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ولم يضر زوجة فرعون شدة صلتها به، فوضع الله تعالى زوجة نوح ولوط عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، ورفع زوجة عدو الله فرعون في الدنيا والآخرة.

٢٤- أنه لا عذر للنساء في اقتراف المعاصي والتقصير في الطاعات بنقصان

عقولهن، فإنه يوجد عندهن من العقل والإدراك ما يصلن به إلى المنازل الرفيعة عند الله في الدنيا والآخرة، كما ذلك حاصل في مريم بنت عمران وزوجة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد صلى الله عليه وآله وسلم، على أرواح تلك النساء سلام الله ورحمته وبركاته، ولولا ما جعل الله تعالى لهن من العقل والإدراك الكافي في باب التكليف لما رفع تلك النسوة الأربع إلى منازل الكرامة عنده، ولما وضع زوجة نوح وزوجة لوط عليهما السلام في أسفل سافلين مع الشياطين والكافرين والفاجرين في عذاب الجحيم، ولما تهدد زوجتي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم عائشة وحفصة بما تلوناه في هذه السورة «سورة التحريم».

٢٥- أن الدنيا دار اختبار ومحن وابتلاء لا دار فرح وسرور، حيث لم يسلم من ذلك حتى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، حتى في جوف بيته مع ما هو فيه من عظيم الابتلاء من خارج بيته.

٢٦- أن إفشاء السر ذنب لا يجوز فعله؛ لأن الله تعالى ذكر قصة إفشاء السر في هذه السورة فساق الذم لبعض أزواج النبي صلى الله عليه وآله وسلم التي أفشت السر.

٢٧- أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم قدر ومنزلة عند بعض زوجاته.

٢٨- لم يذكر الله تعالى في هذه السورة السر الذي أفشته بعض زوجات النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأنه سر للنبي صلى الله عليه وآله وسلم، وإفشاء السر قبيح والله تعالى لا يفعل القبيح، ولعل الروايات التي رويت واشتهرت من أن السر الذي أفشته بعض زوجاته صلى الله عليه وآله وسلم هو أن أبا بكر وعمر سيأخذان الخلافة من بعده صلى الله عليه وآله وسلم قد كانت عرفت واطلع عليها الناس حتى نقلت إلينا من قبل الزوجة التي أفشته حتى اشتهر، لا من قِبَل النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ لأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لا يتوقع منه أن يفشي سره للناس، أو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد وضع سره أيضاً عند بعض أهل الأمانة مثل علي عليه السلام الذي هو موضع سر النبي صلى الله عليه وآله وسلم فلم يحدث به إلا بعد موت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

[فائدة تتبع]

وفي أزواج النبي ﷺ نزل عدة آيات في سورة الأحزاب من قوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ إِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِنْ كُنْتُنَّ تُرِدْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَاتِ مِنْكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾..إلى آخر الآيات﴾.

وموضوع سورة الأحزاب في الجملة يتركز على ذكر ما يلحق رسول الله ﷺ من الأذى من:

١ - المنافقين.

٢ - من زوجاته.

٣ - من عوام المؤمنين.

هذه هي المواضيع الهامة التي يتركز عليها موضوع السورة، وحينئذٍ فيدل ذلك على أن رسول الله ﷺ كان يلقى من زوجاته أذى، ويعاني من سوء أخلاقهن وكثرة مطالبهن ما يزعجه ويقلقه.

فضل زوجات النبي ﷺ:

لزوجات رسول الله ﷺ فضل حصل لهن بزواجهن بالرسول ﷺ وذلك الفضل هو:

١ - أنهن صرن أمهات للمؤمنين.

٢ - أن الله تعالى حرم على المسلمين الزواج بهن بعد رسول الله ﷺ.

٣ -أن الله تعالى سيؤتيها أجرها على الأعمال الصالحة مرتين، ويضاعف ثوابها ضعفين، وبالعكس إذا عصت إحداهن فإن الله تعالى سيضاعف لها العذاب ضعفين.

٤ - أنه يجب عليهن من المبالغة في التصون والتعفف أكثر من غيرهن من المؤمنات لقوله تعالى: ﴿يَانِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب٣٢]..إلى آخر الآيات.

[امرأة نوح وامرأة لوط]:

📖 قال تعالىٰ: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾﴾ [التحريم]:

ضرب الله تعالىٰ هذا المثل لعائشة وحفصة حين جرىٰ منهما ما جرىٰ مما قصه في أول سورة التحريم؛ ليدلهما بذلك علىٰ أن قربهما من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غير نافع لهما مع معصيتهما لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي هذه الآية دليل واضح لا لبس فيه ولا إشكال علىٰ أن مصاحبة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا تنفع صاحبها مع عصيانه لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وذلك أن صحبة عائشة وحفصة للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أخص من صحبة الصحابة؛ فإذا لم تنفعهما صحبتهما مع ما فيها من المخالطة والملابسة، فبالأولىٰ ألا تنفع من صحبته أقل من صحبتهما، وهذا واضح.

[الأمر بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]:

📖 قال سبحانه وتعالىٰ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا..﴾ [الأحزاب:٥٦]، **في ذلك:**

- بيان عظيم شرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورفيع منزلته عند الله تعالىٰ.
- وفيها أن علىٰ المؤمنين أن يعرفوا لنبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منزلته الرفيعة وشرفه العظيم.
- قد يؤخذ من ذلك أن الصحابة أو بعضهم لم يكونوا كما ينبغي من تعظيم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتوقيره، وأنهم كانوا جاهلين بعظيم منزلته، ومقصرين في تقديره.
- أن علىٰ المؤمنين أن يظهروا شرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتوقيره.
- قد قالوا: إن الأمر بالصلاة والتسليم علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمر مطلق لا يدل علىٰ التكرار، والذي ظهر لي أن الأمر هنا بالصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يفيد

التكرار لأمور:

١- تقدم القرينة الدالة عليه، وهي قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ..﴾، فإن الفعل المضارع يدل على تجدد الصلاة مرة بعد مرة واستمرارها من الله وملائكته، فإن ذلك دليل على أن المطلوب من المؤمنين أن يصلوا عليه كذلك، فيستمر منهم تجدد الصلاة عليه المرة بعد المرة.

٢- أن السبب المقتضي للصلاة عليه هو النبوة بما تضمنته من عظيم منزلته عند الله وعظيم شرفه، ووجوب الاهتداء بهديه، والاتباع لدينه، بالإضافة إلى ما أجرى الله تعالى على يديه من استنقاذ الناس من الضلال وإدخالهم في الهدى والنور ﴿هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة:٢] فنعمته صلى الله عليه وآله وسلم على المؤمنين عظيمة، وإحسانه إليهم كبير، وكل ذلك مستمر على المؤمنين غير منقطع، فيلزم المؤمنين أن يصلوا عليه صلى الله عليه وآله وسلم ما داموا في نعمته، وهذا نضير شكر نعم الله تعالى، فإن شكره تعالى واجب مستمر لاستمرار نعمه.

٣- أن الله تعالى يريد أن يحيى دينه وذكره إلى يوم القيامة، وبدوام الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم يحيى دينه وذكره.

فإن قيل: إذا كان المراد التكرار والاستمرار فلابد أن يكون له حد محدود كسائر الفرائض المفترضة، إما بعدد مخصوص في اليوم والليلة أو نحو ذلك التحديد.

فيقال في الجواب: تجب الصلاة عليه صلى الله عليه وآله وسلم كلما وجب ذكره، ويجب ذكره صلى الله عليه وآله وسلم في تشهد الصلوات الخمس، وفي خطبة الجمعة، وقد جاءت بهذا التحديد الروايات الصحيحة.

الشورى:

📖 قال تعالىٰ: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ [الشورى:٣٨]، وقال تعالىٰ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران:١٥٩]:

أمر الله تعالىٰ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يشاور أصحابه في الأمر، ويترتب علىٰ ذلك فوائد:

١- أن يشرع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للولاة ولغيرهم المشورة.

٢- يكسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مودة المستشارين، من حيث أنهم يطمئنون إليه ويميلون بقلوبهم إليه؛ لأنهم يرون أنه إنما استشارهم لثقته بنصيحتهم وبرجاحة عقولهم وحسن رأيهم وتدبيرهم، وهكذا سبيل غير النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٣- سيحضىٰ المستشير في الأمر بدعم مستشاريه في ذلك الأمر ونصرتهم له فيه، والصدق في قيامهم معه وتنفيذه والتعصب لرأيهم حتىٰ يبلغ غايته.

٤- أن يعلم الوالي أو غير الوالي أنه وإن بلغ من وفارة العقل وصفاء البصيرة وقوة الذكاء والفطنة مبلغاً بعيداً، فإنه لا ينبغي له أن يعتمد علىٰ نظره ورأيه، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي هو أبلغ البشر في الذكاء وأقواهم في الفطنة وأزكاهم في فطرة العقل، وأكملهم في هذا المجال- فإن الله تعالىٰ قد أمره أن لا يستبد برأيه. ولعل عند غيره من الرأي السديد ما ليس عنده، وباستشارة العقلاء ينكشف للعاقل اللبيب ما خفي علىٰ عقله الذكي وفطنته النفاذة، ولعل الكثير منا قد عرف هذا بالتجربة.

٥- المشورة ليست من شأن الولاة وحدهم، بل إنها مشروعة لعامة المؤمنين في جميع أمورهم التي تحتاج إلىٰ نظر.

٦- ظاهر الأمر يفيد أنه يجب علىٰ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يشاور أصحابه في الأمور الهامة، وعلىٰ هذا فيلزم الولاة أن يتأسوا به في ذلك، لقول الله تعالىٰ: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ..﴾ [الأحزاب:٢١]، وإنما خصصنا الوجوب علىٰ الولاة دون عامة المؤمنين؛ لأن المقصود بالأمر بالمشاورة في

الآية هو في الأمور الهامة المتعلقة بمصلحة المسلمين العامة ومصلحة دينهم؛ لأن وظيفة النبي ﷺ ومجال عمله هو في هذا الباب.

أما عامة المسلمين فإنهم بمعزل عن أعمال الولاية، فلا تلزمهم المشاورة لبعدهم عن العمل في ذلك المجال.

- وقوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ...﴾ [الشورى:٣٨] يراد به والله أعلم: أنهم يتشاورون في الأمر الذي يهمهم جميعاً، ويتعلق بمصالحهم العامة.
- أما المصالح الخاصة بالمسلم فيندب فيها المشاورة إذا خفي أو التبس على المسلم فيها الصواب والأولى، كأن يتردد في خطبة فلانة أو فلانة أو فلانة، أو يتردد في مجاورة آل فلان أو آل فلان، أو شراء دار، أو مشاركة رجل في تجارة، أو...الخ.
- لم يذكر أحد من العلماء فيما يظهر وجوب المشاورة في المصالح الخاصة، وهذا دليل على أنها ليست بواجبة، وأما الندب فقد جاء عن أمير المؤمنين في الحث عليها آثار كثيرة.

[فوائد من قصة المجادلة ولزوم التأسي بنبينا ﷺ]:

📖 قال تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا...﴾ [المجادلة:١]، **يستفاد من هنا:**

- أن الله تعالى يزيل شكوى من اشتكى إليه من المؤمنين.
- أن المؤمن إذا نزلت به مهمة أو شكوى فليطلب الخروج منها عند الله تعالى بالشكوى عليه وبالدعاء له، وعند العلماء الصالحين فإنهم ورثة الأنبياء وخلفاؤهم.
- أن شكوى الشاكي عند العالم أو الحاكم لا تكون غيبة للمشكي به إذا كان ما يقوله الشاكي حقاً.
- أنه لا حرج على المرأة في الخروج من بيتها إلى بيت العالم أو الحاكم للحاجة.

- أنه لا حرج على المرأة في محاورة الرجل ومجادلته عند الحاجة، وهكذا الرجل.
- أنه لا حرج على المرأة في حضور مجلس القاضي للدعوى أو الإجابة أو الشهادة.
- على الوالي والقاضي والعالم أن يسهل الحجاب للدخول إليه للرجال والنساء، والشريف والوضيع، والقريب والبعيد، ولا يجوز له أن يحتجب عن ذوي الحاجات.

📖 ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ...﴾ [الأحزاب:٢١]:

- على الوالي والقاضي والعالم أو نحوهم أن يتفهم كلام الشاكي ونحوه ويناقشه ويجادله من غير فرق بين شريف ووضيع، أو رجل وامرأة...إلى أن يطلع على مقصود المتكلم وبتحقق معنى كلامه.
- على كل ذي ولاية وإن عظمت مكانته أن يتواضع لكل مسلم فقير أو غني حر أو عبد.
- كما يؤخذ من هنا أن التواضع لا يتسبب في سقوط المنزلة الرفيعة، ولا يخدش في شرف الشريف وعظمة العظيم.
- كما قد يؤخذ من هنا أن انشغال المؤمن بأعمال كثيرة وشاقة لا يكون عذراً له في سقوط بعض الواجبات الأخرى.
- كما يؤخذ من هنا أن حل مشاكل الزوجين من أعمال الولاة ومهامهم، وهكذا سائر المشاكل الاجتماعية.
- وقد يؤخذ من هنا أنه لا يجب على الوالي أن يبحث عن مشاكل زوجية حتى يحلها، وإنما يجب عليه حل ما رفع إليه.
- على الوالي أن يقوم بأعماله ومهامه في مقر عمله، أو في خارج مقر عمله، وفي بيته وخارج بيته، وفي مسجده وخارج مسجده.
- ما أمكن الوالي حله بنفسه فلا يكله إلى غيره.

- ليعلم الوالي أو القاضي أن الله تعالى يسمعه ويراه في معاملته للناس ومكالمته لهم ومجادلته ومناقشته للقوي والضعيف، والغني والفقير، والشريف والوضيع، والرجل والمرأة، والحر والعبد، والقريب والبعيد، ومدى اهتمامه بكل واحد ممن ذكرنا، فليحذر أن يصدر منه تقصير في حق واحد منهم.
- في الآية ما يدل على أنه لم يكن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم حرس وحجاب، يمنعون الناس من الدخول عليه، ومن الوصول إلى حضرته.
- قد يؤخذ من هنا أنه ينبغي للمشكي عليه مُجادلة الشاكي، ليتعرف على صحة شكواه أو ليرده من الخطأ إلى الصواب، وذلك أن كلمة ﴿تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة:١] تدل على اشتراك الفاعل والمفعول في المجادلة.
- أنَّ إصلاح مشاكل الزَّوجين والبحث عن علاجها أمر له مكانة كبيرة عند الله تعالى، وأن ذلك مسؤولية من مسؤوليات الولاة والحكام إذا لزم الأمر.
- ليعلم المصلح بين الزوجين أن الله مطلع على كل ما صدر منه في مجال إصلاحه من قول وفعل ونية، وأنه سيلقى جزاء ذلك فليحسن في ذلك وليخلص نيته ليسلم عند الله تعالى من تبعات تفريطه.

[عبس وتولى]

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ۝٤ أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى ۝٥ فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى ۝٧ وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى ۝٨ وَهُوَ يَخْشَى ۝٩ فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى ۝١٠﴾ [عبس]، **في هذا المقطع فوائد:**

١- الدلالة على أن القرآن من عند الله تعالى، وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صادق فيما جاء به من عند الله، وذلك من حيث إن القرآن لو كان من عند النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما تكلم عن نفسه بمثل هذا الكلام؛ لأن طبائع البشر عامة لا ترضى بأن يعيب المرء نفسه.

٢- أن الأنبياء عليهم السلام غير معصومين عن الخطأ، وأن الله تعالى ينبههم إذا أخطئوا.
٣- أن لطالب العلم حقاً على العالم، وقد يكون هذا الحق فرض عين على العالم إذا لم يوجد في البلاد غيره، وقد يكون فرض كفاية إذا كان أهل العلم أكثر من واحد.
٤- أنه يجب على العالم أن يتلقى طلبة العلم بالاستبشار وطلاقة الوجه والسرور، ولا يجوز له أن يتلقاهم بالتبرم والعبوس.
٥- أنه يجب على العالم إذا استُفْتِي أن يفتي.
٦- طالب العلم والمستفتي هما اللذان يأتيان العالم، وليس على العالم أن يأتيهما.
٧- لا يجب على العالم أن يلاحق المعرض عنه، ولا يشغل نفسه بمتابعته.
٨- على العالم أن يغتفر لطالب العلم ما يحصل منه من أذى للعالم على جهة الخطأ والجهل والغفلة.
٩- أن الواجب معاملة الناس على حسب ما ظهر منهم.
١٠- إذا تعارض عليك أمران فاختر أثقلهما على نفسك.
١١- وعلى المؤمن أن لا يحتقر أحداً أو يستصغره عن القيام بتحصيل أمر، فلعل من احتقره أكفأ من غيره وأقدر على تحصيله وبلوغ الغاية المطلوبة.
١٢- إذا ذكر الرجل بصفة في خَلْقه معيبة للتعريف به فلا يكون غيبة محرمة.

[النهي عن أذية النبي صلى الله عليه وآله وسلم]:

📖 بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا﴿٦٩﴾﴾، وبعدها: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴿٧٠﴾﴾ [الأحزاب]، **في ذلك:**

١- أن بعض المؤمنين من الصحابة كان يصرح باتهام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وذلك نحو: ما روي أن رجلاً من الأنصار قال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهو يقسم غنائم حنين: هذه قسمة ما أريد بها وجه الله، وفي رواية: اعدل يا محمد، ومثل ما روي

أن شملة ضاعت من غنائم بدر فقال رجل: لعل رسول الله ﷺ غلها، فنزل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَغُلَّ﴾ [آل عمران:١٦١].

٢- أن كثيراً من الصحابة ما كان يعرف قدر رسول الله ﷺ، وما هو عليه من الكمال البشري، والمنزلة الرفيعة.

٣- أنه لا ينبغي ولا يجوز توجيه التهم إلى المؤمنين، ولا سيما أهل العلم والفضل، وأنه إذا وجد منهم ما يدعو إلى التهمة فإن الواجب هو الحمل على السلامة مهما أمكن.

٤- أن ذوي العلم والفضل لا يخلوا من سبب أو شبهة سبب يتعلل به أهل الجهل ويتذرعون به إلى توجيه التهم لأهل العلم والفضل، بل إن أنبياء الله تعالى ورسله صلى الله عليهم لم يخلوا من ذلك.

٥- في ذلك تسلية لمن يتلقى التهم ويُرمى بالبهتان من أهل العلم والتقوى وأهل الفضل والإيمان، فإنه يهون عليهم ما يلقون إذا علموا أن أنبياء الله ورسله صلى الله عليهم لم يسلموا من مثل ذلك.

٦- أن الالتزام بقول الحق والصدق سبب لقبول العمل الصالح ومغفرة الذنوب، وقد يكون المراد: أن الله تعالى يوفق المؤمن للعمل الصالح، ويعينه على إتمامه على الوجه الذي يريده الله تعالى، ويكون المراد بمغفرة الذنب أن يوفق الله تعالى المؤمن ويسدده إلى اجتناب معاصي الله وفعل طاعته.

[لا تكونوا كالذين آذوا موسى]:

📖 ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ [الأحزاب]، في ذلك:

- أن بني إسرائيل في عهد موسى عليه السلام اتهموا موسى عليه السلام بمعايب يعاب بها، وتكلموا بها في الناس؛ فبرأه الله تعالى منها بالوحي.
- وأن ناساً من المسلمين على عهد رسول الله ﷺ حاولوا إلصاق

المعايب بالنبي ﷺ، وإلحاق الأذى به.

- فمن ذلك: قذفهم لعائشة زوجة النبي ﷺ بالزنا، وتحدثهم بذلك وإذاعته في الناس.
- ومن ذلك تحدثهم بأنهم سيتزوجون نساءه من بعده.
- ومن ذلك اتهامهم له بالغل من الغنيمة.
- ومن ذلك اتهامهم له ﷺ بمحاباة قرابته.
- كما يؤخذ من ذلك أنه يجب على المؤمن أن يحفظ لسانه فربما خرج من لسانه كلمة لا يلقي لها بالاً تحبط بها أعماله، ويستحق بها غضب ربه.
- ويؤخذ من هنا التسلية للمؤمنين والدعاة والمرشدين إذا سمعوا ما يكرهون ونبزوا بما لم يفعلوا فإنهم إذا علموا أن أنبياء الله ورسله عليهم السلام بما فيهم نبينا محمد ﷺ كانوا يسمعون من المشركين بل ومن المؤمنين ما يكرهون وينبزونهم بالمعايب ويتهمونهم بفعل المآثم إذا علموا ذلك هان عليهم ما يسمعون من الناس وخف وطؤه عليهم، وتحملوا ما سمعوه، وقابلوه بالصبر.

[أذية المنافقين للنبي ﷺ]:

سؤال: قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ...﴾ الآية [التوبة:٦١]، ما هو تفسير هذه الآية؟

الجواب: ذكر الله تعالى في هذه الآية أن من المنافقين من يؤذي النبي ﷺ، ويدخل عليه الأذى من كل باب، ومن ذلك أنهم يتنقصونه وينسبونه إلى البلاهة والغفلة فيقولون: إنه يستمع إلى كل من يحدثه، ويصدق كل من حدثه من صديق أو عدو؛ فأمره الله تعالى أن يجيب على قول المنافقين بأنه وإن كان أذناً يستمع إلى كل من يحدثه فإن سماعه ذلك سماع خير للناس جميعاً: أما المؤمنون فيصدقهم فيما يقولون

لأنهم أهل للتصديق، وأما استماعه لضعاف الإيمان وللمنافقين فاستماعه استماع رحمة لهم لما فيه من الرفق بهم إذ ربما كان استماعه لهم سبباً لجرهم إلى الإيمان.

📖 وقال تعالى: ﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴿٤٨﴾﴾ [الأحزاب]:

في هذه الآية دليل على أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يلقى أذى شديداً، ويتعرض لمخاوف متكاثرة من الكافرين والمنافقين، فنهاه الله تعالى عن أن تصده تلك المخاوف عن تبليغ رسالات ربه، وأمره بأن يتجاوزها متوكلاً على الله الذي يحفظ المتوكلين عليه.

وفي هذه الآية دليل على أن رسل الله عليهم السلام لا يجوز أن يستعملوا التقيَّة في تبليغ رسالات ربهم، ويلحق بهم الأئمة.

وفيها دليل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يلقى العناء الشديد، والمخاوف الكثيرة من المنافقين التي لا تقل عن مخاوف المشركين، ويؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾ [المنافقون].

وفيها أن المنافقين على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كانوا كثرة لها ثقلها وفاعليتها في عرقلة الدعوة الإسلامية.

[المنافقون في سورة التوبة]:

كثر المنافقون في أواخر عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم فامتلأت المدينة بالمنافقين، وكثر أذاهم ودغلهم على النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعلى المؤمنين.

وسبب كثرتهم في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لما فتح مكة أسلمت قريش كرهاً خوفاً من القتل، وسكن أكثرهم المدينة، وقد كان أكثر مسلمة الفتح منافقين ضعاف الإيمان.

فنزلت سورة التوبة بعد غزوة تبوك، وكانت آخر غزوة غزاها النبي صلى الله عليه وآله وسلم فتخلف المنافقون عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فزلزلت أركانهم وفضحتهم،

وذكرت مساوئهم وفضائحهم وأخزتهم، وسنستعرض الآيات الواردة في المنافقين في سورة التوبة:

الآية الأولى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [التوبة]، **وفيها**:

- أن حكمة الله تقتضي أن يفضح الذي تستر بالإسلام، وهو في قلبه غير مسلم ويميزه من المؤمن المخلص.
- وقد جعل الله تعالى غزوة تبوك في أشد الحر، مع بعد تبوك وحاجتها إلى زاد ورواحل- مختبراً يختبر بها المسلمين، ويميز بها بين المخلصين والمنافقين.
- فتميز بهذه الغزوة المؤمنين المخلصين وهم الذين أطاعوا الله وسوله ﷺ في الخروج مع النبي ﷺ إلى تبوك في أشد الحر مع قلة الزاد والظهر.
- وتخلف في المدينة المنافقون الذين كانت نياتهم وقلوبهم مع الكافرين بالمحبة والنصيحة والموالاة.

• وفي هذه الآية:

- أنه لا بد من تَعَرُّضِ المؤمنين للفتنة والاختبار في كل زمان ليميز الله تعالى بالفتنة والاختبار، الصادقين في إيمانهم من المنافقين الكاذبين في إيمانهم.
- وليعلم المؤمن -إذا أحب السلامة من الفتن الجارفة والفتن المضلة- أن سلامته هي في طاعة الله وامتثال أمره، وفي الحذر والتحرز من الوقوع في معصية الله أو التهاون بها، فإنه إذا حافظ على ذلك سلم من الفتنة وثبته الله تعالى على الحق، وحفظه من الانجراف فيها مع المنجرفين.

والدليل على ذلك: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوأَى أَنْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾﴾ [الروم]، وقوله تعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ

عَذَابٌ أَلِيمٌ﴿٦٣﴾ [النور]، وقال سبحانه في أصحاب السبت: ﴿كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿١٦٣﴾ [الأعراف].

- واعلم أن الله سبحانه وتعالى لا يؤاخذ ولا يثيب إلا على الأعمال الظاهرة لا على ما يعلم من حال المكلف، وهو تعالى يعلم المؤمن المخلص، ويعلم المنافق الكاذب في إيمانه، إلا أنه تعالى يكلف المؤمن والمنافق بالجهاد مثلاً فمن جاهد علمه مجاهداً، ومن أبى الجهاد علمه عاصياً، وهو تعالى عالم من قبل أن يكلف بالجهاد من هو الذي سيجاهد ومن هو الذي لا يجاهد.
- تفيد «لَمَّا» في هذه الآية أنها نزلت قبيل التكليف للمسلمين بالتجهيز لغزوة تبوك، فإنها تفيد أنهم لم يكلفوا حال نزولها، وأنهم سيكلفون في وقت قريب جداً.
- وفي الآية: أن المنافقين كانوا قد استراحوا إلى ما هم عليه من التستر بالإسلام، والسعي تحت هذا الستر بالفساد للإسلام والمسلمين، وتنفيذ أحقادهم وخبثهم بالخفاء.

وأن المؤمنين المخلصين قد استاءوا من أعمال المنافقين ودغلهم وشدة مكرهم مع تظاهرهم بالإسلام، وتحيَّروا مما ابتلوا به من فساد المنافقين ومساعيهم بالفساد الماكر تحت ستار الإسلام؛ فنزلت هذه الآية لتبشر المؤمنين بكشف ستار المنافقين، وإظهار خبثهم ومكرهم إظهاراً مكشوفاً للناس عامة، ولتنذر المنافقين بأن الله سيظهر مكرهم وخبثهم.

- وفي هذه الآية أنه سيتميز المؤمن المخلص من المنافق بأمرين اثنين من جمعهما فهو المخلص، ومن لم يتصف بهما فهو المنافق:

١- حصول الجهاد مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٢- قطع الصلات بالكافرين، وتوثيق الصلة بالله وبرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبالمؤمنين.

فمن جمع هذين الأمرين فهو المخلص، ومن خلي من هذين الأمرين فهو المنافق.

- وقال سبحانه: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا ءَابَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ أَوْلِيَاءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ ءَابَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِينَ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- هذه الآيات نزلت في ضعاف الإيمان «المنافقين».
- وأن إيمان المؤمن كلا إيمان إذا لم يتبرأ من الكافرين.
- وأن من مقتضيات الإيمان أن يتبرأ المؤمن من أبيه الكافر وأخيه الكافر وقريبه الكافر.
- وأن ولاية الكافر وإن كان أباً أو أخاً متنافية مع الإيمان، وموجبة لصاحبها اسم الظلم وحكم الظالمين.
- وأن علامة المؤمن أن يؤثر طاعة الله ورسوله ﷺ على ما سواها من الأولاد والآباء والإخوان والأزواج والعشيرة والأموال والتجارة والمساكن، وأن يقدم الجهاد في سبيل الله على كل ذلك.
- وأن علامة المنافق أن يؤثر كل ذلك أو بعضه على طاعة الله ورسوله، وعلى الجهاد في سبيله.

- وأن من يؤثر ذلك على طاعة الله ورسوله، وعلى الجهاد في سبيله- فاسق متمرد على الله، مستحق لعذاب الله.
- وأن المنافق يسمى فاسقاً وظالماً.
- وأن المنافق أو الفاسق أو الظالم لا حظ له في توفيق الله وتسديده وهدايته.
- وأن التوفيق والتسديد والهدى يعطيه الله تعالى لعباده المؤمنين المخلصين.
- هدد الله تعالى هنا المنافقين بقوله: ﴿فَتَرَبَّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ والأمر الذي هددهم الله تعالى به هنا وأمرهم أن يتوقعوا نزوله بهم هو كما يظهر لي الفضائح التي فضحهم الله بها وكشفها للناس وأخزاهم بها بين الناس وأذلهم بها وحقرهم، وصغَّرهم وأقمأهم وأهانهم، وألحق بهم من العار والشنار ما لا يقدر قدره، وقد ذكر الله تعالى كل ذلك في هذه السورة «سورة التوبة».
- وقد دلت هذه الآيات على أن كثيراً من المؤمنين كانوا يوالون أقاربهم الكافرين، ويناصحونهم، ويميلون إليهم، وأن موالاتهم لهم أكثر من موالاتهم لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وللمؤمنين.
- ودلت على أن كثيراً من الصحابة على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانوا منافقين، وأنهم كانوا يظهرون ميلهم بحبهم إلى أقاربهم الكافرين، وإلى أموالهم وتجاراتهم ومساكنهم وأزواجهم، وأنهم كانوا يعتذرون عن طاعة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بميلهم وحبهم لذلك.
- يبدو من خلال النظر في هذه الآيات أن كثيراً من المؤمنين «المنافقين» شكوا في حصول النصر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والمؤمنين حين دعاهم إلى الخروج إلى تبوك للجهاد، فذكَّرهم الله تعالى حين شكوا نصره لهم في مواطن كثيرة ونصره لهم في يوم حنين، وفي ذلك دليل على العمل بالقياس، وذلك من حيث أرشدهم الله تعالى إلى أن يقيسوا ما يأتي من أفعال الله بهم على ما مضى؛ فإنه إذا نصرهم على عدوهم فيما مضى، فإنه سينصرهم عليه فيما سيأتي.

- وفي ذلك: أن نصر الله على الأعداء لا يكون بكثرة العدد والعدة، وإنما يكون بالاعتماد على الله، وبالتوكل عليه، وبالالتجاء إليه، وبالتضرع بين يديه، والدعاء له بالنصر، وبكثرة الذكر له تعالى.
- وأن الإعجاب معصية توجب أن يرفع الله تعالى نصره وتأييده وإعانته عن ذوي العجب، ويحرمهم من كرامته، ويتركهم وشأنهم، ويكلهم إلى ما أعجبهم.
- أن جيش النبي صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين كانوا قسمين اثنين:

١-قسم هم المعجبون بكثرة الجيش، وهم القسم الأكبر.

٢-وقسم لم ينظروا إلى الكثرة ولم يعجبوا بها، وهم المخلصون الذين امتحن الله قلوبهم بالإيمان.

فأما القسم الأول فلم يلبثوا عند نشوب الحرب حتى ولوا هاربين، وأما القسم الثاني وهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعدد قليل لم يتجاوز العشرة فثبتوا للعدو، وقاتلوا قتالاً شديداً؛ فأنزل الله سكينته عليهم، وأنزل جنوداً تؤيدهم؛ فصبروا على القتال، وأوغلوا في قتل العدو حتى أنزل الله تعالى عليهم نصره.

- وفي هذه الآيات أن الله تعالى سيتوب على بعض الكافرين الذين حاربهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يوم حنين، وذلك إذا أسلموا وحسن إسلامهم وصدقت نياتهم، وأنه سيتوب على بعض المعجبين بأنفسهم يوم حنين الذين ولوا مدبرين، وتركوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في وسط العدو راغبين بأنفسهم عن نفسه، وذلك إذا تابوا إلى الله وخلصت نياتهم وحسن إسلامهم.
- وفي هذه الآيات دليل على أن الصحابة المخلصين المتحققين بحقائق الإيمان قلة قليلة.
- وفيها دليل على بطلان مذهب أهل السنة والجماعة في الصحابة، حيث جعلوهم جميعاً ثقاة وعدولاً من غير استثناء.
- في غزوة أحد عفا الله تعالى عن الفارين وتاب عليهم، وفي غزوة حنين لم

يذكر تعالى عفوه عن الذين ولوا مدبرين، ولعل السبب في ذلك أن غزوة أحد كانت من أول المعارك في الإسلام، وأول مركب صعب، ولم يسبق للمسلمين قبلها تجارب عسكرية فاقتضت الحكمة الربانية العفو عن الهاربين من المعركة.

أما غزوة حنين فإنها من آخر غزوات النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد ضَرِي المسلمون بالحروب وكثرت ممارستهم لها، وقد استحكم علم المسلمين بعظم معصية الفرار من الزحف، وعلموا قبح الفرار من عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقبح ترك الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحده وسط العدو، فلم يكن هناك وجه في الحكمة يقضي بالعفو عنهم، إلا أن الله تعالى فتح باب التوبة على مصراعيه للتائبين إذا صدقوا في توبتهم فقال تعالى في هذه الآيات: ﴿ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَى مَنْ يَشَاءُ﴾ [التوبة:٢٧].

📖 وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّا تَنْفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [التوبة]، في هذه الآيات:

- أن الجم الغفير من الصحابة والكثرة الكاثرة منهم كانوا ضعاف الإيمان، يميلون إلى الراحة والسكون والدعة ولا يبالون بأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين يأمرهم بالجهاد.
- والدليل على أن هذا النوع هو الكثرة الكاثرة من الصحابة هو أنه لو كان

القليل منهم هم المتثاقلين عن الجهاد لم يبال بهم، ولما توجه إليهم اللوم والذم؛ لوجود من يغني عنهم، ولأنه لا يخلو أهل كل دولة من حثالة من الناس لا يسمعون ولا يطيعون.

- وأنهم قد بلغوا من التمرد على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والاستخفاف بأمره حداً يستدعي نزول القرآن بالتهديد الصريح والذم القبيح.
- وأن إيمانهم إيمانٌ مدخول لا قيمة له عند الله ولا وزن.
- وقد أعلمهم الله تعالى حين تمردوا عن طاعة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنه غني عنهم، وأنهم لا يضرون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا يضرون دينه بعصيانهم وتمردهم، وأنه سيعذبهم إن أصروا على التمرد، وسيتبدل بهم غيرهم، وأن الله تعالى قادر أن ينصر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن لم ينصروه، فقد نصره يوم خرج من مكة وحيداً، ومنعه من قريش وصدورهم تجيش عليه حنقاً.
- ويتمثل نصر الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم خرج من مكة واستخفى في الغار فيما يأتي:

١- أن الله تعالى سلمه من سيوفهم، ومن أن يحتجزوه ويقيدوه.

٢- أن الله تعالى أعمى أبصارهم عن رؤيته، وقد وقفوا على فم الغار.

٣- أن قريشاً عادوا خائبين لم يبلغوا ما أرادوا من قتل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو حبسه.

٤- أن هذا الخروج من مكة كان سبباً لنشر دين الإسلام وقيام دولته، وسبباً نتج عنه قتل قريش في بدر، ثم فتح مكة، ثم هزيمة الشرك في جزيرة العرب وسيطرة دين الإسلام فيها، فهذا هو النصر الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية.

- صاحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الغار هو أبو بكر بن أبي قُحافة، ويظهر من الآية أن أبا بكر خاف حين كان في الغار مع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين سمع قريشاً يدورون حول باب الغار، واشتد هلعه وظهر عليه ذلك، ولم

يستطع أن يخفيه، فوعظه الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقال له: ((لا تحزن يا أبا بكر ولا تخف من قريش، فإن الله تعالى معنا وهو ناصرنا، وحافظنا من كيدهم وشرهم)).

- وذكر الله تعالى فيما هنا أن الله تعالى أنزل سكينته على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دون أبي بكر، وأمده بجنود من الملائكة تطمئنه وتحفظه، فلم يداخل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شيء من الخوف والحزن، أما أبو بكر فلم يكن له حظ من السكينة لذلك اشتد حزنه وظهر خوفه وارتباكه.
- وعظ الله تعالى المؤمنين في هذه الآيات بمواعظ بالغة، وتهددهم بتهديدات تبعث على الخوف.

📖 ثم قال تعالى: ﴿انْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٤١﴾﴾ [التوبة].

📖 وقال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴿٤٢﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن المنافقين لم يستجيبوا لأوامر الله تعالى الآمرة لهم بالخروج للجهاد مع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولم تؤثر فيهم التهديدات القرآنية، وذلك دليل على عدم تصديقهم بالإيمان.
- وقوله: ﴿ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴿٤١﴾﴾ دليل على أن المخاطبين غير متحققين بحقائق الإيمان، إذ لو كانوا متحققين بحقائقه لعلموا أن النفور للجهاد مع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خير لهم من التخلف عنه.
- وفي ذلك أن المخاطبين هم من أهل الدنيا الراغبين فيها، وليسوا من الراغبين في ثواب الله ورضوانه ورحمته.
- وأنهم كانوا يبررون تخلفهم باختلاق أعذار لا وجود لها، ويؤكدون أعذارهم ويوثقونها بالحلف بالله.

- وأنهم في الواقع إنما يوقعون أنفسهم بالحلف بالله وبالأعذار الكاذبة في الهلاك والضياع وخسران الدنيا والآخرة.
- وفي هاتين الآيتين يكشف الله سترهم، ويبين كذبهم.
- فضحت غزوة تبوك المنافقين، وكشفت سرائرهم ودواخل نفوسهم.

📖 ثم قال جل جلاله وتعالى سلطانه: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ﴿٤٣﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن أناساً من المنافقين استأذنوا رسول الله ﷺ في القعود عن الجهاد معه، والخروج إلى تبوك- فأذن لهم، فعاتبه الله تعالى على إذنه لهم؛ لأن الله تعالى يريد أن يكشف بهذه الغزوة سرائر المنافقين ويظهر كذبهم في إيمانهم.
- وقد تلطف الله تعالى في هذا العتاب لرسوله ﷺ، فخاطبه أولاً بالعفو عنه فقال: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ ثم خاطبه بالعتاب على ما فعل.
- وقد كان المفروض أن يتبين النبي ﷺ أهل الأعذار الصادقة وأهل الأعذار الكاذبة، فيأذن لذوي الأعذار الصادقة، ولا يأذن لذوي الأعذار الكاذبة.
- والسر والحكمة في تقديم العفو في الآية على العتاب هو الرفق بالرسول ﷺ لئلا يصطدم بالعتاب من الله تعالى، وقد علم الله تعالى أنه لو لم يرفق به في الخطاب والعتاب لتفطر قلبه ﷺ حزناً.

📖 ثم قال تبارك وتعالى: ﴿لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ﴿٤٥﴾﴾ [التوبة]،

في ذلك:

- أن علامة الإيمان والإخلاص هي طاعة الرسول ﷺ.
- وعلامة النفاق هي معصية الرسول ﷺ.
- وعليه فإن إصرار العصاة على معاصيهم سواء أكانت المعصية شرب خمر أو

زنا أو أكل أموال الناس بالباطل، أو رفض أوامر الجهاد مع الرسول ﷺ أو مع أئمة الهدى...إلخ - يدل على نفاق وشك في نفس العاصي.

- وأن من شأن المؤمن المبادرة إلى امتثال أمر الرسول ﷺ للجهاد أو لغيره، وأن من شأن المنافق الاعتذار عن فعل ما أمر به الرسول ﷺ.

📖 ثم قال سبحانه وتعالى: **﴿وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ۝٤٦﴾** [التوبة]، **في ذلك:**

- أنه لا نية للمنافقين في الجهاد على الإطلاق لا في هذه الغزوة «تبوك»، ولا فيما تقدمها من الغزوات.
- هذه القضية شرطية ويسميها أهل المنطق: قياساً استثنائياً، وتدل على أن القياس الاستثنائي دليل قطعي، وقد أقام ﴿كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ﴾ مقام: ولكنهم لم يريدوا الخروج..إلخ.
- وقد استثنى في هذا القياس نقيض المقدم والنتيجة تكون نقيض التالي.
- كراهة الله تعالى لخروج المنافقين مع رسول الله ﷺ إلى تبوك هي من أجل ما سيحدث منهم من الفساد والإفساد للمجاهدين، لا لأجل أن الله تعالى يكره منهم الجهاد مع الرسول ﷺ.

📖 ثم قال سبحانه: **﴿لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ۝٤٧﴾** [التوبة]، **في ذلك:**

- بين الله تعالى هنا السبب والعلة التي من أجلها كره الله تعالى خروجهم مع النبي ﷺ والمسلمين الذين خرجوا إلى تبوك.
- فبين تعالى أنه لا يحصل من المنافقين لو خرجوا مع المسلمين إلى تبوك أي نفع وأي مصلحة، وأن الذي يحصل منهم لو خرجوا معكم هو الضرر لكم أيها المسلمون والفساد عليكم، ولو خرجوا فيكم لأسرعوا بدخول

الفساد بينكم، ولرموا بالفساد بين كل جماعة وبين كل اثنين؛ لأنهم يريدون أن يفتنوكم عن دينكم، ويردوكم عنه، وصدورهم تغلي عليكم حقداً وعداوة، يترصدون لكم الفرص للنكبة بكم، ولإلحاق الغوائل بكم؛ فهذا هو السر والحكمة في كراهة الله تعالى لخروج المنافقين إلى تبوك مع الرسول ﷺ والمسلمين.

- ويتبين من هذه الآية أن صحابة الرسول ﷺ كانوا ثلاث طبقات هي:

١- طبقة المنافقين، وهي التي تخلفت عن الخروج مع النبي ﷺ.

٢- وطبقة المستبصرين في الدين، الذين بلغت بهم بصائرهم في الدين إلى حدٍّ لا تؤثر فيهم دعايات المنافقين وترويجاتهم وحيلهم.

٣- وطبقة المؤمنين الذين قصرت بصائرهم عن إدراك دسائس المنافقين وحيلهم ومكرهم ودعاياتهم، ولم يكن عندهم من البصائر ما يحفظهم من حيل المنافقين ودسائسهم، وهذه الطبقة هي التي قال الله عنها في تلك الآية: ﴿وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ﴾.

📖 ثم قال سبحانه: **﴿لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾﴾** [التوبة]**، في هذا:**

- أن المنافقين كانوا من أول أيامهم يسعون في هلاك رسول الله ﷺ وفساد أمره، وفي فساد أصحابه وفتنتهم عن دينهم، وتوصلوا إلى ذلك بأنواع الوسائل، وسلكوا في ذلك كل السبل، وأعملوا كل الحيل- فخيب الله تعالى مساعيهم في كل ذلك، حتى نصر الله رسوله ﷺ، وأظهر أمره وأعلى كعبه.

- وفي ذلك أن الإخلاص في الدعوة إلى الله والصبر على الأذى في سبيل الله، والحرص على تقوى الله وامتثال أمره- سبب في النجاح، وطريق إلى بلوغ الغاية على رغم أنوف المفسدين والحاسدين والمنافقين.

- وأن نصر الله تعالى يأتي بالتدريج.
- وأن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين قد عانوا في سبيل دعوتهم إلى الله من المنافقين معاناة شديدة ولقوا منهم متاعب وعراقيل وأذى وتعرضوا لمخاطر ومهالك عظيمة، لولا عصمة الله وحفظه لأوليائه لوقعوا فيها ولأخفقوا عن الوصول إلى الغاية.
- وفيما هنا تنبيهٌ للدعاة إلى الله إلى ما سيواجهون في سبيل دعوتهم، والتنبيه لهم إلى سبيل النجاة من كيد الكائدين، وكيف يواجهون ما يلقاهم في طريقهم من المنافقين.
- وفي هذه الآية وما تقدمها في سورة التوبة ما يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين لا يعرفون أكثر المنافقين إلا بعد أن عرفهم الله تعالى في هذه السورة.
- وفيها أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم والمؤمنين وإن انتصروا على المشركين وهزموا الشرك تماماً فإن لهم عدواً آخر مستتراً بين صفوفهم يتحين الفرص للانقضاض عليهم والفتك بهم، فعليهم أن ينتبهوا لهذا العدو ويتحذروا منه، فإن خطورته عظيمة لا تقل عن خطورة المشركين، بل إنها قد تكون أعظم خطراً عليهم، ﴿هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ۝٤﴾ [المنافقون].

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ۝٤٩﴾ [التوبة]، في ذلك:

- اعتذر المنافقون بأعذار كاذبة في تخلفهم عن الخروج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك، وهذا واحد من أعذارهم الكاذبة، فقد اعتذر بعضهم كما في هذه الآية بأنه يخشى فتنة نساء بني الأصفر إن خرج مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم إلى تبوك.
- وقد يؤخذ من هنا أن خوف الرياء من الصلاة في المسجد لا يبرر ترك الصلاة فيه، بل الواجب مدافعة الرياء والحضور للصلاة في المسجد،

وهكذا لا يجوز ترك الجهاد لخوف الوقوع في معصية بل يجب الجهاد ويجب ترك المعصية، وعلى المكلف أن يكلف نفسه بالأمرين ويحملها على التقوى، وامتثال أمر الله وطاعته فيما أمر ونهى.

- وفي ذلك فضيحة للمنافقين وخزي وتكذيب لهم وأنهم غارقون في الفتنة، وفيها الشهادة عليهم بالكفر.

📖 ثم قال تعالى: ﴿إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- الدليل الدال على عداوة المنافقين المتخلفين عن غزوة تبوك، وذلك أنهم يستاؤون إذا ظفر الرسول ﷺ بنصر أو غنيمة أو خير، وإذا لحقه ﷺ مصيبة فرحوا، ثم يتمدحون بأنهم ذوو فطنة وذكاء، لا يدخلون مداخل الهلكات، ولا يركبون مراكبها، ولو أن المؤمنين أطاعوا واستمعوا لآرائهم لم يلحقهم ما لحقهم، ولكنهم حمقاء يتعسفون الأمور، ويدخلون فيها على غير بصيرة.

- وفي ذلك دلالة واضحة للمنافقين -لو كانوا يعقلون- على صدق نبوة النبي محمد ﷺ، وذلك من حيث أخبر بدخائلهم قبل وقوعها، وبسرائرهم التي أسروها وتكتموا عليها.

- وفيها أن حبال المودة ووصائلها بينهم وبين النبي ﷺ والمؤمنين منقطعة.

- وأنهم طرف آخر معادٍ للإسلام وأهله.

- وأنهم تظاهروا بالإسلام زوراً وبهتاناً.

- وأنهم أحبوا أن يدخلوا في الإسلام ويتظاهروا به، وأن ينسبوا إليه.

- وأنهم يكرهون أن يطلع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون على دخائلهم وسرائرهم.
- وأنهم يخشون أن يطلع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنون على حقيقة أمرهم، وأنهم يحذرون ذلك أشد الحذر، ويتحرزون أشد التحرز.
- فنزلت تلك الآيات في سورة التوبة ففضحتهم وأزعجتهم وأقلقتهم وأخزتهم، وهتكت أستارهم، وقبحت أمرهم في قرآن يتلوه الرجال والنساء والصغار والكبار آناء الليل وأطراف النهار إلى يوم القيامة.
- وفي ذلك: التخييب للمنافقين في مساعيهم ضد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين، وذلك حيث أخبرهم أنه لا يصيب المؤمنين إلا ما كتبه الله لهم دون ما دبره المنافقون؛ لأن الله هو مولاهم وناصرهم وحافظهم وقد توكلوا عليه واعتمدوا، ودخلوا في حصن ولايته، وكفى به حافظاً وناصراً، فليجهد المنافقون جهدهم، وليبلغوا ما أرادوا من مكرهم وحيلهم، فلن يصل من ذلك إلى المؤمنين شيء إلا بإذن الله.
- وإن وصل إليهم شيء فلن يصل إلا واحد من أمرين، كلاهما حسن:

١-النصر والغنيمة.

٢-الشهادة في سبيل الله.

وكلاهما مطلب عظيم ودرجة محبوبة يسعى لها المؤمنون، ويدعون الله تعالى أن يبلغهم إياها.

- أما المنافقون فإن المتوقع حصوله والمنتظر نزوله بهم هو واحد من أمرين أيضاً:

١-أن يصيبهم الله بعذاب من عنده.

٢-أن يأذن الله تعالى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمؤمنين في قتل المنافقين والتنكيل بهم.

- وفي هذا تحذير وإنذار للمنافقين ليتركوا ما هم عليه من النفاق والكيد للمسلمين، وابتغاء الغوائل لهم.
- وفيه: التطمين للمؤمنين من كيد المنافقين، وأن لا يكترثوا بهم وبمكائدهم.

- ﴿فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴿٥٢﴾﴾ في هذا نوع من الحرب ضد المنافقين، وهي ما تسمى اليوم «الحرب النفسية»، ولا ينبغي للمسلمين أن يغفلوا عنها اليوم ضد أعدائهم في الداخل والخارج فإن لها دوراً عظيماً في التخفيف من الضغوط المعادية.
- ولا يخفى أنه لم يصدر من النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن المؤمنين أي حرب وقتال ضد المنافقين سوى ما ذكرهم الله تعالى به في هذه السورة، وفي سورة المنافقين، وفي سورة النساء، وفي أول سورة البقرة، وفي سور أخرى، وهو ذكر مخازيهم وكشف أستارهم ونشر سرائرهم ودخائلهم، وما يلحق بذلك من الحرب النفسية، وإرهابهم وإرعابهم، أما القتل والجرح وأخذ أموالهم وأولادهم وأهليهم فلم يصدر منه شيء على الإطلاق حتى مات صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَّلَ مِنْكُمْ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ﴿٥٣﴾ وَمَا مَنَعَهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ﴿٥٤﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن ما قدمه المنافقون من الإنفاق في سبيل الله أو الوجوه المقربة إلى الله لا تغني عنهم شيئاً، ولا يكتب لهم أجرها وثوابها؛ لأنهم عند الله من أهل النار، وأهل النار لا ثواب لهم ولا أجر، إنما الأجر والثواب لأهل الجنة.
- وأن المنافقين كانوا يتسترون على كفرهم بالإنفاق والصلاة فكشف الله تعالى عنهم هذا الستر، وأظهر حقيقة أمرهم للناس، وأعلن الحكم عليهم بالكفر بالله وبرسوله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
- أن من علامات النفاق ثقل الصلاة عليهم، فلا يقومون إليها إلا وهم كسالى ومتثاقلون، ولا يعطون الصدقات بطيبة من أنفسهم، بل لا يعطون ما أعطوا منها إلا وأنفسهم كارهة لإعطائها.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴿٥٥﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن ما أعطى الله المنافقين من الأموال والأولاد ليس لكرامتهم عليه.
- وأن كثرة المال والولد فتنة.
- وأن كثرة المال والولد نعمة من الله وفضل، وقد ينعكس ذلك فيصير نقمة وعذاباً لصاحبه.
- فإذا رأيت كثرة المال والولد مع الظالمين والمتمردين على الله- فاعلم أن ذلك عليهم نقمة وعذاب.
- واعلم أن المال والولد صار نقمة وعذاباً من حيث أن المنافقين لما لم يشكروا الله على نعمه وتمردوا على الله وعلى رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وعصوا ربهم وتنكروا له- تحولت قلوبهم إلى حب المال والولد بدلاً عن حب الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، فتوجهت عنايتهم وحرصهم إلى المحافظة على أموالهم وأولادهم والحياطة لها، فيسهرون الليل من أجل ذلك، ويتعبون في النهار؛ فهم في ليلهم ونهارهم في جهد جهيد، وتعب مضنٍ، وقلق دائم، وإذا أخرجوا زكاة ذلك للنبي صلى الله عليه وآله وسلم تحسروا على إخراجها، وأحزنهم دفعها، ومرضت قلوبهم على ما نقص من أموالهم في الزكاة؛ لأنهم لا يرجون ثواباً عليها، بل يعدونها مغرماً.
- ثم بعد ذلك تملأ قلوبهم هماً وغماً خوفاً من زكاة العام الآتي، وخوفاً من أن يسألهم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم أن ينفقوا في سبيل الله، وإذا دفعوا زكاة فلا يوفونها، ثم هم في تعب متواصل حرصاً وطمعاً في تنمية أموالهم وحراستها من الطامعين فيها من كل قريب وبعيد، ويكاد حبهم لأولادهم أن يقتلهم خوفاً عليهم من نوائب الزمان وحوادثه ومصائبه، فلا يهدأ لهم بال، ولا تطمئن لهم نفس، ولا يلذ لهم طعام ولا شراب ولا نوم؛ لخوفهم وقلقهم

على أولادهم وأموالهم، فلا يزالون في عناء ونصب وهم وحزن، وغفلة عن كل شيء إلا عن أموالهم وأولادهم إلى أن يأتيهم الموت وهم غافلون عن دعوة النبي ﷺ، فيلقون الله تعالى وهم كافرون، فيعذبهم في الآخرة على كفرهم، وعلى أموالهم التي جمعوها من غير حلها، وأنفقوها في غير محلها، ومنعوا منها الحقوق التي أوجبها الله تعالى عليهم.

- وقد يؤخذ من هنا أن قلة المال خير من كثرته.
- وأن النظر ومد البصر إلى ما فيه أهل الأموال من الترف والزينة مكروه.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ۝٥٦ لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ۝٥٧﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن الخوف والقلق قد شغل المنافقين، فهم لذلك لا يزالون يحلفون بالله للمؤمنين إنهم منهم وعلى دينهم، وإنهم صادقون في الإيمان متحققون به، وفي الواقع أنهم ليسوا بمؤمنين، وإنما هم منافقون يسرون في قلوبهم الكفر، ويتظاهرون بالإسلام.
- وأن الضرورة هي التي أحوجتهم إلى النفاق، والتظاهر بالإسلام.
- ولو وجدوا سبيلاً إلى مفارقة المسلمين لأسرعوا إليه لما هم عليه من الخوف والقلق من المسلمين.
- وفي ذلك: بيان حال المنافقين وما هم عليه من النفاق والخوف، وكشف سرائرهم وأخبارهم التي يتكتمون عليها غاية التكتم، ويخافون من كشفها.
- وأنهم كلما حاولوا الستر على نفاقهم وسرائرهم بنحو الحلف بالله زاد الله تعالى في فضيحتهم وكشف سترهم.
- وفي ذلك أيضاً تصديق ما تقدم في أول سورة التوبة وهو قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا

مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾ [التوبة:١٦]، **فصدق الله** تعالى فإنه لم يترك المؤمنين على ما هم عليه بل كشف أوضح الكشف عن دخائل المنافقين وسرائرهم وأخبارهم، وميزهم أوضح تمييز وأظهرهم على حقائقهم، وبين كذبهم في إيمانهم.

📖 ثم قال سبحانه: **﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾** [التوبة]، **في هذا:**

- بيان صفات من صفات المنافقين هي:
  - أنهم يعيبون رسول الله ﷺ في أخذه للصدقات، ويتهمونه بأكلها وأخذها لنفسه.
  - وأن رضاهم عن رسول الله ﷺ هو في أن يعطيهم منها نصيباً.
  - وسخطهم عنه هو في أن يحرمهم منها.
  - وأنهم لم يكونوا على صفات المؤمنين في الرضا عن الله ورسوله في حالة العطاء والحرمان.
  - وفي هذا التنفير من صفات المنافقين والتقبيح لها، والإرشاد إلى ما ينبغي أن يكون عليه المؤمن من الرضا عن الله ورسوله ﷺ والرغبة إلى الله في قضاء الحوائج وإعطاء الرغبات.

📖 ثم قال جل جلاله: **﴿إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾** [التوبة]:

- حسم الله أطماع الطامعين في الزكاة فحصرها وقصرها على هؤلاء الأصناف المعدودين في هذه الآية دون غيرهم، وفرضها لهم فرضاً من دون سائر الناس.

- والفقير هو: من ليس بغني، والغني في الشرع هو من لا يملك ما تجب في مثله الزكاة، أي الذي لا يملك نصاباً من الأنصباء التي أوجب الله فيها الزكاة، فالذي يملك نصاباً من الذهب أو نصاباً من الفضة أو نصاباً من الطعام أو التمر أو الزبيب أو نصاباً من الإبل أو البقر أو الغنم أو من أموال التجارة، فمن كان كذلك فهو غني في الشرع.
- والغني في العرف هو من يُعَدّ غنياً عند أهل بلاده، وذلك كمن يملك أراضٍ لها قيمة كبيرة أو يملك فندقاً أو عمارة كبيرة، أو ما أشبه ذلك مما له قيمة كبيرة، يمكنه أن يبيع منه ما يغنيه.

إذا عرفت ذلك فمن كان غنياً في الشرع أو في العرف فلا حظ له في الزكاة.

- والمسكين: أسوأ حالاً من الفقير.
- والعامل على جمع الصدقة يعطى منها على عمالته.
- والمؤلفة قلوبهم هم الذين لا ينصرون الإمام إلا بجعالة يجعلها لهم، فللإمام أن يرضخ لهم منها.
- والرقاب هم المكاتبون، فإنهم يعانون منها لفك رقهم.
- والغارمون هم المتحملون للديون، فيعطون منها ما يغطي ديونهم.
- وسبيل الله هو المصالح العامة والقتال في سبيل الله.
- وابن السبيل هو المسافر الذي انتهت نفقة سفره فيُبَلَّغ منها.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة]:

- من المنافقين طائفة مولعون بأذية النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويفترون له المعائب، ويحاولون إلصاقها به صلى الله عليه وآله وسلم.

- من ذلك أنهم يقولون: إن رسول الله أذنٌ، أي: أنه رجل مِسْمَاعٌ، ذو غفلة يصدق كل من حدثه، لا يفرق بين صادق وكاذب، هكذا قالوا.
- فرد الله تعالىٰ عليهم بأنه:

١- يصدق بالله تعالىٰ، ويقبل ما جاءه من عنده، ويستسلم له وينقاد، وهذا هو مقتضىٰ الإيمان.

٢- ويصدق المؤمنين المخلصين؛ لأنهم متقون لله لا يقولون إلا الحق، خوفاً من الله وتعظيماً لله ولرسوله ﷺ.

٣- ويستمع للمنافقين إذا حدثوه، ويغضي عن الرد عليهم ويتكرم عن ذكر خبثهم ومكائدهم، ويحاول الستر عليهم، ويحاول أن يتألفهم ويستميل قلوبهم، فلا يقابلهم بما يكرهون، ولا يصدر منه ما ينفر قلوبهم عنه، وهذا منه ﷺ رحمة بهم، فلعلهم يرجعون ويتوبون وتصلح نياتهم، فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وكان هذا خلقه الذي جبله عليه ربه.

- وفي هذه الآية وعيد للذين يؤذون النبي ﷺ، وقد يكون ذلك الوعيد في الدنيا والآخرة، وقد يكون في الآخرة.
- وفيها أن النبي ﷺ لم يقاتل المنافقين، وإنما يبين معائبهم التي أوحاها الله تعالىٰ إليه.
- ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ بالغ المنافقون في عيب النبي ﷺ فقالوا: إن جسم النبي ﷺ كله أذن، يريدون بذلك أن كل واحد من الناس يستطيع أن يستغفل النبي ﷺ ويخدعه ويغره بالكلام.
- ولو كان المنافقون يعقلون لعرفوا أن إغضاء النبي ﷺ عنهم وعن كلامهم، وسكوته عن الجواب عليهم- هو في صالحهم، وهو خير لهم مما لو رد عليهم بما يستحقون من الرد.

📖 ثم قال تعالىٰ: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ۝٦٢ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ

نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَا تَحْذَرُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- لما انكشفت سرائر المنافقين وظهرت دخائلهم على الساحة بادروا إلى المؤمنين يحلفون لهم بالله أنهم منهم، وأنهم ما غيروا ولا بدلوا، وأنهم على ما المؤمنين عليه، يريدون بذلك أن يرضى عنهم المؤمنون.

ولو كانوا مؤمنين حقاً لبادروا بالتوبة إلى الله وإلى سوله ﷺ، فالله جل جلاله ورسوله أحق أن يطلب رضاه.

- وفي ذلك بينة من البينات الدالة على نفاقهم.
- إذ لو كانوا يعلمون بما توعد الله المعادين لله ولرسوله ﷺ من الخزي العظيم في نار جهنم لأقلعوا عن عداوة الله ورسوله ﷺ وتابوا منها.
- من المستغرب أن يحذر المنافقون ويتوقعوا أن تنزل آيات القرآن مخبرة للنبي ﷺ وللمؤمنين بما في قلوب المنافقين إذ من المفروض أن من أيقن بنزول القرآن من عند الله أن يؤمن بالله، وبما أنزله من القرآن.
- ولكن أولئك المنافقين شذوا بنفاقهم عن القوانين الطبيعية فأيقنوا بنزول القرآن من عند الله ثم كفروا به.
- كان المنافقون يستهزئون بالنبي ﷺ وبالمؤمنين وبشرائع الدين، وكان هذا ديدنهم.
- ثم إن الله تعالى أنزل في القرآن أنه سيكشف سرائرهم التي يتكتمون عليها، وأنه سيفضحهم ويظهر نواياهم ودخائلهم التي يحذرون من كشفها، وهذا تهديد لهم لعلهم يتوبون إلى الله ويستغفرونه قبل أن يكشف الله سترهم.

- وإذا سألهم الرسول ﷺ أو المؤمنون عما صدر منهم من استهزاء وسخرية- اعتذروا وقالوا: إنما كنا نخوض ونلعب، ولم نقل ذلك عن جد وعقيدة.
- فأمر الله تعالى رسوله ﷺ ألا يصدقهم في اعتذارهم بل يقول لهم: بل كنتم تستهزئون وتسخرون بالله ورسوله وآياته حق الاستهزاء، وتسخرون حق السخرية بجدٍّ ونية وعقيدة.
- أنه يحرم الاستهزاء والسخرية بالعلماء وبالمتدينين وبكتب العلم والهداية وبالصالحين وبالعُبّاد.
- وأن الاستهزاء والسخرية بالعلم والدين دليل الكفر والنفاق.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿**لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعْفُ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ﴿٦٦﴾**﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن المنافقين قد كفروا باستهزائهم بالله ورسوله وآياته.
- وفيه الخبر من الله أن طائفة من هؤلاء المستهزئين سيتوبون بعد ذلك، وأن من عدا هذه الطائفة لا يتوبون عن نفاقهم وكفرهم.
- يريد المنافقون أن يغطوا ما أظهر الله من نفاقهم بالاعتذارات وبالحلف بالله، ولكن الله تعالى يزيد في فضائحهم وكشف أسرارهم كلما اعتذروا أو حلفوا، فلا يزيدهم الاعتذار والحلف إلا فضيحة وكشفاً لأسرارهم.
- وفيما هنا دليل على أن الإيمان باللسان لا ينفع إلا مع الالتزام بطاعة الله ورسوله ﷺ، أما إذا لم يصحبه التزام فلا ينفع، بل يكون عدم الالتزام دليلاً على النفاق.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿**الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنْكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿٦٧﴾**﴾ [التوبة]،

في ذلك:

- أن المنافقين والمنافقات صنف من الناس لهم طبائع مطبوعة فيهم، هي على الضد من طبائع المؤمنين والمؤمنات.
- وتلك الطبائع هي: حُبُّ المنكر، وكراهة الحق والمعروف، والبخل.
- لذلك تراهم يأمرون بالمنكر، ويدعون الناس إليه، وينهون عن الحق والمعروف، ويصدون الناس عنه.
- وإذا كانت طبائعهم كذلك فلا يتأتى منهم الدخول في الإسلام والعمل بشرائعه.
- وما مثلهم في ذلك إلا كمثل الصرصور: يكره النور وينفر عنه، ويأنس إلى الظلام ويسكن إليه، ويطمئن إلى العفونات المتعفنة، ويتخذ له بين تضاعيفها مسكناً، يبيض هناك ويفرخ، ويمسي ويصبح.
- إذا كان حال المنافقين كذلك فلا يمكن أن يحصل منهم الإنفاق في سبيل الله، أو الجهاد مع رسول الله ﷺ أو مع أولياء الله.
- ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ أي تركوا طاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فتركهم الله من رحمته وثوابه.
- ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴿٦٧﴾﴾ أي: أن المنافقين بسبب طبائعهم الخبيثة خرجوا عن حدود الطبائع الطاهرة، وتجاوزوها، وشذوا عنها، وأصروا على شذوذهم وأقاموا عليه، وأنسوا به وألفوه، فلا يتأتى منهم تركه والإقلاع عنه.
- وفي ذلك إشارة إلى أن المنافقين أعداء للإسلام ولنبي الإسلام ﷺ وللمسلمين.
- وأن على المسلمين أن يكونوا على حذر منهم.
- وأن على المسلمين أن يراقبوا حركات المنافقين وسكناتهم، وأن يتحرزوا من مكائدهم وحيلهم.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ ﴿٦٨﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن الشهادتين «أشهد ألا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله ﷺ» لا تنفع صاحبها إذا لم يصحبهما عمل صالح.
- وأن الشهادتين إذا لم يتبعهما السمع والطاعة لله ولرسوله ﷺ يكون صاحبهما منافقاً.
- وأن المنافق في درجة الكافر الصريح.
- وأن المنافق والكافر من أهل الخلود في نار جهنم.
- وأن المنافق أسوأ حالاً عند الله من الكافر، وذلك من حيث أن الله تعالى قدمه هنا في الذكر.
- وأنه كان هناك على عهد رسول الله ﷺ منافقات يكدن الإسلام ويسعين في فساده والصد عنه.

📖 ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- إن المنافقين كانوا ذوي أموال كثيرة وأولاد كثيرين.
- وأنهم كانوا متنعمين في حياتهم الدنيا في أموالهم وأولادهم.
- وأن الله تعالى بسط لهم مع ذلك في أعمارهم وصحة أبدانهم.
- وأنهم في خلال تنعمهم كانوا يخوضون في الاستهزاء بدين الله وبرسوله وبالمؤمنين، وفي اختراع الحيل والمكائد لرسول الله ﷺ وللمؤمنين، وفي السعي لإلحاق الأذى برسول الله ﷺ وبالمؤمنين.
- وأن المنافق تحبط حسناته وأعماله الصالحة في الدنيا والآخرة.

- وحبط حسنات المنافق في الدنيا هي بأن رسول الله ﷺ والمؤمنين لا يعتدون بها في الدنيا، ولا يمدحون صاحبها، ولا يثنون عليه بها، وفي الآخرة لا تغني عنه من عذاب الله شيئاً.
- وجه الشبه بين المنافقين وبين الذين من قبلهم هو أن كلاً من الفريقين تمتع في الدنيا بما أعطاه الله فيها من الأموال والأولاد والصحة والعافية والعمر، واشتغل في عمره بالتكذيب والاستهزاء بآيات الله، وسعى في الكيد لله ولرسله ولأوليائه، ثم كان حظه أن حبطت حسناته وأعماله الخيرية في الدنيا والآخرة بسبب سوء سريرته، وصار من أهل الخسران في الدنيا والآخرة.

📖 ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝٧٠﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن المنافقين مصممون على ما هم عليه من حيث السرائر.
- وأنهم قد عرفوا ما أحل الله تعالى بالمكذبين برسله والمعاندين لهم والمستهزئين بهم.
- وأنهم قد عرفوا ما جاءهم به رسول الله ﷺ من البينات الدالة على صدق النبي ﷺ فعاندوا بعد استحكام معرفتهم بها.
- وقد كان من المفروض أن العاقل إذا عرف صدق الوعيد أن يتقي فعل أسبابه، ولكن المنافقين لسوء تدبيرهم لم يقلعوا عن أسباب الهلكة.
- أن الله تعالى يقص في كتابه الكريم قصص الأمم السابقة لتعتبر بها هذه الأمة، ولتتحذر من الوقوع في مثل ما وقعوا فيه؛ لئلا يصيبهم مثل ما أصابهم.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ

اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن للمؤمنين علامات هي على الضد من علامات المنافقين، وهي:
  - إخلاص المودة والمؤاخاة فيما بينهم، ومناصرة بعضهم لبعض.
  - ديدنهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
  - يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة.
  - يطيعون الله ورسوله.
- وأهل هذه العلامات هم أهل الوعد برحمة الله وحسن ثوابه، وكبير رضوانه.
- وقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾﴾ يفيد أن الله تعالى سينصر المؤمنين في الدنيا، ويرفع قدرهم، ويمكنهم، ويوسع عليهم، ويخزي عدوهم.

📖 ثم قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٧٣﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أمر الله تعالى نبيه والمؤمنين بجهاد الكفار والمنافقين، أما جهاد الكفار فهو قتالهم بالسيف، وأما جهاد المنافقين فهو جهادهم بالحجة وذكر مخازيهم، وهتك أستارهم، وكشف أسرارهم، وذلك بتلاوة ما أوحاه الله تعالى إليه من أخبارهم وفضائحهم في هذه السورة.
- **وفيه:**
  - أن المنافقين لا يعاملون –وإن أظهروا الإسلام– معاملة المؤمنين.
  - وأنه يجب أن تكون في معاملة المنافقين غلظة يتميز بها معاملة المؤمن والمنافق.
  - ويلزم أن تكون الغلظة ظاهرة ليميز الله الخبيث من الطيب.

- وذلك ليجمع الله لهم بالغلظة الخزي في الدنيا والآخرة.

ثم قال تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ عَذَابًا أَلِيمًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٧٤﴾﴾ [التوبة]، في ذلك:

- أراد المنافقون أن يغطوا على نفاقهم بالحلف بالله فحلفوا للنبي ﷺ وللمؤمنين.
- ففضحهم الله وكشف عن كذبهم وفجورهم في أيمانهم، وأكد أنهم قد قالوا الكفر، وشهد الله عليهم بالكفر بعد إسلامهم.
- وبين أنهم هموا بالفتك بالنبي ﷺ، ولكنهم أخفقوا فيما عزموا عليه، وخيب الله مسعاهم، وردهم خائبين.
- وبين أنه لا مبرر لعزمهم على الفتك برسول الله ﷺ إلا إحسانه ﷺ إليهم وفضله عليهم حتى صاروا أغنياء، فكفروا نعمته ﷺ وبطروها فأقدموا على الأمر العظيم وهو الفتك بالنبي ﷺ فسلمه الله منهم وخيب مسعاهم، وفضحهم الله، وكشف عن نواياهم، وعما هموا به.
- فتح الله تعالى للمنافقين بعد اجتراحهم للجرائم العظيمة باب التوبة، ودعاهم إليها رحمة منه تعالى لعباده ﴿مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ [النساء].
- وأوعدهم إن لم يقلعوا عما هم عليه من النفاق والخبث عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.
- وإذا لحقهم عذاب الله في الدنيا فلا يجدون من يدفع عنهم أو ينصرهم.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ عَاهَدَ اللَّهَ لَئِنْ آتَانَا مِنْ فَضْلِهِ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا آتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ بَخِلُوا بِهِ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ

مُعْرِضُونَ ﴿٧٦﴾ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ يَلْقَوْنَهُ بِمَا أَخْلَفُوا اللَّهَ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ﴿٧٧﴾ أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنَّ اللَّهَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٧٨﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن من علامات المنافقين:
  - أنه يعد فيخلف وعده.
  - ويعاهد فيغدر في عهده.
  - ويقول فيكذب.
- وفيه: الشهادة لصحة الحديث: ((آية المنافق ثلاث....الحديث)).
- وفيه: أنه يجب الوفاء لله بما أوجبه المكلف على نفسه من نذر أو صدقة أو عبادة.
- وأن النذر يصح بالمعدوم ويلزم الوفاء به.
- وأنه يصح النذر المعلق على شرط.
- وأن ارتكاب معاصي الله يسبب النفاق في القلب.
- الآية الأخيرة تدل على أن المنافقين كانوا ناوين لعدم الوفاء من أول الأمر.
- **وفي ذلك:**
  - أنه يصح النذر ولو لم يعين مصرفه بل ولو لم يذكر المصرف رأساً.
  - وأنه يصح تعيين المصرف فيما بعد.
  - وأنه تصح اليمين على فعل أمر مستقبل.

📖ثم قال سبحانه: ﴿الَّذِينَ يَلْمِزُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن المنافقين كانوا يسخرون من المؤمنين الذي يذهبون بصدقاتهم إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ويتنقصونهم جميعاً.
- ويسخرون ممن يأتي بصدقة قليلة، وممن يأتي بصدقة كثيرة.

- وأن المؤمنين المخلصين غنيَّهم وفقيرَهم كانوا يتطوعون بالصدقات ويذهبون بها إلى رسول الله ﷺ لينفقها في سبيل الله وعلى المساكين.
- وأن المؤمنين مدعوون إلى التصدق بصدقات التطوع.
- وأن المفروض أن تسلم صدقة التطوع إلى ولاة الأمور الصالحين ليوزعوها على مستحقيها.
- ﴿سَخِرَ اللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾ سخر المنافقون من المتصدقين فمقتهم الله على صنيعهم وغضب عليهم وأعد لهم على نفاقهم وسخريتهم من المؤمنين عذاباً أليماً في الدنيا والآخرة.

📖 ثم قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن الصحابة كانوا يفزعون إلى النبي ﷺ إذا صدر منهم معصية ليستغفر لهم: ﴿فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران:١٥٩]، ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾﴾ [النساء].
- فكان المنافقون يذهبون إلى النبي ﷺ ليستغفر لهم لا رغبةً في مغفرة الله وطمعاً في عفوه وخوفاً من بأسه، ولكن ليغطوا على نفاقهم ويُدَلِّلُوا بذلك على انخراطهم في سلك المخلصين، ويموهوا بذلك على النبي ﷺ والمؤمنين.
- في ذلك تأكيد بأن الله تعالى لا يغفر للمنافقين والكافرين والفاسقين، وأنه لا تقبل فيهم شفاعة الشافعين لا شفاعة رسول الله محمد ﷺ ولا غيره.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلَافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- ذمَّ الله تعالىٰ المنافقين بعدة مذام في هذه الآية:

١- بقعودهم في المدينة حين خرج رسول الله ﷺ إلىٰ غزوة تبوك.

٢- بفرحهم بالقعود حين خرج الرسول ﷺ إلىٰ تبوك.

٣- وبكراهتهم للجهاد بأموالهم مع رسول الله ﷺ.

٤- وبكراهتهم للجهاد بأنفسهم مع رسول الله ﷺ.

٥- وبإدلائهم برأيهم ﴿لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ﴾ ليخذلوا المسلمين عن الخروج للغزو مع رسول الله ﷺ.

وفي ذلك دليل علىٰ أن تلك الخمسة الأرقام محرمة.

- وأنه لا يجوز الإدلاء برأي من شأنه توهين أمر النبي ﷺ أو الإمام.
- وأن إدلاءهم برأيهم ليس إلا تخذيلاً أو تهرباً من الجهاد.
- وفيه: بيان حال المنافقين وما هم عليه.
- وكشف سترهم وتوضيح سرائرهم وأخبارهم.
- وفيه وعيدٌ للمنافقين.

📖 وقال سبحانه وتعالىٰ: ﴿فَإِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تُصَلِّ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن يعاقب المنافق الذي ظهر نفاقه بحرمانه من القيام بأي عمل مع الوالي لا في الجهاد ولا في غيره؛ لأنه أشد لظهور أمره، ولأن في دخوله في عمل مع الوالي ما يوهم صلاحه وتوبته، والله سبحانه وتعالىٰ يريد كشف ستره علىٰ الدوام.
- وأن الله تعالىٰ يريد خزي المنافق وصغاره.
- وأنه تحرم الصلاة علىٰ جنازة المنافق.
- ويحرم تشييع جنازته، وحضور تقبيره.

- وأنه تحرم الصلاة على الفاسق عن أمر الله.
- وهذه الأحكام من شأنها أن تميز بين المخلص والمنافق تمييزاً عاماً على الساحة الإسلامية.
- في الآية الأولى ما يدل على أن المنافقين الذين نزل فيهم ما نزل من القرآن نوعان: نوع لا يرجى صلاحهم على الإطلاق وهم الذين أمر الرسول ﷺ بأن يمنعهم من الخروج للقتال معه أبداً، وقسم قد يرجى صلاحهم، وهم الذين لم يؤمر النبي ﷺ بمنعهم من الخروج معه.
- وفي ذلك: أن النبي ﷺ كان يصلي قبل نزول النهي على موتى المسلمين: المنافقين منهم، والمخلصين.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَأَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك**:

- أن ما بأيدي المنافقين من الأموال الكثيرة، وما لهم من كثرة الأولاد ليس لكرامتهم عند الله، ولا لأنهم أهل لذلك العطاء، بل إنه ليس إلا نقمة وعذاباً يعذبهم الله به في الحياة الدنيا.
- كثرة أموالهم وأولادهم سبب لأمرين:
  ٦- يعذبون بها في الحياة الدنيا.
  ٧- الموت على الكفر.
- ولا يخفى أن المنافقين هم الذين تسببوا في جعل كثرة الأموال والأولاد سبباً للعذاب في الدنيا والموت على الكفر، لا أن الله تعالى هو الذي جعل ذلك سبباً للعذاب والكفر، وذلك لأن الله تعالى ينعم ويتفضل على من يشاء من عباده بكثرة المال والولد، ومركوز في فطر البشر أن المال والولد نعمة وفضل لا نقمة وعذاب، إلا أن الإنسان بشؤمه يحول تلك النعمة وذلك الفضل إلى نقمة وعذاب، وقد قال تعالى: ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴿٧﴾﴾ [إبراهيم].

- وفي ذلك: أن على المؤمن ألا ينظر إلى أهل الأموال وكثرة الأولاد نظر إعجاب وتعظيم لما هم فيه من النعمة، وعليه أن يعلم أن نظر الله له خير من نظره لنفسه، وأن ما هو فيه من القلة خير وأفضل مما عليه أهل الأموال الكثيرة.
- وأن عليه أن يحمد الله تعالى ويشكره على ما هو فيه من قلة المال والولد، وأن يستعظم ذلك في نفسه.

📖 ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمِنُوا بِاللَّهِ وَجَاهِدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُو الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَكُنْ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- من طبائع المنافقين الأغنياء وعلاماتهم أن الرسول ﷺ إذا دعا للخروج إلى الجهاد يستأذنونه في القعود وعدم الخروج.
- وفي ذلك: أن الإيمان والجهاد قرينان متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر.
- أن كثرة مال المنافقين وأولادهم كان سبباً لتنازلهم عن الرجولية وعزة الرجال وشهامتهم، وسبباً للرضا بالانخراط في منازل النساء.
- أن عقول المنافقين منكوسة بسبب النفاق، فيقعون في أسباب المهانة، ويلبسون ثياب الذلة، وهم يظنون أنهم يحسنون الاختيار لأنفسهم.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- بيان علامات المؤمنين المميزة لهم عن المنافقين، وذلك أمران:

٨- جاهدوا بأموالهم.

٩- وجاهدوا بأنفسهم.

وأثابهم الله تعالى بنوعين من الثواب:

١٠- لهم الخيرات.

١١- والفوز والفلاح.

- وفي ذلك ما يدل على أن إيمان المنافقين ليس بإيمان، وأنهم لم يدخلوا بذلك في زمرة المؤمنين.
- وأن المؤمنين قسمان:

١٢- قسم آمنوا مع الرسول ﷺ وهم المخلصون.

١٣- قسم آمنوا وهم المنافقون.

وهذا التقسيم أفاده مفهوم الصفة ﴿مَعَهُ﴾.

- وأن المؤمنين تميزوا عن المنافقين في الحياة الدنيا وفي الآخرة، أما في الحياة الدنيا فلهم الخيرات، وأما في الآخرة فالفلاح والفوز بثواب الله ومغفرته وجنته، بخلاف المنافقين الذين آمنوا بأفواههم وأبطنوا الكفر في قلوبهم فيلس لهم من ذلك حظ ولا نصيب، بل لهم الخزي في الدنيا والفضائح وكشف السرائر، والخوف الدائم، والقلق المتواصل، ولهم في الآخرة عذاب جهنم وبئس المصير.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- تصنيف للمتخلفين عن الخروج مع النبي ﷺ إلى غزوة تبوك:

١٤- فصنف هم من الأعراب، ولا يخفى أن الأعراب غالباً يتصفون بالجفاء، وقلة المعرفة والغفلة.

١٥- وصنف كذبوا الله ورسوله، وهم الذين آمنوا بألسنتهم ثم لم يفوا لله ولرسوله ﷺ بشيء مما التزموه من لوازم الإيمان.

- وفي ذلك الوعيد للمنافقين بعذاب أليم في الدنيا والآخرة.

- وأن المتخلفين كانوا أيضاً قسمين:
  ١٦- قسم جاءوا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يطلبون منه أن يعذرهم في التخلف عنه.
  ١٧- وقسم لم يأتوه ليأذن لهم في التخلف.
- وفي ذلك أيضاً: أنه لا يجوز للمؤمن أن يترك الواجب ولو أذن له الرسول أو الإمام إذا كان إذنهما لأجل عذر لا صحة له في الواقع.
- وأنه لا يجوز للمؤمن أن يعتذر عن الواجب بعذر لا حقيقة له، أو بعذر غير واضح -وإن كان في الظاهر عذراً-.

📖 ثم قال سبحانه وتعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَاءُ رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴿٩٣﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أنه يعذر المؤمن عن الجهاد بواحد من ثلاثة أعذار:
  ١- ضعف البدن.
  ٢- المرض.
  ٣- عدم نفقة السفر والجهاد، وعدم المركب للسفر البعيد.
- وأنه إذا عذر المؤمن عن الخروج للجهاد بواحد من هذه الأعذار فلا يعذر عن النصيحة لله ولرسوله ولدينه.
- وقد ذكر الله تعالى أعذاراً أخرى في مكان آخر غير ما ذكر هنا وهي العمى والعرج.
- أن أهل الأعذار المعذورين عن الجهاد من المحسنين الموعودين بالمغفرة والرحمة.
- أنه يحسن البكاء حزناً على فوت طاعةٍ لله.

- وأن على المؤمن أن يحاول التوصل إلى تحصيل أسباب الامتثال لأمر الله ورسوله ﷺ، وأن يكون حريصاً على إيجادها.
- قسم الله المتخلفين إلى قسمين:
  ١- قسم معذور وهم الأصناف التي ذكرناها.
  ٢- وقسم غير معذور وهم الأغنياء.
- التخلف مع النساء والقعود عن الجهاد مذمة ذميمة، ونقص قبيح لا يرضاه الرجال، وتأباه طبائعهم، ولكن المنافقين رضوا بتلك المذمة وذلك النقص، وسعوا إليه وطلبوه؛ لأن فطر عقولهم قد تدنست بدنس الكفر والنفاق، فلم تعد تستقبح القبيح، ولا تنفر منه.

📖 ثم قال تعالى: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَا تَعْتَذِرُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- معجزة بينة للنبي ﷺ وذلك من حيث إخباره بالغيب المستقبل.
- وأنه لا يجب قبول عذر المعتذر الكاذب في عذره.
- وفيه: الوعيد للمنافقين من ثلاث جهات:
  ١- أن الله تعالى سيعلم أعمالكم أيها المنافقون في كيد الإسلام، وسيريكم في الدنيا جزاءً عاجلاً يخزيكم فيه.
  ٢- وأنه تعالى سيعذبهم على أعمالهم كلها يوم القيامة.
  ٣- وأن الله تعالى سيكشف لرسوله سرائرهم ودسائسهم الخبيثة.
- أنه لا يحسن تصديق المنافق ولا قبول عذره.
- وفيه: كشف أستار المنافقين للمؤمنين المخلصين.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا

يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- معجزة بينة للنبي ﷺ وهي الإخبار بالغيب المستقبل.
- وأن المنافقين لا يقتلون.
- وأن جزاءهم مؤجل إلى يوم القيامة.
- أنه لا يجوز الرضا عن المنافقين ولا تصديقهم ولو بالغوا في الأيمان.
- وأن العلة في سخط الله عليهم هو تجاوزهم لحدود الله.
- ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ علة لوجوب الإعراض عنهم.

📖 ثم قال تعالى: ﴿الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أنه يكره تعمد البوادي بالسكنى فيها، لما في ذلك من تعريض الذرية للجهل، وللتطبع بطبائع الأعراب.
- أن طبائع الأعراب أقسى من طبائع المدنيين.
- وأن كفرة الأعراب أشد كفراً من كفرة المدن، ومنافقيهم أشد نفاقاً من منافقي المدن.
- وأن عقول أهل المدن أصفى من عقول أهل البادية.
- وأن الجاهل لا يعذر بالجهل المتعلق بأصول الديانة.
- وفي ذلك التشهير بفضائح المنافقين وجهلهم، أعرابهم وحضرهم.

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَائِرَ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرُبَاتٍ عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن الأعراب منقسمون:

- فقسم منهم منافقون يعد ما أنفق في سبيل الله خسارة وغرامة، لا يرجو فيها عوضاً من الله ولا ثواباً منه تعالىٰ.
- وهو في نفاقه ينتظر الخلاص من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن المؤمنين، ويتوقع أن تحل بهم الدوائر المهلكة.
- وقسم من الأعراب مخلصون في إيمانهم، يحتسب ما أنفق من ماله في سبيل الله، ويراها قربة عند الله يرجو ثوابها منه، ويقصد مع ذلك التوصل بنفقته إلىٰ دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
- أنه لا يضر النية ولا يبطلها إضافة شيء مما يحبه الله فيها، كأن تعطي زكاتك الفقير لوجه الله تعالىٰ ولكونه ذا رحم، أو لكونه قد أحسن إليك، أو ليدعو لك.

📖 ثم قال جل جلاله: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- أن الصحابة قسمان:

١- الذين سبقوا إلىٰ الإسلام ودخلوا فيه من المهاجرين والأنصار، ومن الممكن أن نقول: المراد بهم الذين أسلموا قبل فتح مكة لقوله تعالىٰ: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد:١٠].

[تابع ذكر المنافقين]:

📖 ثم قال سبحانه: ﴿وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [التوبة]،

في ذلك:

- أن المنافقين مولعون بإلصاق المعايب بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقصدهم من وراء ذلك تنفير الناس عنه.
- وأنهم يقصدون إلى أذية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.
- و ﴿هُوَ أُذُنٌ﴾ أي: يصدق كل من حدثه صادقاً أم كاذباً، ويستمع إلى من حدثه ويقبل حديثه من غير فرق بين الصادق والكاذب؛ فأجاب الله تعالى على المنافقين في عيبهم هذا لنبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنكم عبتموه أيها المنافقون بما ليس بعيب في الواقع؛ فأما تصديقه للمؤمنين المخلصين فهو تصديق في محله.
- وأما استماعه لكلام المؤمنين «المنافقين» فذلك تكرم منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورحمة منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث يستر عليهم نواياهم في حديثهم إليه، ولا يجبههم بما يسوؤهم، وقد كانت سجيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الإغضاء والإعراض عن معايب الناس ومساوئهم والستر عليها.

فليس استماعه وسكوته عن كلام المنافقين لتصديقه له واغتراره به.

هكذا أدب الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ...﴾ [آل عمران:١٥٩].

[بعض أعمال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المعارك]:

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾﴾ [آل عمران]، **في ذلك:**

- أنه ينبغي اختيار أول اليوم في الشروع في الأعمال المهمة، كتجهيز الجيوش، وكالغارات على الأعداء ﴿فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا ﴿٣﴾﴾ [العاديات].
- وأن إمام المسلمين هو الذي يتخذ قرار الحرب والسلم.

- وأنه هو الذي يتولى التخطيط والتنظيم للحرب.
- وأنه يكون هو القائد العام في الحروب.
- ويلزم بناءً على ذلك- أن يكون عند الإمام من الرأي والتدبير ما يكفي.
- وأن القائد يختار الأرضية المناسبة لتكون ساحة للقتال.
- وأن على الجيش أن يطيع القائد في تنفيذ أوامره وتطبيق مخططاته.
- وأنه لا ينبغي الدخول في حرب إلا بعد التخطيط لها.
- وأن إمام المسلمين يتولى بنفسه كل شؤون الحرب، ولا يترك ذلك إلى نوابه وهو يستطيع المباشرة بنفسه.
- وأنه لا ينبغي لولاة المسلمين النوم في الغدوات؛ لأنها الأوقات المباركة التي تتخذ فيها قرارات الحل والإبرام.
- قد تكون المصلحة في توزيع المقاتلين وتفريقهم على مواقع، يرابط كل أهل موقع في موقعهم لا يبرحون عنه كما فعل الرسول ﷺ في غزوة أحد.
- وقد تكون المصلحة في أن يصُفَّ القائد المقاتلين صفاً محكماً، ويزحف بهم على العدو كما ذكر الله تعالى في قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ ﴿٤﴾﴾ [الصف].
- وقد تختلف المصلحة في التخطيط، فيخطط الإمام والقائد لكل معركة على حسب ما تقتضيه الحال، ففي زمننا هذا قد تغير أسلوب الحروب، فلزم لذلك تغيير التخطيطات لها.

[في المجاهدين في سبيل الله]:

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قال تعالى في المجاهدين في سبيل الله: ﴿مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ

مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾﴾ [التوبة]، **في ذلك:**

- الظمأ: العطش، والنصب: التعب، والمخمصة: المجاعة، وكل واحد من هذه الثلاثة هو ألمٌ يلحق المجاهد، والذي يظهر لي أن الثواب على ذلك هو ثواب على الصبر على العطش والتعب والجوع، وعلى احتساب ذلك في سبيل الله وابتغاء رضوانه، أما الألم نفسه فلا يستحق عليه المكلف ثواباً، وإنما يستحق عليه الأعواض؛ لأن الثواب إنما هو على الأعمال.
- وقد يستحق المجاهد على كل واحد من تلك الثلاثة الآلام الثواب، وذلك بسبب نية المجاهد حين دخل في الجهاد، فإنه ينوي أن يتحمل كل ما يلحقه في سبيل الله من ألم كبير أو صغير، فبهذه النية يكتب له ثواب كل ألم يلحقه في سبيل الله.
- نزلت هذه الآية في غزوة تبوك وكان الوقت يومئذ شديد الحر، فرغبهم الله تعالى بذكر الثواب على ما سوف يلحقهم في سفرهم إلى تبوك من العطش وتعب الحر والسفر وألم الجوع.
- وأنهم سيحظون بالأجر والثواب من الله في كل مسير ساروه في تلك الغزوة، وفي كل نزلة نزلوها، وفي كل مرحلة قطعوها، بل وفي كل خطوة نقلوها.
- في هذه الآية أن جماً غفيراً من أهل المدينة وكثيراً من الأعراب الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عصوا أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بتخلفهم عن الغزو مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.
- كان ذلك في آخر عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وبذلك ينكشف المخلصون من الصحابة وغير المخلصين.
- وفي ذلك ما يبطل مذهب أهل السنة والجماعة من عدالة وثقة جميع الصحابة.

- وفي ذلك أن من شأن المؤمن أن يكون حريصاً على طاعة الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى اكتساب الثواب والأجر.
- وفيها أن المؤمنين على عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متفاوتون في الإيمان والإخلاص.
- وأنه ينبغي أن يقود الإمام الغزوات الهامة، ويتولى قيادتها بنفسه ويباشرها بشخصه، ولا ينبغي أن يكلها إلى غيره.
- وقد باشر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الغزوات الهامة وقادها بنفسه، وذلك في بدر وأحد والخندق وخيبر وفتح مكة وغزوة الطائف «يوم حنين» وغزوة تبوك، وهكذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه باشر حروبه وقادها بنفسه في يوم الجمل وصفين وحرب الخوارج، وهكذا أئمة أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ كما ذلك مشهور وفي التواريخ مسطور.
- وينبغي أن تراعى المصلحة في حضور الإمام ميدان المعركة أو عدم حضوره، فإن المصالح تختلف باختلاف الأحوال والأزمان.
- وكان الهادي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول عند مبايعته بالإمامة: (ولكم عليَّ أن أتقدَّمكم عند اللقاء، وأقدمكم عند العطاء)، ولا يخفى أن حضور الإمام ميدان المعركة، ومباشرته للحرب بنفسه يستدعي إخلاص أتباعه، وحسن ظنهم به.
- وفي هذه الآية وفي غيرها من آي القرآن أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يتولى إدارة الدولة، فكان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتولى قيادة الجيش، وقيادة الحروب، ويتولى القضاء بين الناس، ويقيم الحدود، ويتولى الإصلاح بين الناس حتى بين الزوج وزوجته، وبين الأمة وسيدها، وبين الأخ وأخيه، وبين الابن وأبيه، و..إلخ.

وكان يدير جمع الصدقات وتوزيعها على أهلها، ويدير الغنائم ويوزعها، ويتفقد أمور الرعايا صغيرها وكبيرها، ويصلح ما يحتاج إلى إصلاح، وكان يتولى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ويعلِّم الناس الشرائع

والأحكام، ويعلمهم دينهم، ويعلمهم الأخلاق ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة، ويعلمهم العبادات والمعاملات.

وكان يتولى إقامة شعائر الإسلام بنفسه، وكان يستقبل الوفود بنفسه، ويضيفهم من ماله، ويجيزهم مما بيده، ومع قيامه بشؤون الدولة الإسلامية أكمل قيام فإنه ﷺ كان يقوم الليل مصلياً تالياً للقرآن، كما جاء في سورة المزمل.

- قد كان الواجب على كل مسلم أن يقي نفس الرسول ﷺ بنفسه في الحروب، وأن يثبت معه في القتال حيث ثبت، ولا يجوز للمؤمن أن يفر من عند رسول الله ﷺ ويتركه للعدو، وينبغي أن يكون لإمام المسلمين في هذا الحكم مثل ما كان لرسول الله ﷺ.

[وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن...]:

📖 قال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَاقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى...﴾ إلخ [الأحقاف]، **في ذلك فوائد:**

١- في قص ذلك علينا لطف لنا وعبرة من حيث أن الجن -نفراً منهم- وهم أبعد العقلاء عن الدين استهدوا بهدي القرآن، وخشعوا لسماعه، وآمنوا بآياته، وصدقوا ببيناته.

٢- أن على العالم أن يعلم الجاهل ما يجب عليه.

٣- أنه ليس للجن رسل منهم، وأن في رسل البشر ما يغني ويكفي، وأن في القرآن ونحوه من الكتب الحجة الكاملة على الجن والإنس.

- فإن قيل: اختلاف الجنسين -الجن والإنس- يقضي باختلاف الأحكام، وأحكام القرآن والسنة جاءت على حسب مصالح البشر لا مصالح الجن.

فيقال في **الجواب:** أحكام الإسلام قسمان:

١- فقسم يستوي فيه الجن والإنس والملائكة وهو: الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وما يتصل بذلك من نفي الشريك لله والمثيل والشبيه ونفي الظلم عن الله وإثبات العدل والحكمة لله تعالى في جميع أفعاله وأحكامه و...إلخ.

٢- والقسم الآخر هو قسم العبادات وهذا القسم منه ما يختص بالإنس دون الجن، وهو: فريضة الزكاة فإنها مرفوعة عن الجن؛ لأنهم لا يمتلكون الذهب والفضة، ولا يمتلكون بهائم الأنعام، ولا يزرعون ولا يحرثون ولا يتجرون.

ومنه ما يشترك فيه الجن والإنس، وهو فريضة الصلاة والحج.

وعلى الجملة فإن التكاليف التي تخص الأجسام المادية تكون مختصة بالبشر، والتكاليف التي ترجع إلى الروح يشترك فيها الجن والإنس، والله أعلم.

[استماع الجن للنبي صلى الله عليه وآله وسلم]:

📖 ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝١﴾...إلخ [الجن]، **فوائد مقتطفة من هذه السورة:**

١- أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يخاطب الجن ولم يتحدث معهم، وأنه صلى الله عليه وآله وسلم لم يدر أنهم استمعوا إلى تلاوته إلا بالوحي.

٢- أن في الجن سابقين إلى الإيمان والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- أن الجن مكلفون بالإيمان والتصديق بالنبي صلى الله عليه وآله وسلم وبكتابه ودينه.

٤- أن حجة الله وبيناته تأتيهم عن طريق أنبياء الله من البشر.

-فإن قيل: إذا كان الأمر كذلك فهل تكليفهم في الأحكام العملية مثل تكاليف البشر؟

قلنا: تكليف الله تعالى لنا بالتكاليف العملية مبني على مصالح العباد، فما أمر الله تعالى به من الأحكام فهو لغرض مصالح مترتبة على فعله، وما نهى الله تعالى

عنه فهو لغرض ما يترتب على فعله من المفاسد والأضرار.

والجن أرواح لطيفة، والإنس أجساد كثيفة، والفرق بينهما أن الجن هوائيون، والإنس أرضيون، وإذا كانت أجسام الجن لطيفة كلطافة الهواء فلا تحتاج أجسامهم إلى الغسل بالماء والوضوء؛ لأن الله تعالى شرع الوضوء والغسل من أجل الطهارة والنظافة كما قال تعالى في آخر آية الوضوء: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة:٦]، ففي مثل هذا الحكم قد يختلف التكليف بين الإنس والجن.

-وبما أن الجن أرواح لطيفة كلطافة الهواء فلا يحتاجون في حياتهم إلى الأجسام الكثيفة مثل الحب والفواكه والثمار والذهب والفضة والمعادن، بل ولا يحتاجون الماء والطعام البشري.

وحينئذ فهم في غنى عن التكليف بترك الربا وبترك شرب الخمر، وبناءً على ما ذكرنا فيمكننا أن نقول:

إن الجن مكلفون من الأحكام العملية التي جاء بها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما كان لهم في التكليف به مصلحة.

١- نزلت هذه السورة (سورة الجن) والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمون في شدة شديدة ومضايقات خانقة، ولعل نزولها كان في أشد الحالات التي لحقت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والمسلمين، وبنزولها سيخف بعض ما بهم من الضيق والقلق، ويهون على نفوسهم بعض ما يجدون، وذلك من ناحيتين:

-أن المؤمنين إذا علموا أن الجن استمعوا إلى القرآن لما فيه من آيات صدقه، ومن الهداية ازدادت قوة الإيمان في نفوسهم، وازدادوا فيه بصيرة على بصيرتهم.

-أن المؤمنين إذا عرفوا أن في الجن قلة مؤمنة، وفيهم كافرون ومتمردون ومتعظمون ومشركون، وإلى آخر ما عليه البشر في كل ذلك، فإذا عرف المؤمنون ذلك هان عليهم ما هم فيه من الشدة؛ لأن المصائب إذا عمت هانت.

٦- أن عند الجن سرعة فائقة في قطع المسافات البعيدة.

📖 بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ، قال الله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا۝١...﴾ [الجن]:

١- يدل على أن النبي ﷺ لم ير الجن ولم يسمعهم، وأنه إنما علم استماعهم لتلاوة القرآن بالوحي من الله.

٢- أن رسل البشر عليهم السلام عامة للجن وحجة عليهم.

- طبيعة الجن التي طبعهم الله عليها أن لا يراهم الإنس، وطبيعة البشر التي خلقهم الله تعالى عليها أن لا يروا الجن، أما الجن فإنهم يرون الإنس: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف٢٧].

- ولا يستطيع الجن أن يُظْهِروا نفوسهم للبشر، ولا بمقدورهم أن يتشكلوا ويتحولوا إلى صور يراها البشر.

- وما يقال من أن كثيراً من الناس يرى بعض الجن بعينه فإذا صح ذلك فإن عند شياطين الجن علم السحر ﴿وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ﴾ [البقرة١٠٢]؛ لذلك فإنهم يسحرون الرجل حتى يخيل أنه يرى الجن.

- وقد يقال: إذا كان الأمر كذلك فما بال الشياطين لا يسحرون الناس وخصوصاً المؤمنين؛ لشدة عداوتهم لهم؟

- فيقال: إن الله تعالى يتولى حفظ البشر من شر الشياطين كما قال تعالى: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد١١].

[تعليم آدم الأسماء كلها]:

📖 قال الله سبحانه تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَٰؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ۝٣١ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ۝٣٢ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ

غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ﴿٣٣﴾ [البقرة]، **يستفاد من ذلك:**

أن في علم آدم عليه السلام الذي أبداه للملائكة كما في هذه الآية ما يدفع اعتراض الملائكة على خلقه، وما يبين خطأهم في الاعتراض على الله، إلا أن هاهنا سؤالاً لم أطلع على جوابه، ولم أجد مَنْ تعرَّض للإجابة عنه، والسؤال هو:

من أين ظهرت كرامة آدم ورفيع منزلته عند الملائكة في حال أن آدم عليه السلام خُصَّ دون الملائكة بتعليمه الأسماء، ولو أنه تعالى علم الملائكة لأجابوا كما أجاب آدم؟

والجواب على هذا السؤال هو:

١- ظهرت كرامة آدم عليه السلام من حيث إنه أهل لحمل العلم وقبوله للتعليم، فيكون بسبب اتصافه بهذه الصفة رفيع المنزلة، ولا يكون للملائكة عليهم السلام في صفة حمل العلم مزية على آدم؛ فلما عرفت الملائكة أن آدم عليه السلام أهل لحمل العلم عن الله، وسمعوا آدم وهو يلقي عليهم العلم تبينوا حكمة الله في خلق آدم، وظهر لهم خطأهم في الاعتراض على الله.

٢- أقول: من الممكن أن قوة الملائكة على حمل العلوم مختلفة عن قوة البشر وأبي البشر اختلافاً فطرياً، فقد يكون الله تعالى فطر الملائكة على القوة على حمل نوع من العلم أو أنواع منه، أو فطر بعضاً من الملائكة على حمل نوع أو أكثر، وفطر بعضاً على حمل نوع آخر، وهكذا على حسب المصلحة والحكمة، وعلى حسب التكليف؛ فلما سمعت الملائكة عليهم السلام ما ألقاه إليهم من الأسماء علموا أنه أفضل منهم في هذه الصفة، وأن الله قد رفعه عليهم في هذا المجال.

وقد يتأيد هذا الجواب بعدة أمور:

١- أنه قد ورد أن الملائكة أصناف، فصنف وظيفتهم التسبيح: ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴿٢٠﴾﴾ [الأنبياء]، لا وظيفة لهم سوى ذلك، ومنهم... ومنهم... إلخ.

فمن كانت وظيفته التسبيح الليل والنهار لا يفترون ليس بحاجة أصلاً لعلم ما في الأرض، فلا يحتاج إلى العلم بآلات الحراثة وآلات الصناعة وآلات الزراعة، ولا إلى العلم بالحيوانات، وما يحل منها وما يحرم، ولا حاجة لهم إلى العلم بالحدود والقصاص والمضاربة، ولا..إلى آخر علوم المعاملة.

وليسوا بحاجة إلى معرفة آيات الله في خلق الإبل والجبال والأرض و..إلخ، وليسوا بحاجة إلى أن يعتبروا بما جرى على المكذبين بالرسل، ولا..ولا..إلخ.

وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا حاجة بهم إلى أن يخلق الله تعالى فيهم القوة على حمل تلك العلوم، وقد عَلِمْنَا أن الله تعالى حكيم عليم، وليس من الحكمة أن يخلق الله تعالى للملائكة ما لا حاجة بهم إليه.

ويؤيد ذلك بعض تأييد: أنا نجد القرآن الكريم موجهاً في الدرجة الأولى إلى البشر، وثانياً إلى الجن، ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنْصِتُوا فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ۝٢٩ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنْزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى....﴾ [الأحقاف].

وقال تعالى: ﴿قُلْ أُوحِىَ إِلَىَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا۝١ يَهْدِى إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا۝٢...﴾ إلى آخر القصة في سورة الجن.

وفي سورة الرحمن يخاطب الله تعالى الجن والإنس ويعدد عليهم نعمه عليهم، وكل ذلك يدل على أنه لا تكليف على الملائكة بقراءة القرآن، ولا بالنظر في آياته، ولا بالتدبر لما فيه، وما ذلك إلا لعدم حاجتهم إلى ما فيه.

وإنما قلنا إنهم مستغنون عن القرآن الكريم؛ لأن معرفتهم بالله تعالى وعلمهم بما له جل وعلا من العظمة والكمال والكبرياء والجلال والعلم والقدرة و...إلخ معرفة تامة وعلم مستحكم.

[ذرية نوح عليه السلام]:

📖 قال تعالى في نوح عليه السلام: ﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ [الصافات]، **في ذلك:** أن الذراري البشرية اليوم كلها من ذرية نبي الله نوح عليه السلام، وقد ذكر الله تعالى هذه الآية في سياق ذكر فضائل نوح عليه السلام التي شرفه بها، وعظيم مثوبته التي أعطاه إياها في الدنيا والآخرة؛ فيؤخذ من ذلك:

١- أن صلاح الأب والتزامه بالتقوى سبب لبقاء ذريته ونمائها.

٢- أنه يجوز سؤال الله تعالى شرف الدنيا والرفعة فيها.

٣- وأنه لا محذور في طلب المكلف بأعماله الصالحة ثواب الدنيا وثواب الآخرة، وفي القرآن ما يدل على ذلك؛ من ذلك: ﴿فَعِنْدَ اللَّهِ ثَوَابُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [النساء:١٣٤]، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة].

٤- كما يؤخذ من ذلك أن الله تعالى استأصل السلالة البشرية على وجه الأرض بالطوفان فلم يبق منها إلا من ركب مع نوح عليه السلام في السفينة.

٥- كما يؤخذ من ذلك أن نوحاً عليه السلام كان مرسلاً إلى جميع بني آدم الذين كانوا في عهده على وجه الأرض، وذلك لأن عذاب الاستئصال لا يكون إلا بعد الإعذار والإنذار، ويؤيد ذلك: دعاء نوح عليه السلام: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِنْ تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا ﴿٢٧﴾﴾ [نوح].

[نبي الله إبراهيم عليه السلام مع أبيه]:

📖 ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾﴾ [مريم]،

في ذلك فوائد:

-أن العقل حجة كافية لإبطال دين الشرك.

-أن تعظيم من لا يستحق التعظيم قبيح، وأن قبحه متقرر في العقول.

-أن الجاهل تابع والعالم متبوع في الشؤون الدينية والدنيوية.

-لا حرج على العالم أن يذكر نفسه بالعلم بين الناس ليتبعوه.

-إذا ذكر العالم علمه للناس ليتبعوه فليذكر الغرض من اتباعه، والغاية المقصودة في الدنيا والآخرة.

-على الولد أن يتلطف في محاورة أبيه ومجادلته غاية التلطف، ويرفق به غاية الرفق، ولو كان الأب مشركاً.

-من ذلك أن يناديه بـ«يا أبت»، أو «يا أبي».

-من شأن الولد أن يكون حريصاً غاية الحرص على هداية والديه، وردهما من الضلال إلى الهدى، يطلب ذلك بكل حيلة، ويتوسل إليه بكل وسيلة.

-إذا دعا الداعي والديه أو غيرهما إلى الهدى وترك الباطل والضلال فليبدأ أولاً بإبطال ما هم عليه من الضلال بحجج يذعن لها العقل، ويفهمها المخاطب، ألا ترى إلى إبراهيم عليه السلام كيف بدأ أولاً بإبطال عبادة الأصنام حين قال: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴿٤٢﴾﴾، ولا شك أن أبا إبراهيم قد فهم ذلك.

ثم يثني الداعي ببيان صحة ما دعاهم إليه من الهدى...إلخ.

-ثم بين إبراهيم أن الشيطان عدو للرحمن ولدينه ولأوليائه، وأنه يدعو إلى الضلال والوبال، وإلى عذاب الله وسخطه، فحذر أباه من طاعته وعبادته.

-وفي ذلك أن أبا إبراهيم كان مشركاً، وقد قيل: إن المذكور في هذه الآيات ليس بأبي إبراهيم وإنما هو عمه، والأب يطلق على العم.

والصواب أنه أبوه لا عمه، بدليل: إطلاقه اسم الأب عليه في جميع القرآن من غير قرينة، ولا يجوز صرفه إلى العم من غير قرينة.

وبعد فليس في شرك أب إبراهيم ما يعود على إبراهيم بنقص أو غضاضة: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى﴾ [فاطر:١٨]، كما أنه لا يعود على الأب من كفر ابنه وضلاله أي منقصة، وقد اتفق الجميع على أنه لم يلحق الصحابة المؤمنين أي غضاضة من كفر آبائهم.

-وبعد فيمكن أن يكون أبو إبراهيم لم يكن مشركاً أثناء حمله لنطفة إبراهيم عليه السلام، فلما خرجت نطفته من صلبه دخل في دين الشرك، وهذا إذا كان هناك دليل على براءة آباء الأنبياء والرسل وبراءة أمهاتهم من الشرك.

-وفي ذلك أنه ينبغي حسن الجدال والتلطف فيه للوالدين وغيرهما؛ لأن ذلك مما يستدعي الإصغاء والقبول والتفهم للحجة.

-وأنه ينبغي أن يقابل التهديد والوعيد باللين والرفق، ولا تقابل الشدة بالشدة؛ لأن ذلك يؤزم بلا شك المجادلة ويفسدها.

-إذا أيس الداعي إلى الله وإلى دينه من صلاح المجرمين بعد أن كرر عليهم الحجة فإنه يبتعد عنهم ويهجرهم إلى مكان آخر.

-إذا هاجر المؤمن من دار المجرمين بعد أن دعاهم وبين لهم الحق والهدى فلم يقبلوا فإن الله سيبدله أرضاً خيراً من أرضه، ويصلح له دينه ودنياه.

-﴿فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ [مريم:٤٩]، العلة في وجوب الهجرة والاعتزال للأصنام التي تعبد من دون الله هي كونها تُعْبَدُ من دون الله؛ فإذا كان هناك أصنام لا تعبد من دون الله، ولا يراد بها ذلك، ولا يتوقع- فلا يجب اعتزالها، ولا يجب تحطيمها.

رمضانيات: الليلة السابعة والعشرون/ ٩/ ١٤٣٤هـ

[ضيف إبراهيم عليه السلام]:

📖 قال الله سبحانه وتعالى ﴿وَنَبِّئْهُمْ عَنْ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾...﴾ [الحجر]:

كرر الله تعالى قصة الملائكة الذين دخلوا على نبي الله إبراهيم عليه السلام في صورة بشر، وسماهم الله تعالى: «ضيف إبراهيم المكرمين»، وفي القصة فوائد:

١- بيان كرم أبينا إبراهيم عليه السلام وسخائه.

٢- وفيها التنويه بشرف إبراهيم عليه السلام حيث دخل عليه أشراف الملائكة للتسليم عليه.

٣- وبيان مكانته عند الله من حيث أن الملائكة المأمورين بتعذيب قوم لوط أمروا أن يمروا عليه ويؤذنوه بذلك، وأن الله تعالى قد قضى بذلك وحتمه، حتى لا يراجع إبراهيم عليه السلام ربه.

٤- التنويه بحلم إبراهيم وأناءته، وعظيم رحمته وشفقته، وذلك من حيث راجع الملائكة النازلين بعذاب قوم لوط، ثم أجابوا عليه بجري القضاء بعذابهم.

٥- أن إكرام الضيف والاحتفاء به حق سواء أكان معروفاً أم غير معروف.

٦- أن للضيف حق الحرمة والحفظ على المضيف فيمنعه ممن يريد أن يؤذيه أو يناله بسوء بكل ما يمكن، ولو ببذل مال، أو بالاستعانة بغيره، أو بالمجادلة والمطاولة، وأخيراً بالقتل والقتال.

٧- وفيها أن إبراهيم عليه السلام كان صاحب بقر.

٨- وأنه يحسن بالمؤمن أن يتخذ سبباً يسترزق منه.

٩- وأن يقدم المضيف لضيفه أحسن ما يجد من الطعام واللحم.

١٠- وأن يختلس بخفية ويذبح لهم مما يجد عنده فإن لم يجد فليقدم مما يجده، وذلك لأن إبراهيم عليه السلام اختلس خفية فذبح وحنذ عجلاً من عند أهله سميناً، وقدمه لضيوفه.

١١- وعلى ذلك فيكره أن يعرض المضيف على ضيوفه القِراء أو أن يستأذنهم فيه.

١٢- العظة والعبرة لقريش كي يحذروا أن يحل بهم مثل ما حل بقوم لوط من عذاب الله ونقمته حين تمردوا على نبيهم لوط عليه السلام وأعرضوا عن دعوتهم وكذبوه واستهزئوا به.

١٣- وفيه التسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم وذلك من حيث أن أنبياء الله قد لحقهم من أممهم مثل ما لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم من أمته من التكذيب والاستهزاء والتمرد والأذى، و...إلخ، ومن هذه الناحية إذا علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك فسيهون ما به وستخف عليه المصيبة؛ لأن المصائب إذا عمت هانت.

١٤- وفيه الإشارة إلى توكيد الوعد من الله لنبيه محمد صلى الله عليه وآله وسلم بالنصر والظفر على المكذبين المشركين.

١٥- وأن المصائب تنفرج عند نهاية الشدة.

١٦- وأن على المؤمن ألا يقطع رجاءه في الله، ولا ييأس من روحه، وألا يقنط من فرجه.

١٧- وأن رحمته وروحه يأتي عند اليأس، ونعني باليأس ما يحصل للمؤمن عندما يرى الأسباب التي من شأنها أن يأتي الفرج عن طريقها قد بطلت، فهناك يحصل له اليأس من حصول الفرج عن طريقها، من غير أن يحصل له اليأس من رحمة الله وفرجه؛ لعلمه بقدرة الله وعلمه وحكمته وعظيم رحمته؛ فإنه وإن حصل له اليأس عن طريق الأسباب الظاهرة، فلم يحصل له اليأس من رحمة الله وروحه؛ لقدرته على إعطاء روحه لأوليائه من حيث لا يتوقعون، ومن هنا قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا۝ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق].

١٨- وفي القصة أن الملائكة لا يأكلون.

١٩- وفيها أنهم يتصورون بصورة بني آدم عند أن يرسلهم الله إلى رسله وأنبيائه صلوات الله عليهم ليأنسوا إلى مخاطبتهم.

٢٠- وأن أمر الله إذا جاء فلا مرد له، ولا تجدي في رده المراجعة.

٢١- وأن العاصي لا تنفعه قرابته من أنبياء الله كما لم تنفع امرأة لوط قرابتها من لوط عليه السلام فعذبها الله مع المعذبين، ولحقها ما لحقهم.

٢٢- أن الله تعالى كان يرسل أكثر من نبي واحد في عصر واحد، وقد يبتني على ذلك جواز إمامين في عصر واحد، كل واحد في صقع من الأرض متباعد عن الآخر.

٢٣- أن عمل فاحشة قوم لوط ذنب كبير، بل من أكبر الكبائر؛ لأن الله تعالى عذبهم عليها عذاب الاستئصال.

٢٤- أن الإقامة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في دار الكفر والفسوق والفواحش الظاهرة جائز، بل إن ذلك قد يكون واجباً إذا كان أهل الدار جاهلين حتى يبلغهم حجة الله وبيناته.

ثم بعد ذلك تجوز الإقامة لتكرار البيان، وزيادة التوضيح فلعل وعسى.

[إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى...]:

📖 قال الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي...﴾ الآية [البقرة:٢٦٠]:

أراد إبراهيم عليه السلام أن يضم إلى ما عنده من العلم الاستدلالي العلم الضروري.

فإن قيل: إنه روي عن أمير المؤمنين عليه السلام أنه قال: (والله لو كشف لي الغطاء ما ازددت يقيناً)، وعليه فيلزم أن يكون إيمان علي عليه السلام أقوى من إيمان نبي الله إبراهيم عليه السلام.

فيقال: إن إيمان إبراهيم عليه السلام كان كاملاً، بل في أعلى درجات الكمال، وإنما سأل الله تعالى أن يريه كيفية إحيائه للموتى، وكيف لا يكون إيمان إبراهيم عليه السلام كاملاً وقد وصفه الله تعالى بالصِّدِّيق لقوة تصديقه بالله، وكمال إيمانه به: ﴿إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾﴾ [مريم].

فلو كشف الغطاء لإبراهيم عليه السلام لما ازداد يقيناً لقوة إيمانه بالغيب، وطلبه لرؤية الكيفية التي يكون عليها إحياء الموتى لا ينافي كمال إيمانه بالغيب.

[أجر نبي الله إبراهيم عليه السلام]:

📖 قال تعالى في نبيه إبراهيم عليه السلام: ﴿وَءَاتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾﴾ [العنكبوت]: الأجر الذي آتاه الله تعالى لنبيه إبراهيم عليه السلام في الدنيا:

١- أن الله تعالى جعل النبوة والكتاب في ذريته، واصطفى ذريته على ذراري جميع العالمين، وجعل من ذريته نبينا محمداً صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- أحيا الله تعالى ذكره، وأحسن الثناء عليه في جميع الملل والأديان التي جاءت بعده، وآخرها ملة الإسلام ودين محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

٣- جعل الله تعالى ملة إبراهيم ملة لخاتم الأنبياء وديناً لأمته إلى يوم القيامة.

٤- الثناء الحسن من جميع أهل الأديان إلى يوم القيامة، والصلاة عليه والتسليم عليه إلى يوم القيامة.

٥- جعل الله تعالى الحق في ذريته إلى يوم القيامة.

[في ذكر نبي الله إسماعيل عليه السلام]:

📖 قال تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥٤﴾ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ﴿٥٥﴾﴾ [مريم]،

في ذلك معلومات:

١- أنه بلغ من شرف نبي الله إسماعيل صلوات الله عليه عند ربه وعظيم منزلته لربه أن نوه الله بذكره، وأثنى عليه ثناءً جميلاً في كتابه الخالد القرآن العظيم الذي تقرؤه أمة محمد، وترتل آياته إلى يوم القيامة.

٢- بين الله تعالى أن الإخلاص من الصفات العظيمة التي يحبها الله تعالى،

وذلك من حيث:

أ- أنها من صفات نبيه إسماعيل ﷺ.

ب- أن الله تعالى جعلها أول صفات نبيه إسماعيل ﷺ، وقدمها على صفة النبوة والرسالة وعلى سائر الصفات المذكورة.

[ناقة صالح عليه السلام]:

📖 قال تعالى في ناقة صالح عليه السلام: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾﴾ [الشعراء]، فيدل ذلك على أن الناقة كانت ناقة عظيمة بلغ من عظمتها وكبرها أنها كانت تحتاج من الماء في اليوم الواحد مثل ما تحتاجه قبيلة ثمود، ومثل ما تحتاجه إبلهم وبقرهم وغنمهم في اليوم الواحد.

وقد جعل الله تعالى تلك الناقة آية وحجة على صحة نبوة نبي الله صالح عليه السلام، وسمى الله تعالى تلك الناقة في القرآن ﴿نَاقَةَ اللَّهِ﴾ [الشمس:١٣].

[في ذكر يعقوب عليه السلام وأولاده]:

📖 قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨]،

يؤخذ من هذه الآية:

- أن الشخص إذا سبق منه فعل مريب فإنه لا حرج على من اتهمه بعد ذلك بفعل آخر مريب.
- وأنه لا حرج على من اتهم من وقع في مواقع التهم.
- وأنه لا يقبل العذر إلا من التائب.
- وأنه لا تقبل الدعوى إلا ببينة.
- وأنه لا حرج في تكذيب المتهم.
- وأنه يحسن القطع بالخبر المظنون.
- وأنه يعمل بالقرائن.

- وأنه لا يقبل خبر مجروح العدالة.
- وأنه يجرح بالظن والتهمة إذا كان هناك قرائن تشير إلى ذلك.
- وأنه لا يقبل خبر ولا شهادة الدافع عن نفسه بخبره وشهادته.
- وأن خبر المتهم لا يقبل ولو كثروا.
- وأن الأفعال الظاهرة يستدل بها على الأعمال الباطنة.

قصة نبي الله يوسف عليه السلام فوائد وعبر:

قصته عليه السلام معروفة من أولها إلى آخرها، وقد أنزل الله تعالى فيها سورة كبيرة سميت باسمه عليه السلام.

وفيها فوائد وعبر منها:

١- أن يوسف عليه السلام رأى رؤياه في صغره: ﴿أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ۝٤﴾ [يوسف]، مما يدل على أن رؤيا الصغير كرؤيا الكبير.

٢- أنه ينبغي للرجل أن يتكتم على ما أولاه الله تعالى من الفضل عند من يخشى منه لحسده.

٣- وصف الله تعالى قصة يوسف بأنها أحسن القصص، وذلك لما مر به يوسف عليه السلام في قصته الطويلة منذ طفولته إلى شيخوخته من الأحوال العجيبة، ففي طفولته تعرض لعداوة أخوته، وحين حانت لهم الفرصة يوم أرسله أبوهم معهم يرعى الغنم ضربوه وأهانوه وعنفوه، ثم ألقوه في بئر، ثم إنه تعلق في دلو بعض المسافرين فخرج من البئر، فأخذه أخوته من المسافرين وقالوا إنه عبد لهم أبق ثم باعوه، وأخيراً اشتراه عزيز مصر لامرأته، وهذه عناوين ما مر به في طفولته.

ثم إنه نشأ وتربى في بيت العزيز عند امرأته، حتى إذا بلغ سن الرجال أحبته زوجة العزيز، وكان له معها قصة عجيبة، ظهرت الغاية والنهاية من العفة

والطهارة لشخصية يوسف.

وقُلِّبت له في هذا الباب أنواع المكائد والحيل والمكر من زوجة العزيز وصواحبها، وحين أعيتهن الحيل في استنزال يوسف عن عفته وطهارته، وأيسن من قبوله لما عرضنه عليه من الفاحشة رموا به في السجن، فلبث في السجن سبع سنين، وحصل له في السجن قصص مع أهل السجن.

وبعد خروجه من السجن بسبب تأويله لرؤيا الملك حظي عند الملك، ووظفه الملك على خزائن مصر، وصار له في مصر نفوذ، وعظم شأنه، وكان له مع إخوته حين جاءوا إلى مصر لشراء الطعام قصص عجيبة انتهت تلك القصص بأن استقدم أباه وأخوته وجميع أسرته في الشام إلى مصر، وعند قدومهم مصر خروا ليوسف ساجدين، فقال: ﴿هَٰذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي....﴾ [يوسف].

٤- أن الإصرار على تقوى الله تعالى والتمسك بها في جميع الأحوال، والاستقامة على ذلك، سبب وأي سبب لأن ينال صاحبها شرف الدنيا وشرف الآخرة، ولأن يمده الله تعالى بأنوار العلم والحكمة.

٥- ضرب يوسف عليه السلام أروع الأمثلة في الصبر والإخلاص والعفة والعفو والسياسة والعلم والحكمة.

٦- أن الإخلاص لله تعالى والتقوى سبب لأن يجعل الله تعالى للمتقي مخرجاً من الفتن الموقعة في معاصي الله تعالى.

٧- أنه إذا وقع التداعي في أمر ولم يكن بينة فإنه يعمل بالقرائن المرجحة لأحد الجانبين.

٨- أن القرابة قرينة على صحة الشهادة إذا كانت الشهادة من قريب على قريبه، ولم يكن ثَمَّ ما يعارضها.

٩- ينبغي للمؤمن إذا عرضت له أسباب الفتنة وحبائلها أن يلتجئ إلى الله ويتضرع إليه بالدعاء: ﴿رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَاهِلِينَ﴿٣٣﴾﴾ [يوسف].

١٠- أن الله تعالى يستجيب لمن تضرع إليه ودعاه مخلصاً: ﴿فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴿٣٤﴾﴾ [يوسف].

١١- أن كيد النساء عظيم، فإذا توجهن بكيدهن إلى الطاهر العفيف صرعنه وأوقعنه في حبائل مكرهن، ولعظيم مكرهن فإن يوسف وهو نبي الله وفي الغاية والنهاية من الصبر والتقوى والخشية من الله شكا إلى الله والتجأ إليه، ودعاه دعاء المضطر، وخشي إن لم يتداركه ربه بألطافه وأن يصرفهن عن ملاحقته بمفاتنهن ومراودتهن له فإنه سيقع في الفتنة والمعصية ومواقعة الفاحشة، فهذا نبي الله يوسف عليه السلام من أكمل البشر في درجة الصبر والتقوى والخشية والإخلاص لله أوشك أن يقع في الفتنة لولا تضرعه بالدعاء إلى الله في صرف ذلك عنه.

١٢- أن يوسف عليه السلام جمع بين جمال الظاهر والباطن، فكان من حسن ظاهره وجمال صورته ما جعل فواتن القصور الملكية يقطعن أيديهن بالسكاكين وهن في غير شعور مما دهشهن من جماله وبهرهن من حسن صورته، وكأنهن رأين الجمال كله والحسن بِرُمَّتِهِ في شخص يوسف، حتى حلفن بأن يوسف ليس من البشر على الإطلاق، وما هو إلا ملك كريم، هكذا قلن بالحصر والقصر، وعلى قدر حسنه وكمال جماله الظاهر كان حسن باطنه وكمال جماله الباطن، صلوات الله عليه ورحمته وبركاته، وعلى نبينا وآله أزكى الصلوات وأتمها وأكملها ورحمة الله وبركاته.

١٣- ظلم يوسف أولاً على يدي أخوته وهو طفل صغير، وظلم ثانياً بإدخالهم إياه السجن وحبسهم له فيه بضع سنين بعد أن تبين لهم براءته وطهارته

وعفته، غير أنه كان وراء سجنه آمر مطاع هو امرأة العزيز، وقد قالت للنسوة: ﴿وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّاغِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف].

١٤- استغل يوسف عليه السلام لبثه في السجن فنصب نفسه فيه للدعوة إلى توحيد الله، ونَبْذِ عبادة غيره، وإقامة حجج الله وبيناته على ما يدعو إليه، وعُرِفَ في السجن بالعلم والحكمة وتأويل الأحلام، وسمي في سجنه بالصديق.

١٥- إذا ظلم المؤمن اليوم، وأدخل السجن ظلماً، فإنه سيهون عليه ذلك شيئاً ما إذا عرف ما لقي يوسف من السجن وهو نبي الله ومن أكرم الخلق على الله، ويستقر في نفسه أن الدنيا دار ابتلاء لأولياء الله.

١٦- أن للعلم مكانة عظيمة، فإنه يرفع صاحبه في الدنيا والآخرة، ويجلب له خير الدنيا والآخرة.

١٧- إذا ألصقت بالمؤمن تهمة فمن الحق أن يسعى في إزالتها عن نفسه، وإبعادها عن ساحته، ولا سيما إذا كانت التهمة متعلقة بخيانة المنعم: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف].

١٨- لم يهتم يوسف بخروجه من السجن، ولم يظهر عليه السرور بذلك، بل رفض الخروج مع رسول الملك، بل اهتم أولاً بتبرئة ساحته من التهمة التي ألصقتها النسوة به، فقال لرسول الملك: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ ۚ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ ﴿٥٠﴾﴾ [يوسف]، فأحضر الملك النسوة، وسأل عن حقيقة الأمر، واستحفى المسألة، فقالت امرأة العزيز: ﴿الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٥١﴾﴾ [يوسف]، فما خرج يوسف من السجن، ولا قابل الملك حتى ظهرت براءته من التهمة الباطلة التي ألصقت به.

١٩- ارتفعت مكانة يوسف عند الملك، وحظي عنده لِمَا اشتهر من علمه وحكمته، وفضائله وحسن شمائله، ومعرفته بتأويل الأحلام، ومن طهارته وعفته وأمانته، وحسن ذكره في الناس.

٢٠- أنه يحسن من الرجل أن يسأل الوالي أن يوظفه في الوظيفة التي يرى أنه سيقوم بها أحسن قيام لعلمه بها، وأهليته لها، وأن يذكر نفسه بالإتقان في العمل، وأنه ذو أمانة قوية، وهكذا يحسن من العالم أن يذكر نفسه بالعلم والمعرفة عند من لا يدري؛ لغرض أن يستفيد الناس من علمه.

٢١- أدار يوسف عليه السلام وظيفته التي دخل فيها وهي ولاية خزائن الأموال أحسن إدارة، فخزن الحبوب الكثيرة التي حصلت في السبع السنين المباركة، فغطى ذلك الحب المخزون حاجة الناس في السبع السنين المجدبة، بل وحاجة المحتاجين من غير أهل مصر، فقد كان المحتاجون يسافرون إلى مصر لجلب الحب إلى بلادهم، واشتهر عند الناس وفارة الحب في مصر في السبع السنين المجدبة لذلك خرج إخوة يوسف عليه السلام من الشام إلى مصر لشراء الطعام، فإن في ذلك دلالة واضحة على أن يوسف عليه السلام نجح في عمله نجاحاً كبيراً.

٢٢- يمكننا بالتقريب معرفة عدد السنين التي غاب فيها يوسف عليه السلام عن أبيه فنقول:

- خرج يوسف عليه السلام مع أخوته للرعي وهو في سبع سنين تقريباً، والذي دلنا على ذلك أن أباه يعقوب قال لأخوته في ذلك الحين: ﴿وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ﴾ [يوسف:١٣]، والعادة أنه لا يخاف إلا على من كان في سن السبع أو دونها أو أكثر منها قليلاً، ولا يخاف الذئب على المقارب لسن البلوغ، ولا على من دونه من ذوي التمييز.
- ولبث عليه السلام عند امرأة العزيز سبع سنوات تقريباً وذلك أن العادة أن النسوة لا يطمعن إلا في البالغ سن الرجال، ودل قول يوسف أيضاً:

﴿وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ أنه عليه السلام كان قد بلغ مبالغ الرجال حين راودته امرأة العزيز عن نفسه.

- ولبث في السجن بضع سنين، وقد روي أنها سبع سنين، والسبع مما يطلق عليه البضع.
- ولبث بعد خروجه من السجن في الولاية سبعاً، وهي السبع التي أخرجت فيها الأرض خيرها من الحبوب والثمار.
- بالإضافة إلى السبع السنين المجدبة أو أكثرها، والذي يدلنا على ذلك أن حاجة الناس إلى طلب الطعام، وفقرهم الشديد إليه لا يكون إلا إذا عدم نهائياً من الأسواق ومن مخازن البيوت، ولا يحصل ذلك تقريباً إلا في آخر السبع السنين.

أما في أولها فلا يكاد يظهر للجدب أثر، ثم يعدم الطعام قليلاً قليلاً، فلا تشتد الحاجة الماسة إلا في آخر السبع السنين المجدبة.

وعلى هذا فيكون مدة فراقه ثمانية وعشرين سنة تقريباً.

٢٣- أنه يحسن طلب الرزق عند الحاجة ولو بالسفر البعيد، وأن ذلك لا ينافي التوكل والتفويض إلى الله.

٢٤- أنه مهما طالت الشدة بالمرء فلا يجوز له أن ييأس من الفرج، وأن من شأن المؤمن أن يكون على ثقة ورجاء في رحمة الله.

٢٥- أنه ينبغي للمرء أن يتقي ما يرفع بأبصار الناس إليه، ويدعوهم للحسد له، ﴿وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف:٦٧].

٢٦- كان يوسف عليه السلام في مصر مدة غيابه عن أبيه، وكان أبوه يعقوب عليه السلام في فلسطين، ولم يكن أبوه يعلم أين غاب يوسف، أما يوسف فكان على علم بمكان أبيه. والعجيب أن يوسف أعرض عن مراسلة أبيه مع قرب المسافة، ومع تمكنه من ذلك في الأربع عشرة سنة الأخيرة التي قضاها في مصر، فلعله عليه السلام ترك مراسلة أبيه بوحي من الله يلزمه بالإعراض

عنها، ومن حكمة الله تعالى في ذلك تعريض نبي الله يعقوب عليه السلام لثواب الصبر ومضاعفات أجره.

٢٧- كان أولاد يعقوب عليه السلام كما يبدو لي لا يقدرون أباهم حق تقديره، يظهر ذلك من:

- خديعتهم له في يوسف حين أخرجوه معهم للرعي، وتركوا وصيته في يوسف، وتهاونوا بها.
- وقولهم: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَى أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ۝٨﴾.
- ذكر الله تعالى توبيخهم لأبيهم على دوام ذكره ليوسف: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ۝٨٥﴾.
- لم يعتذروا إلى أبيهم على طول المدة التي غاب فيها يوسف عن أبيه وهي تقريباً (٢٨ سنة) فيما فعلوه بيوسف، ثم فيما ترتب على ذلك من حزن يعقوب عليه السلام وبكائه حتى ابيضت عيناه من الحزن: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ۝٨٤﴾ [يوسف]، بل أصروا على ذنبهم وإساءتهم إلى أبيهم، ولم يصدر منهم الاعتذار إلا بعد أن عرفوا يوسف.
- كان أبوهم على علم بتفريطهم في حقه: ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ [يوسف:١٨]، ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥].
- لم يثق فيهم أبوهم عليه السلام حين سألوه أن يخرج معهم أخ يوسف، فلما ألحوا عليه في خروجه معهم إلى مصر قال لهم: ﴿لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّى تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا ءَاتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ۝٦٦﴾.
- قول يعقوب في أخ يوسف: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ...﴾ [يوسف:٦٤].

- سألهم يعقوب عليه السلام أن يبحثوا عن يوسف فكان جوابهم: ﴿تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴿٩٥﴾﴾ [يوسف].

٢٨- يستفاد من القصة أنه ينبغي للأب أن يساوي بين أولاده في العطاء، وأن لا يظهر منه أنه يحب بعضهم أكثر من بعض؛ لأن ذلك يتسبب في حصول العداوة بينهم.

٢٩- اسم يعقوب عليه السلام إسرائيل، وأولاده هم بنو إسرائيل، وأولاده لصلبه هم اثنا عشر رجلاً بدليل رؤيا يوسف: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَاجِدِينَ﴿٤﴾﴾ [يوسف]، وقد عرفت ما جرى منهم في حق يوسف، وفي حق أبيهم، وقد قص الله تعالى من أخبار ذراري إسرائيل ما قص في القرآن الكريم. واصطفاء الله تعالى لبني إسرائيل على العالمين يدل على أن من سواهم من الناس كانوا منحطين، قد أطبق عليهم الجهل والغفلة، واستولت عليهم الأهواء والشهوات، وأمعنوا في التيه والضلال، بحيث أن ذراري إسرائيل الذين قد عرفت أخبارهم في القرآن أصبحوا أحسن أهل الأرض ديناً، وأفضل البشر عند الله.

٣٠- أنه ينبغي أن يفزع التائبون إلى أولياء الله الصالحين، يسألونهم الاستغفار لهم، والدعاء لهم.

٣١- إذا أساء إليك الرجل، ثم جاء إليك طالباً للعفو عن إساءته الكبيرة أو الصغيرة فالأجدر بك أن تعفو عنه فوراً، وأن لا يصدر منك أي توبيخ له على ما فعل من الإساءة.

٣٢- أن السؤال وطلب الصدقة لا يقبح بشرطين: ١-أن يكون السؤال في طلب زيادة على البيع كقولهم: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِى الْمُتَصَدِّقِينَ﴿٨٨﴾﴾ [يوسف]. ٢-أن يكون السؤال متوجهاً إلى ذي ولاية عامة.

٣٣- ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا...﴾ [يوسف:١٠٠]، السجود هو في الحقيقة لله تعالى ويوسف كالقبلة، عظموا يوسف بالسجود إليه، كما تعظم القبلة بالسجود إليها، وكما عظمت الملائكة آدم بالسجود إليه.

٣٤- كان بين رؤيا يوسف وبين وقوع تأويلها ثمانية وعشرون عاماً أو أكثر.

٣٥- ﴿وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾ [يوسف:١٠٠]، كانت أرض الشام في عهد يعقوب عليه السلام أرض بداوة، وأرض مصر أرض حضارة وعمران وسياسة.

٣٦- من الحقيق بالمؤمن أن يدير أمر معيشته في حاضره ومستقبله، وليس ذلك مما ينافي التوكل على الله، فإن في البصر بتدبير المعيشة، وتوفير حاجات الحاضر والمستقبل سكون القلب وطمأنينته في توجهه إلى الله وذكره له، وفي ذلك أيضاً الاستغناء عن الظالمين والمستكبرين وعن الناس أجمعين.

٣٧- ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ...﴾ [يوسف:٢٤]، في هذه الآية دليل على أن يوسف لم يهم بامرأة العزيز ﴿وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ...﴾ جملة شرطية، ولولا تدل على امتناع جوابها.

فإن قيل: وما فائدة الإخبار بأنه هم بها لولا أن رأى؟

قلنا: المعنى أن يوسف عليه السلام وقع في حبائل فتنة امرأة العزيز، ومن شأن من وقع في مثل ذلك المقام وتلك الحال أن يهم بالفتنة، ويقع فيها؛ لتوفر جميع أسباب الفتنة، ولولا توفيق الله تعالى ولطفه بيوسف لوقع في الهم والفتنة حتماً.

ففائدة الإخبار حينئذ هو بيان أن أسباب الفتنة جميعاً قد توفرت في تلك الأجواء على أبلغ ما يمكن، وتوفرها على تلك الصورة يقضي بوقوع الفتنة حسب المعهود من طبائع البشر، ويحتم وقوعها في العادة، فعبر بـ﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ ليفيد المخاطبين بأن الأسباب قد توفرت على أبلغ وجه في ذلك الجو، وهذا من باب الكنايات مثل: طويل النجاد.

-وأسباب الفتنة التي توفرت في تلك الأجواء هي:

١- زوال الحياء بين امرأة العزيز ويوسف عليه السلام، فإنه تربى في بيتها وتحت رعايتها وعنايتها سنين طويلة، وطالت بينهما الخلطة، وبذلك يزول الحياء، ويرتفع الأدب.

٢- جمال امرأة العزيز.

٣- شرفها ورفعتها من حيث كونها من بيوت الملك.

٤- عظيم حبها ليوسف، وشدة ميلها إليه ورغبتها فيه، وتصريحها له بذلك.

٥- استمالته بكل حيلة، وتوسلت إليه بكل وسيلة، مع ما لها من السلطان عليه، ومن حق الأمر والنهي.

٦- بيت يوسف هو بيت امرأة العزيز، ومسكنه هو مسكنها، وهو لها بمنزلة الولد: ﴿عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [يوسف:٢١]، تخلو به في كل وقت ومتى شاءت في ليل أو نهار من غير أن يلحقها أو يلحقه حرج أو مذمة من زوجها أو من غيره على الإطلاق.

٧- سلكت كل طريق في طلب أن يواقعها، فلم تنجح، وآخر الطرق أن غلقت أبواب القصر جميعاً، وحاصرته في مكان، واندفعت عليه بقوة هواها وجنون عشقها، فلم ينجه منها إلا الهروب والجري إلى الباب للخروج، واندفعت تجري وراءه، وتعلقت بقميصه، وقدته من قفاه...إلخ.

٨- ولما لم تنجح فيما أرادت عدلت إلى التهديد بالسجن والصغار والمهانة: ﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنْ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴿٣٢﴾﴾ [يوسف].

٣٨- ضرب يوسف أروع الأمثلة في العفة والزكا والطهارة، وبلغ النهاية في الكمال البشري في هذا الباب، ومع ذلك فإنه حين برأته النسوة وامرأة العزيز عن

التهمة الباطلة التي أودت به في السجن سبع سنين: ﴿قَالَتِ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [يوسف:٥١]، ﴿وَلَقَدْ رَاوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ﴾ [يوسف:٣٢]، ووصفته بالعفة والعصمة والزكا والطهارة قال: ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي...﴾ [يوسف:٥٣]، فلم يعجب بما هو فيه من العفة، وما وصل إليه من الزكا والطهارة والعصمة بل اتهم نفسه، ولم يرض ببراءتها بل قال: إنها ميالة إلى الهوى والشهوات، وطبيعتها الأمر بالباطل والمنكر كثيرة الأمر به.

٣٩- تأويل الأحلام وتفسيرها علم مستقل: ﴿وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾ [يوسف:١٠١]، ويمكن تعلم هذا العلم بإمعان النظر في تأويل الأحلام التي وردت في سورة يوسف عليه السلام، وهي: رؤيا يوسف، ورؤيا الفتيين اللذين دخلا مع يوسف السجن، ورؤيا الملك، فإنه بإمعان النظر في تأويلات هذه الأحلام يمكن للناظر الذكي أن يعرف كيف يأخذ المعنى الخفي الذي تؤول إليه الرؤيا وتفسر به.

٤٠- من الحقيق بالمؤمن أن لا يزال يذكر نعم الله عليه ويشكرها وإن تقادم عهدها: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ...﴾ [يوسف:١٠٠]، ﴿رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ...﴾ [يوسف:١٠١].

٤١- أخذ يوسف أخاه بالحيلة، فكان سبباً لمضاعفة الحزن على يعقوب عليه السلام، ولعل ذلك كان من يوسف عليه السلام بوحي من الله؛ لأنه لا يجوز للمؤمن أن يتعمد فعل ما يؤذي ويحزن أخاه المؤمن، فضلاً عما يُحزِن الوالد، ولا سيما إذا كان نبياً.

٤٢- يظهر أن يوسف عليه السلام قد أعطيت له صلاحيات واسعة في الولاية العامة زائدة على إدارته لخزائن أموال مصر، بدليل قول يوسف عليه السلام:

﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾، وبدليل قوله تعالىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [يوسف:٢١].

٤٣- يظهر من قوله تعالىٰ في سورة غافر حكاية عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّىٰ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا﴾ [غافر:٣٤]، أنه عليه السلام كان مرسلاً برسالة من الله إلىٰ أهل مصر، وأنه بلغها إليهم، وأنه نجح في تبليغها.

٤٤- أنه لا حرج علىٰ المؤمن في أن يسأل الله أن يتوفاه مسلماً وأن يلحقه بالصالحين، والمحظور إنما هو أن يتمنىٰ المرء الموت لمصيبة نزلت به؛ لأن الله تعالىٰ كلفه بالصبر والرضىٰ عند نزول المصائب، فلا يجوز له أن يسخط القضاء.

٤٥- أنه ينبغي للداعي أن يقدم بين يدي مسألته الثناء علىٰ الله: ﴿رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ الْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ۝١٠١﴾ [يوسف].

٤٦- إذا رأىٰ الداعي إلىٰ الله أنه سيتمكن بسبب دخوله في وظيفة مع الدولة من نشر دعوته، وتبليغ الدين، وإقامة أحكام رب العالمين، فلا حرج عليه في ذلك، والأعمال بالنيات، ولكن يشرط أن لا يعمل في وظيفته ما يسخط الله من ظلم أو بغي أو إثم أو عدوان، وأن لا يترتب علىٰ دخوله في الوظيفة أي فساد.

٤٧- قد يؤخذ من هذه القصة جواز أن يتولىٰ المؤمن القضاء في سلطان دولة كافرة إذا عرف أن الأجواء مهيأة له للحكم بالحق. وقد يؤخذ من هذه القصة أنه يشترط لجواز القضاء مع السلطان الكافر أن يستغل القاضي منصبه في القضاء لتبليغ الدين والدعوة إليه كما فعل يوسف عليه السلام.

٤٨- أن الفرج يأتي بعد الشدة، واليسر بعد العسر، وأن الصبر علىٰ المحن

والشدائد، والرضى عن الله فيما قضى، والتمسك بطاعة الله وتقواه هي الطريق إلى الوصول إلى المحبوب من الفرج واليسر والعافية الحسنة.

٤٩- أن أنبياء الله ورسله عليهم السلام وهم أكرم البشر عند الله وأعلاهم منزلة لديه يلحقهم من المحن الطويلة والشدائد المزلزلة ما يلحقهم، ولم يسلموا من أقسى المحن وأعظم الشدائد وهم أهل كرامة الله. إذا عرف المؤمن ذلك فإنه يهون عليه ما يلحقه من المصائب، ولا يكبر عليه كبيرها، ولا يستعظم عظيمها، ورضي عن الله فيما جرت به سنته، ومضت به حكمته في عباده الصالحين.

٥٠- يؤخذ من قصة يوسف أن إخوته الأحد عشر لم يكونوا أنبياء، وذلك من قول يعقوب عليه السلام حين قص عليه يوسف رؤياه: ﴿لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا﴾ [يوسف:٥]، وقد فسر يعقوب الرؤيا بأن الله سوف يجتبي يوسف ويختاره للنبوة، ويتم عليه نعمته كما أتمها على أبويه من قبل إبراهيم وإسحاق، فخاف يعقوب على يوسف حسد أخوته إذا علموا برؤياه، ولم يَخَفْ يعقوب حسدهم ليوسف وكيدهم له إلا لعلمه باختصاصه بالنبوة دونهم.

ويدل ذلك أيضاً قول إخوة يوسف له: ﴿لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ [يوسف:٩١]، أي فضَّلك.

٥١- ينبغي للمؤمن إذا عرضت له مصيبة أن لا يظهر جزعه للناس، ولا يبث شكواه على أحد منهم، ولو كان من أقرب قرابته، والأجمل بالمؤمن إذا تعرض لإساءة من قريب أو بعيد أن يغضي عن إساءته، ولا يؤاخذه بها، بل ولا يذكرها له ولا يعاتبه عليها: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ١٨﴾ [يوسف].

٥٢- يحصل بين أولاد الضرات في العادة إحن وعداوات: ﴿لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ [يوسف:٨].

٥٣- من الثواب العاجل الذي يؤتيه الله عباده المتقين الذين أحسنوا في طاعتهم لله وأخلصوا له العلم والحكمة: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ﴿٢٢﴾﴾ [يوسف].

٥٤- أن الاهتداء بهدي الآباء والأجداد الصالحين، والاقتداء بهم والسير على طريقهم- حسن ممدوح، بل إنه واجب، وإنما المذموم الاقتداء بالآباء والأجداد الذين لا يعلمون شيئاً ولا يهتدون، فيذم اتباع المبتدع في بدعته، والجاهل في جهله، والكافر في كفره، والضال في ضلاله، أما اتباع المهتدي في هداه فليس بمذموم: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴿٣٨﴾﴾ [يوسف].

[من قصة يوسف عليه السلام]:

📖 قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ الْخَآئِنِينَ﴿٥٢﴾﴾ [يوسف]:

يظهر لي أن هذا الكلام من كلام يوسف عليه السلام، لا من كلام امرأة العزيز، وهذا الكلام تعليل لكلام يوسف عليه السلام السابق وهو قوله: ﴿ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف:٥٠]- أراد يوسف عليه السلام أن لا يخرج من السجن حتى تظهر براءته مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز، الذي كان السبب في إدخاله السجن.

[في ذكر سجن يوسف عليه السلام]

📖 ﴿فَأَنسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴿٤٢﴾﴾ [يوسف]:

يقال: إن يوسف عليه السلام لبث في السجن سبع سنين من أجل استعانته بالذي نجا على أن يبلغ الملك بأمره وسجنه؛ لعله يطلقه من السجن إذا عرف قصته وبراءته؛ فنسي الرجل ما وصاه به يوسف عليه السلام، فكان سجن يوسف عليه السلام سبع

سنين جزاءً على استعانته بغير الله تعالى. هكذا يقال.

وعندي أن ما قالوه غير صحيح، وذلك أن سؤال المعونة من بعض البشر لبعض في أمرٍ غير محرم- حسن غير قبيح، وقد قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة:٢].

والمشهور في السير أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين دخل مكة بعد رجوعه من الطائف استجار بالمطعم بن عدي فأجاره، وهكذا كان الكثير من المؤمنين في مكة قبل الهجرة قد استجاروا برؤساء من المشركين فأجاروهم، منهم أبو بكر و...إلخ؛ فلم يكن في ذلك ما ينافي الاستعانة بالله والتوكل عليه، وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أرسل جماعة من أصحابه إلى الحبشة، وقال لهم: ((يقال إن فيها ملكاً يجير من استجار به ويؤمنه...إلخ)) أو كما قال.

فيوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يفعل ما ينافي الاستعانة بالله، ولم يدخل في فعل محرم، بل فعل ما ينبغي وما يدعو إليه الرأي السديد شرعاً وعرفاً.

وبعد، فإن الله تعالى حين أمر بالاستعانة به والتوكل عليه في استنجاح الأمور ودفع المكاره وقضاء الحاجات- حين أمر بذلك أمر بالأخذ بالأسباب في كل ما أمر فيه بالتوكل عليه والاستعانة به وحده، والاعتماد عليه؛ لأن حصول شؤون الدنيا مرهون بالأخذ بالأسباب، ومربوط بها لا يحصل شيء من ذلك إلا بها، وأمثلة ذلك كثيرة:

منها: أن الله تعالى أمر بالتوكل عليه في حصول الرزق، وأرشد المتوكلين عليه إلى الحراثة والزراعة والتجارة والتداين والبيع والشراء، والمشي في مناكب الأرض، والضرب في الأرض للتجارة و..إلخ، ولا يسعنا ذكر المزيد من الأمثلة وهي كثيرة، وفيما ذكرنا كفاية، والحمد لله رب العالمين.

قصة نبي الله داود صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ في سورة (ص):

📖 ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ

مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَى وَحُسْنَ مَآبٍ﴿٢٥﴾ يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [ص]، صدق الله العلي العظيم.

قد روي في تفصيل هذه القصة روايات لم تطمئن إليها النفس؛ لما فيها من الخدش في مقام نبي الله داود عليه السلام.

والذي ينبغي أن تفسر به هذه القصة حسبما تشير إليه هذه الآيات أن نبي الله داود عليه السلام رغبت نفسه في بعض نساء قومه من غير أن يصدر منه قول أو فعل سوى ذلك، على الإطلاق لمقام العصمة.

أما رغبته وميل قلبه إلى تلك المرأة فهو ناتج عن طبيعة الإنسان، وليس بمعصية، إلا أن مقام داود عليه السلام من النبوة، وما هو عليه من وفرة النساء والتمكن، وما بسط الله تعالى له من سوابغ النعم- ينادي بأنه لا ينبغي لمثله أن يخطر بباله ذكر شيء من متاع الدنيا، مع ما هو فيه من كثرة متاعها وسوابغ نعيمها.

فلما ذكر داود في نفسه بعض نساء قومه عاتبه الله، واستنكر عليه ذلك الخاطر النفسي الذي ما كان ينبغي أن يخطر في باله مع ما أعطاه الله تعالى من كثرة النساء.

فبعث الله إليه ملكين، دخلا عليه في مكان خلوته حيث لا يدخل عليه أحد، ففزع منهما، فقالا له: لا تخف، نحن جئناك متخاصمين نريد أن تقضي بيننا، فقصا عليه القصة..إلى آخرها.

فعرف داود أخيراً أمرهما، وأنهما إنما جاءا لينبهانه على خطئه الذي ما كان

ينبغي لمثله؛ فاستغفر الله وأناب إليه.

فينبغي أن يقتصر على ما ذكرنا مما نسب إلى نبي الله داود عليه السلام، ولا يجوز أن ينسب إليه مما روي أكثر من ذلك صلوات الله عليه وسلامه.

وقد قيل: إن فتنة داود حصلت حين حكم بين الخصمين قبل أن يسمع جواب الطرف الآخر، واستدلوا بقوله تعالى بعد ذلك: ﴿يَادَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى...﴾ الآية [ص:٢٦]، ولا أرى أنه يصح ذلك، والصحيح هو ما ذكرنا.

-لأن الملكين تسورا عليه محرابه ومكان خلوته، وجلسا بين يديه للمحاكمة.

-أنهما تحاكما في قضية من شأنها أن يكون فيها سر وتنبيه يخص داود.

-أن الله تعالى قد أثنى على داود في باب المحاكمة في قوله: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء].

فلا ينبغي أن يقال: إن داود حكم قبل أن يسمع من الخصم الآخر، مع ما وصفه الله تعالى به في هذه الآية من الحكم والعلم.

[قصة الخصمين مع داود عليه السلام]:

📖 بسم الله وبالله والحمد لله وصلى الله على محمد وآله وسلم: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَى نِعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخُلَطَاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾﴾ [ص]:

الاستفهام في أول القصة يدل على فخامتها وغرابتها، ولعل الوجه في ذلك:

- أن الخصمين اقتحما على داود محرابه من غير الباب، بل تسلقا الجدران ونزلا على داود من فوقها، وهذا مع ما هو فيه من الحراسة المشددة.
- وأن ذلك الاقتحام كان على نبي من أنبياء الله آتاه الله الملك والنبوة.
- أن نبي الله داود عليه السلام كان في محراب عبادته ومكان خلوته بربه، ولم تجر العادة بدخول أحد عليه في هذا المكان، ولا يسمح لأحد بالدخول عليه فيه.
- أن الخصمين كانا من الملائكة أرسلهما الله تعالى في صورة خصمين إلى داود عليه السلام يحتكمان إليه في قضية.
- وكان حكم داود عليه السلام في تلك القضية منبهاً لداود ومذكراً له في خطأ أخطأه وهو حديث نفس وخواطر لم يكن عليه السلام عزم عليها ولا نواها، فتنبه عليه السلام لما نبهه الله عليه واستغفر الله تعالى وأناب.

ويستفاد من هذه القصة:

- أن من الحكمة والأدب إذا أردت أن تنصح الرجل الكبير أو الشريف أو الرفيع أو من له مكانه فلا تذكر له خطأه الذي أخطأ فيه مباشرة بل تلوح له بالخطأ تلويحاً وتشير إليه إشارة من غير أن يشعر أنك تريده.
- أن المؤمن بطبيعته يستقبح من غيره ما لا يستقبح من نفسه، لذلك لم يتنبه داود عليه السلام لخطئه إلا بعد أن نبهه الله عليه، في حين أنه عليه السلام جزم بالحكم على أحد الخصمين بالخطأ، ولم يتنبه أنه واقع في خطإٍ مشابهٍ لما وقع فيه حكمه إلا بعد أن حكم.
- وأنه يشترط أن يكون الخليفة عالماً وعدلاً؛ لأنه لا يحكم بالحق إلا أهل العلم بأحكام الله وشرائعه إذا كانوا عدولاً في أنفسهم.
- وأن الحكم بين الناس بالحق من أكبر وظائف الولاة ﴿فَاحْكُمْ﴾.
- وفيها أن الخصمين كانا شريكين فيدل ذلك على جواز الشركة.

- وفي ذلك ينبغي للمؤمن أن لا يشارك إلا المؤمنين.
- وأن الذي يشارك غير المؤمن معرض للبغي من قبل شريكه.
- وأن ظلم القريب أقبح وأفحش: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي...﴾.
- أنه ينبغي للولاة والقضاة أن يوظفوا أوقاتهم فيجعلوا للولاية والقضاء وقتاً محدداً، ولعبادة الله وقتاً محدداً، و...إلخ، ولا ينبغي أن تشغلهم الولايات والقضاء عن الخلوة لعبادة الله.
- وقد يؤخذ أيضاً من هنا أن للقضاء بين الناس فضلاً كبيراً وذلك من حيث أنه من أكبر وظائف الأنبياء عليهم السلام.
- لا يتم الحكم بين الخصمين بالحق إلا بعد حصول مقدمات يبتني عليها الحكم وهي:
  - تعيين محل الخلاف وتحديده.
  - سماع دعوى المدعي.
  - سماع جواب المدعى عليه.
  - ثم سماع البرهان الذي يدلي به المدعي.
  - ثم سماع جواب المدعى عليه على ذلك البرهان.
- ينبغي للخصمين أن يعلما الحاكم بقضيتهما إجمالاً قبل الدعاوى والإجابات، وذلك ليعرف الحاكم أهمية القضية فيهتم بها ويبادر لحلها، ﴿خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ﴾.
- بعد إشعار الحاكم بالقضية إجمالاً يطلب الخصمان من الحاكم أن يحكم فيها ويولِّياه الحكم فيها ﴿فَاحْكُمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ...﴾.
- وقد يؤخذ من هنا أن طلب الحكم من الحاكم يكفي في لزومه سواء رضي الخصمان بعد الحكم أم لم يرضيا.
- والذي يدل على أن الخصمين ملائكة مرسلون من الله إليه أمور:

١- قوله تعالىٰ: ﴿وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ...﴾.

٢- أنه من المستبعد أن يصل خصمان من الرعية إلىٰ المكان الذي يخلو فيه الملك بنفسه وبعبادة ربه في داخل منازله، مع وجود الحراس والحواجز والأبواب، بالإضافة إلىٰ الهيبة التي تملأ قلوب الرعية لملوكهم، ولا يخفىٰ أن الهيبة من أكبر الحواجز التي تمنع الوصول إلىٰ أخص منازل الملك.

٣- أنهم دخلوا بغير إذن ومن غير الباب وفي ساعة الخلوة والعبادة.

- ما يقال من أن السبب في خطأ داود عليه السلام الذي استغفر الله تعالىٰ منه هو أنه حكم بين الخصمين قبل أن يسمع من الخصمين جميعاً غير وجيه وذلك:
  - لأن ما حكاه الله تعالىٰ من كلام أحد الخصمين قد تضمن الدعوىٰ والإجابة.
  - وأن الخصمين من الملائكة وقد حضرا جميعاً عند داود للمحاكمة، ويقتضي ذلك أن كل واحد من الخصمين قد أدىٰ ما أرسل به من ربه.
- كما يؤخذ من القصة جواز «التمثيل» لقصة حقيقية أو غير حقيقية، ولكن بشرط أن يخلو التمثيل مما حرمه الشارع من تبرج النساء، وانبساطهن إلىٰ الرجال الأجانب بالكلام المثير ونحو ذلك.
- وأنه ينبغي أن يكون التمثيل طريقاً من طرق التعليم.
- وأن الممثل لا يكون كاذباً حين يمثل ويحكي كلام غيره.
- إذا وقع المؤمن في معصية جهلاً أو خطأً أو غفلة فينبغي التعريف له بذلك، والتدليل علىٰ معصيته حتىٰ يعلم ويتحقق خطأه.
- وفي ذلك أنه يجوز للخصم أن ينسب خصمه للبغي والظلم عند الحاكم.

- وقد يؤخذ من ذلك أن القياس دليل شرعي، وذلك من حيث أن الله تعالى نبه على خطأ داود عليه السلام بذكر نظير خطئه على لسان الملكين.

[ملك آل داود]:

📖 ﴿يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ﴾ [سبأ:١٠].

📖 ﴿عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:١٦].

📖 ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَا أَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا...﴾ [النمل].

📖 ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ [النمل:١٧].

📖 ﴿يَعْمَلُونَ -أي: الجن- لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:١٣].

أعطى الله تعالى آل داود ملكاً عظيماً، ومكنهم في الأرض تمكيناً واسعاً، وسخر الله تعالى لهم الجن والشياطين يعملون لهم ما يشاءون، وسخر لسليمان عليه السلام الجن والإنس والطير، وعلمه الله تعالى لغة الطيور ولغة النمل، وكانت الجبال والطير تسبح مع داود عليه السلام.

📖 ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ﴾ [سبأ]:

- يمكن أن يكون تأويب الجبال مع داود عليه السلام هو أن الله تعالى سخرها لداود ليستخرج منها معادن الحديد والنحاس والذهب والفضة، وينحت منها التماثيل والأواني والجفان، ويقطع منها حجار البناء وأعمدة البناء ونحو ذلك، وهكذا الطير سخرها الله تعالى لتروح وتغدو في مصالحه عليه السلام.
- وإلانة الحديد لداود عليه السلام هو أن الله تعالى علمه استخراج الحديد وتصنيعه إلى ما يريد من سيوف ودروع وآلات أخرى.

- وأرشده الله تعالى إلى صناعة الدروع لتقي المقاتلين في الحرب من طعن الرماح وضرب السيوف، نعمة منه تعالى منّ بها على داود عليه السلام وعلى أمته ثم على عامة البشر.
- أعطى الله تعالى نبيه داود عليه السلام عطايا زائدة على ما أعطاه غيره ممن سبقه من الأنبياء والملوك وغيرهم، وهذا هو معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا﴾.

وقد يقال: إن استخراج الحديد والمعادن قد كان قبل نبي الله داود عليه السلام بدليل أن الله تعالى ذكر سفينة نوح فقال: ﴿وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾ [القمر]، والدسر هي: المسامير.

فيقال: المقصود أن الله تعالى أعطى داود عليه السلام فضل تمكن وزيادة تمكين على غيره في استخراج الحديد وسائر المعادن وفي صناعتها، لا أنه هو أول من استخرج المعادن وصنعها لمنافع الناس.

[قصة نبي الله سليمان عليه السلام]:

[معرفته لمنطق الطير وغيرها]

-﴿عُلِّمْنَا مَنطِقَ الطَّيْرِ﴾ [النمل:١٦]، المراد: منطق الطير وغيرها بدليل ما ذكر في الآية التي تلي هذه الآية: ﴿حَتَّى إِذَا أَتَوْا عَلَى وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [النمل].

-ولعله إنما ذكر الطير دون ما سواه في تلك الآية لأن الآية في سياق قصة كان الهدهد هو بطلها.

-كلام النملة التي خاطبت به النمل وحذرتهم فيه من سليمان وجنوده يحتمل:

١- أنه بصوت تسمعه النمل.

٢- أن يكون بإشارات.

-كلام الهدهد هو بصوته؛ لأن له صوتاً يُسمع، أما النملة فلا يسمع لها صوت، وإدراك نبي الله سليمان عليه السلام لقول النملة قد يكون:

١- بأن يقوي الله تعالى حاسة السماع عند سليمان عليه السلام بحيث يسمع صوت النملة.

٢- أن يخبر الله تعالى سليمان بكلام النملة بواسطة ملك يترجم له كلامها.

قد يقال: إن الذي حكاه الله تعالى من قول النملة وقول الهدهد يدل على أن وراءه عقلاً، والمعلوم أن الحيوانات والطيور ليست بمكلفة.

فنقول: أما الهدهد فإن الله تعالى سخره لمنافع سليمان عليه السلام، فزوده الله تعالى من الإدراك بما يحتاجه في ذلك التسخير، وهذا الإدراك محدود لا يتجاوز مجال عمله.

وهذا نظير ما يجعله الله تعالى لصغير الحيوانات وكبيرها من الإدراكات المحدودة كالنملة مثلاً فإن لها إدراكات ومعرفة في مجال عملها لا يتجاوزه إلى غيره، و...إلى آخره.

وكل تلك الإدراكات التي جعلها الله تعالى للحيوانات والطيور ومنها هدهد سليمان عليه السلام ليست ناتجة عن نظر وتفكير، وإنما هو إلهام وفطرة وطبيعة يخلقها الله تعالى في الحيوان ويجعلها فيه؛ لتهتدي بها الحيوانات والطيور والحشرات إلى تدبير معايشها والاهتداء إلى مصالحها والابتعاد عن مهالكها و...إلخ.

[نبي الله سليمان مع بلقيس]

-﴿قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٤﴾﴾ [النمل]:

كانت بلقيس ملكة سبأ، ملكة على بلاد متحضرة متفننة في البناء والعمران والصناعة واستخراج معادن الذهب والفضة و...إلخ.

فأمرها سليمان أن تدخل الصرح لترى آية من آيات الله الدالة على نبوة سليمان عليه السلام؛ فلما دخلته ورأت ما رأت فيه مما لا يمكن البشر في ذلك العصر التوصل إلى

صناعة مثله قالت عند ذلك: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٤﴾﴾ [النمل].

وقد قيل: إن سليمان عليه السلام أمر بلقيس بدخول الصرح من أجل أن ترفع ثوبها ليرى ساقيها، وذلك أنه كان قد بلغه أنها مشعرة الساقين، أي: أن في ساقيها شعراً كثيراً، ولا ينبغي الالتفات إلى هذا القول.

وما ذكرناه هو الصحيح، والأولى بالقبول وذلك:

أنها أعلنت إسلامها حين عرفت الآية في ذلك البناء، فقالت: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٤﴾﴾.

[عرش بلقيس ومن الذي أتى به؟]

﴿قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ...﴾ الآية [النمل:٤٠]:

القول الراجح عندي: أن الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل عليه السلام وذلك أن الله تعالى قد سماه بهذا الاسم في قوله تعالى: ﴿قُلْ كَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴿٤٣﴾﴾ [الرعد].

-﴿فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ أَهَكَذَا عَرْشُكِ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ...﴾ الآية [النمل:٤٢]:

عرض سليمان عليه السلام على بلقيس آيتين تدلان على نبوته: إحداهما: في عرشها حيث عرض عليها في الشام.

والثانية: في الصرح الممرد من القوارير.

فإن قيل: كيف يتم نقل عرشها من اليمن إلى الشام في لحظة مقدرة بطرفة العين مع بعد المسافة بين البلدين؟

قلنا: ذلك أمر مستبعد من قدرة البشر بل إنه مستحيل في قدرات البشر؛ أما بالنسبة لقدرة الله فلا يستبعد عليها البعيد ولا يعجزها كبير ولا صغير، وقد أعطى الله تعالى البشر قدرات محدودة وأعطى الملائكة قدرات أكبر مما أعطى البشر، وجبريل عليه السلام من عظماء الملائكة صلوات الله عليه وعليهم وقد

أعطاه الله تعالى من القوة والقدرة والتمكن ما يمكنه من نقل عرش بلقيس من اليمن إلى الشام في طرفة العين.

وجبريل عليه السلام هو الذي يأتي بالوحي إلى الأنبياء والمرسلين من السماء إلى الأرض وبينهما من بعد المسافة ما لا يدخل تصوره في عقول البشر.

وقد كان جبريل عليه السلام يأتي النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بعض الأيام أكثر من مرة.

ووسائل النقل اليوم كالطائرات والسيارات تقطع من المسافات في الوقت اليسير ما يعد فيما سبق من البعيد أو المستحيل أن يقطع في مثل ذلك الوقت، وسفينة الفضاء تقطع أكثر مما تقطعه الطائرة.

وحينئذ فلا ينبغي للعقول أن تستبعد أو تحيل نقل العرش من اليمن إلى الشام في وقت يقدر بطرفة العين؛ بل كيف يستبعد ذلك من قدرة الله وقد توصل البشر إلى إرسال الصوت عبر التلفون من بلد إلى بلد، ومن قارة إلى قارة في لحظة قصيرة، ثم توصلوا إلى إرسال الصوت والصورة معاً في لحظة قصيرة.

[بحث قويم في قصة بلقيس ملكة سبأ]:

يبدو أن بلقيس ملكة سبأ ملكة محنكة وحازمة تدير مملكتها بحنكة وحكمة، وأن لها عقلاً كبيراً، يظهر ذلك فيما يلي:

١- حين أتاها كتاب سليمان عليه السلام جمعت أعيان المملكة وعرضت عليهم كتاب سليمان عليه السلام، وطلبت منهم أن يشيروا عليها بالرأي.

٢- أخبرت أهل الشورى بأنها لا تقطع في أمر من الأمور حتى يحضروا وينظروا في الأمر ويشيروا عليها بالرأي الصائب.

٣- أن أهل الشورى حينما استشارتهم وكلوا النظر إليها ولم يدلوا بأي رأي اعتماداً منهم على ما يعهدون من فطنتها وحسن نظرها.

٤- أن وجوه مملكتها وأهل الرأي والمشورة فيهم أكدوا لها أنهم بما هم عليه من القوة والبأس جنود مجندة ترمي بهم حيث شاءت فما عليها إلا أن تنظر في الأمر ثم تأمر بما رأت.

٥- بعد ذلك أخبرتهم بما تحاذر من عواقب الأمور فقالت ما حكاه الله عنها من القول الحكيم: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً﴾ [النمل:٣٤].

٦- ثم أدلت إليهم برأيها في الأمر فقالت ما حكاه القرآن: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾ [النمل]، وإذا نظرنا إلى هذا الرأي فإنا نراه أحسن رأي في تلك القضية، فإنها عرفت حين رجع الرسل إليها من عند سليمان عليه السلام ما سوف تؤول إليه الأمور.

٧- بادرت بعد ذلك إلى السفر مع وجهاء قومها إلى نبي الله سليمان تبذل له السمع والطاعة، وحقاً لقد أصابت بذلك محز الصواب، ولم ترد أن تعرض قومها للمواجهة والقتال مع سليمان؛ لما في ذلك من هلاك الحرث والنسل.

٨- وكان سليمان عليه السلام قد أمر بإحضار عرشها من اليمن إلى الشام، فلما وصلت بلقيس إلى سليمان عليه السلام عرض عليها عرشها، وقال لها: ﴿أَهَكَذَا عَرْشُكِ﴾ [النمل:٤٢]؟

فعل سليمان عليه السلام ذلك ليختبر عقلها: ﴿قَالَ نَكِّرُوا لَهَا عَرْشَهَا نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النمل].

فكان جوابها على سؤال سليمان عليه السلام أن قالت: ﴿كَأَنَّهُ هُوَ﴾ [النمل:٤٢]، فأجابت بجواب يدل على عقل ذكي وفطنة عالية.

بيان ذلك:

أن سليمان عليه السلام أراد بسؤاله مغالطتها، فإذا كانت ناقصة الذكاء والفطنة فسيكون جوابها إما نعم وإما لا؛ لأن ذلك هو الجواب على مثل ذلك السؤال.

فعدلت عن نعم وعن لا، وأجابت بما يدل على أنها قد عرفت أنه عرشها، وأن عند سليمان قوة إلهية، وتركت لنفسها احتياطاً فلم تقل: إنه هو، بل جاءت بما يقرب من ذلك فقالت: كأنه هو؛ فأعجب نبي الله سليمان عليه السلام بفطنتها وذكائها وعلمها

بحسن الجواب، فقال: ﴿وَأُوتِينَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ﴿٤٢﴾﴾ [النمل].

ومعنى هذا الجواب والله أعلم: أن بلقيس وإن كان عندها ذكاء وفطنة وعلم وهداية إلى الصواب- فإن الله تعالى قد أعطانا العلم والهداية والفطنة والذكاء، وزيادة على ذلك وهو أن الله أعطانا الإسلام وجعلنا مسلمين، فنحن أرفع منها وأكرم.

٩- ثم أراد سليمان عليه السلام بعدما أراها آية من آيات الله في عرشها أن يريها آية أخرى مما آتاه الله تعالى لتعلم بلقيس أنه نبي من عند الله فقال لها: ﴿ادْخُلِي الصَّرْحَ﴾، ﴿فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقَيْهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ عند ذلك استيقنت أنه نبي من عند الله، وأن الله تعالى أيده وأكرمه بما لا تقدر عليه البشر، فقالت: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴿٤٤﴾﴾ [النمل]، فبعقلها وفطنتها وذكائها وحسن رأيها وصواب نظرها- اعتذرت إلى الله، واعترفت بذنبها، وسألته المغفرة، ودخلت في دين الله مع نبي الله سليمان صلى الله عليه وسلم، ولولا ما هي عليه من العقل وحسن النظر لما وصلت إلى ذلك.

١٠- قص الله تعالى قصة بلقيس في القرآن لما فيها من العبرة، حيث إنها بعقلها وفطنتها اهتدت إلى الصواب، وسلكت طرقه منذ أن أتاها كتاب سليمان عليه السلام إلى أن دخلت في الإسلام، ولم تستفزها الأهواء في نظرها، ولم تعرقلها الشهوات، ولم يستخفها الجهل وذوو الجهل عن سبيل الصواب، مع أنها امرأة وعقليات النساء ناقصة وآراؤهن فاسدة، فلله درها، ولأمرٍ مّا قص الله قصتها بالتفصيل، وحكى أقوالها ومحاوراتها مع قومها ومع سليمان عليه السلام، وبيمنها ويمن عقلها ورأيها دخل قومها في الإسلام.

١١- لم تفشل بلقيس ولم تنهر قواها حين جاءها كتاب سليمان عليه السلام مع ما اشتهر عنه من القوة والشوكة والسلطان، ولا حين جاءها تهديده ووعيده الذي لا تشك في صدقه، بل عالجت الأمر بالحكمة وحسن السياسة، حتى

وصلت إلى حيث لا يصل إلا ذو الحظ من أفذاذ الرجال.

١٢- كسبت بحسن رأيها ووفارة عقلها خير الدنيا وخير الآخرة.

-وأرى أن الملكة بلقيس كانت نادرة في النساء، وأنها إن أفلحت في سياستها فلن تفلح بعدها امرأة؛ لقول النبي ﷺ: ((لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة))، وقال تعالى: ﴿الرِّجَالُ قَوَّامُونَ عَلَى النِّسَاءِ بِمَا فَضَّلَ اللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ [النساء:٣٤]، وفي الحديث: ((كمل من النساء أربع: مريم بنت عمران، وآسية امرأة فرعون، وخديجة بنت خويلد، وفاطمة بنت محمد ﷺ)) أو كما قال.

-قد يقال: إذا كانت بلقيس على ما ذكر من وفارة العقل والفطنة والذكاء، فما بالها لم تهتد إلى الإيمان بالله ومعرفته؟

يقال في الجواب: إن الله سبحانه وتعالى قد بين الجواب عن ذلك وذكر السبب فقال تعالى: ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿٤٣﴾﴾ [النمل]، المعنى: أنه صدها عن الإيمان بالله ومعرفته وتوحيده ما نشأت عليه من عبادة المعبودات من دون الله وما ألفته وعكفت عليه من السجود لها والتوجه إليها بالإضافة إلى أنها نشأت بين مجتمع كافر، وتربت في أحضان الكافرين، وأبواها كافران، وقومها كافرون، ولكل ذلك تأثير قوي على العقائد فهذا هو الذي صدها عن الإيمان وحال بينها وبين النظر في آيات الله الدالة على إلهيته وعظمته.

وفي قصة بلقيس فوائد:

١- أن الكتابة تقوم مقام النطق باللسان في إقامة الحجة والدعوة إلى الله، وفي غير ذلك من المعاملات والمعاهدات و..إلخ.

٢- أنه ينبغي أن يبدأ الكاتب في رسالته بـ«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ»، ثم يكتب الرسالة.

٣- أن المشاورة من حسن السياسة، وأنه لا ينبغي الدخول في أمر إلا بعد المشاورة.

٤- أن مصانعة الضعيف للقوي من حسن السياسة أيضاً.

٥- أنه لا ينبغي غزو العدو ولا يجوز، إلا بعد الدعوة له إلى الحق، والنظر في جوابه بعد الدعوة: ﴿فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴿٢٨﴾﴾ [النمل].

٦- أنه يجوز ترويض الحيوان وتأديبه: ﴿لَأُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّي بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ﴿٢١﴾﴾ [النمل].

٧- أن سبأ في ذلك التأريخ القديم كانت متقدمة ومتحضـرة في السياسة والعمران، والصناعة والاقتصاد: ﴿وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾﴾ [النمل]، ﴿أَفْتُونِي فِي أَمْرِي مَا كُنْتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّى تَشْهَدُونِ﴿٣٢﴾﴾ [النمل].

٨- أن منشأ الشخص ومجتمعه يكون سبباً للضلال أو الرشاد، وعلى ذلك فإن منشأ الشخص في مجتمع صالح نعمة عظيمة يجب أن تقابل بالشكر المتواصل.

٩- أن الهدية سنة قديمة، وأنها سبب لكسب مودة القلوب وعطفها وسل عدوانها.

١٠- أن على الوالي أن يتفادى الدخول في الحرب بما يمكنه من الوسائل المتاحة كالهدايا، والزيارات والمحادثات والمفاوضات، وهذا هو ما يقتضيه جودة الرأي وحسن السياسة، وذلك لما تخلفه الحرب من تلف الأنفس وسفك الدماء وتدهور الاقتصاد، واختلال الأمن وضعف الدولة في جميع المجالات.

١١- تقدم مملكة سبأ وحضارتها جعلت هدهد سليمان مع ما يعهده من ملك سليمان وملك الروم والممالك الأخرى جعلته يستعظم تلك الحضارة والتقدم فقال لسليمان: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ امْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴿٢٣﴾﴾ [النمل]، مما يدل على أن حضارة تلك المملكة وتقدمها يساوي حضارات الممالك المشهورة في ذلك العهد كحضارة فارس والروم وغيرهما، أو تزيد عليها.

١٢- أن العالم في ذلك العهد كان يشتمل على ممالك متحضرة ومتقدمة في جميع المجالات على حسب الإمكانات المتاحة.

١٣- من طبائع الملوك والسلاطين السياسية إهانة العزيز وإفساد المجتمعات،

فعلى العاقل أن يبتعد عن مقاربتهم ومداخلتهم؛ ليسلم من شرهم، فسياسة الملوك لا ترحم، وليس لهم وفاء، ولا يراعون في سياستهم لأحد معروفاً، وإذا استغنوا عن الرجل أبعدوه وأهانوه.

١٤- نعرف من هنا أن سياسة الملوك في قديم التأريخ وحديثه سياسة واحدة لا تختلف، هي ظلم الرعايا وإهانتهم وإذلالهم، لا يراعون في ذلك شريفاً ولا عزيزاً ولا رفيعاً، ولا يبالون بما أفسدوا في سبيل توطيد ممالكهم.

وقد كانت سياسة بلقيس فريدة في هذا المجال فقد كانت تحافظ على رعاياها وأهل مملكتها من الفساد والظلم والإهانة، وتراعي مصالحهم، وتسعى في توفير ذلك لهم، كانت هذه سياستها: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ﴿٣٤﴾﴾ [النمل].

١٥- أن نبي الله سليمان عليه السلام كان مشهوراً بالفضائل والشرف والعدل لذلك قالت بلقيس: ﴿إِنِّي أُلْقِيَ إِلَيَّ كِتَابٌ كَرِيمٌ﴿٢٩﴾ إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ [النمل]، لم تصف الكتاب بالكريم إلا لما عندها من العلم عن كرم كاتبه، ولم تقل: ﴿إِنَّهُ مِنْ سُلَيْمَانَ﴾ إلا وقد اشتهر عند قومها اسم سليمان ولمع ذكره وذاع صيته.

وادي النمل:

يخيل إلي أن وادي النمل الذي نزله سليمان عليه السلام وأتاه الهدهد فيه بخبر بلقيس كان قريباً من مملكة سبأ، وذلك لأن الهدهد كان في جيش سليمان حينما نزل وادي النمل، والعادة أن أفراد الجيش لا يبتعدون عن معسكر قائدهم كثيراً.

-والأقرب إلى مخيلتي أن وادي النمل في سهل تهامة وذلك لسببين:

١-أن سهل ساحل البحر الأحمر أسمح لسير الجنود من الجبال.

٢-أن وديان سهل تهامة لا ينقطع عنها نزول السيول لأن مياه الجبال تتجمع وتسيل إليها، ومناخها دافئ تنمو فيه حشرات الأرض وهوامها لكثرة الماء والغذاء ودفء الهواء.

-لا زالت آثار مملكة سبأ قائمة حتى اليوم تهوي إليها السواح من أطراف الدنيا، وكانت العاصمة في محافظة مأرب.

-يظهر من قصة اكتشاف الهدهد لمملكة سبأ ومن كتاب سليمان عليه السلام أنه عليه السلام ظهر بقوته ودينه على جميع الممالك التي تحيط بمملكته.

-يؤخذ من القصة أن الهدية لا تقبل إذا كانت لأجل ترك واجب أو فعل محظور، وأنه لا مانع من توبيخ المهدي في ذلك الحال.

[سيل العرم وأهل سد مأرب]:

-قص الله تعالى قصة سبأ في سورة سميت باسم (سبأ) في صفحة كاملة تقريباً وفيها عبر وفوائد، منها:

١- أن مقابلة النعم بالكفر والإعراض عن شكرها يعرضها للزوال.

٢- أن شكر النعم يحفظها على أهلها ويقيدها لهم.

٣- أن ما جعله الله تعالى نعمة قد يتحول بكفرها إلى نقمة، فإن السد كان نعمة لسبأ، فلما كفروا النعمة جعله الله تعالى عليهم نقمة حيث تفجر عليهم السد، وجرف جنانهم، وهدم بلادهم.

٤- أن المستقيمين على شكر الله في منجاة من المهالك والمصائب العامة: ﴿وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ﴾ [سبأ].

٥- أن سبأ كانوا يعتمدون في معايشهم على شيئين اثنين هما: الزراعة، والتجارة إلى الشام؛ فمحق الله كل ذلك بسبب كفرانهم لنعم الله، وأيضاً فقد كان شَمْل سبأ مجتمعاً وأمرهم واحد فلما كفروا بنعم الله عليهم شتت شملهم، وفرق جمعهم، وقطّعهم في الأرض قطعاً.

[الصناعات في عهد سليمان عليه السلام]:

📖 ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ:١٢]، ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ]، **في ذلك:** أن الصناعة تطورت في عهد سليمان عليه السلام، وقد فسروا عين القطر بأنه

النحاس المذاب.

ويحتمل عندي -والله أعلم- أن عين القطر هو البترول، يقرب ذلك:

١- أن أسلنا والإسالة من خواص المائعات، ولا يستعمل لغير المائعات إلا مجازاً.

٢- أن (عين) تستعمل حقيقة في الماء الخارج بنفسه من الأرض أو فيما يشبه الماء من المائعات الخارجة من بطن الأرض.

[وفيها أيضاً]:

يظهر لي والله أعلم فيما ذكره الله تعالى عن سليمان عليه السلام من إلانة الحديد له واستخراج معدن النحاس «عين القطر» ومعدن الزجاج المذكور في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل:٤٣] وصناعة المحاريب والتماثيل... الخ، مع ما ذكره الله تعالى من دعاء سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝٣٥﴾ [ص] يظهر لي من كل ذلك- أن الصناعة تطورت في عهده تطوراً عظيماً، وأراني أميل إلى أنها صنعت في عهده الطائرة التي عبر الله تعالى عنها بقوله تعالى: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ﴾ [ص:٣٦].

[وفيها أيضاً]:

📖 بسم الله الرحمن الرحيم قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا عَلَى كَثِيرٍ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ ۝١٥﴾ [النمل]:

يظهر حسب ما ورد في القرآن أن الصناعة تطورت في عهد داود وسليمان عليهما السلام تطوراً عظيماً. يظهر ذلك من:

١- قوله تعالى في داود: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ۝١٠﴾ [سبأ]، مما يدل على تطور استخراج الحديد وصناعته.

٢- وقوله تعالى: ﴿وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ﴾ [سبأ:١٢]، والقطر هو النحاس، ويدل على تطور استخراج معدن النحاس وتطور صناعته، ووجود

الأفران العظيمة لإذابته.

٣- وقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ [سبأ:١٣]، مما يدل على أن الصناعة كانت متطورة في مجالات شتى.

٤- وقوله تعالى في سليمان: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَآخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾﴾ [ص]، في ذلك دليل على تطور صناعة الطيران.

٥- ﴿قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مُمَرَّدٌ مِنْ قَوَارِيرَ﴾ [النمل:٤٤]، يدل على تطور صناعة الزجاج، وتطور الفن المعماري.

٦- ﴿أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا آتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [النمل]، كانت بلقيس قد أهدت لسليمان مالاً، ومالها الذي أهدته هو الذهب؛ لأن اليمن مشهورة باستخراج الذهب، ويقال له الذهب الحميري، وحين حضرت الهدية لسليمان قال: إن ما أعطاه الله تعالى من المال خير مما أعطى أهل الهدية؛ فيدل ذلك على تطور صناعة الذهب واستخراجه في عهد سليمان عليه السلام.

٧- وقوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ [ص]، يدل على التقدم العسكري.

٨- في الآية السابقة: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَّاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾﴾ [ص]، ما يدل على تطور هندسة البناء، وعلى تقدم وسائل الغياصة إلى قيعان البحار، ويحتمل أن المراد بالشياطين في الآية شياطين الإنس؛ لأن الشيطان في اللغة كما في القاموس: كل متمرد عاتٍ من جن أو إنس أو دابة. اهـ

[ملك سليمان]:

سؤال: دعا الله تعالى سليمان فقال: ﴿وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ۝٣٥﴾ [ص]، وقد قص الله تعالى في القرآن ملك سليمان الذي أعطاه الله تعالى، وقد رأينا في هذا الزمان من الملك وقوة السلطان ما يخيل لنا أنه أعظم من ملك سليمان عليه السلام فكيف ذلك؟

الجواب:

أن ما نراه اليوم من قوة ملك الدول المتحضرة، فإنه وإن بلغ ما بلغ من التطور والتمكن فليس كملك سليمان، ولم يبلغ ما بلغ، فقد سخر الله تعالى لسليمان عليه السلام الجن والشياطين يعملون له ما يشاء، ويغوصون البحار: ﴿وَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَغُوصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ..﴾ [الأنبياء:٨٢]، فضلاً عن تسخير الإنس له.

وسخر له تعالى الطير تأتمر بأمره وتنتهي عند نهيه، يعلم منطقها وتعلم منطقه: ﴿وَقَالَ يَاأَيُّهَا النَّاسُ عُلِّمْنَا مَنْطِقَ الطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [النمل:١٦].

وعلمه الله تعالى أيضاً لغة الحيوانات، قال تعالى: ﴿قَالَتْ نَمْلَةٌ يَاأَيُّهَا النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ۝١٨ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِنْ قَوْلِهَا﴾ [النمل].

- وأعطاه الله تعالى النبوة، وشرف الدنيا والآخرة، وآتاه الله تعالى العلم والحكمة، فعدل في ملكه، وحكم بالحق، وحارب الكفر والكافرين، و...إلخ.

وممالك اليوم وإن عظمت فلم تملك مثل ذلك، ولن تصل إلى مثله، وإن تضاعفت تطوراتها وقدراتها.

[تسخير الجن لسليمان عليه السلام]:

📖 ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ۝١٣ فَلَمَّا

قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنْسَأَتَهُ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَنْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ [سبأ]، **في ذلك:**

- أن الجن كانوا أعرف من الإنس في الصناعات.
- وأنه يحسن استيراد الخبراء الأجانب لتطوير الصناعة في جميع المجالات.
- وأنه لا مانع من اشتراء علم الصناعات «التكنلوجيا».
- وأنه يحسن صناعة ما يجلب الهيبة للدولة الإسلامية.
- وأنه يحسن التأنق في البناء والتجمل بالتحف الصناعية من غير كبر ولا ترفع ولا عُجب.
- مات سليمان عليه السلام وهو واقف على رجليه، وعصاه في يده تمنعه من السقوط، فلبث كذلك برهة من الزمن، والجن تعمل بين يديه ظانة أنه حي، ومع طول المدة أكلت الأرَضَة عصاه فخر ساقطاً؛ حينئذ علمت الجن أنه قد مات.
- وبذلك تبيَّن واستوضح أن الجن لا يعلمون الغيب.
- وفي ذلك أن للجن قوة وقدرة أعظم من قوة الإنسان وقدرته.
- وفي القصة أن سليمان عليه السلام كان يرى الجن بعينيه ويراقبهم في أعمالهم ويشرف عليهم.
- وفي ذلك أن على الوالي العام أن يراقب سير الأعمال بنفسه ويشرف عليها.
- وأنه لا تنافي بين عبادة الله وبين التجارة والصناعة والزراعة والبناء والعمران.
- «المحاريب» هي: الأبنية الخاصة بالعبادة ﴿فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ...﴾ [مريم:١١]، ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾ [ص].
- وفي ذلك دلالة على أن من أهم أعمال الوالي تعمير بيوت العبادة «المساجد».

- وأن الوالي يركز أولاً على إقامة الدين، ثم في الدرجة الثانية إقامة المصالح الدنيوية.
- وقيل: تلك الآية في الجن: ﴿وَمَنْ يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ﴿١٢﴾﴾ [سبأ]، فيؤخذ من ذلك أن الجن لا يتألمون في الدنيا إلا بألم النار.
- قد كان الجن الذين يعملون بين يدي نبي الله سليمان عليه السلام قادرين على الوصول إلى معرفة موت سليمان عليه السلام حين كان قائماً على عصاته وهو ميت، إلا أنهم لم يعرفوا موته إلا حين نخرت العصا فخر سليمان ساقطاً، فلعل السبب في عدم معرفتهم لموته هو ما هم فيه من الهيبة من سليمان عليه السلام، ثم ما يريده الله تعالى من كشف الحقيقة وإيضاح الحجة إيضاحاً عاماً للجن والإنس، وهي أن الجن لا يعلمون الغيب.
- وفي الآية دليل على أن للجن قدرة على الأعمال الصناعية كالبناء والنحت و...إلخ، إلا أن الجن ليسوا في حاجة إلى تلك الأعمال.

فإن قيل: كيف يتأتى من الجن البناء والإعمار والنحت وسائر الصناعات وهم أجسام لطيفة؟

فيقال: من المحتمل أن الجن كانوا يعملون تلك الأعمال بواسطة معارفهم بطبائع المخلوقات، فيجمعون مثلاً بين شحنتين لطيفتين من الكهرباء سالبة وموجبة ويضعونهما تحت صخرة لتفجيرها فبذلك يحصل تكسير الأحجار، وتستوي الأحجار بشحنات كهربائية صغيرة، ويرفعون الأحجار ويقربونها بضغط الهواء.

فإن قيل: لماذا لم يظهر منهم شيء من ذلك؟ فلم نرهم فجروا بيتاً ولا جبلاً ولا رفعوا حجراً، ولا أضروا بأحد مع شدة عداوة الشياطين للمؤمنين والمسلمين؟

فيقال: إن الله تعالى حجز بقدرته بين الجن وبين أن يضروا عباد الله بشيء من تلك الأضرار كما قال سبحانه: ﴿لَهُ مُعَقِّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ

﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ [الرعد:١١].

والذي تستطيعه الشياطين من الضرر بعباد الله هو الوسوسة في الصدور: ﴿الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ۝ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ۝﴾ [الناس].

فإن قيل: المشهور أن الجن تضر الإنسان في عقله فيصير مجنوناً، فكيف يحصل ذلك؟

فيقال: قد ذكرنا أن الشياطين تضر بوسوستها في الصدور، ومن كثرة الوسوسة وشدتها يتولد الجنون، فالوسوسة المتطاولة تتسبب في انهيار القوة العقلية، وبانهيار القوة العقلية يحصل الجنون.

وقد يأتي الجنون بسبب آخر من الشياطين، وذلك عن طريق السحر، فالشياطين لهم معرفة بعلم السحر فيصاب المرء بالجنون بسبب السحر الذي لحقه من الشياطين.

إلا أنه يحال بينهم وبين ما يريدون من سحر عباد الله بحائل من قدرة الله، وقد يرفع الله تعالى الحفظ عن بعض عباده لمصلحة وحكمة فتسحره الشياطين.

ومن أعمال الشياطين في بني آدم تزيين المعاصي إليهم وتهييج شهواتهم وإلهابها، وذلك عن طريق الخواطر والوسوسة.

وقد يقال: كيف يتوصل الشياطين إلى فعل ذلك في المكلفين؟

فيمكن أن يقال: إن لكل مكلف شهوة من أصل خلقته، ومن شأن هذه الشهوة أن تتحرك عند حصول سبب تحركها فإذا رأى المكلف مثلاً امرأة ذات جمال تحركت الشهوة والرغبة إليها، فإذا رأى الشيطان حصول ذلك عند المكلف بادر إلى تقوية تلك الشهوة وزيادة التهابها وتسعيرها بواسطة مضاعفة تحريك القلب وزيادة سرعة حركته، فتتحرك الدورة الدموية في الجسم أكثر من حركتها فيضطرب الجسم وينفعل ويهيج.

وبما أن الجن أرواح لطيفة فإنه يمكنها الدخول في تجويفات الجسم.

وفي الحديث: ((إن الشيطان يجري في ابن آدم مجرى الدم)).

ومن الممكن تفسير هذا بما ذكرنا من أن الشيطان يتسبب في زيادة حركة

القلب وزيادة حركة الدورة الدموية.

- والسبب في أن الشيطان لا يستطيع أن يهيج شهوة المؤمن المتقي هو أن الشيطان لا يجد السبيل إلى تحريك شهوته وإلهابها؛ لأن المؤمن لا يفعل الأسباب المثيرة لها، والشيطان إنما يأتي الإنسان من قِبَل الأسباب المثيرة للشهوة، والمؤمن المتقي لا يتعرض لفعل الأسباب المثيرة لشهوته، ويكون حريصاً دائماً على الابتعاد عنها والتعرض لها.
- بالإضافة إلى ما ذكرنا فإن المؤمن المتقي لا يزال يستعيذ بالله من الشيطان الرجيم في ليله ونهاره وعند صلواته وقراءته، و..إلخ، فيباعد الله تعالى عبده المؤمن المتقي من الشيطان ووساوسه.
- والشياطين هم من الجن كما قال تعالى عن الشيطان: ﴿كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ﴾ [الكهف:٥٠].

[فتنة نبي الله سليمان عليه السلام وقصته مع الخيل]:

📖 قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾ [ص]:

قد رويت روايات في تفصيل ما وقع لنبي الله سليمان صلوات الله عليه وسلامه مما أجمل بيانه في هذه الآية، والذي تفيده هذه الآية أمران اثنان وقعا لسليمان عليه السلام هما:

١- أن الله تعالى فتن سليمان.

٢- أن الله تعالى ألقى على كرسي سليمان جسداً.

أما الأمر الأول، وهو: أن الله تعالى فتن سليمان، هذا هو ما تفيده الآية، والفتنة يراد بها الاختبار، وأنواع الاختبار كثيرة، وقد اختبر الله تعالى سليمان بما ذكر الله تعالى في كتابه من سعة الملك ونفوذ السلطان و...إلخ.

وقد حكى الله تعالى عن سليمان في آخر قصة ملكة سبأ قوله: ﴿هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ...﴾ الآية [النمل:٤٠].

وقد جرت سنة الله تعالى أن يفتن رسله وأنبياءه عليهم السلام، أي: يختبر صبرهم على التمسك بطاعته، وقوتهم في تنفيذ أوامره والانتهاء عن نواهيه، فاختبر أيوب عليه السلام بالبلاء فصبر: ﴿إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ [ص]، وقال تعالى عن إبراهيم صلى الله عليه وسلم: ﴿وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة:١٢٤]، وقال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا﴾ [طه:٤٠].

وعلى ذلك ففتنة نبي الله سليمان هي بما أعطاه من الملك والنعم ونفوذ السلطان.

-وأما الأمر الثاني، وهو قوله تعالى: ﴿وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ [ص]: الجملة معطوفة على الجملة التي قبلها، ويخيل إلي أن ذلك من عطف الخاص على العام، ليدل على أن ذلك أعظم ما ابتلي به سليمان عليه السلام.

والجسد الذي ألقاه الله تعالى على كرسيه هو جسد سليمان عليه السلام، ونَكَّرَه للتعظيم، وهو من باب التجريد كقولك: رأيت من زيد رجلاً صالحاً؛ فالرجل الْمُنكَّر هو زيد في المثال.

وكرسي سليمان، هو: الملك الذي ورثه من أبيه داود عليهما السلام.

والمعنى كما أتخيل أن الله تعالى وضع سليمان على ملك داود، وجعله ملكاً على ذلك، وأمده بأسباب العظمة والقوة والنفوذ والسيطرة و...إلخ.

وقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ يخيل إلي أن المعنى أن الله تعالى اختبر سليمان بجلائل النعم، وعلى رأسها الملك فكان في اختباره كما يحب الله ويرضى مطيعاً شاكراً صابراً.

ووجه العطف بـ«ثم» يدل على أن إنابة سليمان إلى الله وشكره لنعم الله أفضل مما أوتيه من الملك، وأعظم منزلة عند الله.

فهي مثل قوله تعالى في إبراهيم بعد ابتلائه بالكلمات «فأتمهن»، وإنما عطف هنا بـ«ثم» وهناك بالـ«فاء» ليبين فضل إنابة سليمان إلى الله وشكره له، وتوجهه فيما أولاه إلى خالقه، والتحري لطاعته على الملك العظيم الذي أوتيه سليمان عليه السلام،

وثم هي التي دلت على ذلك.

هذا ما أستحسنه في تفسير الآية، وقد ذكروا في تفسيرها غير ذلك إلا أني لم أطمئن إلى شيء مما هنالك.

فإن قيل: إن قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنَابَ﴾ وقوله حكاية عن سليمان عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي...﴾ الآية [ص:٣٥]، يدل على زلة وقعت من سليمان عليه السلام تاب منها واستغفر، فتاب الله عليه.

قلنا: لا ينبغي الوثوق بما روي؛ لأنها أحاديث إذا فرض صحتها آحادية لا يجوز الاعتماد عليها في هذا الباب، وهذا مع ما اشتهر عند المفسرين أن جل قصص الأنبياء المروية في تفسير القرآن أحاديث إسرائيلية.

في حين أنا لم نر فيما قصه الله تعالى عن سليمان عليه السلام ما يدل على فعله للمعصية.

وأما قوله تعالى: ﴿إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِنَاتُ الْجِيَادُ۝٣١ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ۝٣٣﴾ [ص]، فلا ينبغي تفسيره بأن سليمان عصى الله بتركه لصلاة العصر حتى غربت الشمس وخرج وقتها...إلخ.

وذلك لأن الآية وردت في معرض المدح والثناء على سليمان، فقبلها قوله تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ...﴾ إلخ [ص]، فتفسيرها بما قالوا متناف غاية التنافي مع أول الكلام، مع أن هذه القصة هي التي مدح عليها.

والأحسن في تفسيرها أن نقول: إن سليمان عليه السلام كان يحب الخيل الجياد، وتُعْرَض عليه ليتفقدها، وحبه لها وتعلقه بها؛ لأنها من عدته للجهاد في سبيل الله، ولما لها من الأثر العظيم في النكاية بأعداء الله وتخويفهم.

فحب سليمان لها ناتج عن حبه للجهاد في سبيل الله تعالى، وقد تحدث سليمان عن حبه لها فقال: ﴿فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص:٣٢]، وقوله: ﴿عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ حال من فاعل أحببت، فالمعنى على ذلك: أحببت

حب الخير حال كوني صادراً في ذلك الحب عن ذكر ربي، فيكون ذكر سليمان لربه هو السبب الداعي له إلى حب الخير.

وقوله: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ۝٣٢﴾ [ص]: يمكن أن يكون ذلك غاية لعرض الخيل فتكون عرضت عليه إلى أن غربت الشمس، ويمكن أن الخيل عرضت عليه حتى توارت عن عينه.

وقوله: ﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ۝٣٣﴾ [ص]، معناه كما يبدو لي: أنه طلب أن ترد الخيل إليه حباً لها وشوقاً إليها فردوها عليه فأقبل يمسح بيده على قوائمها وأعناقها، وكل ذلك للحب لها والإعجاب بها، لما لها من النفع العظيم في الجهاد في سبيل الله تعالى.

أما ما يروى من أنه حين ردوها عليه أقبل يضرب بسيفه أعناقها وقوائمها، فلا يصح ولا ينبغي أن ينسب إلى نبي من أنبياء الله صلوات الله عليهم، لما في ذلك من الدلالة على الحمق والجهل.

فهذا هو ما أميل إليه في تفسير قصة سليمان في سورة (ص) بعد أن قرأت تفسيرها في عدة تفاسير فلم أر ما تطمئن إليه النفس.

وما ذكرته من التفسير -وإن لم يذكره أحد- فهو متوافق مع ما قصه الله تعالى في القرآن عن سليمان عليه السلام.

ولم يخرج عن قوانين اللغة، مع ما فيه من تنزيه نبي الله سليمان عليه السلام عما نسب إليه من معصية الله مع ما يشهد له من سياق الكلام.

والحمد لله رب العالمين وصلوات الله وسلامه على نبينا محمد وعلى آله الطاهرين، وعلى نبي الله سليمان وعلى سائر الأنبياء والمرسلين والملائكة المقربين ورحمته وبركاته.

[حكم داود وسليمان في الحرث]:

📖 بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ

نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ۝٧٨ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا...﴾ [الأنبياء]، **يدل ذلك على**:

- أن داود وسليمان عليهما السلام أصدر كل واحد منهما حكماً في قضية واحدة ليس فيها حكم من الله بخصوصها.
- وأنه يجوز الاجتهاد فيما لم ينزل فيه حكم من الله.
- وأن حكم المجتهد في المسألة الاجتهادية لا يكون حجة على المجتهد الآخر.
- وأنه يجوز الاختلاف في المسائل الاجتهادية.
- وأن على المجتهد المصير إلى ما أداه إليه اجتهاده.
- وأنه يجوز أن يحكم في القضية الواحدة محكمان؛ فإن اتفقا في الحكم فيها لزم الحكم، وإن اختلف حكمهما فعلى المحكمين أن يعيدا النظر ويراجع كل منهما صاحبه؛ فإن اتفقا بعد ذلك على رأي واحد وحكم واحد لزم، وإن لم يتفقا بعد المراجعة لم يلزم الخصمين شيء.
- وأنه ينبغي للعالم والحاكم أن يدرب طلبته على الحكم بين الناس، وعلى الفتوى تحت نظره وإشرافه؛ فإذا أبدى الطالب حكمه أو فتواه فليأخذها العالم وليقارن بين حكمه وحكم طالبه.
- وفي الآية أن غنماً لقوم دخلت على زرع قوم فأكلته وأفسدته، فتحاكم أصحاب الغنم وأصحاب الحرث إلى داود وسليمان عليهما السلام، ولم يذكر في القرآن الحكم الذي حكم به داود، ولا الحكم الذي حكم به سليمان.
- وأن الحاكم إذا أخطأ في حكمه بعد التحري والنظر معذور ومأجور.
- أن الله تعالى يوفق العالم المجتهد في اجتهاده لإصابة الحق عند الحاجة للحكم أو الفتوى أو العمل.
- وأن الحق يكون مع واحد من المجتهدين المختلفين لا مع جميعهم.
- وأن من أهم وظائف إمام المسلمين الحكم بين الناس وفصل خصوماتهم.

- أن العالم المجتهد بحاجة إلى الله وإلى معونته وتوفيقه في استنباط الحكم واستخراجه، فعليه أن يعتمد على الله ويسأله المعونة والتوفيق.
- وأن من كان أكثر رسوخاً في التقوى والإحسان كان أكثر توفيقاً ومعونة من الله.

📖 قال الله تعالى: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [الأنبياء:٧٩]،

في هذه الآية:

أن الفهم شيء آخر غير العلم، وأن الله تعالى قد يفضل بعض أوليائه الصالحين على بعض في الفهم، وأن المجتهدين الصالحين إذا اختلفوا في المسألة الاجتهادية لا يكونون مصيبين جميعاً، وأن المصيب منهم من صادف حكم الله، وأن المجتهد لا يصيب الحق في اجتهاده إلا بتوفيق من الله وتسديد.

-ويؤخذ من الآية:

١ - أن الله تعالى يعطي المكلف الفهم الكافي والزائد الذي يتوصل به المجتهد إلى الإصابة لحكم الله ثواباً عاجلاً وجزاءً واصلاً على إحسانه في أعماله وطاعته، فيكون المجتهد الراسخ في التقوى أو الأكثر رسوخاً في التقوى أقرب إلى إصابة الحق ممن هو دونه، وعلى هذا:

-فيؤخذ من الآية أن تقليد المجتهد الأورع أولى ممن هو دونه في الورع.

-أن العلم والفهم يكون ثواباً على الإحسان في طاعة الله وتقواه.

الإحسان:

الإحسان المطلوب الذي يريده الله تعالى في هذه الآية وفيما أشبهها هو: أن يتحرى المكلف ما أمر الله تعالى به من الواجبات، وندب إليه من المندوبات في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ويتحرى أيضاً الاقتداء بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في أخلاقه الكريمة مع أهله وأولاده وأقاربه وجيرانه وأصحابه وأوليائه وأعدائه، و...إلخ، فيعمل ذلك لوجه الله بنية خالصة، وكل ذلك على حسب استطاعته: ﴿لَا يُكَلِّفُ

اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة:٢٨٦]، ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن:١٦]، وكل هذا مع صدق إيمانه ويقينه وحسن عقيدته وصحتها، ومع التزامه بالتواضع البليغ لله تعالى، فيتقبل أحكام الله تعالى بالخشوع والخضوع والرضا والتسليم في كل صغير وكبير بحيث لا يكبر على نفسه من أحكام الله لا كبير ولا صغير.

- ويؤخذ من الآية أن الأنبياء صلوات الله عليهم يتفاضلون على حسب درجاتهم في الإحسان، فمن كان أدخل في الإحسان وأعلى درجة فيه فهو أفضل ممن هو دونه.
- ويتفرع على ذلك أن تفاضل الأنبياء عليهم السلام كان بسبب فعل المندوبات والمستحبات؛ لأن الله تعالى قد عصمهم صلوات الله عليهم من التفريط في فعل ما كلفوا به، ومن انتهاك ما نهوا عنه، فهم في أعلى مراتب التقوى والخشية لله.
- قد يقال: إن الله تعالى لم يُرِدْ في هذه الآية تفضيل سليمان على أبيه داود عليهما السلام، وإنما أراد تعالى أن ينبه على مكانة سليمان؛ لأن أبصار الناس مرفوعة إلى مكانة داود وقلوبهم متوجهة إلى تعظيمه، ولم يكن لهم اهتمام بسليمان عليه السلام؛ فنبههم الله تعالى وجر بأبصارهم إلى مكانته، وأعلمهم أنه خليفة أبيه في نبوته وملكه.

[قصة سبأ]:

📖 قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا...﴾ [سبأ] إلى آخر ما قص الله من خبرهم، **في ذلك:**

١- أن الاشتغال بالزراعة وبناء السدود وشق الأنهار لا يتعارض مع العبادات الدينية في الإسلام، بل إن الله تعالى يشكر المشتغلين بالزراعة الشاكرين لله على ما أولاهم.

٢- أن الله تعالى يريد أن يتنعم عباده فيما أولاهم من النعم، وأن يشكروه على ذلك.

٣- أن الله تعالى بعث إلى سبإٍ رسولاً يأمرهم بطاعة الله وشكره، وينهاهم عن

معصيته، ويحذرهم بأسه وعذابه؛ لأن الله تعالى أخبرنا أنه لا يعذب قرية حتى يبعث إليها رسولاً.

٤- كان سد مأرب نعمة عظيمة لأهل سبأ حيث صلحت على مياهه زروعهم وأشجارهم، واتسعت بمياهه مزارعهم وجنانهم، وكثرت ثمارهم، فكانوا يرون أن ذلك السد الكبير هو باب الخير الذي لا يغلق، وركنوا عليه واطمأنوا إليه، فلما أعرضوا عن شكر الله وأبوا إلا كفر نعمته انقلب ذلك السد العظيم باب عذاب وشر، حيث انفتق بإذن الله وهو ممتلئ ماءً فنزل عليهم ماء السد كله من الفتق، فاجترف الجنان والزروع والثمار وذهب حتى بتراب تلك الجنان، ولم يبق على جنبتي الوادي لتلك الجنان أثر.

[بعض الأمم السابقة المذكورة في القرآن]:

📖 من غرائب العلم: قال تعالى في سبأ: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا ءَامِنِينَ ۝١٨ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ...﴾ [سبأ]:

القرى التي بارك الله تعالى فيها هي قرى الشام.

وفي ذلك من العلم: أن قرى الشام كانت أسواقاً تجاريةً في ذلك العهد يقصدها التجار بمتاجرهم وبضائعهم، وأن سبأ كانوا يشتغلون بالسفر من اليمن إلى الشام في طريق طويلة ممتدة من جنوب الجزيرة العربية إلى قرى الشام، وكانت هذه الطريق الطويلة تمر على قرى بحيث أن المسافرين من أهل اليمن يجدون حاجاتهم من الطعام والشراب والمأوى والأمن على طول الطريق.

- ومن العلم: أن طريق سبأ التجارية إلى الشام كانت تمر بالحجاز، وأن الحجاز كان معموراً بالسكان وكثرة القرى.

-وأن سكان الحجاز الممتد من اليمن إلى أطراف الشام لم يكونوا ذوي همجية بل كانوا على أخلاق مدنية، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا

ءَامِنِينَ﴾ [سبأ:١٨]، ولم تكن سبأ تسلك إلى الشام من ساحل البحر الأحمر؛ لأن ذلك السهل لا يصلح للبناء والتعمير ولا يصلح للسفر في النهار.

- ومن الفوائد العلمية:

أن أرض سبأ كانت أرضاً زراعية: ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ...﴾ [سبأ:١٥]، ولا يخفى أنه لا يمكن السفر بالفواكه من اليمن إلى الشام في ذلك الحين، ولا يتصور أن يسافروا بالحبوب لبيعها في الشام؛ لأن أرض الشام أرض زراعية من الدرجة الأولى.

وحينئذٍ فلا بد أن يكون لأهل اليمن نقد ليشتروا به البضائع من الشام وما ذاك إلا الذهب، وكانوا يستخرجون الذهب.

ودليل ذلك: ما حكاه الله تعالى عن بلقيس: ﴿وَإِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا ءَاتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾ [النمل].

- ومن الفوائد: أن الذهب كان عملة عالمية.

- ومن الفوائد العلمية: أن أهل سبأ كانوا أهل حضارة وترف، وأنهم كانوا أهل زراعة وصناعة وتجارة.

-وأنهم تفرقوا وتشتت شملهم حين كفروا بنعمة الله تعالى وبطروها، فخرجوا من بلادهم وتفرقوا في جزيرة العرب فرقاً كثيرة.

وقال تعالى في عاد قوم هود: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ﴿٧﴾ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ...﴾ [الفجر].

- كانت عاد تسكن في جنوب الجزيرة العربية، وذلك في حضرموت وما حواليها من الصحراء ذات «الأحقاف».

ومن الفوائد في ذلك:

-أن عاداً كانوا ذوي حضارة وتطور في العمران لم يسبقهم إليه غيرهم من سكان الكرة الأرضية.

-وأنهم كانوا في رخاء من العيش وترف كبير، إذ أن التعمق في البناء والتطور فيه وفي صناعته لا يكون إلا بعد الغنى الكبير ووفرة المال، إذ من العادة أن الإنسان لا يفكر في القيام بمشروع بناء كبير متطور إلا بعد أن يحصل على فائض من المال زائد على كفايته في معيشته.

-وإرم: هي مدينة راقية البناء، لأبنيتها أعمدة طويلة تنحت من الصخور، بلغت من حسنها وهندسة بنائها حداً لم يبلغه غيرها من مدائن الأرض،

-ولا يخفى أن عاداً لن يصلوا إلى هذا الحد من الفن المعماري وهندسة البناء إلا بعد مرور فترات معمورة بالحضارة والتقدم؛ لأن المعهود أن أمة من الأمم لا تقفز من الصفر إلى القمة قفزة واحدة، وإنما العادة الجارية أن الأمة تتدرج في التقدم والحضارة قليلاً قليلاً وشيئاً فشيئاً، ولا تصل إلى القمة إلا بعد عقود من الزمان.

-ولكن عاداً لم يشكروا ما هم فيه من نعم الله تعالى، فأرسل تعالى إليهم أخاهم هوداً يدعوهم إلى الله تعالى وإلى توحيده وعبادته فكذبوه؛ فصب الله تعالى عليهم سوط عذاب دمر الله به مبانيهم ومساكنهم العجيبة، واستأصلهم استئصالاً لم يسلم منهم أحد ﴿فَهَلْ تَرَى لَهُمْ مِنْ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة:٨].

وقال تعالى: ﴿وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ ۝١٠﴾ [الفجر]، وكانت قبيلة ثمود تعيش في شمال الجزيرة العربية ما بين المدينة المنورة والشام، وكانت ثمود أهل غنى وثراء وكانت أموالهم الإبل.

ودليل ذلك: أن الله تعالى جعل آية نبيه صالح عليه السلام ناقة عظيمة تحتاج إلى ماءٍ كثير، فقال لهم نبيهم عليه السلام: ﴿لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ﴾ [الشعراء:١٥٥]، فدل ذلك أنه كان لهم إبل تحتاج إلى الماء، ودليل غناهم وثراهم وترفهم أنهم نحتوا الصخور واتخذوها مساكن، ونحتوا خزانات مياه كبيرة، وكانوا يبنون في رؤوس الجبال مباني.

- ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ...﴾ [الفجر:١٠] والأوتاد: هي الأهرام شبهها الله تعالى بالجبال لعظمها، وما زالت آثار ثمود وفرعون إلى اليوم.

[الوحي إلى أم موسى]:

📖 قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ [القصص]،

الوحي إلى أم موسى قد يكون:

١- إما إلهاماً تجده في نفسها.

٢- وإما رؤيا منام.

٣- وإما بواسطة جبريل عليه السلام أو غيره من الملائكة.

ولا يبعد أن يحصل كل ذلك بالإلهام، وذلك أنه كان قد اشتهر في بني إسرائيل وعند الفراعنة أنه يولد في بني إسرائيل مولود يكون نبياً، وكانت أم موسى عارفة بذلك، ولعلها رأت في حملها من الأمارات ما يجعلها تعتقد أنها تحمل في بطنها ذلك النبي المتوقع في ذلك الزمان، وإذا حصل لها ذلك الاعتقاد فإنها ستطمئن على سلامته، وسيقل خوفها وحزنها عليه.

[قصة موسى في سورة القصص]:

📖 ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ...﴾ [القصص:٧]:

قصة موسى في سورة القصص يستفاد منها فوائد، من ذلك:

١- أن فرعون كان يقتل المواليد الذكور من بني إسرائيل ولا يقتل الإناث، والسبب في ذلك أنه بلغه أنه سيولد رجل من بني إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه.

٢- أن الحذر لا يغني من القدر.

٣- أن على المرء أن يهرب من المخاوف المظنونة والمتوقعة، ويأخذ بأسباب النجاة.

٤- لا يهرب المرء قبل حصول أسباب الخوف.

٥- أن سياسة التفريق وزرع العداوات بين الناس لغرض إحكام السيطرة

عليهم سياسة فرعونية قديمة، وهذه السياسة تنقسم شرعاً إلى قسمين:

قسم منها محرم، وقسم جائز غير محرم، وهذا التقسيم باعتبار الغرض المطلوب، فإن كان الغرض المطلوب هو دفع بأس الكافرين أو الظالمين أو الباغين أو المفسدين كما روي في السيرة أن النبي ﷺ أذن لنعيم بن مسعود يوم الأحزاب أن يفرق بين المشركين وبين اليهود، وكانوا قد تحالفوا على حرب النبي ﷺ فسار نعيم بين الطرفين بكلام تسبب في قطع ما بينهما، وكان نعيم قد أسلم ولم يعلم المشركون واليهود بإسلامه؛ فمثل ما وقع في هذه القصة فهو جائز؛ لأنه تفريق بين أهل الباطل، وفيه دفع لباطلهم وإثمهم وبغيهم وعدوانهم عن الإسلام والمسلمين.

والقسم المحرم من التفريق هو التفريق بين أهل الحق وأنصاره، كالتفريق بين أصحاب النبي ﷺ وأنصاره، وكالتفريق بين أعوان الوالي العادل وأشياعه، وكالتفريق بين المتحابين في الله وكالتفريق بين الأرحام والجيران ونحوهم ممن المطلوب في أحكام الله ائتلافهم.

٦- أثاب الله تعالى بني إسرائيل على ما لحقهم من ظلم فرعون، وعظيم هضمه لهم، مع صبرهم وإيمانهم ويقينهم- بثواب تمثل في عدة صور:

أ- أن جعلهم الله تعالى أئمة يهتدى بهديهم.

ب- مكنهم الله تعالى في الأرض بالسيطرة عليها والولاية فيها.

ج- أن جعلهم الله تعالى الوارثين للأرض بالولاية والسلطان بعد فرعون وجنوده.

د- منَّ تعالى عليهم بالسلامة من فرعون وجنوده.

هـ- أرى الله تعالى عدوهم فرعون وأعوانه وجنوده أنَّ حذرهم من مولود بني إسرائيل لم يغن عنهم شيئاً، فقد تربى ما كانوا يحذرونه في بيت فرعون أحسن تربية، وحضي من فرعون وآل فرعون بالعناية البالغة.

٧- أم موسى لم تكن نبية، والوحي إليها قد يكون عن طريق الرؤيا، وتظهر

صحة الرؤيا لها بأن تتكرر الرؤيا، وقد كان الزمان حينئذٍ زمان مولد نبي ينقذ الله به بني إسرائيل من آل فرعون، وكان بنو إسرائيل على علم بذلك.

٨- فلما رأت في رؤياها أن الله تعالى سيجعل مولودها من المرسلين اطمأنت إلى صحة رؤياها، وكان ذلك علامة على صحته.

٩- أتتها الرؤيا من الله بعد أن وضعت حملها فأرضعته، وحين خافت عليه وضعته في مهدٍ من خشب، ووضعته في نهر النيل، فسار به النهر، فالتقطه من النهر آل فرعون، ودخلوا به بيت فرعون، وبناءً على ذلك فيؤخذ من القصة: أن الرؤيا تكون دليلاً للمؤمن للخروج من المضائق والمهمات، يريه الله تعالى فيها كيفية الخروج من ذلك.

١٠- ومن الفوائد أن للزوجة دوراً في تحريف زوجها عن رأيه وثنيه عن عزمه، فإن كانت صالحة كانت عوناً له ومحفزاً على فعل الخيرات، وإن كانت غير صالحة صدته عن فعل الخيرات، وزينت له فعل السيئات، فعلى المؤمن أن يحسن اختيار الزوجة.

١١- قد يؤخذ من هنا أنه لم يكن لفرعون ولد، لذلك رغب فيما رغبته فيه زوجته من اتخاذ موسى ولداً، فكف عن قتله.

١٢- في الولد ثلاث نعم يرغب فيها المرء ويطلبها وهي:

أ- أنه يكون منشأً للسرور والراحة في نفس والديه، وتقر أعينهما برؤيته وتحركاته وسكناته، وبكلامه وضحكه، وتنتعش أنفسهما بذلك، وتمتلئ فرحاً وسروراً ﴿قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ﴾ [القصص:٩].

ب- من شأن الولد أن ينفع والديه.

ج- ينتسب الولد إلى والديه، فيحيا به ذكرهما، ويزداد بشرفه شرفهما، وبعزته عزتهما، ويدوم بملكه ملكهما، فهذه نعم ثلاث تستدعي الشكر عليها.

١٣- لا يلام المرء على الحزن الطبيعي، ولا تنافي بينه وبين الإيمان واليقين والثقة بالله.

١٤- لا يجوز إظهار الحق والصدق إذا كان إظهاره سبباً في حصول منكر أعظم وأكبر.

١٥- أن الفرج يأتي بعد أن تشتد الأزمة.

١٦- أن أخت موسى كانت عاقلة وذكية، وذلك من حيث أنها أدركت بعقلها وذكائها معرفة مصير أخيها موسى، وما جرى من عرض المراضع عليه وإبائه عن الرضاع من كل ما عرض عليه منهن، ثم إدراكها بعقلها وذكائها استرجاع أخيها من يدي فرعون إلى أمه، وكل ذلك من غير أن يشعر آل فرعون بأسلوبها وطريقة توصلها إلى ما أرادت.

١٧- رد الله تعالى موسى إلى حضن أمه لأغراض ثلاثة:

أ- لأن تسر بولدها، وتقر عينها به.

ب- ليذهب عنها حزن افتقاده والخوف عليه.

ج- لتعلم أن الله تعالى صادق الوعد.

١٨- أن الله تعالى رحيم بعباده المؤمنين لطيف بهم، فيريهم من آياته ما تطمئن به نفوسهم ويزيل الشّبَه عنهم.

١٩- يؤخذ من هنا أن موسى عليه السلام -وإن تربى في بيت فرعون- كان من المحسنين منذ ابتداء نشئه إلى أن بلغ أشده واستوى.

٢٠- أن موسى عليه السلام كان أهلاً للنبوة والاصطفاء؛ لأنه كان من المحسنين الذين لم تصدر منهم إساءة لا في فعل ولا في قول، بل كانت أقواله وأعماله كما يحب الله ويرضى.

٢١- كما يؤخذ من هنا أن العلم والحكمة ثواب وجزاء يعجله الله تعالى في الدنيا لعباده المحسنين.

٢٢- أن فعل الأنبياء للصغائر التي ليس فيها خسة ودناءة جائز، لا يخدش في كرامة النبي، ولا في عظيم منزلته.

٢٣- أن الشيطان قد يوقع النبي في فعل المعصية الصغيرة، وبناءً على هذا فإن المراد بقوله تعالى حكاية عن الشيطان: ﴿لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ۝٨٣...﴾ [ص]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ [الحجر:٤٢]- هو أن الأنبياء معصومون من أن يوقعهم الشيطان في الكبائر دون الصغائر.

٢٤- يظهر من القصة أن موسى عليه السلام كان يتكتم على دينه من فرعون وآل فرعون.

٢٥- كما يظهر أن آل فرعون قد عرفوا أن موسى ليس ابناً لفرعون، إذ لو اعتقدوا أنه ابن له لما تآمروا على قتله.

٢٦- يبدو أن الدافع لموسى عليه السلام إلى مناصرة الإسرائيلي ومعاونته على القبطي هو كون الإسرائيلي من أصحاب موسى في النسب والدين، وكون القبطي من أعداء بني إسرائيل وأعداء موسى، ومثل هذه المناصرة يحتمها الدين والعقل.

٢٧- استغاثة الإسرائيلي بموسى على القبطي تدل على قوة القبطي وضعف الإسرائيلي، إذ لا يستغيث إلا الضعيف أو المغلوب، وعلى هذا فيؤخذ أن مساعدة الضعيف ومناصرته ضد عدوه القوي خلق رفيع وعمل صالح.

٢٨- أن الضعيف والمغلوب ولو كانا هما المتسببان في حصول النزاع والخصام والقتال، فإن ذلك لا يمنع من دفع الشر عنهما ومناصرتهما في دفع الجور عليهما.

٢٩- أن القرائن طريق مشروعة للحكم عليها، وذلك أن موسى عليه السلام حكم على الإسرائيلي بأنه غوي مبين، وقد استند موسى عليه السلام في ذلك إلى ما رآه عليه السلام من خصام الإسرائيلي في اليوم الأول وفي اليوم الثاني.

إذ لا يحصل ذلك في الغالب إلا من الغوي الذي يلح في طلب ما ليس له، ويصر على منع ما عنده من الحق للغير.

ويمكننا أيضاً أن نقول: إنه يؤخذ من هنا صحة الاستدلال بحصول المسبب على حصول السبب.

٣٠- أن الأعمال الظاهرة تدل على الأعمال الباطنة.

٣١- أن التأويل في مثل ذلك لا يجب، ومن هنا يمكننا أن نقول:

التأويل قسمان: واجب وغير واجب:

أ- فالواجب أن تكون الريبة صدرت ممن عرف بالإيمان والتقوى ومراقبة الله والتحري في دينه، فإن التأويل لمن كان كذلك واجب، لأن معرفتنا بما عليه المؤمن من الزكاء والتقوى والورع يدفع بنا إلى عدم الجزم بالحكم عليه بالتعمد لفعل المعصية والجرأة على معصية الله، ومن هنا قال تعالى: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُبِينٌ﴾ [النور:١٢].

ب- ولا يجب التأويل إذا صدرت الريبة من رجل من عرض الناس وعوامهم، وحكم موسى عليه السلام على الإسرائيلي هو من هذا القسم.

٣٢- أن من شأن أولياء الله إذا وقعوا في معصية الله أن يبادروا بالتوبة والندم عقيب الزلة، ويسألوا الله تعالى المغفرة لذنوبهم، ولو كانت المعصية صغيرة.

٣٣- إذا أراد التائب سؤال المغفرة من الله فليبدأ أولاً بالاعتراف بذنبه، وظلمه لنفسه ثم يسأل المغفرة بعد ذلك.

٣٤- إذا عرف الرجل بالإجرام فلا تجوز معاونته على إجرامه.

٣٥- كان موسى عليه السلام قوياً في بدنه بدليل: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَى فَقَضَى عَلَيْهِ﴾ [القصص:١٥] ﴿فَلَمَّا أَنْ أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا...الآية﴾ [القصص:١٩].

٣٦- إذا حضر رجل عند قوم أو دخل معهم، وسمعهم يتآمرون على الفتك بمسلم، أو على أخذ ماله أو... إلخ فحقيق به أن يبادر إلى تحذير المسلم من أولئك المتآمرين، ولا يعد ذلك من إفشاء السر، بل إن ذلك من السر الذي تجب إذاعته إلى الرجل الذي تسارر القوم وتآمروا على الإضرار به.

٣٧- الرجل الذي نصح موسى بالخروج من مصر وحذره من آل فرعون كان رجلاً صالحاً محباً لموسى جاهداً في نصحه، لذلك سعى وجرى إلى موسى من أقصى المدينة ليحذره، ولعل هذا الرجل الذي بادر إلى تحذير موسى هو

الرجل الذي آمن بموسى فيما بعد وكتم إيمانه، وهو رجل من آل فرعون.

٣٨- إذا وصلك التحذير من أمرٍ فبادر إلى الحذر، ولا تتريث، وهكذا صنع موسى.

٣٩- ويؤخذ من هنا أنه يجوز أو يجب العمل بخبر الواحد إذا ظهرت قرائن صدقه، وقد كان هناك قرائن تؤكد لموسى صحة الخبر وهي:

أ- أن الرجل أقبل جارياً إلى موسى من أقصى المدينة مما يدل موسى على أن للرجل شأناً يدفعه إلى الجري من أقصى المدينة إلى موسى.

ب- وقوع القتل من موسى للقبطي، ولا شك أن ذلك سبب داع إلى الاقتصاص من موسى وأخذ الثأر منه.

ج- أكد الرجل ذلك الخبر لموسى: ﴿إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [القصص:٢٠].

٤٠- إذا كان عندك لرجل نصيحة وقدمتها إليه فأردفها بذكر شيئين:

أ- ذكر العلل والأسباب التي تدل على أهمية النصيحة.

ب- ذكر ما يؤكد أنك صادق في نصيحتك وحريص على الخير للمنصوح، وهكذا كانت النصيحة التي تلقاها موسى من الرجل.

٤١- على المرء الذي يريد الوصول إلى مصلحة أو إلى السلامة من أمر مخوف:

أ- أن يأخذ بالأسباب.

ب- وأن يعلم – وإن أخذ بالأسباب – أنه لا يصل إلى مطلوبه من السلامة من المخوف أو الحصول على المصلحة المرغوب فيها إلا بمعونة الله وإرادته وتوفيقه وتأييده، ثُم بعد تحقق ذلك يسأله تعالى مطلوبه.

٤٢- يتفرع على ما قبل هذا أنه لا يحسن بالمؤمن الفقير أن يدعو الله ليرزقه من غير أن يأخذ بسبب من أسباب الرزق، ولا يجمل أن تدعو الله تعالى أن يرزقك العلم من غير طلب للعلم، وعلى المريض أن يأخذ بسبب الشفاء ويسأل الله تعالى الشفاء، فإنه إذا نزل الشفاء نفع الدواء، وهكذا.

٤٣- لا كراهة في أن يسافر المرء وحده لضرورة الخوف، أو لتضيق واجب، أو لنحو ذلك من الضرورات.

٤٤- على المسافر أن يلتجئ إلى الله ويعتمد عليه ويسأله السلامة في سفره وأن يدله على الطريق الموصلة له إلى المكان المطلوب.

٤٥- لا يقبح بالمرء ولا يلام على السفر بلا زاد، ولا دليل عند الضرورة.

٤٦- أنه لا ينبغي للمرأة أن تخالط الرجال الأجانب.

٤٧- وأنه لا حرج على المرأة في الخروج من بيتها للعمل ما اجتنبت مخالطة الرجال والتعرض للفتنة، وأنه لا يشترط في جواز خروجها المحرم في غير السفر.

٤٨- وأنه لا حرج على الرجل في مخاطبة الأجنبية بما لا يدعوا إلى الريبة، وليس عليها جناح في خطاب الأجنبي بما لا يدعوا إلى الريبة.

٤٩- إذا لم يكن هناك حاجة تدعو إلى عمل المرأة خارج البيت فالأولى لها عدم الخروج لذلك اعتذرت بنتا شعيب لخروجهما بقولهما: ﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ﴾ [القصص:٢٣].

٥٠- أن معاونة الضعيف وقضاء حاجته عمل صالح.

٥١- أن من شأن المرأة إذا برزت من بيتها أن تدرع الحياء.

٥٢- أن أخذ المكافأة على المعروف والإحسان لا يبطلهما، ولا يبطل ثوابهما.

٥٣- أن تأجير المرء نفسه لا ينقص من كماله وشرفه.

٥٤- فيما هنا ذكر الإجارة الخاصة بجميع أركانها.

٥٥- وأنه يصح أن تكون المنفعة المعلومة إجارةً، ومهراً.

٥٦- وأن عقد الإجارة يصح ولولم يشهد عليه سوى الله تعالى.

٥٧- وأن من الحقيق بالمحتاج أن يطلب لنفسه سبباً يعمل فيه لسد حاجته.

٥٨- بعدما قضى موسى الأجل المحدد وهو ثمان سنوات أو عشر سنوات- خرج موسى بأهله وسار، وكان معه في مسيره غنم بدليل: ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي﴾ [طه:١٨].

ويحتمل أن الغنم كانت عطية لموسى من شعيب، يدل على ذلك قول شعيب:

﴿سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [القصص:٢٧]، ويحتمل أنها لبنت شعيب زوجة موسى، ويحتمل غير ذلك، ومسير موسى بأهله بعد قضائه للأجل لم يكن إلى مصر؛ لأنه يخاف القتل، بل كان يريد المسير بأهله إلى أن يجد المكان المناسب ليعيش فيه هو وزوجته وغنمه.

٥٩- أن من الحق أن يخدم الرجل المرأة في السفر.

٦٠- إذا ضل المسافر عن الطريق فليسأل عنها إن وجد من يسأله، ويبحث عنه إن لم يجده في مظانه.

٦١- سؤال النار وما أشبهها من المحقرات لا يخل بالمروءة ولا سيما عند الحاجة.

٦٢- أنه لا يكره السفر ليلاً.

٦٣- عاد موسى إلى زوجته وغنمه بعدما ذهب ليسأل عن الطريق وليأتي لزوجته بنار تستدفئ بها في تلك الليلة الباردة المظلمة، عاد إليها بالنبوة والكرامة والهدى إلى السعادة الأبدية.

وصدق الله: ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح]، وصدق الرسول ﷺ: ((اشتدي أزمة تنفرجي))، وقال الشاعر:

فبينما العسر إذ دارت مياسير

٦٤- كلم الله تعالى موسى بكلام خلقه في الشجرة، وأردف الله تعالى كلامه بآيات دالة على أنه كلام الله تعالى، لا كلام شيطان، أو جني، آيةٌ في عصاه، وآيةٌ في يده، وجعل هاتين الآيتين برهاناً أيضاً يبرهن به على صحة رسالته عند آل فرعون.

٦٥- قد يؤخذ من هنا: أن خوف الرجل على نفسه القتل عذر يعذر به الخائف من ترك الواجب، لذلك أخبر الله تعالى موسى بأن القتل الذي يخافه من آل فرعون إن ذهب إليهم برسالة الله لا يحصل، وأن الله سيمنعهم من قتله والوصول إليه بأذى.

٦٦- ينبغي لمن وكل إليه أمر ثقيل أن يستعين على فعله أنصح الناس له،

وأقواهم على فعله وتأديته.

٦٧- كما قد يؤخذ من هنا أن نوظف للدعوة إلى الله وإلى الإرشاد إلى دينه ذوي العلم والفصاحة، وقد اشتهر بين أهل العلم حديث: ((إن من البيان لسحرا...)).

٦٨- سأل الله تعالى موسى أن يبعث معه أخاه هارون فاستجاب الله تعالى له وأوحى إليه وجعله نبياً مع أخيه موسى، ووعدهما بالحفظ من آل فرعون، ووعدهما بالنصر والغلبة، ﴿أَنْتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [القصص:٣٥] فحصل كل ذلك إلا أن النصر والغلبة لم يحصلا إلا بعد حين تتابعت فيه على بني إسرائيل المحن والفتن والابتلاء، فصبروا.

٦٩- ينبغي لمن عرف صدق الرجل وثقته وأحقية خبره أن يخبر بصدق خبره ويؤكد صحته، وهذا إذا كذبه المخاطبون وسخروا من خبره.

٧٠- إذا سمع المرء الخبر الغريب فلا يبادر إلى استنكاره وتكذيبه، بل على العاقل أن ينظر في حقيقته، ويتروى في النظر فيه، وهذا إن كان له في ذلك مصلحة أو دفع مفسدة، وإلا أعرض عنه من غير تكذيب ولا تصديق.

٧١- أن غرابة الخبر وعدم وقوع مثله في عهد الآباء والأجداد لا يدل على كذبه.

٧٢- لم يكن فرعون غبياً حين أمر ببناء صرح طويل ليطلع إلى إله موسى، ولكنه بهذا الصنيع سيقول لقومه إنه اطَّلع إلى إله موسى ليستعلمه عن صحة نبوة موسى، وأن إله موسى أخبره أنه لم يوح إلى موسى، وأن موسى كاذب في ادعائه الرسالة، حيلةً منه على قومه لعلمه بغفلتهم وجهلهم وأنهم سيصدقونه، ومن هنا قال تعالى عن فرعون: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ...﴾ [الزخرف:٥٤].

٧٣- ترفع فرعون وجنوده عن قبول الحق الذي جاء به موسى إليهم فأغرقه الله تعالى هو وجنوده في البحر، خزياً من الله لهم، وآية كاشفة لضعف فرعون وجنوده، وعبرة للمعتبرين لكي يحذروا أن يقعوا في مثل ذلك المصير المشؤوم والمخزي.

٧٤- اللعن وسوء الذم في الدنيا جزاء عاجل للظالمين، والعكس بالعكس

فالترحم وحسن الثناء في الدنيا ثواب عاجل لعباد الله الصالحين.

٧٥- يؤخذ من هنا جواز لعن المستكبرين والظالمين.

٧٦- يتسبب الاستكبار عن قبول الحق والترفع عن الرضا به إلى زيادة التباعد عن الحق والتوغل في الباطل إلى أن يصير صاحبه إماماً يدعو إلى النار.

٧٧- نزل موسى وهارون عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى ميدان المواجهة مع فرعون وجنوده، وهما منفردان فانتصرا انتصاراً ساحقاً.

٧٨- في قصة موسى المذكورة على لسان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معجزة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تدل على صدقه وصحة نبوته، وذلك أن قريشاً تعلم علم اليقين أن محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يخالط علماء اليهود والنصارى وغيرهم، ولم يقرأ كتبهم.

[عودة موسى وزوجته من مدين إلى مصر]

📖 قال تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى ۝٩ إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا إِنِّي ءَانَسْتُ نَارًا لَعَلِّي ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ۝١٠﴾ [طه].

📖 وقال تعالى: ﴿ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ ۝٢٩﴾ [القصص]، **يؤخذ من ذلك:**

أن موسى وزوجته قد ضلا الطريق في سفرهما من مدين إلى مصر، وكان ذلك في ليلة مظلمة باردة.

ومن أحكام هذه:

١- أنه لا بأس بالسؤال لمثل الاقتباس من النار، أو لمثل قطعة جمر.

٢- أنه لا بأس بالسفر في الليل.

٣- أن الظن معمول به في جلب المصالح، ودفع المفاسد.

٤- أن الأخذ بالأسباب لا ينافي التوكل.

٥- أن الرجل يخدم المرأة في السفر.

[ما يستفاد من استخلاف موسى لأخيه هارون عليهما السلام]:

📖 بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾﴾ [الأعراف]، **في ذلك:**

١- أن على الوالي إذا أراد مغادرة محل ولايته أن يضع مكانه من يقوم بعمله.

٢- أن يختار من رجاله أفضلهم وأكملهم للنيابة عنه.

٣- قد يكون في هذا ما يدل على صحة التصرف بالوكالة.

٤- وأن ما صح للموكل التصرف فيه صح أن يوكل فيه غيره.

٥- وقد يؤخذ أيضاً من هنا صحة التصرف بالولاية.

٦- وأن على الوكيل أن يتقيد بما وكل فيه، ولا يتجاوزه إلى غيره.

٧- وأن وظيفة إمام المسلمين تحري ما يصلح الأمة ودفع الفساد عنهم.

- أن على الوالي أن يوصي ولاته وقواده بفعل ما فيه صلاح الرعية، ويحذره من أهل الفساد ومكائدهم.
- وأن الوالي لا يكتفي بعلمه بصلاح الوالي بل لا بد أن يوصيه ولو كان من أهل العلم والصلاح.
- وأن الوالي وولاته وقواده لا بد أن تتوفر في كل منهم البصيرة في الدين والعلم بحسن السياسة والتدبير ووفارة العقل؛ لأن إصلاح الرعية في دينهم ودنياهم لا يتم إلا بذلك.
- وأنه كان في قوم موسى مفسدون كثيرون يشكلون خطراً كبيراً على المؤمنين المخلصين.
- وأن المفسدين كانوا في سعي حثيث على الإفساد، وتَسَتُّرِ المفسدين بالدخول في الإسلام يستدعي الحذر الشديد منهم والإيصاء بالحذر منهم، وهكذا أهل الحق في كل زمان ومكان لا يخلون من المفسدين المتسترين بينهم في داخل صفوفهم، وقد قال تعالى لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم في ذلك:

﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ..... إلى قوله تعالى: فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون من آية١، و٤]، وما زال المفسدون يتخللون صفوف المؤمنين للإفساد والهدم إلى يوم الناس هذا.

وقد قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ﴾ [الفرقان:٣١].

وقد صنف الله تعالى الناس في أول سورة البقرة إلى ثلاثة أصناف هم: ١-المؤمنون. ٢-الكافرون. ٣-المنافقون.

وقد وصف الله المنافقين في هذا التصنيف بصفات كثيرة ليبين خطورتهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾﴾ [البقرة]، وتلك الصفات المذكورة عن المنافقين المفسدين تنطبق على إخوانهم في هذا الزمان الذي نعيشه اليوم.

[عصا موسى عليه السلام]:

📖 قال الله تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَامُوسَى ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَامُوسَى ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ...﴾ إلخ [طه]:

- كان لموسى في عصاه منافع كما أخبر هنا، وهي كذلك، وقد جعل الله تعالى في عصا موسى بالإضافة إلى ما كان له فيها من المنافع منافع أخرى:

١- أن جعلها آية لموسى وحجة على صحة نبوته حيث قلبت حية تسعى فظهر بها صحة نبوته، وآمن به السحرة.

٢- فلق بعصاه البحر.

٣- ضرب بها الحجر فانفجر منها اثنتا عشرة عيناً.

- ويؤخذ من ذلك: أنه يحسن استصحاب العصا لما فيها من المنافع، وتأسياً بنبي الله موسى عليه السلام، وبنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فقد روي أنه كان له محجن أي عصا مقبضها معقوف.

[لقاء نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ]:

📖 قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ﴾ [السجدة:٢٣]، لقاء نبينا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في الدنيا غير مراد؛ فلم يبق إلا أن يكون المراد:

١- إما لقاءه ليلة الإسراء والمعراج.

٢- وإما لقاءه يوم القيامة.

فإن قيل: ما هي الحكمة والمصلحة في لقاء نبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في ليلة المعراج أو في الآخرة؟

فيقال -والله أعلم-: يحتمل أن الحكمة في ذلك أن يشهد على اليهود بأنه قد بلغهم صفات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبينها لهم أوضح بيان وأمرهم بالإيمان به وتصديقه ونصرته.

- وذكر لقاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ من دون ذكر لقاء سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لاقى من اليهود من التكذيب والمكر والغدر والأذى والحيل والنفاق ما لم يلقه من غيرهم فعظمت بهم البلية على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى المسلمين، فيكون في الوعد بلقاء موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يشفي غيظ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويخفف من وطأة البلية بهم.
- وما ذكرناه هنا من التفسير هو على حسب ظاهر الآية، وقد فسرتها بوجه آخر قد يكون أقرب إلى الصحة في مكان آخر.

[أن نمن على الذين استضعفوا]:

📖 **سؤال**: قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝﴾ [القصص]، هل ذلك عام، أم خاص ببني إسرائيل الذين كانوا تحت سيطرة فرعون في مصر؟

الجواب: ذلك خاص في بني إسرائيل الذين كانوا في مصر تحت سيطرة

فرعون، وقد تحقق ذلك فنجى الله تعالى بني إسرائيل، وأهلك فرعون وجنوده، ومكن لبني إسرائيل في الأرض و..إلخ، إلا أن الله تعالى خاطب المسلمين على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووعدهم بمثل ما ذكر في مثل هذه الآية المسؤول عنها، فقال سبحانه: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا...﴾ [النور:٥٥]، وظاهر هذا الوعد أنه خاص بالمخاطبين به.

أما من سواهم ممن يأتي بعدهم من الأجيال فحصول مثل ما ذكر في ذلك الوعد لمؤمنيهم العاملين للصالحات تابع لما يعلمه الله تعالى من الحكمة والمصلحة، فإن علم الله تعالى أن الحكمة والمصلحة في حصول مثل ذلك الوعد هيأه الله تعالى ويسره، وإن كانت الحكمة والمصلحة في عدم الحصول لم يحصل.

والشواهد التأريخية على ذلك كثيرة مسطورة في كتب التأريخ، والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد وآله الطاهرين.

[وإذ استسقى موسى لقومه...]:

📖 بسم الله الرحمن الرحيم قال تعالى: ﴿وَإِذِ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَشْرَبَهُمْ...﴾ [البقرة:٦٠]، **في ذلك فوائد:**

- أنه ينبغي لوالي المسلمين إذا قحط الناس أن يستسقي الله تعالى لقومه، وذلك بالدعاء والتضرع إلى الله.
- وينبغي للناس إذا قحطوا أن يفزعوا إلى إمامهم ليسأل الله لهم، وأن يفزعوا إلى علمائهم وصالحيهم ليسألوا الله لهم.
- وهكذا إذا نزل بالمسلم نازلة فينبغي له أن يسأل العلماء والصالحين أن يسألوا الله له في كشفها.

- وفي الآية: أنه ينبغي لولاة المسلمين أن يقسموا ويوزعوا بين المسلمين المياه، والمراعي، وأماكن الحطب، والأراضي المباحة، وذلك لقطع أسباب النزاع والخلاف بينهم.
- وأن يجعل لكل قبيلة قسم منفصل عن نصيب القبيلة الأخرى.
- وأنّ حصول الطَّيِّبَات مرهونٌ بالأخذ بالأسباب، فعلى طالب الرزق أن يسأل الله تعالى ويتضرع إليه في أن يرزقه، ثم عليه أن يسعى لطلب الرزق في مظانه.
- إذا قسم الوالي المياه أو المراعي أو المحتطب أو نحو ذلك بين الرعايا فلا يجوز لأحد منهم أن يأخذ من غير قسمه.
- وفي الآية دليل على صحة الاشتراك في الماء والحطب والمرعى، ونحو ذلك.
- وأن كل فريق يستحق قسمه الذي قسمه له الوالي، ويختص به من دون الفرق الأخرى.
- وأنه يصح الحكم باستحقاق كل فريق لما جُعِل له.
- وأن على الوالي القيام بمصالح رعيته: الدينية منها والدنيوية، وسواء كانت الرعية مطيعة للوالي أم عاصية، أو بعضها مطيع وبعضها عاصٍ، ولكن بشرط أن يكون العصاة تحت ولاية الوالي غير خارجين عنها، وهكذا كان قوم موسى عليه السلام الذين استسقى لهم، فإن أكثرهم كانوا عصاة، إلا أنهم لم يخرجوا عن ولاية موسى؛ فإن خرجت الرعية عن ولاية الوالي أو بعضها، وانحازت في شق لم تستحق أي حق على الوالي الذي خرجت من طاعته.

وبهذه المعاملة التي ذكرنا عامل أمير المؤمنين عليه السلام الخوارج، فإنه عليه السلام كان يوفيهم حقوقهم مع عصيانهم له، ويعاملهم معاملة رعيته المطيعين، فلما خرجوا عن ولايته وانحازوا جانباً وتبرؤوا من ولايته قطع عنهم ما كان يعطيهم من الحقوق.

- ذكَّر الله تعالى بهذه النعمة التي أعطاها لبني إسرائيل على عهد موسى عليه السلام ذكَّر بها اليهود الذين كانوا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فدل ذلك على أن النعمة

على الآباء والأجداد نعمة على الأولاد والأحفاد وإن سفلوا.

- كانت الأعين التي انفجرت من الحجر اثنتي عشرة عيناً على عدد قبائل بني إسرائيل؛ لأنهم كانوا اثني عشر سبطاً لكل سبط عين يختص بها.
- ينبغي قطع أسباب الخلاف قبل حصوله.
- وفي ذلك أن الله تعالى يكره أن يختلف عباده.
- وأنه يجب أن يكونوا إخواناً متآلفين متحابين.
- وإذا كان الخلاف والنزاع محرم في الإسلام لقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ..﴾ [الأنفال:٤٦]، ولقوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ...﴾ [الأنفال:١]- فإنه يلزم ويحتم ترك كل ما من شأنه أن يثير الخلاف والنزاع، ويبعث على العداوات.
- وهناك نوع من الخلاف لا يتسبب في إثارة العداوات، وذلك كالاختلاف في الآراء، والاختلاف في المسائل الاجتهادية؛ فقد كانت آراء المسلمين تختلف على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من غير أن ينكر عليهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم.
- وفي الآية دليل على وجود الحقيقة المشتركة، فإن العين هنا يراد بها الماء المنفجر من جانب من الحجر، ويراد بالعين في قوله تعالى: ﴿وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ﴾ [المائدة:٤٥]، الحدقة التي تُرى بها المبْصَرات.
- وفي الآية ما يدل على أنه لا ينبغي لأولياء الله الصالحين أن يمتنعوا من الدعاء لمن سألهم الدعاء بخير الدنيا إذا كانوا محتاجين لما سألوا.
- وفيها دليل أيضاً على وجود الإسناد المجازي في القرآن الكريم، وذلك في إسناد انفجار الماء إلى اثنتي عشرة عيناً، وهو في الحقيقة والواقع لله تعالى.
- وفي الآية أيضاً أن الله تعالى جعل لموسى عليه السلام في عصاه آياتٍ كثيرة منها هذه، ومنها انفلاق البحر بها، ومنها انقلابها حية، هذه الآيات جاء بها

القرآن، وهناك آيات أخرى في عصاه عليه السلام جاءت بها الآثار.

- وقد يؤخذ منها أن على المكلف إذا أراد أمراً أن يأخذ بالأسباب والمظنات التي قد يترتب عليها حصول المطلوب، أما حصول المطلوب فهو بيد الله، فلا يكْتَفِ الطالب للأمر بالأخذ بالأسباب، بل يسأل الله تعالى ويتضرع إليه في حصول مطلوبه.

وحاصل ذلك أن حصول المطلوب مرهون بحصول أمرين اثنين:

١- الأخذ بالأسباب.

٢- الدعاء والتضرع إلى الله والاعتماد عليه، والرغبة إليه في حصول المطلوب.

[تسليط الله على بني إسرائيل بسبب إفسادهم وعلوهم]:

📖 قوله تعالى: ﴿وَقَضَيْنَا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝٤ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَفْعُولًا ۝٥ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا ۝٧ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدْتُمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء]:

فيه ما يدل على أن الله تعالى أراد ما نزل ببني إسرائيل من القتل والخراب والدمار والخزي والنكال، ولا مانع هنا من أن يريد الله تعالى ذلك ببني إسرائيل؛ لأنهم أفسدوا في الأرض فساداً استحقوا به ذلك.

وهذا بخلاف ما نزل بالمسلمين من المشركين في يوم أحد فإنهم لم يفعلوا ما يستحقون به القتل والجراح والهزيمة، والذي صدر منهم هو مخالفتهم للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصيانهم لأمره، وذلك أنه أمر طائفة من الجند أن يقفوا في مكان عينه لهم لحماية المواجهين للعدو، ونهاهم أن يبرحوا من مكانهم على الإطلاق سواء أكانت المعركة للمسلمين أم عليهم، وفي

أثناء المعركة ظنت تلك الطائفة أن المسلمين انتصروا، فتركوا مواقعهم وذهبوا عنها.

فحصل للمشركين بسبب ذلك ثغرة دخلوا منها على المسلمين، فلم يتنبه المسلمون إلا والسيوف على رؤوسهم، فهذه هي المعصية التي استحق بها المسلمون أن يرفع الله تعالى نصره عنهم.

وليست في العظم مما يستحق مرتكبها القتل و...إلخ.

أما ما فعله بنو إسرائيل فقد وصف الله تعالى ما يستحقون به ما نزل بهم بقوله: ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ [الإسراء]:

١-الفساد في الأرض.

٢-العلو الكبير، وهو التجبر في الأرض والطغيان فيها، وقد وصف الله تعالى فرعون بأنه كان عالياً من المسرفين، وبأنه علا في الأرض.

[نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها]:

📖 قال تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِى ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا...﴾ [الأعراف:١٧٥]، إلى آخر الآيات، **يستفاد من ذلك**:

١- أن العلم بآيات الله وأحكام دينه سبب للرفعة في الدنيا.

٢- أن الجزاء من جنس العمل فالذي يكفر بما آتاه الله تعالى من أسباب الرفعة يجزى على كفرانه بالضعة والهوان والخزي.

٣- أن ثواب الله تعالى للمحسنين يكون في الدنيا والآخرة وهكذا عقابه.

٤- تدل هذه الآية على أن ذنب الانسلاخ عن العلم ذنب عظيم.

والانسلاخ من العلم يكون:

١- إما بأن يترك العالم العمل بعلمه، ويعمل بهوى نفسه سراً من غير أن يظهر ذلك للناس.

٢- وإما أن يلبس على الناس الحق، ويدعوهم إلى العمل على خلاف ما يعلمه من الحق، وتكون شهرته بالعلم سبباً لفتنة الناس وتحريفهم عن دينهم.

٣- وإما أن ينصب الحرب المكشوفة على الحق الذي علمه وعرفه، ويكذب به صراحة.

[مؤمن آل فرعون]:

📖 قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُۥ...﴾ الآيات [غافر:٢٨]،

يستفاد من ذلك:

١- جواز التقية عند الخوف على النفس.

٢- أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مشروع وإن ظن عدم التأثير.

٣- أن كتم الإيمان عند الخوف على النفس لا يخدش في كمال الإيمان؛ لأن الله تعالى وصف الرجل بالمؤمن.

٤- أن على الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر أن يتلطف في أمره ونهيه غاية التلطف.

٥- وأن عليه أن يأتي بالنصيحة اللطيفة من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم، وأن لا يترك باباً من الأبواب إلا ودخل بالنصيحة من خلاله كما فعل مؤمن آل فرعون في نصيحته.

[فوائد من قصة موسى والخضر]:

ويؤخذ من قصة موسى والخضر عليهما السلام:

- أنه يجوز فعل الفساد الصغير لدفع فساد أكبر منه، وهذه مسألة يستحسنها العقلاء.
- أنه يجوز ركوب البحر للصيد والتجارة وطلب الرزق.
- أنها تجوز الشركة في سفينة أو سيارة أو ناقلة، أو في مصنع أو في نحو ذلك بين جماعة من الناس، ويكون الدخل لهم جميعاً.
- وفيها توجيه إلى أهل المال القليل يتعلمون منه كيف يتوصل كل واحد منهم إلى استغلال ماله القليل، وذلك بأن يشتركوا في المال ويجمعوه، ويشتروا به

مصنعاً أو ناقلة أو سيارة أجرة أو طاحون حب أو ماطور لحام أو غير ذلك مما يظنون الاستفادة من دخله، واذا اشتروا شيئاً من ذلك بالمال الذي اشتركوا فيه فليشتركوا في العمل ويتعاونوا فيه، فإن الجهود إذا اجتمعت تضاعفت نتائجها وكثرت بركتها، والعامل وحده يقل نشاطه فيقل محصوله، وتعتريه الملالة والكسل وهم العمل و... إلخ، ومع الاجتماع في العمل لا يحصل شيء من ذلك بل يحصل النشاط والجد والراحة و... إلخ.

- ويؤخذ من ذلك: أن التاجر والضارب في الأرض وراكب البحر لطلب الرزق عليهم أن يتوكلوا على الله، ويمضوا في سبب طلب الرزق في البر والبحر، ولا يصدهم عن ذلك التخوف من الاحتمالات الموهومة، فإن الله تعالى سيدفع عن المتوكلين عليه الشرور والمخاوف كما دفع عن المساكين وسفينتهم.
- أن طلب الرزق في البر والبحر، وبالعمل الفردي والجماعي عمل مبرور وسعي مشكور.
- كان المساكين ينقلون الركاب بالأجرة على ظهر سفينتهم، والدليل على أنها كانت كذلك ركوب موسى والخضر عليهما السلام فيها من بلاد إلى بلاد، وأن السفينة ستسير إلى حيث يوجد ملك يأخذ كل سفينة غصباً.
- أنه يشرع السفر لطلب العلم، وتشرع مصاحبة العالم في السفر والحضر لطلب العلم، لذلك سافر موسى وركب البحر مع الخضر.
- حسن طلب العلم حتى ولو كان في فضول العلم ونوافله، وفي غير الأحكام التكليفية.
- أن الوفاء بالشروط والالتزامات والعقود واجب.
- وأنه إذا أخل طرف بشرط أو التزام جاز للطرف الثاني التخلي عن العقد والالتزام.
- أن مقام المتعلم دون مقام الأستاذ وشرفه دون شرفه من هذه الحيثية، وأن اللازم على المتعلم مُراعاة مقام أستاذه، ولا ينظر المتعلم إلى ما لنفسه من شرف آخر أو رفعة أخرى.

[نصائح من بعض قوم قارون له]:

📖 قال تعالى: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [القصص:٧٧]:

هذه الأوامر والوصايا من بعض قوم قارون لقارون، وكان قد آتاه الله من الكنوز ما إن مفاتحه لتنوء بالعصبة أولي القوة، فلم يستمع لأوامرهم ولا لوصاياهم، بل بغى في الأرض وطغى وأفسد؛ فخسف الله به وبداره الأرض.

ولو اتبع وصاياهم لزاده الله تعالى نعماً إلى نعمه، وخيراً إلى خيره، وأصلح له دنياه وآخرته، ولكنه لم يسمع فخسر الدنيا والآخرة ذلك هو الخسران المبين.

وكانت وصاياهم إليه أربع(١) وصايا هي:

١- ﴿وَابْتَغِ فِيمَا ءَاتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ﴾ والمعنى: اطلب بما أعطاك الله من الكنوز ثواب الله، وذلك بأن تنفق في سبيل الله وفي الفقراء والمساكين والأرامل والأيتام والمحتاجين والأقارب وفيما يقرب إلى الله، وليكن ذلك قصدك وبغيتك وتعقد عليه نيتك.

٢- ﴿وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا﴾ المعنى: ولا حرج عليك في أن تتنعم في مالك بما يباح ويحسن في اللباس والأكل والشرب والنكاح والبناء، وغير ذلك مما أحله الله لعباده وأباحه لهم، هذا واحد من التفاسير لهذه الجملة.

٣- ﴿وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾ المعنى: اشكر الله تعالى على نعمه إليك، وإحسانه عليك، وقابل نعمه بالشكر، ولا تقابلها بالكفر.

٤- ﴿وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ۝٧٧﴾ أي لا تجعل عظيم نعم الله عليك وسيلة إلى الفساد في الأرض، ووصلة تتوصل بها إلى ارتكاب الجرائم والمآثم والبغي والعدوان.

وبعد هذه الوصايا قالوا له: ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ وهي

(١) والخامسة: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ۝٧٦﴾ [القصص]. مؤلف.

وصية عامة يدخل تحتها الوصايا الأربع التي كتبناها، فليتأمل والله تعالى أعلم.

وهذه الوصايا صدرت من بعض قوم قارون، وكانوا من الصالحين المستبصرين.

- **وفي ذلك عدة فوائد:**

١- في قصة قارون عبرة وموعظة للأغنياء، لئلا يقعوا فيما وقع فيه قارون فينزل بهم ما نزل به.

٢- أن الغنى يطغي.

٣- أن على أهل العلم أن ينصحوا الأغنياء ويوجهوهم بمثل ذلك التوجيه الذي حكاه الله عن أهل العلم.

[بحث في أذية بني إسرائيل لموسى عليه السلام]:

📖 ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ﴾ [الصف:٥].

📖 ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ ءَاذَوْا مُوسَى فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾﴾ [الأحزاب]:

الأذية التي صدرت من قوم موسى لموسى عليه السلام كانت تهمة اتهموه بها، والتهمة التي اتهموه بها هي أنهم اتهموه بفعل معصية لله تعالى، وارتكاب إثم، بدليل قوله: ﴿فَبَرَّأَهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ فقوله: ﴿وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾ دليلٌ على أنه لم يرتكب معصية لله تعالى ولا اقترف ذنباً، بل هو بريء من تهمتهم له عليه السلام.

وفي هذه الآية دليل على عدم صحة رواية الصحيحين أن تهمة بني إسرائيل لموسى كانت اتهامهم له بالأدرة، وهي مرض ينزل في الخصيتين يتسبب في انتفاخهما

وكبرهما، وتقول الرواية إن الله تعالى برأه من تلك التهمة بأن موسى عليه السلام كان يغتسل في مكان مستور ووضع ثوبه على حجر، ثم إن الحجر هرب بالثوب، فخرج موسى من مغتسله ليأخذ ثوبه، ويقول: ثوبي حجر، ثوبي حجر!! فرآه بنو إسرائيل وهو مجرد عن ثيابه، وليس فيه ما اتهموه به من الأدرة. هذا معنى الرواية.

وكما ذكرنا فإن الآية التي ذكرنا تدل على خلاف ما ذكروا؛ فتأمل.

وحينئذ فتكون أذية المسلمين لنبيهم صلى الله عليه وآله وسلم مشابهة لأذية موسى عليه السلام.

ويمكن أن تكون الأذية لنبينا صلى الله عليه وآله وسلم هي ما جاء في القرآن من حديث الإفك في سورة النور.

ويمكن أن يكون اتهام النبي صلى الله عليه وآله وسلم بغير ذلك من المعاصي.

وفي ذلك ما يدل على أن الكثير من الصحابة ما كانوا يعطون النبي صلى الله عليه وآله وسلم حقه من التقدير والتعظيم، ولا كانوا ينزلونه منزلته اللائقة به صلى الله عليه وآله وسلم، فكانوا ينسبون إليه ما لا ينبغي بمقامه صلى الله عليه وآله وسلم، ويظنون به ظن السوء، فعاتبهم الله على ذلك في كتابه الكريم كما قدمنا.

وقد كان ذلك يصدر من كبار الصحابة ومن صغارهم، ودليل ذلك: ما جاء في أول سورة الحجرات: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ...﴾ إلى آخر الآيات، فإنها نزلت -كما في الصحيحين- في أبي بكر وعمر.

ويؤخذ من الآية الأخيرة:

- أن تحري القول السديد، وتجنب القول الذي ليس بسديد سبب لصلاح العمل وزكائه عند الله، أي أن الله تعالى يقبله ويثيب صاحبه عليه.
- وسبب أيضاً لمغفرة الذنوب.
- وأن القول الذي ليس بسديد يمحق الأعمال الصالحة، فلا يقبلها الله تعالى، ولا يثيب صاحبها عليها.
- وسبب أيضاً للحيلولة دون مغفرة الذنوب.
- والقول السديد هو القول الصادق الصادر عن علم محقق.

- والقول الذي ليس بسديد هو القول الذي لا يستند إلى علم محقق ولا إلى أمارة قوية.
- وفي ذلك بيان خطورة فلتات اللسان، وعظم معاصيه.

[القرية التي كانت حاضرة البحر]:

📖 ﴿وَاسْأَلْهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴿١٦٣﴾﴾ [الأعراف]...إلى آخر القصة، **في ذلك:**

١- الدلالة الواضحة لليهود أن محمداً ﷺ نبي؛ لأن أحداً لا يعرف هذه القصة إلا علماء اليهود، وهم متكتمون عليها لما فيها عليهم من الخزي والمسبة، فحين أخبرهم محمد ﷺ عنها مفصلة، وهو أمي من أمة أمية، لم يقرأ الكتب، ولم يجالس أهل الكتاب، ولم يتصل بهم- علموا أنه نبي صادق.

٢- أنه لا مانع من ذكر مساوئ المُصِرّ على المعاصي وفضائحه، والتشهير بذكر ما يخزيه من ذلك ويحقِّره، وهكذا مساوئ سلفه وقبائحهم.

٣- أن الاشتغال بطلب الرزق الحلال مشروع لا محذور فيه، وإنما المحذور طلب ما نهى الله عنه.

- وأن الاشتغال بطلب الرزق يوم السبت كان محرماً على اليهود.
- وأن شرائع دين الله تختلف في أحكام كثيرة.
- وأن النسخ في أحكام الله تعالى واقع.
- أن الفاسق المتمرد يتعرض للفتنة ويتورط فيها.
- وأن التعرض للفتن والدخول فيها يكون جزاءً على الفسوق عن أمر الله.
- وأن فعل المعصية يجر إلى فعل معصية أكبر منها.
- سمى الله تعالى في القرآن من أسماء أيام الأسبوع أسماء يومين هما:

السبت والجمعة، فالسبت في شريعة موسى عليه السلام كالجمعة في شريعتنا في الشرف والفضل على سائر أيام الأسبوع.

فوائد من سورة مريم عليها السلام:

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿كهيعص ① ذِكْرُ رَحْمَةِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ② إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ③ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا ④ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِنْ وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ⑤ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ⑥﴾؛

يؤخذ من هنا فوائد، منها:

-أن زكريا عليه السلام كان متصفاً بالعبودية لله تعالى بمعنى أنه لم يكن للهوى أو الشيطان أو لأحد من الخلق في نفسه نصيب، بل سخر نفسه كلها لطاعة الله وعبادته، وامتثال أمره ونهيه.

-أن الله تعالى يستجيب دعاء عباده الذين هم حقاً عباده.

-أن الدعاء المسرّ به أقرب إلى الإجابة، وذلك لما فيه من الإخلاص، والله أعلم.

-أن يسمي اللهَ الداعي باسم الرب، وأن يحذف حرف النداء فيقول: رب هب لي... أو: ربنا....

-أن يتوسل الداعي إلى رحمة الله بذكر ضعفه وفقره وحاجته.

-وأن يتوسل الداعي إليه تعالى بما أسدى إليه من النعم جملة أو تفصيلاً.

-أنه لا مانع من الشكوى على الله تعالى بما هو منه، بل إنه ينبغي الشكوى عليه لما في ذلك من استنزال الرحمة.

-أنه ينبغي الدعاء والتوسل إلى الله في طلب الذرية الصالحة.

-أن على العالم أن يسعى في تعليم أولاده لئلا ينقطع علمه.

-وأن يكون طلب المؤمن للولد لغرض ديني، أي: ليكون الولد من عباد الله الصالحين.

-إذا سأل المؤمن ربه ولداً فليسأل الله أن يجعله من عباده الصالحين.

-من شأن المؤمن أن لا ييأس من رحمة الله ولو رأى أن الأسباب غير موجودة، ألا ترى إلى زكريا عليه السلام كيف سأل الله تعالى ولداً رضياً، وقد بلغ هو وزوجته سناً لا يتأتى في العادة خروج ولد منهما فيه لكبرهما.

-ينبغي أن يكون المؤمن حريصاً على المحافظة على تراث آبائه وأجداده، فيحفظه ويوصي أولاده بحفظه، ويوفر لهم أسباب حفظه كيفما أمكنه، وليس المقصود بالتراث العلم فقط؛ بل هو وغيره من معالي الأخلاق وكريم الشيم.

-وأنه ينبغي الشكوى إلى الله تعالى مما يخاف من وقوعه فيما بعد.

وقد يتفرع على ذلك جواز الشكوى على النبي أو الخليفة من أمر لم يقع، ويتوقع حصوله في المستقبل، وذلك من أجل أن يدبر الإمام أسباب الحيطة من وقوعه، ولا يجوز مؤاخذة المكلف على ما لم يفعل وإن توقع أنه سيفعل.

-أن على الأب أن يحسن اسم ابنه.

-وأن من أحسن الأسماء الاسم الذي لم يسبق التسمية به لأحد وعلة حسنه غرابته وندرته.

-ويتفرع على ذلك أن الاسم النادر أحسن من الاسم الذي شاعت التسمية به في الناس.

-ينبغي تفهيم السائل عن غامض أسباب أفعال الله تعالى حتى يفهم كأن يسأل كيف يأتي المؤمن العاجز رزقه وهو قاعد في بيته لا يسعى في طلبه؟

-ومثل هذا التساؤل لا ينافي الإيمان بالله وبصدق وعده.

-كما يؤخذ: أن الإشارة المفهمة من الأخرس والمصمت والذي لا يتكلم لمانع يُعمَل بها فيما دلت عليه، وأن لها حكم اللفظ.

-وأن المرض العارض لا يخل بإمامة الإمام.

-أن على الإمام والدعاة والمرشدين أن يكرروا على أقوامهم الأمر بعبادة الله وأداء فرائضه.

-أنه كان لبني إسرائيل فرائض يتعبدون الله تعالى بها في الصباح وفي العشي وهي الصلوات.

-الميراث الذي أراده زكريا عليه السلام في قوله: ﴿يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾ هو العلم والحكمة والتوراة.

-﴿وَءَاتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا ۝١٢﴾ أكرم الله تعالى يحيى عليه السلام بالنبوة والعلم والحكمة حين بلغ سن التكليف وكمل عقله، وسماه الله تعالى (صبياً) وقد بلغ مبالغ الرجال لقرب عهده بالصبوة.

والدليل على ما قلنا: قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ﴾ [الأنبياء:٧].

وأيضاً فإن النبوة تكليف، ولا تكليف على الصبي ما دام صبياً.

فإن قيل: لا يمتنع في قدرة الله تعالى أن يكمل عقل يحيى عليه السلام في صباه حتى يكون أعقل من ذوي العقول من الرجال وأوفر منهم عقلاً، ويعطيه من القوة في عزمه وعزيمته وبدنه، ومن قوة التحمل والصبر- ما يستطيع معها حمل التكاليف، وتأدية ما كلف به على أكمل وجه.

قلنا: لو كان الأمر كما ذكرتم لكان الصغر مانعاً من قبول الناس لدعوته، واتباع رسالته وامتثال أمره ونهيه والائتمام به و...إلخ؛ لما هو مركوز في طبائع البشر من عدم اعتبار ما صدر عن الصبيان من الأقوال والأفعال وأن كلما صدر عنهم من ذلك لغو لا يتعلق به حكم.

-أما في خاصة نفس الصبي فيمكن تكليفه إذا كمل عقله وكملت قوة بدنه وقوة تحمله وصبره و..إلخ، وإذا كان الأمر كما ذكرنا فلا تكمل حجة الله تعالى على عباده برسالة الصبي.

-ولو لم يكن من الموانع إلا ما ارتكز في عقول الرجال من أنفة الطاعة للصبيان والائتمام بهم وإعطائهم زمام الأمر والنهي و...إلخ لكان ذلك مانعاً من إرسال الله لهم؛ لمنافاته للحكمة من الرسالة.

-وقد قال تعالى في موسى عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَى ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [القصص:١٤]، وقال تعالى في يوسف عليه السلام: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ ءَاتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف:٢٢].

فإن قيل: قد حكى الله تعالى عن عيسى عليه السلام وهو في المهد: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَاتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم].

فيقال: إن الله تعالى أنطق عيسى بذلك الكلام وهو في المهد ليبرئ أمه مريم عليها السلام مما اتهمها به قومها بدليل ما قبل هذه الآية وهي قوله: ﴿فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَامَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ..إلخ﴾ [مريم].

-﴿الْمِحْرَابَ﴾: هو مكان تعبد زكريا عليه السلام، وفيه: أنه ينبغي للمؤمن أن يوظف أوقاته فيجعل جزءاً منه لعبادة ربه، وجزءاً منه لإرشاد الناس ودعوتهم إلى الله وإلى دينه وعبادته، وجزءاً..إلخ.

-وأنه ينبغي أن تكون العبادة في مكان خال عن الناس.

-وأن يتخذ المتعبد مكاناً للعبادة خاصة.

-وأن إرشاد الناس ودعوتهم إلى الله وإلى عبادته أفضل من العبادة لذلك خرج زكريا من محرابه ليأمرهم بعبادة الله وذكره.

-وأنه لا ينبغي أن يُجْعَل التعبد لله عذراً في ترك الدعوة إلى الله تعالى وإلى دينه.

-بل إن المصمت الذي لا يقدر على الكلام لا يكون صماته عذراً له في ترك الدعوة

إلى الله وهو يقدر عليها بالإشارة أو الكتابة، وهذا إذا تعين عليه ذلك ولم يقم غيره مقامه، وهكذا لا تسقط الدعوة بالأعذار التي يستطيع معها الداعي أن يدعو ويذكّر.

-﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ۝١٧ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨..إلخ﴾ [مريم]، **في ذلك**:

-أن مريم بنت عمران عليها السلام بلغت في التقوى والعفة والزكاء والطهارة مبلغاً استحقت أن يثني الله تعالى عليها في القرآن الكريم، وذكرها باسمها ولم تذكر امرأة في القرآن الكريم باسمها غير مريم عليها السلام، وقرن تعالى ذكرها بذكر أنبيائه.

-يحتمل أن مريم عليها السلام اختارت الجهة الشرقية من بيت أهلها دون الغربية والشمالية والجنوبية للتفاؤل بها حيث أن الشمس تطلع بنورها وبهجتها من الجهة الشرقية فتفاءلت بذلك لحصول الفرج والخير وتحول الحال من الشدة والعسر إلى اليسر والخير، وبناءً على ذلك فيحسن طلب الفال الحسن.

-وقد يتفرع على ذلك أن الصفات الحسنة الظاهرة مظنة لأن يكون وراءها صفات حسنة باطنة.

-كما يؤخذ من هنا أنه لا تمنع المرأة البالغة من السكنى في بيت وحدها إذا كانت آمنة على نفسها.

-وأن للعزلة عن الناس والابتعاد عنهم للعبادة والسلامة من أذاهم فضلاً عند الله للرجال والنساء.

-أن من تمام العزلة وضع الحوائل بين المعتزل وبين دخول الناس إليه، أو رؤيتهم له من الجدران والأبواب ونحوها.

-إذا نزلت بالمؤمن نازلة لا حيلة له في دفعها فليستعذ بالله من شر ما نزل به، ألا ترى إلى مريم عليها السلام حين رأت جبريل عليه السلام في بيتها كيف استجارت منه بالرحمن الذي أعطى جلائل النعم لعباده.

-﴿إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ۝١٨﴾ [مريم]، كأنها رأت على صورة

جبريل عليه السلام حين دخل عليها بيتها سيماء الأتقياء فتعوذت بالله الرحمن منه إن كان تقياً، وقد عرفت أنه إذا كان تقياً فإنه لن يلحقها ما تكره.

-لا يترك حكم الله الواجب خوفاً من استنكار الناس وذمهم لفاعل ذلك الواجب.

-على العالم أن يبين للمتعلم والسائل سبب الحكم الغريب وعلته ليطمئن قلبه بصحة الحكم.

-ينبغي للمؤمن إذا خاف قالة الناس فيه وذمهم له أن يبتعد بنفسه عنهم ليسلم أذاهم، وفي ذلك دليل على حسن العزلة عن الناس من أجل السلامة من أذاهم.

-لا بأس على المؤمن من تمني الموت ليسلم من سوء قالة الناس فيه، وذمهم له وتوبيخهم له بغير ذنب.

-في معاونة المكروب أجر عظيم، وفي التنفيس عنه فضل كبير.

-أن في الرطب نفعاً وشفاءً لألم المخاض.

-حمل الله تعالى مريم عليها السلام تكليفاً ثقيلاً يحتاج منها إلى صبر طويل وتحمل شدائد شديدة، فحملت ذلك التكليف الثقيل بصبر حديدي وجلد وثيق، وإيمان وثيق، راضية عن الله فيما حملها، خاشعة مذعنة لحكمه عليها، وقد أراد الله تعالى بهذا التكليف الثقيل عليها أن يوصلها به إلى الدرجات الرفيعة والثواب العظيم والخير الكثير في دار كرامته، وقد قال تعالى في آخر سورة التحريم: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴿١٢﴾﴾ فأكرمها الله تعالى حين أحصنت فرجها، وبلغت من العفة والزكا والطهارة أعلى المنازل بأن جعلها تحمل في بطنها نبي الله عيسى عليه السلام، وأثنى الله تعالى عليها في هذه الآية وختم ثناءه عليها بأنها كانت من القانتين.

-أن تعزية المصاب وتسليته عن مصيبته من فضائل الأعمال.

-وأن السكوت أفضل ما يقابل به جهل الجاهلين وشتائم الشاتمين.

-أن الله تعالىٰ ينتصر للساكت، ويتولىٰ الدفاع عنه والانتصار له.

-أنه لا يجوز التسرع بالذم والحكم بالفسوق علىٰ أهل الستر والعفة إذا صدر منهم ما يستنكر، فلعل لهم عذراً فيما ظهر منهم، ولعل... ولعل... حتىٰ يتبين الأمر.

-وأن صلاح الولد من صلاح أبويه، وأن فساده من فساد أبويه في جاري العادة، لذلك قال قوم مريم لها لما أتت بمولودها: ﴿يَاأُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا﴿٢٨﴾﴾ [مريم].

-أكرم الله تعالىٰ مريم بكرامات ذكرها في هذه السورة هي:

أ-أن جعلها واختارها أماً لعيسىٰ بن مريم.

ب-أن الله تعالىٰ أرسل إليها جبريل الأمين ليخبرها بكرامة الله لها بحمل رسول الله عيسىٰ عليه السلام من غير أب.

ج-أن الله تعالىٰ -حين ولادتها- أنبع لها ماءً، وجعل لها رطباً جنياً، وناداها منادي ربها: أن تأكل من تلك الثمرة، وتشرب من ذلك الماء، وأمرها منادي ربها إذا سألها السائلون بالسكوت.

د-أنطق الله تعالىٰ ولدها بعد ولادته ليُبَرِّئ أمه مما بهتها به قومها.

-جادلت مريم عليها السلام جبريل حين جاءها بما أراده الله تعالىٰ منها بعدما رأت آيات صدقه، فأجابها جبريل عليه السلام بأن الله تعالىٰ قد أراد منك حمل عيسىٰ في بطنك ليكون آية للناس ورحمة للعالمين، وأن الله قد قضىٰ ذلك قضاءً حتماً لا بد من حصوله، ولا مفر من التهرب عنه، فاستسلمت لأمر ربها ورضيت بقضائه.

-يذكر المفسرون أن جبريل عليه السلام نفخ في جيبها أو نفخ في بطنها أو...إلخ.

والذي يظهر لي أن الصحيح أنه لم يكن من جبريل عليه السلام شيء مما يذكره المفسرون، وإنما جاء ليخبرها بما أراده الله تعالىٰ وقضاه من حملها بعيسىٰ، فلما أخبرها جبريل عليه السلام بذلك ورضيت بحكم الله وقضائه- خلق الله تعالىٰ في بطنها الحمل وكونه فيه بقدرته ونفخ فيه الروح: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا﴾ [التحريم:١٢].

-﴿وَلِنَجْعَلَهُ ءَايَةً لِلنَّاسِ﴾ [مريم:٢١]، كان عيسى آية بينة للناس من حيث:

أ-إنه ولد من غير أب.

ب-ومن حيث إنه تكلم في المهد.

ج-ومن حيث إنه كان يحيي الموتى، ويبرئ الأكمه والأبرص.

د-ومن حيث إنه كان آية دالة على البعث في اليوم الآخر.

-في قصة مريم عليها السلام آية للمؤمنات، وذلك من حيث إنها ابتليت في حياتها الدنيا ببلاوي ومحن وشدائد عظيمة مع عظم منزلتها عند الله وكرامتها عليه، فليكن ما جرى على مريم عليها السلام على بال كل مؤمنة كي يسهل عليها ما تلاقيه من محن وشدائد في حياتها الدنيا.

-كان زكريا عليه السلام نبياً من أنبياء الله، وكان ابنه يحيى عليه السلام نبياً أيضاً من أنبياء الله، وبهما ختم الله تعالى النبوة في بني إسرائيل.

وكان يحيى بن زكريا وعيسى بن مريم نبيئين في عصر واحد، إلا أن يحيى عليه السلام بعثه الله تعالى بتجديد التوراة، وابتعث الله تعالى عيسى عليه السلام بالإنجيل فنسخ الله تعالى بدين عيسى عليه السلام شريعة موسى عليه السلام، فآمن يحيى عليه السلام بعيسى وبشريعته واتبعه، وفي ذلك دليل على كثرة أنبياء بني إسرائيل.

-لم يكن لزكرياء عليه السلام ولد إلا بعد أن بلغ من الكبر عتياً فسأل الله تعالى ولداً فرزقه يحيى عليه السلام.

أما يحيى فلم يتزوج على الإطلاق فلم يكن له ولد رأساً، وهكذا عيسى لم يكن له ولد، فلا يكبر على المؤمن إذا لم يولد له ولد.

-إذا كنت في مخاصمة مع أحد وأردت أن تستعيذ بالله من شره فارفع صوتك بالاستعاذة بالله منه، فلعله إذا سمع ذلك منك خاف من الله وكف شره عنك.

-في قراءة نافع: ﴿إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِيهَبَ لَكِ غُلَامًا...﴾ [مريم:١٩].

-من رحمة الله تعالى بمريم عليها السلام أن أرسل إليها جبريل عليه السلام ليخبرها بما قضاه الله فيها من الحمل بعيسى من غير أب ليكون آية للناس ورحمة لهم، حتى لا

تتفاجأ إذا أحست بالحمل فتصيبها صدمة نفسية ربما أتت على قواها وقضت عليها فتموت.

-ويتفرع على ذلك أنه يستحسن أن لا تفاجئ أخاك المؤمن بالخبر المكروه مفاجأة بل لا تخبره بذلك إلا بعد أن تمهد للخبر، وتعد نفسيته لقبول الخبر واستيعابه.

-ذكرت قصة مريم عليها السلام بعد ذكر قصة زكريا وابنه عليهما السلام؛ لأن زكريا هو الذي ربى مريم وكفلها، وكانت زوجة زكريا وأم مريم أختين.

[فوائد من قصة مريم عليها السلام]:

📖 بسم الله الرحمن الرحيم قال الله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا...﴾ إلى آخر قصة مريم عليها السلام.

في ذلك فوائد:

١- استحباب العزلة والبعد عن الناس عند فسادهم.

٢- مشروعية الاحتجاب عن الناس عند فسادهم، أو توقع أذيتهم.

٣- أن المرأة -وإن كانت أقل عقلاً من الرجل- مؤهلة في طبعها لأن تبلغ المنازل الرفيعة حتى تستحق عند الله تعالى أن تذكر في القرآن الكريم مع ذكر الأنبياء والمرسلين وعباد الله الصالحين.

٤- أن ذِكْر من ذُكِر في القرآن شرف عظيم للمذكورين.

٥- أن علينا نحن المسلمين أن ننوه بذكر من نوه الله تعالى بذكره في القرآن الكريم.

٦- أن من شأن المؤمن أن يلوذ بالله ويلتجئ إليه عند الشدائد.

٧- مشروعية المجادلة والمحاججة حتى ينكشف الحق وينقشع عنه الإشكال.

٨- لا يقبل الأمر الغريب إلا ببرهان.

٩- إذا تعرض المسلم للقالة فيه في مجتمع فليبتعد عن ذلك المجتمع ويعتزل عنهم لئلا يسمع القالة فيه والتهم له فيشتد أذاه.

١٠- أنه لا مانع من أن يتمنى المؤمن الموت عند تعرضه للمحن والفتن.

١١- أن الفرج يأتي بعد الشدة.

١٢- أن فعل القبائح يستبعد حصوله من المنبت الطيب، ولا يستبعد حصوله من المنبت الخبيث.

١٣- من الحقيق بالمؤمن أن يطلب لزرعه المنبت الطيب، ويبتعد به عن المنبت الخبيث.

١٤- أنه لا ينبغي للمؤمن مجاراة الجاهلين، وأن مقابلة شتائمهم بالسكوت أفضل وأحسن عند الله.

١٥- أن على المؤمن أن يحفظ لسانه عن الرمي بالتهم عند ظهور أسبابها فلعل للمتهم أعذاراً يعذر بها عند الله وعند الناس.

١٦- أن الإشارة تقوم مقام الكلام في الجملة.

[حقيقة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء]:

سؤال: هل رفع الله تعالى عيسى عليه السلام إلى السماء؟ وهل ما زال حياً في السماء إلى اليوم؟

الجواب وبالله التوفيق:

أن الله سبحانه وتعالى قد نص في القرآن على أنه رفع عيسى إليه حيث قال: ﴿**بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ**﴾ [النساء١٥٨].

لا يدل ذلك قطعاً أنه رفعه إلى السماء، والذي تدل عليه هذه الآية أن الله تعالى نجى عيسى عليه السلام من اليهود حين أرادوا أن يقتلوه، ورفعه من بينهم إلى مكان آمن، وقد قال تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿**إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [آل عمران٥٥]، وفي ذلك دليل على أن الله تعالى توفى عيسى عليه السلام كما يتوفى غيره من البشر، وأن رفعه عليه السلام هو رفع روحه لا رفع الجسد والروح.

[وعد الله لعيسى برفعة أتباعه]:

📖 قال تعالى لعيسى عليه السلام: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:٥٥]:

المعنى أن الله تعالى سيجعل أتباع عيسى عليه السلام الذين هم النصارى أعز من اليهود، وأقوى منهم، بحيث يكون اليهود مغلوبين ومقهورين أمام سلطان النصارى إلى يوم القيامة.

بقي النظر في تعيين أهل هذا الوعد:

فهل هم أتباع عيسى عليه السلام الذين اتبعوه، ودانوا بدينه الذي جاءهم به من عند الله، ولم يحرفوا؛ فلا وجود لهم في التأريخ وليس لهم فيه ذكر؟

أم أنهم النصارى المعروفون اليوم الذين يقولون إن عيسى ابن الله، وإن الله ثالث ثلاثة؟

أم أنهم أهل دين الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإنهم على الحقيقة هم أتباع عيسى؛ لأن دينهم مصدق لدينه، وكتابهم مصدق لكتابه، ودين محمد صلى الله عليه وآله وسلم ودين عيسى عليه السلام دين واحد.

فأهل الإسلام اليوم وأتباعه أهل مذاهب متعددة وكلها هالكة لضلالها عن الحق إلا أهل مذهب واحد هو مذهب آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولكنهم قلة قليلة، لا سلطان لهم ولا قوة.

إذا عرفت ذلك فيمكننا أن نقول:

وعد الله تعالى لا شك في صدقه وحتمية وقوعه، فالأقرب أن المراد النصارى الذين اتبعوه وإن حصل منهم من بعد ما حصل من التحريف والغلو.

يؤيد ذلك: أن الله تعالى قال: ﴿وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ﴾؛ فإن ذلك يدل على أن الوعد هو للذين قد حصل منهم الاتباع لعيسى عليه السلام وهم النصارى الذين كانوا على عهده عليه السلام، وينسحب الوعد لأخلافهم إلى يوم القيامة، ولو أن الله تعالى أراد بالوعد للمسلمين لعبر بالفعل المستقبل مكان الماضي.

فإن قيل: تحقيق ذلك الوعد ثواب من الله، أو شبيه بالثواب، لا يستحقه النصارى لكفرهم بالله، وغلوهم في الدين؛ فكيف يعطيهم الله ذلك مع كفرهم؟

فيمكن أن يقال: لم يعطهم الله تعالى ذلك الوعد على جهة الثواب والتكريم لهم، وإنما أعطاهم ذلك ليتسلطوا على اليهود الذين كفروا بعيسى، وبهتوا أمه، ونسبوه إلى الزنا.

والدليل على ذلك: أن الله تعالى وجه الخطاب بهذا الوعد إلى عيسى عليه السلام الذي لقي هو وأمه من اليهود ما لقي ليسليه ويطمئنه بأنه سينتقم له من اليهود بأن يسلط عليهم النصارى إلى يوم القيامة، وسياق الآية يفيد ذلك: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يَاعِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ [آل عمران:٥٥].

قصة أصحاب الكهف فوائد وعبر:

قص الله تعالى في القرآن الكريم قصة أصحاب الكهف والرقيم، وهي قصة معروفة وخلاصتها: أنهم فتية آمنوا بالله، وكان قومهم مشركين كافرين بالله، فهربوا بدينهم حين أحسوا بالخطر على أنفسهم وتبعهم في طريق هروبهم كلب فدخلوا كهفاً ليختفوا فيه ويستريحوا ووقف الكلب على باب الكهف فرقدوا فيه رقدة طويلة ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعاً، ورقد كلبهم معهم على باب الكهف، فلم ينتبهوا من رقدتهم إلا بعد هذه السنين الكثيرة.

فلما انتبهوا بعثوا واحداً منهم ليشتري لهم طعاماً، وأوصوه بأن يشتري بخفية بحيث لا يشعر به أحد؛ خوفاً من قومهم، فذهب أحدهم وانكشف أمره، ثم انكشف أمر أهل الكهف، فأماتهم الله في كهفهم، وبنوا عليهم بنياناً...إلخ.

وفي القصة فوائد وعبر:

١- أن التائب إذا تاب من شركه أو من معصيته ورجع إلى الله فإن الله تعالى يحوطه بألطافه وتوفيقه، فيزيده هدى إلى هداه، ويحفظه من شر الأعداء،

ويؤيده بنصره، ويثبته على الهدى بما شاء من الكرامات أو من غيرها.

٢- أن تابع الصالحين ومصاحبهم يشاركهم فيما يتحفهم الله تعالى به من الكرامات في الدنيا، فقد رقد معهم الكلب تلك المدة الطويلة، وانتبه حين انتبهوا، وشهر الله تعالى أمره في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.

٣- أن من شأن المؤمن أن يهرب بدينه، وأن يهجر أهل المعاصي ويبتعد عنهم ولا يصاحبهم.

٤- أن الخوف من الظالم والهروب منه لا ينافي التوكل على الله.

٥- أن الهروب من الظالم عند الخوف على الدين أو النفس أمر مطلوب من المؤمن.

٦- أن الله تعالى لا يضيع من هرب بدينه.

٧- أنه لا بأس من اتخاذ الكلب للحراسة عند باب البيت إذا احتيج إلى ذلك، ويقاس على ذلك اتخاذه لحراسة الغنم، ولا ينبغي إدخال الكلب في البيت، وإنما يُجعل خارج البيت.

٨- وفي رقدتهم تلك المدة الطويلة ثم بَعْثِهم منها- آية بينة على عظمة الله وربوبيته وقدرته على البعث بعد الموت.

٩- حين بعثهم الله من رقدتهم قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ فدل ذلك على أنه لم تتغير صورهم ولا ألوانهم ولا شعورهم ولا أظافرهم؛ إذ لو كانت شعورهم وأظافرهم قد طالت لاستنكروا ذلك، واستدلوا به على طول رقدتهم، ولكنهم لم يستنكروا، بل قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف:١٩].

١٠- أنه لا مانع من الإشادة بقبور الصالحين، بأن تُتَّخذ الأرض المجاورة لهم مسجداً، وأن يكتب ذكرهم عند قبورهم.

١١- أنه لا بأس على المؤمن إذا خاف على نفسه أو على دينه من أن يتكتم على دينه بالسكوت وبالزي ونحو ذلك.

١٢- أنه لا حرج على المؤمن في أن يتخير لنفسه من الطعام أحسنه وأعلاه.

١٣- أنه ينبغي للمؤمن إذا خرج للسفر أن يتزود بما يحتاجه في السفر من طعام وشراب وما يلحق به، أو يتزود بالفلوس، وليس ذلك مما ينافي التوكل.

١٤- أنه ينبغي للمؤمن أن يحذر فعل ما يعرضه للقتل أو السجن أو العذاب.

١٥- أنه لا يجوز قبول دعوى دينية أو غير دينية إلا بحجة وبرهان: ﴿لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ﴾ [الكهف:١٥].

١٦- أن عند المكلف من العقل ما يعرف به الحق من الباطل، ويميز به بين الحسن والقبيح، وأنه لا تتوقف معرفة ذلك على الشرائع؛ لأن أصحاب الكهف كانوا في فترة من الرسل عند رفضهم لعبادة الأوثان، وتوجههم إلى توحيد الرحمن.

١٧- أن ذكر الله تعالى والتوجه إليه في بلد عَمَّته الغفلة عن الله له مكانة عند الله، ووزن ثقيل في ميزان كرامته.

١٨- ينبغي للهارب بدينه أو المسافر للحج أو الجهاد أو للتجارة أو لأي أمر ديني أو دنيوي أن يعتمد في خروجه على الله، وأن يكثر من الالتجاء إليه بالدعاء، واستنجاح مطلبه، وقد كان من دعاء أهل الكهف في هروبهم بدينهم: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ۝١٠﴾ [الكهف].

١٩- قد يؤخذ من هذه القصة أن دعاء الهارب بدينه والمهاجر إلى الله مستجاب، فإن الله تعالى استجاب دعاء أصحاب الكهف، فرشدوا في خروجهم، وحظوا بكرامة الله وعظيم رحمته.

٢٠- أن الله تعالى لا يضيع عباده الصالحين، وإن لحقهم ما لحقهم من الأذى والمضايقات فإن الله تعالى سيجعل لهم فرجاً ومخرجاً، وسيحظون من الله بالعاقبة الحسنة، وبالكرامة والعزة والرفعة في الدنيا والآخرة، وإن فاتهم شيء من ثواب الدنيا وعزتها ورفعتها، فإن الله تعالى سيعطيهم في الآخرة من الكرامة والرفعة والنعيم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

[قصة أصحاب الكهف أيضاً]:

📖 ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا۝٩...﴾..إلى آخر القصة:

قصة أصحاب الكهف، وما صنع الله لهم هي آية من آيات الله العجيبة.

والباعث على الاستغراب والتعجب في أصحاب الكهف هو نومهم في الكهف ثلاثمائة سنة أو أكثر مع كلبهم، ثم بعثهم من نومتهم تلك، وتساؤلهم و...إلخ- فإن ذلك آية من آيات قدرة الله ورحمته، وعلمه وحكمته الباعثة على التعجب والاستغراب.

ولكن ليست هذه الآية هي الوحيدة من بين آيات الله التي تبعث على التعجب والاستغراب، فآيات الله التي تبعث على التعجب وتتحير عند غرابتها العقول كثيرة لا حصر لها ولا عد.

﴿وَالرَّقِيمِ﴾ قيل: هو لوح على باب كهفهم منقوش عليه قصتهم.

📖 ﴿إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا۝١٠﴾:

كان أهل الكهف جماعة من الفتيان آمنوا بالله، وزادهم الله بصيرة في دينهم، وكان قومهم كافرين، وسلطانهم كافراً، وحين ظهر أمرهم خافوا أن يقتلوهم أو يفتنوهم ويردوهم إلى دين الكفر، تحت سياط العذاب، فهربوا للسلامة من ذلك، فلما أدركهم الليل آووا إلى كهف في جبلليناموا فيه.

وحين دخلوا الكهف ليناموا فيه لجأوا إلى الله بالدعاء؛ فسألوه أن يهب لهم رحمة من عنده يكون لهم فيها الأمن من عدوهم، والحفظ لهم من كل ما يسوؤهم، وأن يسلموا بها من الخزي والذلة والمهانة، ويسعدوا في ظلها بإيمانهم ودينهم، وسألوه تعالى أن يهيئ لهم في هروبهم ذلك ما يكون فيه فوزهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة.

فاستجاب الله دعاءهم، وأظلهم في ظل رحمته، وهيأ لهم في كنف كرامته، وأسعد جدهم، ورفع ذكرهم في التوراة والإنجيل والقرآن، فرحمة الله عليهم وبركاته.

وفي هذه القصة دليل على أن أولئك الفتية كانوا راسخين في إيمانهم بربهم، وأن عظمة الله وجلاله وهيبته قد ملأت صدورهم، وخالطت لحومهم ودماءهم فلم يبق لقومهم وبلادهم وأهلهم وأصحابهم ومنازلهم ومطامعهم ومشاربهم ونعيمهم أي مكان في صدورهم فخرجوا من كل ذلك إلى الله ربهم الذي امتلئوا به إيماناً وإجلالاً وتعظيماً ومهابة.

📖 ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا أَمَدًا ﴿١٢﴾﴾:

استجاب الله دعاء الفتية فضرب على آذانهم في الكهف سنين عدداً أي أنامهم ثلاثمائة سنة وتسع سنوات، ثم بعد هذه السنين الكثيرة أيقضهم الله من رقدتهم ليحصل ما علمه الله من البشرى لهم في الدنيا، حيث استجاب لهم دعاءهم ونجاهم من عدوهم، وأنهم قد حلوا عند الله محل الكرامة والشرف الكبير حيث أشركهم في كرامات الأنبياء والأولياء، وأظهر في الناس كرامتهم عليه، وجعلهم آية للناس عجيبة.

وكل ذلك مترتب على بعثهم من نومهم، وذلك أنهم انقسموا قسمين حين بعثهم الله من النوم:

فقال قائل منهم: ﴿كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾، ففريق قطع بأنهم لبثوا في نومهم يوماً أو بعض يوم، وفريق منهم تحير في كثرة نومهم وقلته، فقال: ربكم أعلم بما لبثتم.

ثم بعد اختلافهم هذا ذهب أحدهم إلى المدينة ليشتري لهم طعاماً بدراهم كانت معهم، وكانت هذه الدراهم هي التي كشفت لهم طول نومهم.

والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿فَابْعَثُوٓا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ فتنصيصه على الورق وتخصيصها بالإشارة المفيد للتمييز والتأكيد يدل على أن لها شأناً كبيراً في القصة، وهو ظهور ما اختلفوا فيه من مدة لبثهم في النوم

الذي كان آية عجيبة دالة على عظيم رحمة الله بهم، واستجابته لدعائهم.

📖 ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾﴾:

تقدم ذكر قصة أصحاب الكهف إجمالاً، ثم ذكر الله تعالى تفصيل القصة فقال: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُمْ﴾..إلخ، وتفيد هذه الآية أن الله تعالى وحده هو الذي يقص خبر أصحاب الكهف كما هو من غير تحريف ولا تغيير، فيدل على أن أهل الكتاب قد حرفوا وغيروا خبرهم فلا يجوز تصديقهم فيما أخبروا من قصة أصحاب الكهف.

فأخبر الله تعالى بأنهم:

١- فتية، أي: شباب في مقتبل أعمارهم.

٢- آمنوا بربهم.

وأعطاهم الله أمرين:

١- زادهم الله هدى وبصيرة في دينهم.

٢- قوى الله عزائمهم على الصبر والتصميم على الإيمان بالله، فصرحوا بالإيمان بالله وحده، ونبذ ما يُعْبَد من دونه من غير مبالاة بما يلحقهم في سبيل ذلك ﴿لَقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾﴾ أي قولاً بعيداً عن الحق.

📖 ﴿هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾:

هذا من مقول الفتية المؤمنين استنكروا فيه على قومهم عبادة غير الله من الأصنام وغيرها من غير أن يكون لهم حجة بينة، وبرهان واضح على ما يدعون من إلهيتها واستحقاقها للعبادة، ومع ذلك يدعون أن الله تعالى هو الذي أمر بعبادتها وجعلها آلهة تعبد من دونه لذلك قال تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾﴾.

📖 ﴿وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾:

هذا من مقول بعضهم لبعض، وذلك أنهم حين آمنوا بالله وتبرؤوا من عبادة غيره هجروا قومهم، واعتزلوهم هم وآلهتهم سوى الله، فعرض بعضهم رأيه ومشورته عليهم بأن يغادروا أوطان قومهم ويهاجروا منها، وليكن مأواهم الذي يأوون فيه للنوم هو الكهف.

وكان هذا الكهف معروفاً عندهم، وقال لهم: لا تفكروا فيما بعد النوم في الكهف، ولا تشغلوا أنفسكم بالتفكير في المستقبل، فسيتولاكم الله بعنايته، وتحظون برحمته، ويبدلكم بأفضل مما فارقتموه من الأهل والوطن والعشيرة والأرزاق والأرفاق.

📖 ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ﴾:

أوى الفتية إلى الكهف وناموا فلم يستيقظوا إلا بعد ثلاثمائة سنة وتسع سنوات، وفي هذه النومة الطويلة حفظ الله أجسادهم من أن تلحقها أشعة الشمس، فكانت الشمس إذا شرقت تميل عن باب الكهف شمالاً، وإذا غربت تميل جنوباً، وكان ذلك آية من آيات الله عرفها أصحاب الكهف وأدركها كل من وقف على الكهف.

📖 ﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾﴾:

كان أهل الكهف ممن هداهم الله، ولحظتهم عين رحمته، وذلك حين آمنوا واستجابوا لداعي الفطرة، ولم يتمردوا، أما المعرضون الذين لم يستجيبوا لداعي الفطرة، وتمردوا عن هداها- فلا حظ لهم في توفيق الله ورحمته الذي يعطيه المستجيبين، وإذا فاتهم توفيق الله ولطفه فمن أين يأتيهم التوفيق للرشاد والفلاح؟

📖 ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾:

وصفهم الله تعالى هنا بصفات جعلهم الله تعالى عليها في منامهم في الكهف:

١- أن عيونهم مفتوحة تتقلب حدقاتها.

٢- أنهم كانوا يتقلبون في مراقدهم مرة على أيمانهم ومرة على شمائلهم؛ لسلامة أبدانهم.

٣- أن كلبهم الذي رافقهم في هجرتهم رابض بالقرب من باب كهفهم خلال مدة نومهم.

٤- أن الله تعالى جعلهم خلال نومتهم على صفة لا يمكن لبشر أن يدنوا منهم، ولا أن يقف عندهم؛ لما يرى من صورهم التي تملأ بدن الإنسان رعباً، وتبلغ بالإنسان إلى منتهى الخوف وغايته، ولعل السر في ذلك -والله أعلم- هو ألا يصل إليهم أحد بمكروه، وألا يتعرف عليهم أحد؛ فحفظهم الله، وحفظ كلبهم خلال نومتهم.

📖 ﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾:

بعثهم الله تعالى بعد نومتهم الطويلة ليظهر لهم رحمته بهم وكرامتهم عليه، وليظهر أيضاً أمرهم للناس، وليعلموا أن الله تعالى لا يضيع المؤمنين، وأن من ترك شيئاً تعظيماً لله وخوفاً منه عوضه الله بأفضل منه.

📖 ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾:

- يظهر أنه كان لهم أمير يأتمرون بأمره وهو الذي قال: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾...إلخ، والورِق هي: دراهم فضية مضروبة كانت محفوظة عند أميرهم، فلما استيقظوا وتساءلوا أحسوا بالجوع فأرسلوا واحداً منهم، ووصاه الأمير بالحيطة والحذر من أهل مدينتهم التي خرجوا منها فارين بدينهم، وأن يتحرى لهم طعاماً لا يكون فوقه طعام في الجودة والطيبوبة

والحل فيشتريه ويعود به عليهم، وليكن ذلك منه بتلطف وتنكر وتخف من حيث لا يشعر به قومه، وليتكتم ولا يطلع أحداً على خبرهم.

ثم علل ذلك أميرهم وبين السبب الذي من أجله وصاه بهذه الوصايا فقال: إن قومكم إن اطلعوا عليكم سيقتلونكم رجماً أو يعذبونكم حتى تتراجعوا إلى دينهم، ولن تتمكنوا بعد ذلك من الخلاص منهم كما تمكنتم هذه المرة؛ لأنكم ستكونون تحت المراقبة الشديدة التي لا يمكنكم معها الفرار بدينكم.

وقد يستفاد من هنا أنه كان لهم سلطان جبار له سيطرة قوية على أهل سلطنته، وأنه كان شديد الكفر.

📖 ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾:

كشف الله تعالى خبر أصحاب الكهف للناس، واطلعوا عليهم وعلى كهفهم، ومدة لبثهم في نومهم، ليكون لهم آية على صدق ما وعد الله من بعث الأموات والحساب والجزاء، وأن الساعة أمر كائن، وحق ثابت لا مرية فيه ثم أماتهم الله في كهفهم.

وحين أعثر الله عليهم، وعرف الناس خبرهم واجتمعت الحشود عند كهفهم- صاروا يتنازعون في أسمائهم وأنسابهم وملكهم، وسبب الهروب إلى الكهف، وما هو السبب الذي استوجبوا به الكرامة عند الله؟ ونحو ذلك مما تدعو إليه طبائع الناس من الخوض في الأمور الغريبة، والقول فيها.

وكان مما تنازعوا فيه كيفية مواراة أصحاب الكهف بعد اتفاقهم على كرامتهم عند الله فقال بعضهم: نبني عليهم بنياناً حفاظاً على كرامتهم وكرامة تربتهم، وقال بعضهم وهم المسلمون: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾، وكان المسلمون هم الأغلبية القوية فبنوا عليهم مسجداً يصلي فيه المسلمون، ويتعبدون الله بجوار قبورهم، فازدادت كرامتهم وكرامة تربتهم كرامةً إلى كرامتهم، وبالصلاة هناك تربو الكرامة ويتضاعف الشرف.

📖 ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴿٢٢﴾﴾:

أخبر الله تعالى رسوله ﷺ والمؤمنين وهم في مكة أن أهل الكتاب مختلفون في عدد أصحاب الكهف والرقيم إلى ثلاثة أقوال كما حكى الله تعالى هنا.

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول: إن الله تعالى هو العالم بعددهم على الحقيقة، وأن أهل العلم بعددهم قليل، ونهاه ﷺ أن يجادل أهل الكتاب في عددهم وقصتهم، ونهاه أن يستفتيهم عن أصحاب الكهف، وعن عددهم وقصتهم؛ لأنه لا وثوق بعلمهم؛ لما وقع من التحريف لكتابهم، ولأنهم لا يتحرجون عن القول بما لا يعلمون.

كما حكى الله تعالى هنا عن أهل القول الأول والثاني بأنهما قالا ما قالا رجماً بالغيب، وهذا تكذيب من الله لهما فيما قالوه، ولم يكذب تعالى أهل القول الثالث وهم الذين قالوا: ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ فيكون ذلك إشارة إلى أنه القول الصائب.

📖 ﴿وَكَلْبُهُمْ﴾:

أكرم الله تعالى كلب أصحاب الكهف لما تعلق به من آيات الله؛ فإنه نام مع أهل الكهف حول باب الكهف وهو باسط ذراعيه، وبعثه الله حين بعثهم، والسر فيما جرى على كلب أصحاب الكهف هو مصاحبته لهم، وفي ذلك دليل على أن مصاحبة الصالحين ومجالستهم سبب لنيل الكرامة من الله، وإدراك نصيب من رحمته التي ينزلها لعباده الصالحين.

📖 ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا﴿٢٣﴾ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴿٢٤﴾﴾:

لا يدري الإنسان ماذا يأتي به الغد، وإذا عزم الإنسان اليوم على أن يعمل في غده عملاً فإنه قد لا يتيسر له ذلك العمل الذي نواه، وقد يعوقه عن فعله عائق من أمر الله، وقد يفسخ الله نيته وعزيمته؛ لذلك نهى الله تعالى نبيه ﷺ أن

يقول ويجزم بأنه سيفعل فعلاً في غدٍ إلا أن يأذن الله له في قول ذلك.

﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ إِذَا نَسِيتَ﴾ ليكن أمر الله ونهيه وتعاليمه على ذكر منك، فلا تخالف أمر الله ونهيه وتعاليمه.

- ﴿وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنِ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا﴿٢٤﴾﴾ أمر الله تعالى نبيه أن يدعو الله ربه، ويسأله الهداية إلى الحق الذي اختلفوا فيه، وأن يدله إلى القول الحق من بين أقوال المختلفين.

📖 ﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا﴿٢٥﴾﴾:

بين الله المدة التي لبثها أصحاب الكهف في النوم.

📖 ﴿قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴿٢٦﴾﴾:

ما ذكره الله هنا من مدة نوم أصحاب الكهف هو الحق دون ما يذكره أهل الكتاب؛ لأنه جل وعلا المختص بعلم ما خفي في السماوات والأرض، وما جرى فيهما من الغيب فيما مضى وما حضر، لا تخفى عليه خافية ولا تغيب عن علمه غائبة.

﴿أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ﴾ فعلا تعجبٍ من سعة علم الله بالمسموعات، وسعة علمه بالمرئيات؛ فلا يخفى عليه مسموع، ولا يخفى عليه مرئي.

- ﴿مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴿٢٦﴾﴾: ليس للناس إله غير الله، ولا يشرك الله في ربوبيته وإلهيته أحداً، تعالى الله عما يقوله المشركون علواً كبيراً.

📖 ﴿وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴿٢٧﴾﴾:

أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يتلوا القرآن على الناس، وأن يبلغهم رسالات الله، وأن يستمر على ذلك، ولا يصده عن ذلك تعنت قريش وتمردهم، وطلبهم تبديل القرآن أو بعضه بقرآن غيره، وأنه إن عصاه فلن يجد له من عقاب الله ملجأً يلجأ

إليه، وأنه ليس في السماوات والأرض من يستطيع أن يدفع عنك العقاب.

📖 ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾:

طلب مشائخ قريش من النبي ﷺ أن يبعد عن مجلسه المؤمنين المستضعفين، وأن يطردهم ولا يجلس معهم؛ لأنهم يأنفون أن يجالسوهم، فإذا طردهم فإنهم سيجلسون عنده ويستمعون إليه، فنهاه الله تعالى أن يستجيب لطلبهم، وأمره أن يجلس مع المؤمنين المستضعفين، وأن يمسك نفسه على مصاحبتهم والجلوس معهم؛ لأنهم آمنوا بالله، وتواضعوا لعظمته، واستسلموا لعزته، وشغلوا أوقاتهم بعبادته وذكره ودعائه، يريدون رضاه عنهم ومغفرته لذنوبهم.

وأمر الله نبيه ﷺ أن يقصر بصره عليهم، وألا يفتح جفنيه إلا عليهم، والمقصود أن ينظر إليهم نظر تعظيم وتقدير، وأن يستعظم ما هم فيه من الإيمان والعبادة لله والذكر، وأن يعتد ذلك في نفسه نعمة عظيمة أنعم الله بها عليهم، وأنهم هم أهل الكرامة على الله وأهل الزلفى لديه.

ونهاه تعالى أن ينظر إلى ما أعطى الله المشركين من متاع الدنيا وزينتها نظر تعظيم وإعجاب، فليس ما هم فيه لكرامتهم على الله، وإنما أعطاهم ذلك فتنة واختباراً، لا قيمة عند الله لذلك المتاع ولا وزن.

📖 ﴿وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝٢٨﴾:

ونهى الله تعالى نبيه ﷺ أن يستجيب لطلب المشركين حيث طلبوا منه ﷺ أن يقصي المؤمنين عن مجلسه، ولهم مطالب أخرى تقدموا بطلبها إلى النبي ﷺ، إذا استجاب لهم النبي ﷺ إلى تحقيقها فإنهم سيدخلون في الإسلام، منها:

- أن يأتي بقرآن غير هذا أو أن يبدله.
- ومنها: أن يأتيهم بآية، كأنهم لم يعتدوا بما جاءهم به النبي ﷺ من الآيات البينات.

- ومنها: أن يعبدوا إلهه ﷺ سنة، ويعبد هو ﷺ آلهتهم سنة، و...إلخ.

﴿أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا﴾: أوجد الله تعالى للمكلفين سببين اثنين بنى عليهما التكليف هما:

١- سبب الهدى والإيمان.

٢- سبب الغفلة والضلال.

- يتمثل السبب الأول في دعوة رسل الله وأنبيائه صلوات الله عليهم وكتبه بالإضافة إلى داعي الحكمة وفطرة العقل، فإنها تدعو إلى الإيمان والعمل الصالح، واجتناب الفواحش والمنكرات.
- ويتمثل الثاني: في دواعي الهوى وشهوات النفس فإنها تدعو إلى الانغماس في زينة الحياة الدنيا ومتاعها، وارتكاب الفواحش والمنكرات.

فلإيجاد الله تعالى لهذين السببين صح في اللغة أن يقال: إن الله أضل الكافرين، وأغفل قلوبهم.

﴿وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾: وكان مضيعاً لأمر دينه.

📖 ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ﴾:

قل يا محمد للمشركين: إن الحق قد تبين وظهرت حجته، واستوضحت محجته، ﴿فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ﴾ أراد الله تعالى من نبيه محمد ﷺ أن يبلغ الناس الهدى، ويحذرهم الضلال، وينذرهم عذاب الله وبأسه الدائم يوم القيامة الذي أعده لأهل الضلال، وينذرهم عذاب الله وبأسه الدائم يوم القيامة الذي أعده لأهل الضلال والكفر والفسوق، ويبشر الذين آمنوا وأطاعوا ربهم بالثواب العظيم في جنات النعيم.

[جواز الكتابة على الألواح عند القبور واتخاذ المساجد]

📖 قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ ءَايَاتِنَا عَجَبًا۝٩﴾ [الكهف]: أصحاب الكهف هم أصحاب الرقيم.

والرقيم كما روي: هو لوح من حجر كتب فيه خبر أهل الكهف، ووضع على باب الكهف.

وفي هذا دليل على حسن وضع الكتابة المنقوشة على لوح من حجر عند قبر الميت، يذكر فيه اسمه ونسبه وقصته و...إلخ، ولو كان الله تعالى كارهاً لذلك لما سماهم بأصحاب الرقيم؛ لأن الكتابة على القبر في لوح من حجر لو كان شركاً أو معصية لكان تسميتهم بأصحاب الرقيم ذماً، كما في أصحاب السبت، وأصحاب العجل، و..إلخ، وسياق قصة أصحاب الكهف سياق مدح وثناء على أولئك الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم ربهم هدى، وجعل لهم من الكرامات والآيات العجيبة ما لا يخفى على قارئ قصتهم في سورة الكهف.

فإن قيل: قد كان ذلك جائزاً في أهل تلك الملة، وشريعتنا الإسلامية قد نسخت ما تقدمها من الشرائع كما لا يخفى.

قلنا: الشرك ولواحقه وتوابعه وما يشبهه لا يختلف باختلاف الشرائع، ولا يتغير حكمه بتغير الشرائع، فما كان شركاً في ملة نوح أو ملة عيسى عليه السلام فهو شرك في كل ملة: ﴿وَلَا يرضى لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ [الزمر:٧].

- ذكر الله تعالى في آخر قصة أصحاب الكهف والرقيم: ﴿قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا۝٢١﴾ [الكهف]، فيدل ذلك على جواز بناء المسجد بجوار قبور الصالحين.

يؤيد ذلك ما ورد بالتواتر أن ما بين قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ومنبره روضة من رياض الجنة.

ولا منافاة بين هذا وبين ما روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: ((لعن الله اليهود

والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد))، وروي ما معناه: ((لا تتخذوا قبري وثناً يعبد)).

فحديث اللعن يراد به الذين يتعمدون ويقصدون سطح القبر بالصلاة عليه، إما تعظيماً لصاحب القبر، وإما طلباً لفضل الصلاة عليه وكثرة ثوابها، والحديث الثاني يراد به النهي عن عبادة القبر الذي فيه النبي ﷺ.

أما الصلاة التي أمر الله تعالى بها فلا مانع من إقامتها بجوار قبر أو قبور، إذا كانت القبور أو القبر عن يمين المصلي أو عن شماله أو خلفه.

ولا ينبغي للمصلي أن يصلي وبين يديه قبر، وذلك لئلا يتوهم من يراه يصلي أنه يصلي للقبر، ولئلا يتشبه بمن يعبد القبور.

[ويستفاد من قصة أصحاب الكهف]:

يستفاد من قصة أصحاب الكهف:

١- ﴿أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ﴾ [الكهف:٩]: جواز كتابة خبر صاحب القبر ونقشه على حجر بجانب القبر، إذ لو كان ذلك ذنباً لما ذكره الله تعالى في سياق مدحه وثنائه على أصحاب الكهف.

٢- وهكذا قوله في آخر قصتهم: ﴿..لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١] فيؤخذ منه جواز بناء المساجد عند قبور الصالحين.

٣- في هذا دليل على وجوب الهجرة من دار الكفر إذا لم يتمكن المؤمن من إظهار إيمانه ودينه، أو إذا حُمِل على فعل الباطل أو قوله.

٤- أنه لا يجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إذا خاف المؤمن على نفسه القتل أو التعذيب.

٥- أنه لا يجب الجهاد للعدو إذا كان المؤمنون في قلة يخشى أن يستأصلهم العدو.

٦- في ذلك ما يدل على أن الاجتماع في السفر والاجتماع في الحل والترحال والاشتراك في الطعام أفضل وأحسن وأولى من التفرق في ذلك.

٧- وأن الهرب من العدو أولى إذا خيف على النفس.
٨- وأن التزود بالمال في سفر الهجرة، أو في سفر غيرها لا ينافي التوكل على الله.
٩- أن من شأن المؤمن أن يتحذر من العدو ويحترس منه.
١٠- أنه لا تشترط الراحلة لسفر الهجرة؛ إذ لم يكن مع أصحاب الكهف إلا كلبهم.
١١- جواز التقية إذا خاف المؤمن على نفسه القتل أو الفتنة عن دينه.
١٢- أنه يستبعد الصلاح والرجوع إلى الحق ممن دخل في الفتنة ورضي بها.
١٣- أنه لا يقبل أي دين أو مذهب إلا بحجة واضحة عند العقل.
١٤- أن الله تعالى يحفظ المؤمن الملازم للتقوى من المخاوف، ويجعل له فرجاً ومخرجاً.
١٥- أن القول بغير علم مذموم.
١٦- أن الكتابة المقترنة ببعض أمارات الصحة معمول عليها، ومن هنا نقش الناس على الحجارة أخبار أهل القبور، وبذلك النقش نتعرف اليوم على أصحاب القبور المكتوب عليها من أهل القرون الخالية.
١٧- أن أهل الكهف اشتهروا عند الأمم السابقة حتى اشتهروا باسم «أصحاب الكهف والرقيم».
١٨- أن لأصحاب الكهف منازل رفيعة عند الله حيث شهر أمرهم في الأمم السابقة وفي أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيث ذكرهم في قرآن يتلى إلى يوم القيامة.
١٩- أن المؤمن المتمسك بإيمانه بين أهل الجهل والضلال أفضل إيماناً من المؤمن المتمسك بإيمانه بين مجتمع مسلم.
٢٠- ويتفرع على ذلك أن ذكر الله تعالى بين أهل الغفلة أفضل من ذكره بين أهل الذكر، وهكذا في أماكن الغفلة فإن ذكره تعالى فيها أفضل من ذكره في أماكن الذكر، وقد وردت بذلك أخبار عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي قصة أصحاب الكهف ما يصدقها.
٢١- أن الوضيع يشرف بمصاحبته لأهل الشرف، وذلك من حيث أن كلب أصحاب الكهف أدركه ما أدركهم من النوم الطويل ثم اليقظة، وذكره الله

تعالىٰ في الأمم السابقة وفي القرآن الكريم، وألحقه في العد بهم حيث قال: ﴿رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف:٢٢].

٢٢- وهكذا العكس فالشريف يتضع اذا صاحب أهل الدناءة والضعة، ويلحقه شؤمهم، وينال من خستهم.

٢٣- أنه يجوز للمؤمن أن يتخذ كلباً لحراسة بيته، أو حراسة غنمه، أو نحو ذلك.

٢٤- وينبغي أن يكون الكلب وراء باب البيت ولا ينبغي أن يدخل مع أهل البيت.

٢٥- أنه لا كراهة في نوم أكثر النهار.

٢٦- يؤخذ من قوله تعالىٰ: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ﴾ [الكهف:١٩] أن عدد أصحاب الكهف لا يقل عن أربعة، لأن واحداً منهم خاطب أصحابه في الكهف بخطاب الجماعة.

٢٧- كما يؤخذ من ذلك أن يتخذ الجماعة في السفر أو نحوه أميراً منهم، ليصدروا عن رأيه إذا اختلفوا، وليسلموا من الخلاف والخصام.

٢٨- وينبغي أن يكون أمير الجماعة أجودهم رأياً وأكثرهم علماً، ألا ترىٰ إلىٰ قول آمر أصحاب الكهف: ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴿٢٠﴾﴾ [الكهف] فإن توصيته هذه تدل علىٰ أنه ذو رأي سديد وبصيرة وذو علم وعقل.

٢٩- فمن حسن رأيه وكمال إدراكه أنه قال: ﴿ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ فلم يخص واحداً منهم بالأمر، بل وجهه إليهم جميعاً حتىٰ يتشاوروا ويتراودوا فيما بينهم علىٰ تعيين واحد منهم للذهاب إلىٰ المدينة، ولو أنه وجه الأمر إلىٰ واحد منهم بعينه لربما استاء من ذلك، ولربما تغيرت نفسه علىٰ الآمر ولو قليلاً، ولربما داخلته الأوهام ولعب به الشيطان بسبب ذلك، فبحسن رأيه وجودة معرفته وكمال عقله وإدراكه تجنب في أمره كل

ذلك، وحفظ لنفسه مكانة الآمر الحكيم، وسد عن أصحابه منافذ الشيطان ومداخل الأوهام.

- ومن حسن رأيه وجودة بصيرته وكمال عقله ومعرفته أنه قال: ﴿ابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ فدلت هذه العبارة مع جودة المعرفة على أمور:

أ- أن يدفع كل واحد من الأصحاب قدراً من الفلوس.

ب- أن يجمعها الأمير عنده ويحتفظ بها.

ج- ويكون هو المتولي للنفقة، والمتولي لتقديرها ونوعيتها وجودتها.

د- وجاء أمير أهل الكهف بعبارة: ﴿بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ﴾ [الكهف:١٩] ليُرِيَ أصحابه أن تلك الفلوس المدفوعة إليهم هي فلوسهم التي دفعوها له بعينها، لئلا يتوهموا أنه دفعها من فلوسه الخاصة به فتكون له المنة عليهم، ويكتسب بها الرفعة عليهم والتطاول، فتنكسر نفوسهم ويكون له الفضل عليهم، فجاء بعبارةٍ حكيمة تحافظ على مكانتهم، وتطرد وساوس الشيطان من صدورهم.

- وقال ﴿إِلَى الْمَدِينَةِ﴾ [الكهف:١٩]؛ لأنه لا يتوفر الطعام إلا بها، ولأنهم وإن هربوا منها فلا بد من الذهاب إليها للطعام، وبالإمكان الذهاب إليها والمجيء بالطعام منها بالتلطف والتنكر والخفية والحرص الشديد على التكتم، وعدم إشعار أي واحد من أهل المدينة على الإطلاق، وبذلك يمكن المجيء بما يحتاج إليه من الطعام مع السلامة من العدو.

- وقوله: ﴿إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف:٢٠] توكيد لوصيته لهم بالتكتم والتنكر، وتحذير لهم من أن يتسببوا في كشف أمرهم بالعواقب السيئة لو انكشف أمرهم، وذلك بقتلهم أسوأ القتل، وهو القتل رمياً بالحجارة، أو التعذيب لهم حتى يفتتنوا عن دينهم، وأنهم لو افتتنوا عن دينهم فلا يرجى منهم بعد الفتنة أن يعودوا لما كانوا عليه من الديانة، وفي ذلك دليل على العلم وحسن المعرفة والبصيرة في الدين.

- وقوله: ﴿أَزْكَىٰ طَعَامًا﴾ [الكهف:١٩] يدل على حسن رأيه وبصيرته وقوة أمانته، حيث لم يضع فلوسهم إلا في أحسن ما يعرض في سوق المدينة من الطعام وأجود ما يوجد فيها.

٣٠- كما يؤخذ من قصتهم جواز الدخول إلى دار الكفر لما لابد منه من طعام وشراب وثياب، وما لا بد منه مما يلحق بذلك كالأواني وآلات الوقود والمواقد والمخابز و...إلخ.

٣١- ﴿.. أَزْكَىٰ طَعَامًا..﴾ [الكهف:١٩] يدل على أن طلب أحسن وأجود وألذ الطعام الحلال لا ينافي الإيمان والورع والزهد.

٣٢- أن المؤمن إذا أراد أن يشتري لغيره أو لنفسه حاجة من السوق فلينظر إلى ما يعرض من تلك الحاجة في السوق حتى يطلع على أحسن ما عرض في السوق فإذا عرف ذلك اشتراه، وبذلك يكون قد حافظ على أمانته إذا كان رسولاً، ويكون قد قضى حاجة صاحبه أحسن القضاء، ولئلا يندم إذا انكشف له من بعد أن سلعته رديّة أو غير جيدة.

٣٣- أن أمير الصحب يكون ولياً تلزم طاعته فيما يتعلق بمصلحتهم في السفر، وعليه أن يتحرى ما يصلحهم وفعل ما يحفظهم، وأن يوصيهم بالأخذ بالأسباب التي يكون بالأخذ بها حفظهم، وجلب المصالح لهم، ودفع المكاره عنهم، وأن يعظهم ويحذرهم، ويكون لهم كالأب الشفيق، هكذا يستفاد من الآية والقصة.

٣٤- في ذلك أيضاً الدليل على مشروعية الوكالة، وأن الوكيل يصير وكيلاً بالأمر له مع امتثاله.

٣٥- أن على الأمير والوكيل أن ينصحا ويبالغا في النصيحة فيما وكل إليهما.

٣٦- أن التمسك بالإيمان بالله والتصلب فيه سبب للمزيد من الهدى والتنوير.

٣٧- بعثهم الله تعالى من نومهم الطويل على الهيئة التي ناموا عليها لم تطل شعورهم ولا أظافرهم ولم تتغير صورهم ولم تبل ملابسهم، ولم يطرأ

عليهم في أبدانهم وأشكالهم وأحوالهم ما يبعثهم على الاستغراب، بل قالوا حين تساءلوا بينهم عن مدة نومهم: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ [الكهف:١٩]، وبعثوا واحداً منهم وأمروه بأن يتلطف ويتكتم عن خبرهم، وكل ذلك بناء منهم على أن نومتهم يوم أو بعض يوم، أو أقل قليلاً، أو أكثر قليلاً.

٣٨- وقولهم: ﴿رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف:١٩] أدب منهم مع الله، تداركوا به خبرهم القاطع حين قالوا: ﴿لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾، فاستحيوا من الله حين قطعوا بتحديد المدة، وردوا تحديد المدة وحقيقتها إلى الله، لا لأنهم ظنوا أو شكوا أو جوزوا أنهم رقدوا يومين أو أكثر.

وحينئذٍ فيؤخذ من ذلك: أنه ينبغي للمؤمن أن يأخذ بذلك الأدب، فلا يبتّ القول فيما لا يعلم حقيقة الخبر على ما هو عليه إلا الله تعالى.

٣٩- في قصة أصحاب الكهف حجة على من أنكر كرامات أولياء الله، وذلك من حيث أن الله تعالى أنامهم أكثر من ثلاثمائة سنة يقلبهم تعالى في منامهم، تتزاور عنهم الشمس في الصباح وتقرضهم عند الغروب، ثم بعثهم الله تعالى بعد نومتهم هذه المتطاولة؛ ليتساءلوا بينهم، وليعرفوا حقيقة ما فعل الله تعالى بهم وبكلبهم، فيزدادوا إيماناً بالله وشكراً له، ثم ليكونوا آية للناس، وحجة على من أنكر البعث والجزاء و...إلخ.

٤٠- ينبغي أن يدعو المسافر في سفره بمثل دعاء أصحاب الكهف: ﴿رَبَّنَا ءَاتِنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف:١٠]، وكان دعاء موسى في هربه من فرعون وسفره إلى بلاد شعيب: ﴿عَسَى رَبِّي أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ [القصص:٢٢]، ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ﴾ [القصص:٢٤].

٤١- وفي قصتهم ما يدل على أن القياس دليل وحجة، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا﴾ [الكهف:٢١]، فإن الله تعالى جعل بعث أصحاب الكهف من نومتهم مئات السنين أصلاً يدل على أن البعث من الموت يسير على الله، وأن الله قادر

عليه، وأن ما أخبرت به رسل الله عليهم السلام من البعث للأموات حق وصدق.

٤٢- يؤخذ من قصتهم: أن ما حصل من آية بعثهم من نومهم الطويل كان آية عظيمة أخذت بأعناق المؤمنين والكافرين، وذلك أنهم تنازعوا فيهم بعدما اطلعوا على حقيقة خبرهم، ثم رأوهم أمواتاً في كهفهم بعد ذلك، فقال غير المسلمين من الناس: ﴿ابْنُوا عَلَيْهِمْ بُنْيَانًا رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ﴾ [الكهف:٢١]، وقال المسلمون: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ مَسْجِدًا﴾ [الكهف:٢١]، فأجمع الفريقان على تعظيم أصحاب الكهف، واستيقنوا أن لهم منزلة رفيعة عند الله، وأنهم من أهل كرامته وولايته، إلا أن الغلبة كانت للمسلمين فبنوا عليهم مسجداً للعبادة.

٤٣- كما يؤخذ من قصتهم أن لأولياء الله الصالحين بركة أحياءً وأمواتاً.

٤٤- كما يؤخذ من هنا جواز البناء على قبور الصالحين.

٤٥- وعلى فضل الصلاة بالقرب من قبورهم.

٤٦- وعلى جواز التسقيف على القبور.

٤٧- وفي قصتهم آية ومعجزة لنبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ولا سيما على اليهود، حيث جاء بقصتهم مفصلة مع تزييف ببعض التفاصيل التي جاء بها اليهود في قصتهم، وأخبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ربه تعالى أنه لا وثوق بما تذكره اليهود من قصتهم: ﴿وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:٢٢].

٤٨- وإذا كانت حكاية اليهود غير موثوق بها في قصة أصحاب الكهف فإن سائر حكاياتهم لما عندهم من العلم غير موثوق بها، فلا يجوز التصديق لهم في ذلك، ولا الاعتماد على ما هناك.

إن قيل: قد جعل الله تعالى بعث أصحاب الكهف من نومهم الطويل آية وحجة على أن وعد الله حق، وأن الساعة لا ريب فيها، فلماذا لم يجعل الله تعالى آيته في بعث أموات قد بليت عظامهم، فيكون ذلك أدل وأوضح حجة من بعث أهل الكهف؟

فيقال له: لم يحصل ما ذكرت؛ لأن بعث الأموات يصبح ضرورياً، فلا

يكون الإيمان بالبعث من الإيمان بالغيب، ويرتفع التكليف في هذا الباب.

٤٩- أن صلاح الرجل يكون سبباً في بقاء ذريته.

٥٠- أنه يجوز السؤال عند الحاجة والضرورة للطعام أو الشراب أو نحوهما، وأن ذلك لا ينقص من شرف الشريف وكرم الكريم.

٥١- أن رد السائل المحتاج لؤم مذموم.

٥٢- أنه لا يليق بالمرء أن يتبرع بشيء مع شدة حاجته إليه.

٥٣- أن القرية والمدينة اسمان مترادفان في لغة العرب.

٥٤- أنه ينبغي أن يعذر المخطئ في خطئه في المرة الأولى وفي الثانية، ولا يعذر بعد الخطأ الثالث ﴿قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا﴾ [الكهف:٧٦].

٥٥- أن الإخلال من طرف بشرط من شروط الاتفاق يبيح للطرف الثاني نقض الاتفاق والتخلي عنه، ولو كان الإخلال بالشرط واقعاً عن طريق الخطأ.

٥٦- أنه لا ينبغي أن يفعل العالم ما يستنكر عند الناس، اعتماداً منه على أنهم سيتأولون ما صدر منه، ويحملونه على أحسن المحامل لثقتهم فيه وعظيم تقديرهم له.

٥٧- أنه إذا صدر من العالم ما يستنكر في الظاهر فينبغي له أن يوضح لمن اطلع عليه وجه حسن فعله، ولا ينبغي له أن يسكت؛ لما قد يقع فيه المطلع عليه من الحيرة والشك والأوهام.

٥٨- أن من أدب المتعلم التواضع لمن يتعلم منه، ولو كان المتعلم أشرف وأرفع.

٥٩- أن من الحقيق بالعالم -وإن بلغ من العلم ما بلغ- أن يطلب المزيد من العلم، وأن يبحث عن أهل العلم حتى يأخذ عنهم، وإن اعتقد خلوا الزمان من العلماء، فلعل في الزوايا خبايا، ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه:١١٤].

٦٠- قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَزَاوَرُ عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ

﴿وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ...﴾ [الكهف:١٧]، قالوا: إن باب الكهف كان شمالياً، فلا تلحقهم أشعة الشمس لا في الصباح ولا عند الغروب، وهذا التفسير غير مناسب لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [الكهف:١٧]، والذي خطر ببالي أن باب الكهف كما قالوا شمالياً إلا أن بابه متسع بحيث إن الشمس تدخله عند طلوعها وعند غروبها، فمنع اللهُ تعالى بقدرته لا بحائل أشعةَ الشمس من دخولها في الصباح وعند الغروب، أما عند ارتفاعها فهم في ظل الكهف، وعلى هذا يَظهر مناسبة ﴿ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَاتِ اللَّهِ﴾ [الكهف:١٧].

٦١- وقوله تعالى: ﴿لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا﴾ [الكهف:١٨] يظهر لي في تفسير ذلك: أن الله تعالى أظهر صور أصحاب الكهف في حال نومهم على صور تخيف من رآها وتفزعه فزعاً شديداً، والحكمة في ذلك أن يمنع الله تعالى بتلك الصور عنهم من عسى أن يكشف أمرهم، وما عسى أن يؤذيهم من الدواب، فلما بعثهم الله تعالى من نومهم أعادهم على صورهم الأصلية.

[فوائد من قصة ذي القرنين]:

قدمنا فوائد من قصة أصحاب الكهف، وقصة موسى والخضر عليهما السلام، وذلك من سورة الكهف، وفي سورة الكهف أيضاً قصة ذي القرنين التي أولها: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَن ذِي الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا...﴾ [الكهف:٨٣]، وآخرها: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف:٩٨].

ويستفاد من قصة ذي القرنين فوائد:

١- أن ذا القرنين كان ملكاً صالحاً في نفسه، ومصلحاً في بلاد الله، وفي عباد الله.

٢- أن الله تعالى أعطاه من القوة المادية والقوة العسكرية ما أخضع به سلاطين الأرض، واستولى به على ممالكها.

٣- أنه كان كامل العقل، وكامل المعرفة بنفسه وبربه، يظهر ذلك في قوله عندما عرضوا عليه الخرج «الأجرة» على بناء السد: ﴿مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ﴾ [الكهف:٩٥]، حيث لم يغره قوة سلطانه وعظيم ملكه، ونفوذ كلمته، وما هو عليه من الشهرة في الناس والجلالة فيهم عن ذكر نعمة الله عليه وعظيم إحسانه إليه.

٤- أنه كان شديداً على الكافرين رحيماً بالمؤمنين. وهكذا وصف الله تعالى نبينا محمداً ﷺ وأصحابه.

٥- في ذكر قصة ذي القرنين في القرآن معجزة للنبي ﷺ، وآية دالة على صدقه، ولا سيما عند اليهود؛ لأنهم الذين اقترحوا هذا السؤال ووجهوه إلى النبي ﷺ؛ ليختبروا صدقه في ادعاء النبوة.

٦- أن ذا القرنين كان يتولى إدارة المسؤوليات بنفسه، ولا يكلها إلى غيره فغزا بنفسه مغارب الأرض، ثم مشارقها، ثم اتجه شمالاً حتى بلغ بين السدين، وكان يستقبل الشاكين بنفسه، ويقف لقضاء حاجات المحتاجين، ويشرف على الأعمال و...إلخ، ﴿قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَنْ تُعَذِّبَ﴾ ﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا...﴾ [الكهف:٨٧-٩٤]، وهكذا كان أنبياء الله ورسله عليهم السلام، وليس ذو القرنين نبياً، ولكن كان عبداً صالحاً.

٧- غزا ذو القرنين مغارب الأرض أولاً، ثم مشارقها، ثم غزا شمال الأرض، وذلك دليل على أن دولته كانت متمركزة في جنوب الكرة الأرضية، والأقرب في تحديد مركز دولته أنها بلاد الشام لأسباب:

أ- أنها بلاد الأنبياء ومركز ديانات السماء، وذو القرنين ينتسب إلى الدين وهو منظم في سلك عباد الله الصالحين، وذلك يدل على أن له علاقة قوية ومتينة ببلاد الشام.

ب-أن أرض الشام أرض زراعية، وفيها أنهار وعيون.

ج-أنها ملتقى تجار الصين والهند واليمن وتجار الشمال والغرب.

د- ومع ذلك فأرض الشام متوسطة تقريباً للعالم القديم.

٨- استمرت رحلات ذو القرنين عدة سنوات؛ لأنه بلغ مغارب الأرض بجيشه وقوته وسلطانه، ومشارقها، وشمال الأرض، واطلع على أحوال البشر هنالك، وتلك الرحلات الثلاث تستدعي:

أ- جيشاً عظيماً يمكنه السيطرة على ممالك الأرض، ويكتسح ما يواجهه من جيوش.

ب-آلافاً مؤلفة من الجمال التي هي أقوى وسائل النقل حينذاك؛ لتحمل المواد الغذائية للجيوش الغازية المقدرة بعشرات الآلاف، ولا يخفى أن السفر بمثل ذلك الجيش مع الملك وأركان دولته وحشمه وخدمه من أرض الشام إلى نهاية الكرة الأرضية شرقاً، وهو حد الصين الشرقي، وهو ساحل المحيط الهادي ثم العودة إلى الشام يستغرق عدة سنوات، والمواد الغذائية لتلك السنين تحتاج إلى وسائل نقل كثيرة، وعلى ذلك فلابد أن يكون ذو القرنين قد أعد كل ما يحتاجه جيشه الجرار في رحلاته الثلاث من المواد الغذائية الكافية، ومن وسائل النقل الكافية، ومن الملابس والأواني والخدم والطباخين، ومن الذهب والفضة، ومن غير ذلك، وقد أشار الله تعالى إلى كثرة ما عند ذي القرنين من كل ما ذكرنا وغيره في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ۝٩٠ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٩١] فقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا﴾ [الكهف:٩١] كناية عن كثرة ما لدى ذي القرنين مما ذكرنا وغيره بحيث أن الله تعالى أخبر أنه وحده قد أحاط بها علماً فتمدح تعالى بالإحاطة بعلمها، وتمدحه تعالى دليل على أنه يختص بذلك دون البشر، وذلك يدل على كثرة كاثرة تفوت حصر البشر.

٩- في هذه القصة رد على من يعتقد أن الملك لا يستقيم إلا بالظلم والمعاصي.

١٠- في قول ذي القرنين حين بلغ مغرب الشمس: ﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءً الْحُسْنَى وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ [الكهف] أن دعوة الرسل عليهم السلام كانت قد عمت في ذلك الزمان أطراف الأرض.

١١- بدأ ذو القرنين برحلته إلى غرب الأرض لأن غرب الأرض كان أقرب إلى مركز دولته.

١٢- وقوله: ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ لَمْ نَجْعَل لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سِتْرًا ﴿٩٠﴾﴾ [الكهف] يظهر أن المعنى والله أعلم: أنه لا يحول بين القوم وبين رؤيتها عند طلوعها جبلٌ ولا مرتفع من الأرض، بل يرونها مباشرة عند أول طلوعها، وهذا تقريباً في المعنى مثل قوله تعالى ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف:٨٦] بمعنى أنه رآها حين غربت واستترت في البحر لم يحل بينه وبين رؤيتها حائل من جبل أو نحوه.

١٣- قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ...﴾ [الكهف:٨٦] فسر ذلك الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام في تفسيره كما في المصابيح بأن ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف:٨٦] حال من الشمس أي: أنها تغرب عن الأرض وهي متصفة بتلك الصفة.

١٤- يؤخذ من القصة أنه كان لذي القرنين مترجمون يفهم بواسطتهم كلام الأمم التي وصل إليها، ويفهمون بواسطتهم كلام ذي القرنين، ودليل ذلك ما حكى الله تعالى من المخاطبات بين ذي القرنين وتلك الأمم.

١٥- أن الصناعة كانت متطورة في مملكة ذي القرنين، ودليل ذلك ما ذكره الله تعالى من إحكام بناء السد بقطع من الحديد كاللبن، ثم نفخ النار فيه إلى أن صار ناراً حمراء، ثم إفراغ النحاس المذاب عليه، مما جعله يتعذر على يأجوج ومأجوج نقبه أو تخريبه.

١٦- أن يأجوج ومأجوج أمة من البشر يسكنون في النصف الشمالي من

الأرض، وأن طبيعتهم العدوان على الناس والبغي عليهم.

١٧- أن الذين شكوا إلى ذي القرنين يأجوج ومأجوج كانوا قوماً محصورين يسكنون في مكان، بينهم وبين يأجوج ومأجوج طريق بين جبلين، ومن هذه الطريق تغير عليهم يأجوج ومأجوج، فسألوا ذا القرنين أن يسد هذه الطريق في وجه يأجوج ومأجوج فسدها.

١٨- أن على الوالي أن يحول بين المفسدين وبين الفساد بما يمكنه.

١٩- أن الوالي لا يأخذ من أموال الرعايا إذا كان في غنى عنها.

٢٠- قد يؤخذ من القصة أن يأجوج ومأجوج يشبهون البدو الرحل، ليس لهم مقر يسكنون فيه، وليس لهم زراعة ولا تجارة، إذ لو كان لهم مساكن ومدن وقرى يسكنونها لطلبوا من ذي القرنين أن يزحف بجيشه على بلادهم وقراهم، ولو كان لهم مزارع أو متاجر أو نحو ذلك لاشتغلوا بها عن الفساد في الأرض.

٢١- وقد يستفاد من القصة أنهم كانوا يتحينون الفرص والغرة إذا أرادوا الغنيمة، بدليل أن ذا القرنين لم ير أحداً من يأجوج ومأجوج حين بنا السد، ولو كانوا بالقرب من السد لزحف عليهم بجيشه، ولعذبهم عذاباً نكراً كما فعل بأهل مغرب الشمس.

٢٢- قد يستفاد من القصة أن ذا القرنين اشتهر بالإصلاح في البلاد والعباد، لذلك شكا أولئك القوم إلى ذي القرنين ما يلحقهم من عدوان يأجوج ومأجوج.

٢٣- أن السد كان بين أولئك الشاكين إلى ذي القرنين وبين يأجوج ومأجوج، هذا هو ما بناه ذو القرنين، ولم يبن ذو القرنين سداً بين يأجوج ومأجوج وبين سكان الكرة الأرضية.

٢٤- قد يؤخذ من هذه القصة أن الأخبار المروية عن النبي ﷺ أو غيره في

حكاية صفات يأجوج ومأجوج أخبار غير صحيحة لمخالفتها القرآن.

٢٥- يجب على المرء إذا نجح في صناعة أو زراعة أو تجارة أو سياسة، أن يرد نجاحه إلى الله تعالى وإلى فضل ربه ورحمته له.

٢٦- بل عليه أن يذكر ذلك بين الناس ويعلنه لهم، ويثني على الله تعالى عندهم بما هو أهله.

٢٧- إذا كان والي المسلمين في غنية، فلا يأخذ من رعاياه شيئاً في بناء مدارسهم وتمهيد طرقهم و...إلخ.

٢٨- ويجوز له أن يكلفهم بمعاونته بأيديهم.

٢٩- إذا مكن الله المكلف وأغناه، فليشكر الله تعالى بنفع عباد الله.

٣٠- يظهر أن ذا القرنين نادرة من نوادر ملوك الأرض على طول التاريخ، من حيث صلاحه في نفسه، وإصلاحه في الأرض، وتوفر أسباب الملك والسلطان من كثرة المال وكثرة الجنود وحسن السياسة و...إلخ.

٣١- حدثت قصة ذي القرنين قبل ولادة المسيح عليه السلام بدليل أن المقترحين للسؤال عن ذي القرنين هم اليهود، ولو كان ذو القرنين على ديانة المسيح لما سألوا عنه لشدة عداوتهم للمسيح وأتباعه.

٣٢- بل حدثت قبل موسى عليه السلام بدليل أن ذا القرنين لو كان من أهل ملة موسى عليه السلام لافتخر به اليهود وتطاولوا بذكره على الناس، لأنه مفخرة وأي مفخرة، ولأنه لو كان من ملوك بني إسرائيل لذكر في قصصهم التي قصها الله تعالى في القرآن، ولأن ذا القرنين ليس من ذراري إسرائيل عليه السلام، لأن المؤرخين قالوا: إنه الإسكندر المقدوني، وقليل من المؤرخين قالوا: إنه أسعد تبع من اليمن، ولم يذكر أحد من المؤرخين أنه إسرائيلي، وقد كان الملك في بني إسرائيل.

[ذو القرنين ورحلاته]:

📖 قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنْ ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُم

مِنْهُ ذِكْرًا﴿٨٣﴾ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبَبًا﴿٨٤﴾﴾ إلى آخر قصته في سورة الكهف، هنا معلومات وفوائد:

١-أن ذا القرنين كان ملكًا صالحًا، وأن الله تعالى مكن له في الأرض تمكينًا عظيمًا حتى بلغ مشارق الأرض ومغاربها و...الخ.

٢-أن هذا الملك نادرة من نوادر ملوك البشر؛ إذ أن فساد الملوك هو السمة المعروفة فيهم.

٣-﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ في تفسير الإمام القاسم بن إبراهيم عليه السلام ما معناه: إن الشمس تغرب عن الأبصار وتستتر في حال كونها حامية متقدة منيرة، وهذا التفسير هو الموافق لما عرف في التاريخ الحديث من أن الشمس لا تغرب حقيقة، وإنما تستتر؛ لكروية الأرض.

٤-رحلة ذي القرنين إلى مشارق الأرض ومغاربها وإلى شمالها كانت رحلة إصلاحية.

٥-وكانت رحلاته ثلاثًا: إلى أن بلغ المغرب على ساحل المحيط الأطلسي، ورحلة شرقًا بلغ سواحل المحيط الهادئ، وهي حدود الصين شرقًا، ورحلة ذهب فيها شمالًا حتى تغلغل في البلدان الواقعة شمال تركيا، وهي الدول التي كانت تسمى جمهوريات الاتحاد السوفياتي في الماضي القريب.

٦-ولم يذكر الله تعالى أنه ارتحل إلى الجنوب، فقد يؤخذ من ذلك أن دولته ومقر عمله في الجزيرة العربية.

٧-وإذا كان الأمر كذلك فإن في ذلك ما يرجح قول بعض المؤرخين اليمنيين: إن ذا القرنين هو أسعد تبع المعروف بأسعد الكامل، وفي كلمة «ذو» ما يؤيد ذلك شيئًا من التأييد، فإن «ذو» من خصائص لغة أهل اليمن «ذو يزن» «ذو الكلاع».

٨-﴿بَيْنَ السَّدَّيْنِ﴾ قد يدل على أنه وصل في رحلته إلى الشمال بين نهرين يحجز ماء كل منهما السد للانتفاع به، فينظر في الخريطة أين يوجد نهران متقاربان في شمال قارة آسيا.

[قصة ذي القرنين وسد يأجوج ومأجوج]:

📖 ﴿قَالُوا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَى أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴿٩٤﴾.... إلخ﴾ [الكهف]:

بلغ ذو القرنين بجيشه مغرب الشمس ومشرقها، وبعد هاتين الرحلتين ذهب شمالاً وأوغل في الذهاب حتى بلغ بين السدين، فوجد هنالك قوماً شكوا عليه ما يلاقونه من يأجوج ومأجوج، وسألوه أن يسد عليهم الطريق التي كان يأجوج ومأجوج يأتون منها لنهب أولئك القوم.

وكانت طريقهم تمر بمضيق بين جبلين، فسد ذو القرنين ذلك المضيق، فلم تقدر يأجوج ومأجوج فتح السد، وأمن القوم الذين شكوا إلى ذي القرنين.

هذا، وقد رويت روايات في كتب التفسير والحديث تتحدث عن يأجوج ومأجوج وأخبارهم، ويظهر لي أنها أحاديث خرافية لا صحة لها.

فالآية إنما تحدثت عن قوم طلبوا من ذي القرنين أن يسد طريقا بين جبلين كانت يأجوج مأجوج يغيرون عليهم منها، فَسَدَّ ذو القرنين ذلك الممر بسد منيع لا يستطيعون ولا يقدرون معه من الغزو على أولئك القوم.

ولم تتحدث الآية أن ذا القرنين بنى سداً يحول بين يأجوج ومأجوج وبين بني آدم، وإنما كان السد بينهم وبين قوم مخصوصين شكوا إلى ذي القرنين.

وفي هذا الزمان الذي تطورت فيه وسائل النقل عرف الإنسان زوايا الأرض وأطرافها، وطافوا على جبالها ووديانها وسهولها، وخاضوا محيطاتها وبحارها، ولم يبق فيها زاوية مجهولة، ولو كان في الأرض زاوية معزولة عن سائر الأرض لعرفوها واطلعوا عليها، وتحدثوا عنها، وذكروا طبيعتها وسكانها، ومناخها وتضاريسها، و...إلخ.

ومن المستبعد جداً أن يعرف الإنسان ويطلع على طبيعة سطح القمر من جميع النواحي، وطبائع المريخ، ويخفى عليه شطر من الأرض تسكنه أمتان عظيمتان ذاتا كثرة وعدد هائل.

فإن قيل: قد قال تعالىٰ: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ۝٩٦ وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ... الآية﴾ [الأنبياء]، وفي الكهف يقول تعالىٰ عن السد: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا۝٩٨ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ...﴾ [الكهف].

قلنا: ذلك وعد من الله تعالىٰ بخروج يأجوج ومأجوج في كثرة عظيمة، ووعد بخراب السد، وذلك عند اقتراب الوعد الحق، وهو يوم القيامة.

وقد اقترب الوعد في زمان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال تعالىٰ: ﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ۝١﴾ [القمر].

وعلىٰ هذا فيمكن أن يأجوج ومأجوج قد خرجت وماج الناس بعضهم في بعض، وأظن والله أعلم أنهم التتر، فإنهم قد خرجوا في منتصف القرن السابع وخاضوا في بلاد المسلمين وخربوها وأكثروا فيهم القتل، وقد تحدثت التواريخ عن صنيعهم في خروجهم بلاد المسلمين بما لم يحدث في تأريخ البشر مثله، ولن يحدث مثله، فقد قتلوا في بغداد وحدها حسب ما ذكره المؤرخون مليونين من سكانها.

أما السد فيمكن أن يكون تدكدك وتخرب، ويمكن أنه مازال قائماً، ويمكن أن يكون التراب قد غطاه وكبسه مع مرور الزمان الطويل، والله أعلم، والحمد لله رب العالمين، وصلىٰ الله وسلم علىٰ محمد وآله الطاهرين.

[ذكر نبي الله شعيب بن يهدم]:

📖 قوله تعالىٰ في سورة الأنبياء: ﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ۝١١ فَلَمَّا أَحَسُّوا بَأْسَنَا...﴾ الآيات:

في فتح القدير للشوكاني في تفسير هذه الآية ما لفظه: قال المفسرون وأهل الأخبار: إن المراد بهذه الآية أهل حضور من اليمن، وكان الله سبحانه قد بعث إليهم نبياً اسمه شعيب بن يهدم، وقبر بجبل من جبال اليمن يقال له ضين، وبينه وبين حضور نحو بريد.

قلت -الشوكاني-: وآثار القبر بجبل ضين موجودة، والعامة من أهل تلك

الناحية يزعمون أنه قبر قدم بن قادم. اهـ.

قلت: وقد زرت ذلك القبر وهو في رأس جبل طويل في حضور على خط صنعاء الحديدة.

الفهرس

مقدمة مكتبة أهل البيت (ع) ٣
[مقدمة التحقيق].. ١٣
[المقدمة].. ١٥
[فوائد متفرقة] ١٥
القرآن الحكيم: ١٥
[مميزات المكي والمدني من القرآن]: ١٦
أهم المجالات التي تحدث عنها القرآن بكثرة:......................... ١٦
أوصاف القرآن الواردة في آياته:..................................... ١٧
[العلم في القرآن]:.. ١٧
[بعض ما اشتمل عليه القرآن]: ١٨
[القرآن سبب لرفعة قريش]:....................................... ١٩
[أحكام القرآن في العبادات والمعاملات تدل على أنه من عند الله]............ ٢٠
[في فواتح السور]: ٢١
من مجازات القرآن: ٢٢
[القياس في القرآن]:... ٢٣
[في الاحتجاج على منكري البعث]:................................... ٢٣
[أكثر الناس تكذيبا للرسل]: ٢٤
[معنى كلمة «جهاد» في القرآن]: ٢٥
[في ذكر شهر رمضان]:... ٢٥
[أحكام العبادات مرتبطة بالأشهر القمرية]:............................ ٢٩
[بعض الأسماء المذكورة في القرآن]:.................................. ٢٩
في التوكل: ٣٠
[آيات متشابهة في الجعل..]: ٣١

اكتساب المال في القرآن: ٣١
[التجارة في القرآن]: ٣٢
ما ذكر في القرآن من فروض الصلاة وأركانها: ٣٢
ما ذكر من الصلاة في القرآن بأسمائها: ٣٣
[الوجه في إقسام الله بمخلوقاته]: ٣٣
[سعة علم الله تعالى]: ٣٥
[فوائد من سورة الفاتحة] ٣٧
[البسملة والأقوال فيها]: ٣٧
[أول سورة الفاتحة]: ٣٨
[تابع سورة الفاتحة]: ٣٩
[ما هي السبع المثاني؟]: ٤١
[فوائد من سورة البقرة] ٤٤
[فوائد من سورة آل عمران] ٦٠
[فوائد من سورة النساء] ٦٥
[فوائد من سورة المائدة] ٧٩
[فوائد من سورة الأنعام] ٨٢
[فوائد من سورة الأعراف] ٨٧
[فوائد من سورة الأنفال] ٩٣
[فوائد من سورة التوبة] ١٠٨
[فوائد من سورة يونس] ١١٠
[السرور والفرح]: ١١٢
[فوائد من سورة هود] ١١٣
[فوائد من سورة يوسف] ١١٦
[فوائد من سورة الرعد] ١١٩
[فوائد من سورة إبراهيم] ١٢١
[فوائد من سورة الحجر] ١٢٤

[فوائد من سورة النحل] ١٢٦
[فوائد من سورة الإسراء] ١٢٨
[شفاء القرآن]: ١٣٥
العلاج بالقرآن: ١٣٦
[الفرق بين الرقية بالقرآن وبين التمائم]: ١٣٦
الطب في القرآن: ١٣٧
الطب في القرآن: ١٣٧
[في الروح]: ١٣٨
[فوائد من سورة الكهف] ١٤٠
[فوائد من سورة مريم] ١٤٦
[فوائد من سورة طه] ١٤٧
[فوائد من سورة الأنبياء] ١٤٩
[فوائد من سورة الحج] ١٥٢
[فوائد من سورة المؤمنون] ١٦٠
[فوائد من سورة النور] ١٦١
[فوائد من سورة الفرقان] ١٦٣
[فوائد من سورة الشعراء] ١٧٠
[فوائد من سورة القصص] ١٧١
[فوائد من سورة العنكبوت] ١٧٢
[فوائد من سورة الروم] ١٧٤
[فوائد من سورة لقمان] ١٧٦
[فوائد من سورة السجدة] ١٧٧
[فوائد من سورة الأحزاب] ١٧٩
[فوائد من سورة سبأ] ١٨٦
[فوائد من سورة فاطر] ١٨٧
[فوائد من سورة يس] ١٨٩

[فوائد من سورة الصافات] ١٩١
كيف يعلِّم الله الإنسان ما لم يعلم؟ ١٩١
[فوائد من سورة ص] ١٩٣
[فوائد من سورة الزمر] ١٩٤
[فوائد من سورة غافر] ١٩٦
[فوائد من سورة فصلت] ١٩٨
[فوائد من سورة الشورى] ٢٠٠
[فوائد من سورة الزخرف] ٢٠٢
[فوائد من سورة الجاثية] ٢٠٥
بيان تابع: ٢٠٥
مثال توضيحي للحكمة ٢٠٦
مثال آخر لتوضيح الحكمة في الخلق: ٢٠٦
[فوائد من سورة محمد] ٢٠٩
[فوائد من سورة الحجرات] ٢١١
[فوائد من سورة الذاريات] ٢١٩
[فوائد من سورة القمر] ٢٢٠
[فوائد من سورة الرحمن] ٢٢١
[فوائد من سورة الحديد] ٢٢٣
[فوائد من سورة المجادلة] ٢٢٥
[فوائد من سورة الحشر] ٢٢٦
[فوائد من سورة الجمعة] ٢٢٩
[فوائد من سورة التغابن] ٢٤١
[فوائد من سورة الطلاق] ٢٤٢
[فوائد من سورة الملك] ٢٤٣
الكرة الأرضية: ٢٤٤
الليل والنهار: ٢٤٤
[فوائد من سورة القلم] ٢٤٥

[فوائد من سورة الحاقة] ٢٤٩
[فوائد من سورة نوح] ٢٥٢
[فوائد من سورة المزمل] ٢٥٥
[فوائد من سورة المدثر] ٢٦٠
[فوائد من سورة القيامة] ٢٦٢
[فوائد من جزء عم] ٢٦٤
[فوائد من سورة النبأ] ٢٦٥
[فوائد من سورة النازعات] ٢٦٧
[فوائد من سورة عبس] ٢٦٧
[فوائد من سورة المطففين] ٢٦٧
[فوائد من سورة الطارق] ٢٦٨
[فوائد من سورة الفجر] ٢٦٨
[فوائد من سورة البلد] ٢٦٩
[فوائد من سورة الليل] ٢٧٢
[فوائد من سورة التين] ٢٧٤
[فوائد من سورة العلق] ٢٧٥
[فوائد من سورة القدر] ٢٧٩
[فوائد من سورة العاديات] ٢٨٠
[فوائد من سورة التكاثر] ٢٨٣
[فوائد من سورة العصر] ٢٨٤
[فوائد من سورة الفيل] ٢٨٧
[فوائد من سورة الكافرون] ٢٩٠
[فوائد من سورة المسد] ٢٩١
زبر من الفوائد القرآنية ٢٩٣
[السيرة النبوية وقصص الأنبياء والأمم السابقة] ٢٩٣
[الحكمة في ذكر قصص الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في القرآن]: ٢٩٣

السيرة النبوية في القرآن الكريم: ٢٩٤
[خطاب الله لنبيه محمد صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن]: ٢٩٤
[وظائف النبي التي أرسله الله للقيام بها:] ٢٩٥
[بلغ ما أنزل إليك من ربك]: ٢٩٧
[ولقد نعلم أنك يضيق صدرك]: ٢٩٨
[ألم نشرح لك صدرك...]: ٢٩٩
[فتح مكة وفوائده]: ٣٠١
[وعلمك ما لم تكن تعلم]: ٣٠٤
[فاستقم كما أمرت ومن تاب معك....] ٣٠٥
[أمر الله لنبيه صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصبر]: ٣٠٦
[لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة]: ٣٠٦
[فوائد من آية: ﴿لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾] ٣٠٧
[تصديق الله لرؤيا النبي صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: ٣٠٨
[تعامل النبي صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع زوجاته]: ٣٠٩
[فائدة تتبع] ٣١٥
فضل زوجات النبي صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ٣١٥
[امرأة نوح وامرأة لوط]: ٣١٦
[الأمر بالصلاة على النبي صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: ٣١٦
الشورى: ٣١٨
[فوائد من قصة المجادلة ولزوم التأسي بنبينا صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: ٣١٩
[عبس وتولى] ٣٢١
[النهي عن أذية النبي صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: ٣٢٢
[لا تكونوا كالذين آذوا موسى]: ٣٢٣
[أذية المنافقين للنبي صَلَّىٰٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: ٣٢٤
[المنافقون في سورة التوبة]: ٣٢٥
[تابع ذكر المنافقين]: ٣٦٢

[بعض أعمال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المعارك]: ٣٦٣
[في المجاهدين في سبيل الله]: ٣٦٤
[وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن...]: ٣٦٧
[استماع الجن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ]: ٣٦٨
[تعليم آدم الأسماء كلها]: ٣٧٠
[ذرية نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٧٣
[نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ مع أبيه]: ٣٧٣
[ضيف إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٧٦
[إذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى...]: ٣٧٨
[أجر نبي الله إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٧٩
[في ذكر نبي الله إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٧٩
[ناقة صالح عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٨٠
[في ذكر يعقوب عَلَيْهِ السَّلَامُ وأولاده]: ٣٨٠
قصة نبي الله يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ فوائد وعبر: ٣٨١
[من قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٩٤
[في ذكر سجن يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ] ٣٩٤
قصة نبي الله داود صَلَوَاتُ اللهِ عَلَيْهِ في سورة (ص): ٣٩٥
[قصة الخصمين مع داود عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٣٩٧
ويستفاد من هذه القصة: ٣٩٨
[ملك آل داود]: ٤٠١
[قصة نبي الله سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ]: ٤٠٢
[معرفته لمنطق الطير وغيرها] ٤٠٢
[نبي الله سليمان مع بلقيس] ٤٠٣
[عرش بلقيس ومن الذي أتى به؟] ٤٠٤
[بحث قويم في قصة بلقيس ملكة سبأ]: ٤٠٥
وفي قصة بلقيس فوائد: ٤٠٨
وادي النمل: ٤١٠

[سيل العرم وأهل سد مأرب]: ٤١١
[الصناعات في عهد سليمان عليه السلام]: ٤١١
[وفيها أيضاً]: ٤١٢
[وفيها أيضاً]: ٤١٢
[ملك سليمان]: ٤١٤
[تسخير الجن لسليمان عليه السلام]: ٤١٤
[فتنة نبي الله سليمان عليه السلام وقصته مع الخيل]: ٤١٨
[حكم داود وسليمان في الحرث]: ٤٢١
الإحسان: ٤٢٣
[قصة سبأ]: ٤٢٤
[بعض الأمم السابقة المذكورة في القرآن]: ٤٢٥
[الوحي إلى أم موسى]: ٤٢٨
[قصة موسى في سورة القصص]: ٤٢٨
[عودة موسى وزوجته من مدين إلى مصر]........................ ٤٣٨
[ما يستفاد من استخلاف موسى لأخيه هارون عليهما السلام]: ٤٣٩
[عصا موسى عليه السلام]: ٤٤٠
[لقاء نبينا صلى الله عليه وآله وسلم لموسى عليه السلام]: ٤٤١
[أن نمن على الذين استضعفوا]: ٤٤١
[وإذ استسقى موسى لقومه...]: ٤٤٢
[تسليط الله على بني إسرائيل بسبب إفسادهم وعلوهم]: ٤٤٥
[نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها]: ٤٤٦
[مؤمن آل فرعون]: ٤٤٧
[فوائد من قصة موسى والخضر]: ٤٤٧
[نصائح من بعض قوم قارون له]: ٤٤٩
[بحث في أذية بني إسرائيل لموسى عليه السلام]: ٤٥٠
[القرية التي كانت حاضرة البحر]: ٤٥٢

فوائد من سورة مريم عليها السلام: ٤٥٣
[فوائد من قصة مريم عليها السلام]: ٤٦١
[حقيقة رفع عيسى عليه السلام إلى السماء]: ٤٦٢
[وعد الله لعيسى برفعة أتباعه]: ٤٦٣
قصة أصحاب الكهف فوائد وعبر: ٤٦٤
[قصة أصحاب الكهف أيضاً]: ٤٦٧
[جواز الكتابة على الألواح عند القبور واتخاذ المساجد] ٤٧٧
[ويستفاد من قصة أصحاب الكهف]: ٤٧٨
[فوائد من قصة ذي القرنين]: ٤٨٦
[ذو القرنين ورحلاته]: ٤٩١
[قصة ذي القرنين وسد يأجوج ومأجوج]: ٤٩٣
[ذكر نبي الله شعيب بن يهدم]: ٤٩٤
الفهرس ٤٩٦